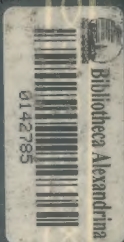


# صُورٌ مِنْ حَيَاةِ النَّابِغِينَ

٣٧ صُورَةٌ

«مطبوعة مصرية ومُنقحة»

الدكتور عبد الرحمن أف الباشا











صُورٌ مِنْ حَيَاةِ التَّابِعِينَ



# صُورٌ مِنْ حَيَاةِ النَّابِعِينَ

٣٧ صُورَةٌ

الدكتور عبد الرحمن أف الباشا

الطبعة الخامسة عشرة  
«طبعة مزيّدة ومُنقحة»

١٩٩٧م - ١٤١٨هـ

دار الأمانة  
للنشر والتوزيع

## جميع الحقوق محفوظة

إن حقوق المؤلف والنشر محفوظة لورثة المؤلف فقط دون  
سواهم، ولا يجوز إعادة طبع حلة الكتاب كلياً أو جزئياً  
أو تخزينه في أي نظام لحزن للمعلومات واسترجاعها، أو نقله  
على أي هيئة أو بأية وسيلة، سواء كانت إلكترونية  
أو ميكانيكية أو استخفاً أو تسجيلاً، أو ترجمة لأي لغة  
أخرى، أو تحويله إلى عمل إلكتروني أو برقي، أو غيرها،  
إلا بإذن كتابي من صاحب الحق الشرعي...  
ويمكن استخدام الكتاب كوحدة متكاملة وباسم مؤلفه،  
واسم الناشر كمرجع دراسي.  
كما يمكن الاقتباس منه وذكره كمرجع.

وقد أدار الأدب الإسلامي بصفتها الممول الوحيد من ورثة  
المؤلف طباعة ونشر وتوزيع كتب الدكتور عبد الرحمن  
وألفت البابا - رحمه الله - تمخر من التعامل بأي طبعة غير  
مشروعة.

الطبعة الخامسة عشرة

مزيعة ومتقحة

١٩٩٧ - ١٤١٨ هـ

الإعداد الفني والجمع التصويري  
بدار الأدب الإسلامي

رقم الإيداع

٩٧ / ٧٠٥٨

## عناوين العدار

LIMASSOL OFFICE

P.O. Box : 3110

LIMASSOL - CYPRUS

TEL : 357 - 5 - 387400

FAX : 357 - 5 - 389336

## مكتب القاهرة

ص.ب : ٨١ - بريد بانوراما

١١٨١١ القاهرة - ج.م.ع.

هاتف وفاكس : ٢٦٦٠١٦٤

هاتف : ٢١٠٣٨٩٧ - (١٢) - ٢٠

دار الأهدب الإسلامي

للنشر والتوزيع

شركة ذات مسؤولية محدودة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبْتُ الصُّفْوَةَ الْخِتَارَةَ مِنْ ثَقَاتِ التَّابِعِينَ

حُبًّا لَا يَفُوقُهُ إِلَّا حُبِّي لِصَاحِبَةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ

صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ

اللَّهُمَّ فَزِّبْنِي يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ الَّذِي مِنْ هَوْلِهِ أَوْ هَوْلِهِ

فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي مَا أَحْبَبْتُهُمْ إِلَّا فِيكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ

عبدك عبد الله



## مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وآله وأصحابه ، والذين اتبعوهم واقتدوا بهم قولاً ، وفعلأً ، وعدلاً ، وإحساناً ، وبعد ...

فها نحن ندخل في رحاب كتاب « صور من حياة التابعين » الذين عاشوا قريباً من عصر النبوة ، وتعلمدوا على أيدي رجال المدرسة المحمدية الأولى ... فإذا هم صورة لصحابة رسول الله ﷺ في رسوخ الإيمان ، والتعالي عن عرض الدنيا ، والتفاني في مرضاة الله ...

وكانوا حلقة مُحكمة مؤثرة بين جيل الصحابة رضوان الله عليهم وجيل أئمة المذاهب ومن جاء بعدهم .

وقد قسمهم علماء الحديث إلى طبقات ، أولهم من لحق العشرة المبشرين بالجنة ، وآخرهم من لقي صغار الصحابة أو من تأخرت وفاتهم .

إن هذا الكتاب بطبعته الجديدة ؛ جمعت به الكتب الستة التي سبق نشرها متضمنة لإضافات ، وتنقيحات ، تركها المؤلف - رحمه الله - ونشر للمرة الأولى ... آملين من العلمي القدير أن يعيننا على إصدار بقية ما تركه المؤلف - رحمه الله - من صور جديدة تنشر للمرة الأولى .

ولا يفوتنا أن ننبه القارئ الكريم إلى أننا أصحاب الحق الوحيدون لنشر ، وطباعة ، وتوزيع جميع كتب الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا .

كما نشكر قارئنا الكريم على اختيار أحد منشوراتنا ونطلب منه العون في  
إبداء الرأي والإشارة لأي خطأ قد يرد لكي تعم الفائدة ...  
والله من وراء القصد .

الناشر

دار الأدب الإسلامي

يمان عبد الرحمن رأفت الباشا

رضوان عبد الرحمن رأفت الباشا



# عَطَاؤُنْ أَبِي رَسَاح

« مَا رَأَيْتُ أَعْدَاءَ يُؤَيَّدُ بِالْعِلْمِ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
فَهِيَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ : عَطَاة ... وَطَاوُوس ... وَنَجَاجِدَة »

[ سَلَمَةُ بْنُ مُكْتَلٍ ]

هَذَا نَحْنُ أَوَّلَاءِ فِي الْقَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ شَهْرِ « ذِي الْحِجَّةِ » سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ  
لِلْهِجْرَةِ ... وَهَذَا الْبَيْتُ الْعَتِيقُ مَخْرُجٌ بِالْوَافِدِينَ عَلَى اللَّهِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ (١).

شِشَاءَ وَرُكْبَانًا .

وَشُيُوحًا وَشُبَّانًا ، وَرِجَالًا وَنِسَاءً .

فِيهِمُ الْأَسْوَدُ وَالْأَبْيَضُ .

وَالْعَرَبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ .

وَالسَّيِّدُ وَالْمَسْهُودُ ...

لَقَدْ قَدِمُوا جَمِيعًا عَلَى مَلِكِ النَّاسِ مُحِبِّينَ (٢) مُلَابِّينَ ، رَاجِينَ مُؤْمِلِينَ .

وَهَذَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ (٣) خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَعْظَمُ مُلُوكِ الْأَرْضِ

تَعْلُوفُ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ حَاسِرَ (٤) الرَّأْسِ خَافِي الْقَدَمَيْنِ لَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا إِزَارٌ وَرِدَاءٌ ...

شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ كَشَّانٍ يَهَيِّجُ رَعَايَاهُ مِنْ إِخْوَتِهِ فِي اللَّهِ .

وَكَانَ مِنْ خَلْفِهِ وَلَدَاهُ .

(١) من كل فج : من كل طريق .

(٢) مُلَابِّينَ : مُحِبِّينَ لِلَّهِ .

(٣) سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : أَحَدُ كِبَرِ عُلَمَاءِ بَنِي أُتَيْجَ ، أَمْرَجَ الْخِلَافَةَ مِنْ أَوْلَادِهِ وَوَعَدَ بِهَا لِلْخَلِيفَةِ الزَّاهِدِ عُتْرَ  
الَّذِي عَتِدَ الْقَرِيزَ .

(٤) حَاسِرُ الرَّأْسِ : مَكْشُوفُ الرَّأْسِ .

وَهُمَا غُلَامَانِ كَطَلْعَةِ الْبُسْرِ بَهَاءَ وَرُوءَاءَ، وَكَأَكْثَمَامٍ<sup>(١)</sup> الْوَزْدِ نَضَارَةً  
وَطِيباً.

وَمَا أَيْنَ انْتَهَى مِنْ طَوَائِفِهِ حَتَّى مَالَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ خَاصَّتِيهِ وَقَالَ :  
أَنْتُمْ صَاحِبُكُمْ ؟

فَقَالَ : إِنَّهُ هُنَاكَ قَائِمٌ يُصَلِّي ...

وَأَشَارَ إِلَى النَّاحِيَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ .

فَاتَّبَعَهُ الْخَلِيفَةُ وَمِنْ وَرَائِهِ وَلَدَاهُ إِلَى حَيْثُ أُشِيرَ إِلَيْهِ ...

وَهُمْ رِجَالُ الْخَاشِعِيَّةِ<sup>(٢)</sup> يَأْنُ يَتَّبِعُوا الْخَلِيفَةَ لِيَتَسَخَّرُوا لَهُ الطَّرِيقَ ، وَيَذْفُقُوا  
عَنْهُ أَدْوَى الرُّحَامِ ؛ فَتَنَاهُمْ<sup>(٣)</sup> عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ :

هَذَا مَقَامٌ يَسْتَوِي فِيهِ الْمُلُوكُ وَالسُّوقَةُ ...

وَلَا يُفْضَلُ فِيهِ أَحَدٌ أَحَدًا إِلَّا بِالْقَبُولِ وَالْتِقَاؤِ ...

وَرُبَّ أَشْعَثَ<sup>(٤)</sup> أَغْبَرَ قَدِمَ عَلَى اللَّهِ ؛ فَتَقَبَّلَهُ بِمَا لَمْ يَتَقَبَّلْ بِهِ الْمُلُوكُ .

ثُمَّ تَصَلَّى نَحْوَ الرَّجُلِ ؛ فَوَجَدَهُ مَا نَزَالَ دَاخِلًا فِي صَلَاتِهِ ، غَارِقًا فِي  
رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ .

وَالنَّاسُ جُلُوسٌ وَرَأَاهُ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ...

فَجَلَسَ حَيْثُ انْتَهَى إِلَى الْمَجْلِسِ ...

وَأَجْلَسَ مَعَهُ وَلَدَيْهِ ...

(١) أكمام الورد : ما يُطْلَفُ الْوَزْدُ مِنْ أَوَّلِ خَضِرٍ أَوَّلِ تَفْضِهِ .

(٢) حاشية الخليفة : غاشته ومعاونه .

(٣) تناهم عن ذلك : ردهم عن ذلك . (٤) الأشعث : المتلبد الشعر ، والأعبر : الذي تكثر عليه الغبار .

وَطَفِقَ الْفَتَيَانِ « الْقُرَشِيَّانِ » بِتَأْمَلَانِ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي قَصَدَهُ أَمِيرُ  
الْمُؤْمِنِينَ، وَجَلَسَ مَعَ عَامَّةِ النَّاسِ يَنْتَظِرُ فَرَاعَهُ مِنْ صَلَاتِهِ .

فَإِذَا هُوَ سَمِيعٌ « حَبِشِيٌّ »، أَسْوَدُ الْبَشَرَةِ، مُثْقَلُ<sup>(١)</sup> الشَّعْرِ، أَفْطَسُ<sup>(٢)</sup>  
الْأَنْفِ، إِذَا جَلَسَ بَدَأَ كَالْغُرَابِ الْأَسْوَدِ .

\* \* \*

وَلَمَّا انْتَهَى الرَّجُلُ مِنْ صَلَاتِهِ؛ مَالَ بِشِقْهِ<sup>(٣)</sup> عَلَى الْجِهَةِ الَّتِي فِيهَا  
الْخَلِيفَةُ فَحَيَّاهُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَرَدَّ التَّحِيَّةَ بِمِثْلِهَا .

وَهُنَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ، وَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ مَنَاسِكِ<sup>(٤)</sup> الْحَجِّ مَتَسَكِّاً  
مَتَسَكِّاً وَهُوَ يَفِيضُ بِالْإِجَابَةِ عَنْ كُلِّ مَسْأَلَةٍ...

وَيُفْضَلُ الْقَوْلُ فِيهَا تَفْصِيلاً لَا يَدْعُ سَبِيلاً لِمُسْتَزِيدٍ...

وَيُسْنَدُ كُلُّ قَوْلٍ يَقُولُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَلَمَّا انْتَهَى الْخَلِيفَةُ مِنْ مُسَاءَلَتِهِ جَزْأَهُ<sup>(٥)</sup> خَيْراً، وَقَالَ لَوْلَدَيْهِ :

قُومًا، فَقَامَا ... وَمَضَى الثَّلَاثَةَ نَحْوَ الْمَسْجِدِ .

وَفِيمَا هُمَ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى السُّغْيِ يَبِينُ الصُّفَا وَالْمَرْوَةَ؛ سَمِعَ الْفَتَيَانِ  
الْمُتَادِينَ يُتَادُونَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ...

لَا يُنْفِي النَّاسَ فِي هَذَا الْمَقَامِ إِلَّا عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَجَاحٍ...

فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيجٍ .

فَالْتَقَتْ أَحَدُ الْعُلَامَةِ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ :

(١) مثقل الشعر : شديد تجميد الشعر.

(٢) أفطس الأنف : شديد انخفاض نصبة الأنف .

(٤) مناسك الحج : عبادات الحج .

(٥) جزأه خيراً : قال له : جزاك الله خيراً .

(٣) مال بشقه : مال بطرفه .

كَيْفَ يَأْمُرُ عَامِلٌ<sup>(١)</sup> أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ النَّاسَ بِأَلَّا يَسْتَفْتُوا أَحَدًا غَيْرَ عَطَاءِ بْنِ  
أَبِي رَجَاحٍ وَصَاحِبِهِ ...

ثُمَّ جِئْنَا نَحْنُ نَسْتَفْتِي هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي لَمْ يَأْتِهِ<sup>(٢)</sup> لِلْخَلِيفَةِ ، وَلَمْ يُوفِّهِ حَقَّهُ  
مِنَ التَّعْظِيمِ ١١ .

فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِوَلَدِهِ :

هَذَا الَّذِي رَأَيْتَهُ - يَا بُنَيَّ - وَرَأَيْتَ دُلْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ هُوَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَجَاحٍ  
صَاحِبُ الْفَتْيَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ...

وَوَارِثُ « عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ » فِي هَذَا الْمَنْصِبِ الْكَبِيرِ .

ثُمَّ أَرَدَفَ يَقُولُ : يَا بُنَيَّ ... تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ...

فَيَا الْعِلْمَ يَشْرَفُ الْوَضِيعُ ...

وَيَنْبُتُ الْحَايِلُ ...

وَيَقْلُو الْأَرْقَاءَ عَلَى مَرَاتِبِ الْمُلُوكِ ...

\* \* \*

لَمْ يَكُنْ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مُبَالِغاً فِيمَا قَالَهُ لِابْنِهِ فِي شَأْنِ الْعِلْمِ .

فَقَدْ كَانَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَجَاحٍ فِي صِغَرِهِ عَبْدًا مَمْلُوكًا لِأَمْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ .

غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَكْرَمَ الْعُلَامَ « الْحَبَشِيِّ » بِأَنْ وَضَعَ قَدَمَيْهِ مِنْذُ نُعُومَةِ  
أَطْفَارِهِ<sup>(٣)</sup> فِي طَرِيقِ الْعِلْمِ ، فَقَسَّمَتْ وَفَتْهُ أَقْسَاماً ثَلَاثَةً :

(١) عامل الخليفة : من يلي له عملاً كالوالي ونحوه .

(٢) لم يأت به للخليفة : لم يهتّم به .

(٣) نعومة أظفاره : أي منذ طفولته .

فَسَمَّ جَعَلَهُ لِسَيِّدَتِهِ ؛ تَخْدُمُهَا فِيهِ أَحْسَنَ مَا تَكُونُ الْخِدْمَةُ ، وَيُؤَدِّي لَهَا  
حَقُوقَهَا عَلَيْهِ أَكْمَلَ مَا تُؤَدَّى الْحَقُوقُ .

وَقَسَمَ جَعَلَهُ لِرَبِّهِ ؛ يَفْرُغُ فِيهِ لِعِبَادَتِهِ أَضْفَى مَا تَكُونُ الْعِبَادَةُ وَأَخْلَصَهَا لِلَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ .

وَقَسَمَ جَعَلَهُ لَطَلِّبِ الْعِلْمِ ؛ حَيْثُ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ يَتَّبِعِي حَيًّا مِنْ صَحَابَةِ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَطَفِيقِ يَنْهَلُ مِنْ مَنَاهِلِهِمُ النَّوَّةَ (١) الصَّافِيَّةِ .

فَأَخَذَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَبِيدِ اللَّهِ  
ابْنِ الزُّبَيْرِ (٢) ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكَرَامِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى امْتَلَأَ  
صَدْرُهُ عِلْمًا وَفَقْهًا وَرِوَايَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

\* \* \*

وَلَمَّا رَأَتْ السَّيِّدَةُ الْمَكِّيَّةُ أَنَّ غُلَامَهَا قَدْ بَاعَ نَفْسَهُ لِلَّهِ ... وَوَقَفَ حَيَاتُهُ  
عَلَى طَلِّبِ الْعِلْمِ ...

تَحَلَّتْ عَنْ حَقِّهَا فِيهِ ، وَأَغْتَمَّتْ رَقَبَتَهُ تَقَرُّبًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفَعُ بِهِ  
الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ...

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ اتَّخَذَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِجَاحٍ الْبَيْتَ الْحَرَامَ مَقَامًا لَهُ ...

فَجَعَلَهُ دَارَهُ الَّتِي يَأْوِي إِلَيْهَا ...

وَمَذْرَسَتَهُ الَّتِي يَتَعَلَّمُ فِيهَا ...

وَمُصَلَّاهُ الَّذِي يَتَقَرَّبُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ بِالتَّقْوَى وَالطَّاعَةِ .

(١) النَّوَّةُ : الْخَزِيرَةُ .

(٢) انظرهم في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشرقة .

حَتَّى قَالَ الْمُؤَرَّخُونَ : كَانَ الْمَسْجِدُ فِرَاشَ عَطَاءٍ بِنِ أَبِي رَبَاحٍ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ عَامًا ...

\* \* \*

وَقَدْ بَلَغَ النَّابِغِيُّ الْجَلِيلُ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ مَثْرَلَةٌ فِي الْعِلْمِ ؛ فَأَقَاتَ كُلَّ تَقْدِيرٍ ...

وَسَمَّا إِلَى مَرْتَبَةٍ لَمْ يَنْتَلِهَا إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ مِنْ مُعَاَصِرِهِ ...  
فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ ، أَمَّ « مَكَّة » مُعْتَجِرًا<sup>(١)</sup> ...

فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَسْأَلُونَهُ وَيَسْتَفْتُونَهُ ، فَقَالَ :  
إِنِّي لَأَعْجَبُ لَكُمْ يَا أَهْلَ « مَكَّة » ...  
أَتَجْمَعُونَ لِي الْمَسَائِلَ لِتَسْأَلُونِي عَنْهَا وَفِيكُمْ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ ١٩ .

\* \* \*

وَقَدْ وَصَلَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ دَرَجَةٍ فِي الدِّينِ وَالْعِلْمِ بِخَصْلَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ :

أَوَّلَاهُمَا : أَنَّهُ أَحْكَمَ سُلْطَانُهُ عَلَى نَفْسِهِ ؛ فَلَمْ يَدْعَ لَهَا سَبِيلًا لِتَزْتَغِ<sup>(٢)</sup> فِيمَا لَا يَنْفَعُ ...

وَتَانِيَتُهُمَا : أَنَّهُ أَحْكَمَ سُلْطَانُهُ عَلَى وَفْقِهِ ؛ فَلَمْ يَهْدِرْهُ فِي فُضُولِ<sup>(٣)</sup> الْكَلَامِ وَالْعَمَلِ ...

حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ سُوقَةَ<sup>(٤)</sup> جَمَاعَةً مِنْ زُؤَارِهِ قَالَ :

(٣) فضول الكلام : الزائد عن الحاجة من الكلام .

(٤) محمد بن سوقة : أحد علماء الكوفة ومجتهدين .

(١) لم مكة معتجراً : جاء مكة لأداء العمرة .

(٢) لتزغ : لتلذذ وتشتت .

أَلَا أَسْمِعُكُمْ حَدِيثًا لَعَلَّهُ يَنْفَعُكُمْ كَمَا نَفَعَنِي ؟ .

قَالُوا : بَلَى .

قَالَ : نَصَحَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَاحٍ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَقَالَ : يَا بْنَ أُجَيٍّ ...

إِنَّ الَّذِينَ مِنْ قَبِيلِنَا كَانُوا يَكْرَهُونَ فَضُولَ الْكَلَامِ .

فَقُلْتُ : وَمَا فَضُولُ الْكَلَامِ عِنْدَهُمْ ؟ .

فَقَالَ : كَانُوا يُعَدُّونَ كُلَّ كَلَامٍ فَضُولًا مَا عَدَا كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُقْرَأَ

وَيُفْهَمَ ...

وَحَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرَوَّى وَيُنْذَرُ<sup>(١)</sup> ...

أَوْ أَمْرًا بِمَغْرُوفٍ وَنَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ ...

أَوْ عِلْمًا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ...

أَوْ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِحَاجَتِكَ وَمَعِيشَتِكَ الَّتِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْهَا .

ثُمَّ حَدَّثَ<sup>(٢)</sup> إِلَى وَجْهِي وَقَالَ :

اتَّكِرُونَ ﴿ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ • كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> ...<sup>(٤)</sup>

وَأَنْ مَعَ كُلِّ مِنْكُمْ مَلَكَينِ ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ<sup>(٥)</sup> • مَا يُلْفِظُ

مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ<sup>(٦)</sup> ﴾<sup>(٧)</sup> .

(١) يُنْذَرُ : يَفْهَمُ .

(٢) حَدَّثَ إِلَى وَجْهِي : عَدَّدَ الثَّقَلَيْنِ إِلَى وَجْهِي .

(٣) الْحَافِظُونَ الْكَاتِبُونَ : الْوُفَّاءُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَنَا وَيَكْتُبُونَ أَعْوَالَنَا .

(٤) سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ : مِنَ الْآيَةِ ١٠ - ١١ .

(٥) قَعِيدٌ : قَاعِدَانِ .

(٦) رَقِيبٌ عَتِيدٌ : رَقِيبٌ حَاضِرٌ .

(٧) سُورَةُ قٍ : مِنَ الْآيَةِ ١٧ - ١٨ .

ثُمَّ قَالَ : أَمَا يَسْتَحْيِي أَحَدُنَا لَوْ نُشِيرَتْ عَلَيْهِ صَحِيفَتُهُ الَّتِي أَمْلَاهَا صَدْرُ<sup>(١)</sup> نَهَارِهِ ، فَوَجَدَ أَكْثَرَ مَا فِيهَا لَيْسَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ ، وَلَا أَمْرِ دُنْيَاهُ ...

\* \* \*

وَلَقَدْ نَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ عَطَاءٌ مِنْ أَبِي زَيْنَابٍ طَوَائِفَ كَثِيرَةً مِنَ النَّاسِ : مِنْهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ الْمُتَخَصِّصُونَ .

وَمِنْهُمْ أَرْبَابُ الصَّنَاعَاتِ الْمُخْتَرِفُونَ .

وَمِنْهُمْ غَيْرُ ذَلِكَ ...

حَدَّثَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ الثُّعْمَانُ<sup>(٢)</sup> عَنْ نَفْسِهِ قَالَ :

أَخْطَأْتُ فِي خَمْسَةِ أَبْوَابٍ مِنَ الْعَنَائِدِ بِمَكَّةَ فَعَلَمْتُ بِهَا حُجَّامَ<sup>(٣)</sup> ...  
وَذَلِكَ أَنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَخْلُقَ لِأَخْرُجَ مِنَ الْإِحْرَامِ ، فَأَتَيْتُ خَلْقًا ، وَقُلْتُ :

يَكُمُ تَخْلِيْقُ لِي رَأْسِي ؟ .

فَقَالَ : هَذَاكَ اللَّهُ ...

الثُّلُكُ<sup>(٤)</sup> لَا يُنَازِعُ فِيهِ ، إِنْ جَلَسَ وَأَعْطَى مَا يَمَسُّهُ لَكَ .

فَخَجَلْتُ وَجَلَسْتُ .

غَيْرَ أَنِّي جَلَسْتُ مُنْحَرِفًا عَنِ الْقِبْلَةِ .

فَأَوَّمًا إِلَيَّ بِأَنْ أَشْتَقِيلَ الْقِبْلَةَ ، فَفَعَلْتُ ، وَازْدَدْتُ خَجَلًا عَلَى خَجَلِي .

ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ رَأْسِي مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ لِتَخْلِيْقِهِ ، فَقَالَ :

أَدْرِي شَيْئَكَ الْأَيْمَنَ ، فَأَذَوَّتُهُ .

(١) صدر نهاري : أول النهار .

(٢) المراد بالحجَّام هنا الحلاق .

(٣) أبو حنيفة الثُّعْمَانُ : انظره ص ٤٨٤ ، ٤٩٤ .



وَجَعَلَ مَخْلُوقَ رَأْسِي وَأَنَا سَاكِتٌ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَعْجَبُ مِنْهُ ، فَقَالَ لِي :  
مَا لِي أَرَاكَ سَاكِتًا ؟ ...

كَبِيرٌ ...

فَجَعَلْتُ أَكْبَرُ حَتَّى قُفْتُ لِأَذْهَبَ .

فَقَالَ : أَتَنْتَ تُرِيدُ ؟ .

فَقُلْتُ : أُرِيدُ أَنْ أَمْنِي إِلَى رَحْلِي .

فَقَالَ : صَبْرٌ وَكَمَتَيْنِ ، ثُمَّ انْصِرْ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ .

فَصَلَّيْتُ وَكَمَتَيْنِ ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي :

مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقَعَ مِثْلُ هَذَا مِنْ حُجَّامٍ إِلَّا إِذَا كَانَ ذَا عِلْمٍ .

فَقُلْتُ لَهُ :

مِنْ أَتَنْتَ لَكَ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ مِنَ التَّنَائِيكِ ؟ .

فَقَالَ : إِلَهُ أَنْتَ ...

لَقَدْ رَأَيْتُ عَطَاءَ بْنِ أَبِي رَجَاحٍ يَفْعَلُهُ ، فَأَعَذَّتْهُ عَنْهُ ، وَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ النَّاسَ .

\* \* \*

وَلَقَدْ أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَجَاحٍ فَأَعْرَضَ <sup>(١)</sup> عَنْهَا أَشَدَّ  
الْإِعْرَاضِ ، وَأَبَاهَا أَعْظَمَ الْإِبَاءِ ... وَعَاشَ عُمُرُهُ كُلَّهُ يَلْبَسُ قَبِيصًا لَا يَرِيدُ تَمَتُّهُ  
عَلَى حَمْسَةِ ذَرَاهِمَ .

وَلَقَدْ دَعَاهُ الْخُلَفَاءُ إِلَى مُصَاحِبَتِهِمْ ... فَلَمْ يُجِبْ دَعْوَتَهُمْ ؛ لِحَشِيَّتِهِ

(١) أعرض عنها : صدَّ عنها ، ولم يلبسها .

عَلَى دِيْنِهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ ، لَكَيْتُهُ - مَعَ ذَلِكَ - كَانَ يَقْدُ عَلَيْهِمْ ؛ إِذَا وَجَدَ فِي ذَلِكَ فَائِدَةً لِلْمُسْلِمِينَ ، أَوْ خَيْرًا لِلْإِسْلَامِ .

مِنْ ذَلِكَ مَا حَدَّثَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِي قَالَ :

انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي تُرَيْدُ هِشَامَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا غَدَوْنَا قَرِيبًا مِنْ « دِمَشْق » ؛ إِذَا نَحْنُ بِشَيْخٍ عَلَى جِمَارٍ أَسْوَدَ عَلَيْهِ قَمِيصٌ صَفِيقٌ <sup>(١)</sup> وَجُبَّةٌ بَالِيَةٌ ، وَقَلَنْسُوءَةٌ <sup>(٢)</sup> لَا زِقَّةَ بِرَأْسِهِ ، وَرِكَابَاهُ مِنْ خَشَبٍ .

فَصَحَحْتُ مِنْهُ ، وَقُلْتُ لِأَخِي :

مَنْ هَذَا ؟

فَقَالَ : اسْكُتْ ، هَذَا سَيِّدُ قُتَيْبَاءِ الْجَحَاذِ عَطَاءُ بْنُ أَبِي زَبَاحٍ ...

فَلَمَّا قَرَبَ مِنَّا نَزَلَ أَبِي عَنْ بَعْلَتَيْهِ ، وَنَزَلَ هُوَ عَنْ جِمَارِهِ ، فَاعْتَنَقَا وَتَسَاءَلَا <sup>(٣)</sup> ، ثُمَّ عَادَا فَرَكَبَا ، وَانْطَلَقَا حَتَّى وَقَفَا عَلَى بَابِ قَصْرِ هِشَامَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

فَمَا أَنْ اسْتَقَرَّ بِهِمَا الْجُلُوسُ حَتَّى أُذِنَ لَهُمَا ، فَلَمَّا خَرَجَ أَبِي قُلْتُ لَهُ : حَدِّثْنِي بِمَا كَانَ مِنْكُمَا ، فَقَالَ :

لَمَّا عَلِمَ هِشَامُ أَنَّ عَطَاءَ بْنَ أَبِي زَبَاحٍ بِالْبَابِ ؛ تَأَدَّرَ <sup>(٤)</sup> فَأَذِنَ لَهُ - وَوَاللَّهِ مَا دَخَلْتُ إِلَّا بِسَبِيهِ - فَلَمَّا رَأَاهُ هِشَامُ قَالَ :

مَوْحِبًا مَوْحِبًا ...

هَهُنَا هَهُنَا ... وَلَا زَالَ يَقُولُ لَهُ :

(١) قَمِيصٌ صَفِيقٌ : قَمِيصٌ غَثٌ كَثِيفُ الشَّجَرِ .

(٢) قَلَنْسُوءَةٌ : غِطَاءُ الرَّأْسِ .

(٣) تَسَاءَلَا : جَمَلَ كُلُّ وَاحِدِهِمَا بِسَالٍ صَاحِبِهِ .

(٤) تَأَدَّرَ : سَارَعَ .

هَهُنَا هَهُنَا ...

حَتَّى أَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَمَسَّ يَرْحَمِيهِ رُحْمَتَهُ ...  
وَكَانَ فِي الْمَجْلِسِ أَشْرَافُ النَّاسِ ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَسَكَتُوا .  
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ هِشَامٌ وَقَالَ :  
مَا حَاجَتُكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ؟ .

قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَهْلُ الْحَرَمَيْنِ ... أَهْلُ اللَّهِ وَجِيرَانُ رَسُولِهِ ؛ تُقَسِّمُ  
عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ وَأَعْطِيَانِيهِمْ ...  
فَقَالَ : نَعَمْ ...

يَا عَلَّامُ اكْتُبْ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ يَعْطَايَاهُم وَأَرْزَاقَهُمْ لِسَنَةِ .  
ثُمَّ قَالَ : هَلْ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرِهَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ؟ .

فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَهْلُ الْحِجَازِ وَأَهْلُ « نَجْدٍ » أَصْلُ الْقَرِيبِ ،  
وَقَادَةُ الْإِسْلَامِ ؛ تَزُدُّ فِيهِمْ فَضُولَ صَدَقَاتِهِمْ ...  
فَقَالَ : نَعَمْ ... يَا عَلَّامُ اكْتُبْ بِأَنْ تَزُدَّ فِيهِمْ فَضُولَ صَدَقَاتِهِمْ .  
هَلْ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرِ ذَلِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ؟ .

قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

أَهْلُ الثُّغُورِ <sup>(١)</sup> يَقِفُونَ فِي وَجْهِ عَدُوِّكُمْ ، وَيَقْتُلُونَ مَنْ رَأَى <sup>(٢)</sup> الْمُسْلِمِينَ  
بَشَرًا ؛ تُجْرِي عَلَيْهِمْ أَرْزَاقًا تُدِيرُهَا عَلَيْهِمْ ...  
فَإِنَّهُمْ إِنْ هَلَكُوا صَاعَتِ الثُّغُورُ ...

(١) أهل الثغور : المراقبون على تخوم البلاد في مواجهة العدو .

(٢) رام المسلمين بشر : قصدهم بشر .

فَقَالَ : نَعَمْ ... يَا غُلَامُ اسْكُبْ بِحَمَلٍ أَرْزَاقِهِمْ إِلَيْهِمْ ...

هَلْ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرِهَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ؟

قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَهْلُ ذِمَّتِكُمْ <sup>(١)</sup> لَا يُكَلَّفُونَ مَا لَا يُطِيقُونَ ، فَإِنْ مَا تَجِبُونَهُ مِنْهُمْ مَغُونَةٌ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ .

فَقَالَ : يَا غُلَامُ اسْكُبْ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ بِأَلَّا يُكَلَّفُوا مَا لَا يُطِيقُونَ .

هَلْ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرِهَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ؟

قَالَ :

نَعَمْ ... اتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ...

وَاعْلَمْ أَنَّكَ خُلِقْتَ وَخَدَكَ ...

وَتَمُوتُ وَخَدَكَ ...

وَتُحْشَرُ وَخَدَكَ ...

وَتُحَاسَبُ وَخَدَكَ ... وَلَا وَاللَّهِ مَا مَعَكَ مِنْ نَرَى أَحَدًا .

فَأَكْتُبْ هِشَامَ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ يَتَكَبَّرُ ...

فَقَامَ عَطَاءً ، فَقُمْتُ مَعَهُ .

فَلَمَّا صِرْنَا عِنْدَ الْبَابِ ، إِذَا رَجُلٌ قَدْ تَبِعَهُ بِكَيْسٍ لَا أَذْرِي مَا فِيهِ وَقَالَ لَهُ :

إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَقِيَ لَكَ بِهِذَا ...

فَقَالَ : هَيْهَاتَ <sup>(٢)</sup> ...

(١) أَهْلُ الذِّمَّةِ : من حامِلِهِمُ الْمَسْلُومُونَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَنَحَرِهِمْ عَلَى حَسَابِهِمْ .

(٢) هَيْهَاتَ : اسم فعل بمعنى يَتَدَلَّى [أَيِ إِنْ قَوْلَ ذَلِكَ بَعِيدٌ] .

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.  
 قَوْلَهُ إِنَّهُ دَخَلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ ... وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ... وَلَمْ يَشْرَبْ قَطْرَةً  
 ماءً ...

\* \* \*

وَبَعْدُ ، فَقَدْ عُمِّرَ<sup>(٢)</sup> عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَزَاحٍ حَتَّى بَلَغَ مِائَةَ عَامٍ ...  
 مَلَأَهَا بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ...  
 وَأُتْرِعَهَا<sup>(٣)</sup> بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ...  
 وَزَكَّاهَا بِالزَّهَادَةِ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَالرَّغْبَةِ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ ...  
 فَلَمَّا أَتَاهُ الْيَقِينُ<sup>(٤)</sup> وَجَدَهُ خَفِيفَ الْجَنْدْلِ مِنْ أَثْقَالِ الدُّنْيَا ...  
 كَثِيرَ الرِّادِ مِنْ عَمَلِ الْآخِرَةِ ...  
 وَتَمَعَهُ فَوْقَ ذَلِكَ ...  
 سَبِغُونَ حَبْجَةً ...  
 وَقَفَّ خِلَالَهَا سَبْعِينَ مَرَّةً عَلَى «عَرَفَاتٍ» ...  
 وَهُوَ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى رِضَاهُ وَالْجَنَّةَ ...  
 وَيَسْتَعِيذُ بِهِ مِنْ سَخَطِهِ وَالتَّارِ<sup>(٥)</sup> ...

(٣) أَرْعَاهَا : مَلَأَهَا .

(٤) الْيَقِينُ : الْمَوْتُ .

(١) سورة الشعراء : ١٠٩ .

(٢) عُمر : طَالَ عَمْرُهُ .

(٥) للاستزادة من أخبار عطاء بن أبي رزاح انظر :  
 ١ - الطبقات الكبرى لابن سعد : ٣٨٦/٢ .  
 ٢ - حلية الأولياء لأبي نعيم : ٣١٠/٣ .  
 ٣ - صفة الصفوة لابن الجوزي : ٢١١/٢ .  
 ٤ - وفيات الأعيان لابن خلكان : ٢٦١/٣ .  
 ٥ - غرر الحاصلين : ١١٧ .  
 ٦ - طبقات الشيرازي : الورقة ١٧ .  
 ٧ - نكت الهميان : ١٩٩ .  
 ٨ - ميزان الاعتدال : ١٩٧/٢ .  
 ٩ - تذكرة الحفاظ : ٩٢/١ .  
 ١٠ - تهذيب التهذيب : ١٩٩/٧ .  
 ١١ - قرعة الخاطر : ٨٥/١ .

# عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ

« انْتَهَى الزُّهْدُ إِلَى ثَمَانِيَةِ فِي مُقَدِّمَتِهِمْ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ »

[عَلَّقَمَهُ بْنُ مَرْثِدٍ]

نَحْنُ الْآنَ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ .

وَهَا هُمْ أَوْلَاءُ الْهَدَاةِ الْبَنَاءُ مِنْ كِرَامِ الصُّحَابَةِ وَكِبَارِ الثَّابِعِينَ ؛ يَخْتَطُّونَ (١)  
مَدِينَةَ « الْبَصْرَةِ » بِأَمْرِ مِنْ خَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
وَأَرْضَاهُ .

فَلَقَدْ عَزَمُوا عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا مِنَ الْمَدِينَةِ الْجَدِيدَةِ مُعَسَّكَراً لِجُيُوشِ  
الْمُسْلِمِينَ الْغَازِيَةِ فِي بِلَادِ « فَارِسَ » ...

وَقَاعِدَةً (٢) لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ...

وَمَنَازَةً لِإِغْلَاءِ كَلِمَتِهِ فِي الْأَرْضِ ...

وَهَا هِيَ ذِي جُمُوعِ الْمُسْلِمِينَ ؛ تَزْحَلُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْفَتِيَّةِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ  
فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ :

مِنْ نَجْدٍ ... مِنْ الْحِجَازِ ... مِنَ الْيَمَنِ ...

لِيَكُونُوا عَلَى ثَغْرِ (٣) مِنْ ثُغُورِ الْمُسْلِمِينَ .

وَكَانَ فِي جُمْلَةِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَيْهَا مِنْ « نَجْدٍ » قَتَى مِنْ بَنِي « تَمِيمٍ » يُدْعَى  
عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ الْعَنْبَرِيُّ .

\* \* \*

(١) يَخْتَطُّونَ مَدِينَةَ الْبَصْرَةِ : يَرْسُمُونَ حُدُودَهَا .

(٢) قَاعِدَةٌ لِلدَّعْوَةِ : مَنَاطِقٌ لِلدَّعْوَةِ .

(٣) الثَّغَرُ : الْمَكَانُ الَّذِي يَخَافُ أَنْ يَهْجَمَ مِنْهُ الْعَدُوُّ .

كَانَ عَايِرُ بْنُ عَبِيدٍ اللَّهُ يُؤَمِّدُكَ فَكُنْ فِي بَوَاكِبِهِ (١) الصَّبَا، غَضُّ الْإِهَابِ (٢)  
 وَبَانَ الشُّبَابُ، وَضِيءُ الْوَجْهِ، زَكِيُّ النَّفْسِ، تَقِيُّ الْقَلْبِ ...  
 وَكَانَتْ «البَصْرَةُ» عَلَى حَدَاتِهَا مِنْ أَغْنَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ غِنًى، وَأَوْفَرَهَا  
 ثَرَوَةً، لَمَّا كَانَ يَتَدَقَّقُ عَلَيْهَا مِنْ غَنَائِمِ الْحَرْبِ، وَيَتَصَبَّبُ فِيهَا مِنَ الذَّهَبِ  
 الثُّخَارِ (٣) ...

لَكِنَّ الْفَتَى التَّيْمِيَّ عَايِرَ بْنَ عَبِيدٍ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَرْبٌ (٤) فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ...  
 فَلَقَدْ كَانَ زَهَاداً يَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، رَغَاباً يَمَّا عِنْدَ اللَّهِ ...  
 مُغْرِضاً عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، مُقْبِلاً عَلَى اللَّهِ وَمَوْضَاتِهِ ...

\* \* \*

وَكَانَ رَجُلٌ «البَصْرَةُ» وَمُقَدَّمُهَا يُؤَمِّدُ الصُّحَابِيَّ الْجَلِيلُ أَبُو مُوسَى  
 الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَصَرَ فِي الْجَنَّةِ وَجْهَهُ.  
 فَهُوَ وَالِي الْمَدِينَةِ الزَّاهِرَةِ ...

وَهُوَ قَائِدُ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ الْمُنْطَلِقَةِ مِنْهَا فِي كُلِّ اتِّجَاوٍ ...  
 وَهُوَ إِمَامُ أَهْلِهَا، وَمُعَلِّمُهُمْ، وَمُرْشِدُهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ...

\* \* \*

لَزِمَ عَايِرُ بْنُ عَبِيدٍ اللَّهُ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ فِي سَبِيلِهِ وَخَزِيرِهِ ...  
 وَصَحْبَتُهُ فِي جِلِّهِ وَتَوَحُّالِهِ ...  
 فَأَخَذَ عَنْهُ كِتَابَ اللَّهِ رَطْباً طَرِيّاً كَمَا نَزَلَ عَلَى قُورَادٍ مُحَمَّدٍ ...  
 وَرَوَى عَنْهُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَحِيحاً مُؤَصَّلاً بِالنَّبِيِّ الْكَرِيمِ ...

(٣) اللبب الثُّخَارِ: الذهب الخالص.

(١) بَوَاكِبُ الصَّبَا: أَوَّلُ الصَّبَا.

(٢) غَضُّ الْإِهَابِ: طَرِيٌّ لِلْجَلْدِ [ كِتَابَةٌ عَنْ صَبَاه ]. (٤) الْأَرْبُ: الْعَايَةُ وَالْحَاجَةُ.

وَتَقَفُّهُ عَلَى يَدَيْهِ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ...

فَلَمَّا اكْتَمَلَ لَهُ مَا أَرَادَ مِنَ الْعِلْمِ ؛ جَعَلَ حَيَاتَهُ أَقْسَامًا ثَلَاثَةً :

فَشَطَرُ<sup>(١)</sup> فِي خَلْقَاتِ الذُّكْرِ ؛ يُقْرَأُ فِيهِ النَّاسُ الْقُرْآنَ فِي مَسْجِدِ

« البَصْرَةِ » ...

وَشَطَرُ فِي خَلَوَاتِ الْعِبَادَةِ ؛ يَتَنَصَّبُ فِيهِ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حَتَّى تَكِلَ

قَدَمَاهُ ...

وَشَطَرُ فِي سَاحَاتِ الْجِهَادِ ؛ يَسْلُ فِيهِ سَهْفَهُ غَايِبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...

وَلَمْ يَتْرُكْ فِي حَيَاتِهِ مَوْضِعًا لِشَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ أَبَدًا ... حَتَّى دُهِبَ بِهَايِدِ

« البَصْرَةِ » وَزَاهِدِيهَا ...

\* \* \*

وَكَانَ مِنْ أَجْبَارِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَا حَدَّثَ بِهِ أَحَدُ أَهْلَاءِ « البَصْرَةِ » قَالَ :

سَافَرْتُ فِي قَافِلَةٍ فِيهَا عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا اللَّيْلُ ؛ نَزَلْنَا

بَغْيَصَةَ<sup>(٢)</sup> ...

فَجَمَعَ عَامِرٌ مَتَاعَهُ ، وَزَيَّلَ فَرَسَهُ بِشَجَرَةٍ ، وَطَوَّلَ لَهُ زِمَامَهُ<sup>(٣)</sup> ، وَجَمَعَ لَهُ

مِنْ حَشَائِشِ الْأَرْضِ مَا يُشْبِعُهُ وَطَرَحَهُ أَمَامَهُ ... ثُمَّ دَخَلَ الْغَيْصَةَ وَأَوْغَلَ<sup>(٤)</sup> فِيهَا

قَلْبُكَ فِي نَفْسِي :

وَاللَّهُ لَا يُثَبِّتُهُ ، وَلَا يُنْظِرُنْ مَا يَصْنَعُ فِي أَعْمَاقِ الْغَيْصَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ .

فَمَضَى حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَابِئَةِ مُلْتَقَى الشَّجَرِ ، مَشْتَوِرَةً عَنِ الْأَعْيُنِ ...

(١) الشطر : القسم .

(٢) الغيصه : مجمع الشجر في مفيض الماء .

(٣) الزمام : الرمن ، وهو الخيل الذي تقاد به العلبة . (٤) أوغل فيها : أهد وتوارى .



فَاسْتَقْبَلَ الْقَبِيلَةَ ، وَانْتَصَبَ قَائِمًا يُصَلِّي ...  
 فَمَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَا أَكْمَلَ وَلَا أَخْفَعَ .  
 فَلَمَّا صَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُصَلِّي ، طَفِقَ <sup>(١)</sup> يَدْعُو اللَّهَ وَيُتَاجِعِهِ ، فَكَانَ مَعًا  
 قَالَهُ :

« إِلَهِي لَقَدْ خَلَقْتَنِي بِأَمْرِكَ ، وَأَقَمْتَنِي فِي بَلَدٍ هَذِهِ الدُّنْيَا بِمَشِيئَتِكَ ، ثُمَّ  
 قُلْتَ لِي : اسْتَمْسِكْ <sup>(٢)</sup> ...

فَكَيْفَ اسْتَمْسِكُ إِنْ لَمْ تُمَسِّكْنِي بِلُطْفِكَ يَا قَوِي يَا مَتِينُ ؟  
 إِلَهِي إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ لِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا ، ثُمَّ طَلَيْتَ مِنِّي  
 مَرَضًا لَكَ ، لَوْ هَبَّتْهَا لِعَالِيهَا ...

فَهَبْ لِي نَفْسِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ...  
 إِلَهِي إِنِّي أَحْبَبْتُكَ حُبًّا سَهْلَ عَلَيَّ كُلِّ مُصِيبَةٍ ، وَرَضَانِي بِكُلِّ قَضَاءٍ ...  
 فَمَا أَتَالِي مَعَ حُبِّي لَكَ مَا أَصْبَحْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا أَمْسَيْتُ فِيهِ ...

\* \* \*

قَالَ الرَّجُلُ الْبَصْرِيُّ :  
 ثُمَّ إِنَّهُ عَلَبَنِي الثَّمَاثُ ، فَأَسْلَعْتُ جَفْنِي إِلَى الْكَرَى <sup>(٣)</sup> ...  
 ثُمَّ مَا زِلْتُ أَنَا مُوَأْتِظٌ ، وَغَايِرٌ مُتَتَبِعٌ فِي مَوْفِقِهِ ، مَاضٍ فِي صَلَاتِهِ  
 وَمُتَاجِعٍ ، حَتَّى تَنَفَّسَ <sup>(٤)</sup> الصُّبْحُ .  
 فَلَمَّا بَدَأَ لَهُ الْفَجْرُ أَدَّى الْمَكْتُوبَةَ <sup>(٥)</sup> ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَدْعُو فَقَالَ :

(١) طَفِقَ يَدْعُو : أَمَلَ يَدْعُو .

(٢) اسْتَمْسِكُ : اضْبَحْتُ تَقَعَكَ .

(٣) الْكَرَى : النَّوْمُ .

(٤) تَنَفَّسَ الصُّبْحُ : تَجَلَّجَ الصُّبْحُ وَظَهَرَ .

(٥) الْمَكْتُوبَةُ : الصَّلَاةُ .

اللَّهُمَّ مَا قَدْ أَصْبَحَ الصُّبْحُ ، وَطَفِقَ النَّاسُ يَهْدُونَ وَيُزْوَحُونَ ؛ يَسْتَعُونَ مِنْ  
فَضْلِكَ ...

وَإِنْ لِكُلِّ مِنْهُمْ حَاجَةٌ ...

وَإِنْ حَاجَةٌ غَايِرٌ عِنْدَكَ أَنْ تَغْفِرَ لَهُ ...

اللَّهُمَّ فَأَقْضِ حَاجَتِي وَحَاجَاتِهِمْ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ ...

اللَّهُمَّ إِنِّي سَأَلْتُكَ ثَلَاثًا ؛ فَأَعْطِنِي الثَّانِي ، وَمَنْعْتَنِي وَاحِدَةً ...

اللَّهُمَّ فَأَعْطِنِيهَا حَتَّى أَعْبُدَكَ كَمَا أَحِبُّ وَأُرِيدُ ...

ثُمَّ نَهَضَ مِنْ مَجْلِسِهِ ، فَوَقَعَ بَصَرُهُ عَلَيَّ ... فَتَلِمَ بِمَكَانِي مِنْهُ فِي تِلْكَ  
الَّيْلَةِ ، فَجَزِعَ<sup>(١)</sup> لِذَلِكَ أَشَدَّ الْجَزَعِ ، وَقَالَ لِي فِي أَسَى<sup>(٢)</sup> :

أَرَاكَ كُنْتَ تَرْقُبُنِي اللَّيْلَةَ يَا أَخَا الْبَصْرَةِ ۝ ١٩ .

فَقُلْتُ : نَعَمْ .

فَقَالَ : اسْتَوْ مَا رَأَيْتَ بَيْنِي سَتَرَ اللَّهِ عَلَيْكَ .

فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَكُنْ حَدَّثَنِي بِهِ لِيهِ الثَّلَاثُ الَّتِي سَأَلْتُهَا رَبَّكَ ، أَوْ لِأَخْبِيرُ النَّاسَ  
بِمَا رَأَيْتَهُ مِنْكَ .

فَقَالَ :

وَلِمَ حَكَ<sup>(٣)</sup> لَا تَفْعَلْ .

فَقُلْتُ : هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ ...

فَلَمَّا رَأَى إِصْرَارِي قَالَ :

(١) جزع : عاف والظم .

(٢) في أسى : في حزن .

(٣) وح : كلمة ترجم وتوابع .

أُحَدِّثُكَ عَلَى أَنْ تُعْطِيَنِي عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ أَلَّا تُخَيِّرَ بِذَلِكَ أَحَدًا .  
فَقُلْتُ : لَكَ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ وَمِيثَاقِهِ أَلَّا أَفْشِيَ لَكَ سِرًّا مَا ذُهِتَ حَيًّا .  
فَقَالَ :

لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَخَوْفُ عَلَيَّ فِي دِينِي مِنَ النِّسَاءِ ، فَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَنْزِعَ مِنْ  
قَلْبِي حُبَّهُنَّ ، فَاسْتَجَابَ لِي حَتَّى صِرْتُ مَا أَبَالِي <sup>(١)</sup> امْرَأَةً رَأَيْتُ أَمْ جِدَارًا ...  
فَقُلْتُ : هَذِهِ وَاحِدَةٌ ، فَمَا الثَّانِيَةُ ؟ .

فَقَالَ : الثَّانِيَةُ أَنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَلَّا أَخَافَ أَحَدًا غَيْرَهُ ، فَاسْتَجَابَ لِي حَتَّى  
أَنِّي وَاللَّهُ مَا أَزْهَبَ شَيْئًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ سِوَاهُ .  
قُلْتُ : فَمَا الثَّالِثَةُ ؟ .

فَقَالَ : سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَذْهَبَ عَنِّي النَّوْمُ حَتَّى أَغْبِئَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ كَمَا  
أُرِيدُ فَمَنْعَنِي هَذِهِ الثَّالِثَةُ ...

فَلَمَّا سَمِعْتُ مِنْهُ ذَلِكَ قُلْتُ لَهُ :  
رِفْقًا بِنَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ تَقْضِي لَيْلَكَ قَائِمًا ، وَتَقْطَعُ نَهَارَكَ صَائِمًا ...  
وَإِنَّ الْجَنَّةَ تُذْرَكُ بِأَقْلٍ مِمَّا تَصْنَعُ ...  
وَإِنَّ النَّارَ تُتَّقَى بِأَقْلٍ مِمَّا تُعَانِي .  
فَقَالَ :

إِنِّي لَا أَخْشَى أَنْ أَتَنَمَّ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ التَّوَنُّمُ ...  
وَاللَّهُ لَا جَهْدَ فِي الْعِبَادَةِ مَا وَجَدْتُ إِلَى الْإِجْتِهَادِ سَبِيلًا ...

---

(١) ما أبالي : ما أهتم وما أكره .

فَإِنْ نَجَوْثُ ، فَبِرَحْمَةِ اللَّهِ ...

وَإِنْ دَخَلْتُ النَّارَ ، فَبِتَقْصِيرِي ...

\* \* \*

غَيْرَ أَنَّ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ رَاهِباً مِنْ رُهْبَانِ<sup>(١)</sup> اللَّيْلِ فَحَسِبَ ، وَإِنَّمَا  
كَانَ قَارِئاً مِنْ قُرَّسَاتِ النَّهَارِ أَيْضاً ...

فَمَا أَذُنٌ مُؤَذِّنٌ لِلْجِهَادِ<sup>(٢)</sup> فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا كَانَ فِي طَلِيقَةٍ مِنْ مُجِيبٍ  
يَدَّاعِيهِ .

وَكَانَ إِذَا نَهَدَ<sup>(٣)</sup> لِعَزْوَةٍ مِنَ الْعَزَوَاتِ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ ، وَقَفَ يَتَوَسَّمُ<sup>(٤)</sup>  
النَّاسَ لِيُخْتَارَ رِفَاقُهُ .

فَإِذَا وَقَعَ عَلَى رِيقَةٍ تَوَافَقَهُ ، قَالَ لَهُمْ :  
يَا هَؤُلَاءِ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَصْحَبَكُمْ عَلَى أَنْ تُعْطُونِي مِنْ أَنْفُسِكُمْ ثَلَاثَ  
جَلَالٍ<sup>(٥)</sup> ...

فَيَقُولُونَ : مَا هُوَ ؟  
فَيَقُولُ : أَوَّلَاهُمْ أَنْ أَكُونَ لَكُمْ خَادِماً ، فَلَا يُتَارَعُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي  
الْخِدْمَةِ أَبَداً .

وَالثَّانِيَةُ أَنْ أَكُونَ لَكُمْ مُؤَذِّناً ، فَلَا يُتَارَعُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ التَّدَاءِ لِلصَّلَاةِ .

وَالثَّالِثَةُ أَنْ أَتَّفِقَ عَلَيْكُمْ بِقَدْرِ طَاعَتِي ...

فَإِنْ قَالُوا : نَعَمْ ، انْعَصَمَ إِلَيْهِمْ ...

(١) الراهب : من يهرب الله ويقتطع لمجاذته .

(٢) أذن مؤذن الجهاد : دعا داعي الجهاد .

(٣) نهّد لغزوة : أشرع لغزوة .

(٤) يتوسّم الناس : يتقرّص الناس ويتفرّغهم .

(٥) جلال : محصال .

وَإِذَا نَارَعَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ رَحَلَ عَنْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ .

\* \* \*

وَلَقَدْ كَانَ عَامِرٌ مِنْ أَوْلِيكَ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ يَتَكَثَّرُونَ عِنْدَ الْفَرَجِ <sup>(١)</sup> ،  
وَيَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ <sup>(٢)</sup> ...

فَهُوَ يَغْشَى <sup>(٣)</sup> الْوَعَى كَمَا لَا يَغْشَاهَا أَحَدٌ سِوَاهُ ...

وَلَكِنَّهُ يَعِفُ عِنْدَ الْحَقِّ كَمَا لَا يَعِفُ عَنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ .

\* \* \*

فَهَذَا « سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ » <sup>(٤)</sup> يَنْزِلُ بَعْدَ « الْقَادِسِيَّةِ » <sup>(٥)</sup> فِي إِيْوَانِ <sup>(٦)</sup> «  
يَكْشَرَى » :

وَيَأْتُرُ « عَمْرُو بْنُ مُقَرِّنٍ » بِأَنْ يَجْمَعَ الْعَنَائِمَ وَيُخَصِّصَهَا ؛ لِإِيْرَسِلَ خُصْمَتَهَا  
إِلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَقْسِمَ بِأَقْبَحِهَا عَلَى الْمُجَاهِدِينَ ... فَاجْتَمَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ  
مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَعْلَاقِ <sup>(٧)</sup> وَالتَّقَائِسِ مَا يَفُوقُ الْوَصْفَ ، وَيَعْرِضُ عَلَى الْحَضَرِ ...  
فَهُنَا سِلَالٌ كَثِيرَةٌ مُحْتَمَّةٌ بِالرِّصَاصِ مَمْلُوءَةٌ بِأَيَّةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَانَ  
يَأْكُلُ بِهَا مَلُوكُ قَارِسَ ...

وَهُنَاكَ صَنَائِدُ مِنْ نَفِيسِ الْحَشَبِ كُدِّسَتْ فِيهَا ثِيَابُ « يَكْشَرَى »  
وَأَوْشَحَتْهُ <sup>(٨)</sup> وَذُرُوعُهُ الْمُحَلَّلَةُ بِالْجَوْهَرِ وَالْدُرِّ ...

(١) عند الفرج : عند الحرف والحاجة إلى النجدة .

(٢) عند الطمع : عند انقسام اللغام .

(٣) يَغْشَى الْوَعَى : يخوض الحرب .

(٤) سعد بن أبي وقَّاص : أحد العشرة المبشرين بالجنة من الصحابة وقائد المسلمين في القادسية ، انظره في كتاب  
« صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشرقة .

(٥) القادسية : ناحية في العراق وقعت فيها معركة القادسية التي انتصر فيها المسلمون على الفرس نصراً مؤزداً .

(٦) إيوان يَكْشَرَى : قصر يَكْشَرَى .

(٧) الألق : بكسر العين كل شيء ثمين نفيس ، وجمعه أَلَقْلَق .

(٨) الأوشاح : بضم الواو ، شبه قلادة من نسج حرير مُرْسَع بالمجوهر .

وَهَذِهِ أَشْفَاطُ<sup>(١)</sup> مَمْلُوءَةٌ بِنَقَائِسِ الْحُلِيِّ وَرَوَائِعِ الْمُشْتَنِّيَاتِ ...  
وَتِلْكَ أَعْمَادٌ فِيهَا سُيُوفُ مُلُوكِ الْفُرْسِ مِلْكَاً بَعْدَ مِلِكٍ ...  
وَسُيُوفُ الْمُلُوكِ وَالْقَوَادِ الَّذِينَ خَصَّصُوا لِلْفُرْسِ خِلَالَ الثَّارِيخِ ...

\* \* \*

وَفِيهَا كَبَانُ الْعُمَالِ يُخْصُونَ هَذِهِ الْعَنَائِمَ عَلَى مَرَأَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ  
وَمَسْمُوحٍ ... أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ رَجُلٌ أَشْعَثُ أَغْبَرُ<sup>(٢)</sup>، وَمَقَعُهُ حَقٌّ<sup>(٣)</sup> كَبِيرُ الْحَجْمِ  
ثَقِيلُ الْوِزْنِ؛ حَمَلَهُ يَتَذَيَّبُ كِلْتَاهِمَا ...  
فَتَأْمَلُوهُ؛ فَإِذَا هُوَ حَقٌّ لَمْ تَفْعَ عِيُونُهُمْ عَلَى مِثْلِهِ قَطُّ، وَلَا وَجَدُوا فِيهَا  
جَمْعَهُوَ شَيْئاً يَتَذَلُّهُ أَوْ يُقَارِبُهُ ...

فَتَنْظُرُوا فِي دَاخِلِهِ؛ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَلَأَ بِرَوَائِعِ الدُّرِّ وَالْجَوْهَرِ ...  
فَقَالُوا لِلرَّجُلِ:

أَنْ أَصَبْتَ هَذَا الْكَثْرَ الثَّمِينَ ١٢ .

فَقَالَ: غَنِيَّتُهُ فِي مَعْرَكَةٍ كَذَا ... فِي مَكَانٍ كَذَا ...

فَقَالُوا: وَهَلْ أَخَذْتَ مِنْهُ شَيْئاً ؟ .

فَقَالَ: هَذَا كُمْ اللَّهُ ...

وَاللَّهُ إِنَّ هَذَا الْحَقَّ، وَجَمِيعَ مَا مَلَكَتْهُ مُلُوكُ «فَارِس» لَا يَغْدِلُ عِنْدِي  
قَلَامَةً ظَفَرٍ<sup>(٤)</sup> ...

(١) السِّفَطُ: وعاء يوضع فيه الطيب، وما أشبه من زينة النساء وحليتهن .

(٢) الْأَشْعَثُ: الملبس الشعر، والأغْبَرُ: الذي علاه الغبار .

(٣) الْحَقُّ: وعاء الطيب ونحوه من النفايس .

(٤) قَلَامَةُ الظَّفَرِ: ما سقط من طرفه، ويضرب بها للتل في الشيء الخسيس الخفير .

وَلَوْلَا حَقُّ يَتِّ مَالِ الْمُسْلِمِينَ<sup>(١)</sup> فِيهِ مَا رَفَعْتُهُ مِنْ أَرْضِهِ ...  
وَلَا أَتَيْتُكُمْ بِهِ .

فَقَالُوا : مَنْ أَنْتَ أَكْرَمَكَ اللَّهُ ١٩ .

فَقَالَ :

لَا وَاللَّهِ لَا أُخْبِرُكُمْ بِتَحْمَدُونِي ، وَلَا أُخْبِرُكُمْ لِيَقْرَظُونِي<sup>(٢)</sup> ...

وَلِكَيْنِي أَحْمَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَرْجُو ثَوَابَهُ .

ثُمَّ تَرَكَهُمْ ، وَمَضَى ...

فَأَمَرُوا رَجُلًا مِنْهُمْ أَنْ يَتَّبِعَهُ ، وَأَنْ يَأْتِيَهُمْ بِخَبْرِهِ .

فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَمْضِي وَرَاءَهُ - وَهُوَ لَا يَعْلَمُ بِهِ - حَتَّى بَلَغَ أَصْحَابَهُ ، فَلَمَّا  
سَأَلَهُمْ عَنْهُ قَالُوا :

أَلَا تَعْرِفُهُ ١٩ .

إِنَّهُ زَاهِدٌ « الْبَصْرَةِ » ... عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّيْمِيُّ .

\* \* \*

لَكِنَّ حَيَاةَ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا عَرَفَتْ مِنْ أَمْرِهِ - لَمْ تَخُلُ  
مِنْ الْمُتَنَفِّصَاتِ<sup>(٣)</sup> ، وَلَمْ تَسْلَمْ مِنْ أَذَى النَّاسِ ...

فَلَقَدْ تَقَرَّضَ لِمَا يَلْقَاهُ الصَّادِعُونَ<sup>(٤)</sup> بِكَلِمَةِ الْحَقِّ ، الْمُتَكِبُونَ لِلْمُتَكَبِّرِ ،  
الْعَامِلُونَ عَلَى إِزَالَتِهِ ...

وَتَكَانَ السَّبَبُ الْمُبَاشِرُ فِيمَا لَحِقَ بِهِ مِنْ أَذَى ... أَنَّهُ أَبْصَرَ رَجُلًا مِنْ أَغْوَانِ

(١) جعل الإسلام خمس غنائم الحرب لبيت مال المسلمين والباقي للمجاهدين .

(٢) لقرظوني : ليشوا علي .

(٤) الصادعون بكلمة الحق : المجاهدون بكلمة الحق .

(٣) المتنفصات : المكدرات .

صَاحِبِ شَرْطٍ<sup>(١)</sup> «البَصْرَةَ» وَقَدْ أَمْسَكَ بِخَنَاقٍ<sup>(٢)</sup> رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ<sup>(٣)</sup>،  
وَجَعَلَ يَجْرُهُ جَرًّا ...

وَالذِّمِّيُّ يَسْتَتِغِثُ النَّاسَ وَيَقُولُ :

أَجِيرُونِي أَجَارَكُمُ اللَّهُ ...

أَجِيرُوا ذِمَّةَ نَبِيِّكُمْ<sup>(٤)</sup> يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ...

فَأَقْبَلَ عَامِرٌ عَلَيْهِ وَقَالَ :

هَلْ أَذَيْتَ جِرْيَتَكَ ؟

فَقَالَ : نَعَمْ ، أَذَيْتُهَا .

فَالْتَفَتَ إِلَى الرَّجُلِ الْمُنْسَلِكِ بِخَنَاقِهِ وَقَالَ :

مَا تُرِيدُ مِنْهُ ؟

فَقَالَ : أُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ مَعِيَ لِيَكْسَحَ<sup>(٥)</sup> حَدِيقَةَ صَاحِبِ الشَّرْطِ ...

فَقَالَ لِلذِّمِّيِّ : أَتَطِيبُ نَفْسَكَ بِهَذَا الْعَمَلِ ؟

فَقَالَ : كَلَّا ...

فَذَلِكَ يَهْدُ قَوَائِي ، وَيَشْغَلُنِي عَنْ كَسْبِ قُوتٍ عِيَالِي ...

فَالْتَفَتَ عَامِرٌ إِلَى الرَّجُلِ وَقَالَ : دَعُهُ<sup>(٦)</sup> ...

فَقَالَ : لَا أَدَعُهُ ...

---

(١) صاحب الشرط : مدير الشرط ، والشرط جمع مفردة شرطة وشرطي .

(٢) الخناق : العنق .

(٣) أهل الذمة : من دخل في عهد المسلمين وحمايتهم من اليهود والنصارى وغيرهم .

(٤) أجبروا ذمة نبيكم : أحصوا من دخل في ذمة نبيكم .

(٥) يكسح الحديقة : ينظفها .

(٦) دعه : اتركه .



فَمَا كَانَ مِنْ غَايِرٍ إِلَّا أَنْ أَلْقَى رِدَاءَهُ عَلَى الذَّمِّي وَقَالَ :  
وَاللَّهِ ، لَا تُخْفَرُ (١) ذِمَّتُهُ مُحَمَّدٍ وَأَنَا حَيٌّ ...  
ثُمَّ تَجَمَّعَ النَّاسُ ، وَأَعَانُوا غَايِرًا عَلَى الرَّجُلِ ، وَخَلَّصُوا الذَّمِّي بِالْقُوَّةِ ...  
فَمَا كَانَ مِنْ أَغْوَانٍ صَاحِبِ الشَّرْطِ إِلَّا أَنْ أَتَاهُمَا غَايِرًا يَنْبِذُ (٢) الطَّاعَةَ ...  
وَرَزَمُوهُ بِالْخُرُوجِ عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ...  
وَقَالُوا : إِنَّهُ امْرُؤٌ لَا يَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ...  
وَلَا يَأْكُلُ لَحْمَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْبَنَاتِهَا ...  
وَيَتَعَالَى عَلَى غُشَيَّانٍ (٣) مَجَالِسِ الْوَلَاةِ ...  
وَرَفَعُوا أَمْرَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ « عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ » (٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

\* \* \*

أَمَرَ الْخَلِيفَةُ وَالْيَهُ عَلَى « الْبَصْرَةِ » بِأَنْ يَذْعُوَ غَايِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مَجْلِسِهِ ،  
وَأَنْ يَسْأَلَهُ عَمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ ...  
وَأَنْ يَوْفَعَ لَهُ خَبِيرَهُ ...  
فَاسْتَدْعَى وَالِي « الْبَصْرَةِ » غَايِرًا وَقَالَ :  
إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاعَهُ - أَمَرَنِي أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ أُمُورٍ نُسِبَتْ  
إِلَيْكَ ...

(١) لَا تُخْفَرُ ذِمَّةُ مُحَمَّدٍ : لَا يُنْقَضُ عَهْدُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

(٢) نَبَذَ الطَّاعَةَ : تَرَكَ الطَّاعَةَ .

(٣) غُشَيَّانِ مَجَالِسِ الْوَلَاةِ : شُهُودِ مَجَالِسِ الْوَلَاةِ .

(٤) عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ : انْظُرْهُ فِي كِتَابِ « صُورِ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ » لِلْمَوْلَفِ ، النَّاشِرِ دَارِ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ ، الطَّبَعَةُ الْمَشْرُوعَةُ .

فَقَالَ : سَلْ عَمَّا أَمَرَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ : مَا لَكَ تَعْرِفُ<sup>(١)</sup> عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَتَأْتِي أَنْ تَتَزَوَّجَ ۱۹ .

فَقَالَ : مَا تَرَكْتُ الزَّوَاجَ عَزُوفًا عَنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ...  
فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ لَا رَهْبَانِيَّةَ<sup>(٢)</sup> فِي الْإِسْلَامِ ...

وَأِنَّمَا أَنَا امْرُؤٌ رَأَى أَنَّ لَهُ نَفْسًا وَاحِدَةً ، فَجَعَلَهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَخَشِيَ أَنْ  
تَغْلِبَهُ الزَّوْجَةُ عَلَيْهَا ...

فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تَأْكُلُ اللَّحْمَ ۱۹ .

فَقَالَ : بَلْ أَكُلُهُ إِذَا اسْتَهَيْتُهُ وَوَجَدْتُهُ ...

أَمَّا إِذَا لَمْ أَشْتِهِهِ ، أَوْ اسْتَهَيْتُهُ وَلَمْ أَجِدْهُ فَإِنِّي لَا أَكُلُهُ ...

فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تَأْكُلُ الْجُبْنَ ۱۹ .

فَقَالَ : إِنَّا بِنِطَاقَةٍ فِيهَا «مَجُوسٌ»<sup>(٣)</sup> يَصْنَعُونَ الْجُبْنَ ...

وَهُمْ قَوْمٌ لَا يُفْرَقُونَ بَيْنَ الْمَيْتَةِ وَالْمَذْبُوحَةِ ...

وَلِأَنِّي لَأَخْشَى أَنْ تَكُونَ الْمِنْقَحَةُ<sup>(٤)</sup> الَّتِي صُنِعَ بِهَا الْجُبْنُ مِنْ شَاؤٍ غَيْرِ  
مَذْكَاةٍ<sup>(٥)</sup> ، فَمَا شَهِدَ شَاهِدَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُ جُبْنٌ صُنِعَ بِمِنْقَحَةٍ شَاؤٍ  
مَذْبُوحَةٍ أَكَلْتُهُ ...

فَقَالَ : وَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ أَنْ تَأْتِيَ الْوَلَاةَ ، وَتَشْهَدَ مَجَالِسَهُمْ ۱۹ .

(١) تعرف : ترهد وتميل .

(٢) لا رهبانية : لا امتناع عن الزواج .

(٣) المجوس : طائفة تعبد الشمس أو النار .

(٤) المنقحة : ناذة تفتتح من بطن الجدي الصغير وتوضع في الحليب فيصير جبناً .

(٥) غير مذكاة : غير مذبوحة .

قَالَ : إِنَّ فِي أَنْوَابِكُمْ كَثِيرًا مِنْ طُلَابِ الْحَاجَاتِ ؛ فَادْعُوهُمْ إِلَيْكُمْ ...  
وَأَقْضُوا حَوَائِجَهُمْ لَدَيْكُمْ ...

وَأَثَرُكُمْ مَنْ لَا حَاجَةَ لَهُ عِنْدَكُمْ ...

\* \* \*

رُفِعَتْ أَقْوَالُ غَايِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ» ؛ فَلَمْ  
يَجِدْ فِيهَا نَبْذًا لِلطَّاعَةِ ... أَوْ خُرُوجًا عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ...

غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُطْفِئِ نَارَ الشَّرِّ ...

وَكَثُرَ الْقَبِيلُ وَالْقَالَ حَوْلَ غَايِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ...

وَكَادَتْ تُكُونُ فِتْنَةً بَيْنَ أَنْصَارِ الرَّجُلِ وَخُصُومِهِ ...

فَأَمَرَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِتَسْيِيرِهِ<sup>(١)</sup> إِلَى بِلَادِ الشَّامِ ، وَاتَّخَذَهَا دَارَ إِقَامَةٍ  
لَهُ ... وَأَوْصَى وَالِيَهُ عَلَى الشَّامِ «مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ» أَنَّ يُحْمِسَ اسْتِقْبَالَهُ ،  
وَأَنْ يَرْعَى حُرْمَتَهُ .

\* \* \*

وَفِي الْيَوْمِ الَّذِي عَزَمَ فِيهِ غَايِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الرَّجِيلِ عَنِ «الْبَصْرَةِ»  
خَرَجَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ إِخْوَانِهِ وَتَلَامِيذِهِ ؛ لِيُودَاعِهِ .

وَسَيِّئُهُ<sup>(٢)</sup> حَتَّى بَلَغُوا مَعَهُ ظَاهِرَ «الْمَرْبِدِ»<sup>(٣)</sup> ...

وَهُنَاكَ قَالَ لَهُمْ : إِنِّي ذَا عٍ فَأَمْتُوا عَلَى دُعَائِي ...

فَأَشْرَأَتْ<sup>(٤)</sup> إِلَيْهِ أَغْنَاؤُ النَّاسِ ، وَسَكَنْتْ حَزَنُهُمْ ، وَتَعَلَّقَتْ بِهِ عُيُونُهُمْ .

فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ :

---

(١) أمر بتسييره : أمر برحله .

(٢) سيئه : خرجوا معه لوداعه .

(٣) المرید : محلة في ظاهر البصرة .

(٤) اشترأت إليه الأغنياء : امتدت إليه الأغنياء ليراه .

اللَّهُمَّ مَنْ وَشَى بِي وَكَذَّبَ عَلَيَّ ، وَكَانَ سَبَباً فِي إِخْرَاجِي مِنْ بَلَدِي ،  
وَالْتَفْرِيقِ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِي ... اللَّهُمَّ إِنِّي صَفَحْتُ عَنْهُ فَأَصْفَحْ عَنْهُ ...

وَهَبْهُ الْعَاقِبَةَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ...

وَتَمَعَّدْنِي وَإِيَّاهُ وَسَائِرَ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ وَعَفْوِكَ وَإِحْسَانِكَ يَا أَرْحَمَ  
الرَّاحِمِينَ .

ثُمَّ وَجَّهَ مَطْلِعَتَهُ (١) نَحْوَ دِيَارِ الشَّامِ ، وَمَضَى لِسَبِيلِهِ ...

\* \* \*

فَصَلَّى غَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ فِي بِلَادِ الشَّامِ .

وَإِخْتَارَ « بَيْتَ الْمُقَدِّسِ » ذَاراً لِإِقَامَتِهِ ... وَنَالَ مِنْ يَدِ أَمِيرِ الشَّامِ « مُعَاوَنَةَ  
ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ » وَإِجْلَالَهُ وَتَكْرِيمَهُ مَا هُوَ جَدِيدٌ بِهِ .

فَلَمَّا مَرَضَ مَرَضَ الْمَوْتِ دَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، فَوَجَدُوهُ يَتَكَبَّرُ .

فَقَالُوا : مَا يُبْكِيكَ ، وَقَدْ كُنْتَ ... وَكُنْتُ (٢) ١٩ ...

فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَبْكِي جِزْواً عَلَى الدُّنْيَا ... أَوْ جِزْواً (٣) مِنَ الْمَوْتِ .

وَأِنَّمَا أَبْكِي لِطَوِيلِ السَّفَرِ وَقَلَّةِ الزَّادِ .

وَلَقَدْ أُنْسِيتُ بَيْنَ صُغُودٍ وَهُبُوطٍ ...

إِنَّمَا إِلَى الْجَنَّةِ ... وَإِنَّمَا إِلَى النَّارِ ...

فَلَا أَذِيرُ إِلَى أَهْلِهِمَا أَصِيرُ ...

ثُمَّ لَفَظَ أَنْفَاسَهُ ، وَلِسَانُهُ رَطَبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ ...

(١) مَطْلِعُهُ : رَاحَتُهُ .

(٢) وَقَدْ كُنْتُ وَكُنْتُ : إِشَارَةٌ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ التَّغَلُّبِ وَالصَّلَاحِ . (٣) جِزْواً : خِزْواً .

وَهُنَاكَ ...

هُنَاكَ ... فِي أُولَى الْقِبْلَتَيْنِ<sup>(١)</sup> ...

وَتَالِثِ الْحَرَمَيْنِ<sup>(٢)</sup> ...

وَمَسْرُى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ...

ثَوَى<sup>(٣)</sup> عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِي ...

\* \* \*

نَوَّرَ اللَّهُ لِعَامِرٍ فِي قَبْرِهِ ...

وَنَصَّرَ فِي جَنَاتِ الْخُلْدِ وَجْهَهُ (\*) ...

---

(١) أولى القبلتين: كتابة من بيت المقدس، لأن المشيبيين كانوا يستقبلونه في الصلاة قبل أن يؤمروا بالتوجه إلى الكعبة المظفة.

(٢) ثالث الحرمين: كتابة من بيت المقدس أيضاً.

(٣) ثوى: أقام في المكان.

(\*) للاستزادة من أخبار عامر بن عبد الله التميمي انظر:

- ١ - الطبقات الكبرى لابن سعد: ١٠٣/٧ - ١١٢ (وانظر الفهارس في المجلد الأخير).
- ٢ - صفة الصفوة لابن الجوزي (طبعة حلب): ٢٠١/٣ - ٢١١.
- ٣ - حلية الأولياء للأصبهاني: ٨٧ - ٩٥.
- ٤ - تاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري: ١٩/٤، ٨٥، ٣٠٢، ٣٢٧، ٣٣٣.
- ٥ - البيان والنبين للمحافظ: ٨٣/١، ٢٣١ - ٢٣٧، ٢٣٧ - ٣٥٩، ٣٦٣ و ١٩٦/٢ و ١٤٣/٣، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٩، ١٧٠، ١٩٣ و ٢٩٩/٤.
- ٦ - المقد الفريد لابن عبد ربه (تحقيق الريان): ٨٦/٣، ١٠٥، ١٠٧، ٢٦٤، ٣٢٧ و ٣٣/٥.
- ٧ - المعارف لابن قتيبة: ٤٣٨.
- ٨ - تهذيب التهذيب لابن حجر: ٧٧/٥.
- ٩ - رغبة الأمل في شرح الكامل للمرصفي: ٣٧/٢.
- ١٠ - كرامات الأولياء: ٥١/٢.

# عُرْوَةُ بَنِي الرَّبْرِ

« مَنْ سَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى عُرْوَةَ بَنِي الرَّبْرِ ،

[ عِنْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ]

مَا كَادَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ <sup>(١)</sup> تُلْعَلِمُ خُيُومَهَا الذَّهَبِيَّةَ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَتَأْذُنُ لِلنَّسَمَاتِ النَّدِيَّةِ بِأَنْ تَتَرَدَّدَ فِي رِجَالِهِ الطَّاهِرَةِ ... حَتَّى سَرَعَ الطَّائِفُونَ بِالْبَيْتِ مِنْ بَقَايَا صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكِبَارِ التَّابِعِينَ ، يُعْطِرُونَ الْأَجْوَاءَ بِالتَّهْلِيلِ <sup>(٢)</sup> وَالتَّكْبِيرِ ، وَيُتَرَعِّحُونَ <sup>(٣)</sup> الْأَرْجَاءَ بِصَالِحِ الدُّعَاءِ .

وَحَتَّى أَخَذَ النَّاسُ بِمَحَلِّقُونَ <sup>(٤)</sup> زُمْرًا زُمْرًا حَوْلَ الْكَفَّةِ الْمُعْظَمَةِ ، الرَّابِضَةِ <sup>(٥)</sup> وَسَطَ الْبَيْتِ فِي مَهَابَةٍ وَجَلَالٍ .

وَيَمْلَأُونَ عُيُونَهُمْ مِنْ بَهَائِهَا الْأَسْنَى ، وَيُدِيرُونَ بَيْنَهُمْ أَحَادِيثَ لَا لَفْوَ فِيهَا وَلَا تَأْلِيمَ .

وَبِالْقُرْبِ مِنَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ <sup>(٦)</sup> جَلَسَ أَرْبَعَةُ فِتْيَانٍ صِبَاغِ الْوُجُوهِ ، كِرَامِ الْأَحْسَابِ <sup>(٧)</sup> ، مُعْطَرِي الْأَرْدَانِ <sup>(٨)</sup> ... كَأَنَّهُمْ بَعْضُ حِمَامَاتِ الْمَسْجِدِ نَصَاعَةً أَثْوَابَ ، وَأَلْفَةَ قُلُوبَ .

هُمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبْرِ ، وَأَخُوهُ مُصْعَبُ بْنُ الرَّبْرِ ، وَأَخُوهُمَا عُرْوَةُ بْنُ الرَّبْرِ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ .

\* \* \*

(١) الْأَصِيلُ : بَيْنَ الْمَصْرِ وَالْمَغْرِبِ .

(٢) التَّهْلِيلُ : قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

(٣) يَتَرَعَّحُونَ : يَمْلَأُونَ .

(٤) يَحْلِقُونَ : يَجْلِسُونَ عَلَى هَيْئَةِ الْحُلُقَةِ .

(٥) الرَّابِضَةُ : الْمُسْتَقَرَّةُ .

(٦) الرُّكْنُ الْيَمَانِيُّ : أَحَدُ أَرْكَانِ الْكَعْبَةِ الْمُعْظَمَةِ .

(٧) الْأَحْسَابُ : الْأَنْسَابُ .

(٨) الرَّدْنُ : طَرَفُ الْكَمِّ الْوَاسِعِ ، وَجِسْمُهُ أَرْدَانُ .

وَدَارَ الْحَدِيثِ رَهْمًا<sup>(١)</sup> بَيْنَ الْفَيْتَةِ الْأَثَرِ، ثُمَّ مَا لَيْتَ أَنْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ :

لِيَتَمَنَّيَ كُلُّ مِنَّا عَلَى اللَّهِ مَا يُحِبُّ ...

فَانْطَلَقَتْ أَخْيَلَتُهُمْ تُحَلِّقُ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ الرَّحْبِ، وَمَضَتْ أَخْلَامُهُمْ  
تَطُوفُ فِي رِيَاضِ الْأَمَانِيِّ الْحَضَرِ، ثُمَّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ :

« أَمْنِيَّتِي أَنْ أَمْلِكَ » الْحِجَازَ ، وَأَنْ أَتَالَ الْخِلَافَةَ ...

وَقَالَ أَخُوهُ مُضَعَبٌ :

أَمَّا أَنَا فَاتَمَنَّيْتُ أَنْ أَمْلِكَ « الْعِرَاقِينَ »<sup>(٢)</sup>، فَلَا يُمَارِئُنِي فِيهِمَا مُنَازِعٌ .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ :

إِذَا كُشِمَا تَقْتَعَانِ بِذَاكَ، فَأَنَا لَا أَقْنَعُ إِلَّا بِأَنْ أَمْلِكَ الْأَرْضَ كُلَّهَا ... وَأَنْ  
أَتَالَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ...

وَسَكَتْ عُزْرَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ... فَالْتَفَتُوا إِلَيْهِ، وَقَالُوا :

وَأَنْتَ مَاذَا تَتَمَنَّيْ يَا عُزْرَةُ ؟

فَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِيمَا تَمَنَّيْتُمْ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ ...

أَمَّا أَنَا فَاتَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ عَالِمًا عَامِلًا ؛ يَأْخُذُ النَّاسُ عَنِّي كِتَابَ رَبِّهِمْ وَسُنَّةَ  
نَبِيِّهِمْ ، وَأَحْكَامَ دِينِهِمْ ... وَأَنْ أَفُوزَ فِي الْآخِرَةِ بِرِضَى اللَّهِ ، وَأَحْظَى بِحُجَّتِي ...

\* \* \*

ثُمَّ دَارَتْ الْأَيَّامُ دَوْرَتَهَا ؛ فَإِذَا يَعْبُدُ اللَّهُ فِي الزُّبَيْرِ يُبَايِعُ لَهُ بِالْخِلَافَةِ عَقِبَ  
مَوْتِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ<sup>(٣)</sup> فَخِصَّكُمْ الْحِجَازَ ، وَمِصْرَ ، وَالْيَمَنَ ، وَخُرَاسَانَ ،  
وَالْعِرَاقَ ...

---

(١) رَهْمًا: لِينًا هَادئًا. (٢) العراقين: الكوفة والبصرة. (٣) يزيد بن معاوية: ثاني خلفاء بني أمية.

ثُمَّ يُقْتَلُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ غَيْرَ بَعِيدٍ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي تَعْتَلَى فِيهِ مَا تَمَنَّى .  
 وَإِذَا بِمُضْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَقُولُ إِمْرَةٌ « الْعِرَاقِ » مِنْ قِبَلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ ،  
 وَيُقْتَلُ هُوَ الْآخَرُ دُونَ<sup>(١)</sup> وَلِأَيِّهِ أَيْضاً .  
 وَإِذَا بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ تَوُولُ<sup>(٢)</sup> إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ ،  
 وَتَجْتَمِعُ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ مَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَأَخِيهِ مُضْعَبٍ عَلَى  
 أَيْدِي جُنُودِهِ ... ثُمَّ يَغْدُو<sup>(٣)</sup> أَغْظَمَ مُلُوكِ الدُّنْيَا فِي زَمَانِهِ .  
 فَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ عُزْرَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ؟ ...  
 تَعَالَوْا نَبْدَأْ قِصَّتَهُ مِنْ أَوَّلِهَا .

\* \* \*

وُلِدَ عُزْرَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ لِسَنَةِ وَاحِدَةٍ بَقِيَتْ مِنْ خِلَافَةِ الْفَارُوقِ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ  
 فِي يَتِيمٍ مِنْ أَعَزِّ يَتِيمَاتِ الْمُسْلِمِينَ شَأْناً ، وَأَرْفَعَهَا مَقَاماً .  
 فَأَبُوهُ ، هُوَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ حَوَارِي<sup>(٤)</sup> رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَوَّلُ مَنْ سَلَ  
 سَيْفاً فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَخَذَ الْعَشْرَةَ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ .  
 وَأُمُّهُ ، هِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الْمَلْقَبَةُ بِذَاتِ النُّطَاقَيْنِ<sup>(٥)</sup> .  
 وَجَدُّهُ لِأُمِّهِ ، هُوَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَصَاحِبُهُ فِي  
 الْغَارِ .

وَجَدُّهُ لِأَبِيهِ ، هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ<sup>(٦)</sup> عَمَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

(١) يَقْتُلُ دُونَ وَلَا جِهَ : يَقْتُلُ دِفَاعاً عَنْ وَلَا جِهَ .

(٢) تَوُولُ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ : تَصِيرُ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ .

(٣) يَغْدُو : يَصْبِحُ .

(٤) حَوَارِيو الرُّسُلِ : الْخَاصَّةُ مِنْ أَصْحَابِهِمْ .

(٥) ذَاتِ النُّطَاقَيْنِ : لَقِبَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا شَقَتْ نَطَاقَهَا يَوْمَ الْهَجْرَةِ شَقَيْنِ لَتُرْطَ بِأَحَدِهِمَا مَرْوَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِالْآخَرِ سِقَاحَهُ ... انْظُرْهَا فِي كِتَابِ « صُورِ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابِيَّاتِ » لِلْمَوْلَفِ .

(٦) صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : انْظُرْهَا فِي كِتَابِ « صُورِ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابِيَّاتِ » لِلْمَوْلَفِ .



وَحَالَتُهُ ، هِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ عَلَيْهَا رِضْوَانُ اللَّهِ .  
فَقَدْ نَزَلَ إِلَى قَبْرِهَا حِينَ دُفِنَتْ بِنَفْسِهِ ، وَسَوَّى عَلَيْهَا لَحْدَهَا بِيَدَيْهِ .  
أَفْتَضَّلَ أَنْ يَغْدَ هَذَا الْحَسَبِ حَسَباً ...  
وَأَنَّ فَوْقَ هَذَا الشَّرَفِ شَرَفاً غَيْرَ شَرَفِ الْإِيمَانِ وَعِزَّةِ الْإِسْلَامِ ؟

\* \* \*

وَلَكِنِّي يُحَقِّقُ غُرُوزَهُ أُمْنِيَّتُهُ الَّتِي تَمَنَّاهَا عَلَى اللَّهِ عِنْدَ الْكَفَّةِ الْمُعْظَمَةِ  
أَكْبَ (١) عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَانْقِطَعَ لَهُ ، وَاعْتَمَمَ الْبَقِيَّةُ الْبَاقِيَّةُ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ ... فَطَفِقَ يَوْمُ (٢) يُيُوتُهُمْ ، وَيُصَلِّي خَلْفَهُمْ ، وَيَسْتَعِي مَجَالِسَهُمْ ، حَتَّى  
رَوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَأَبِي  
أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ...

وَأَسَاسَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ،  
وَالثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ...

وَأَخَذَ كَثِيراً عَنْ خَالَتِهِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، حَتَّى عَدَا أَحَدَ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ  
السَّبْعَةِ الَّذِينَ يَفْرَعُ (٣) إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ فِي دِينِهِمْ .

وَيَسْتَعِينُ بِهِمُ الْوَلَاةُ الصَّالِحُونَ عَلَى مَا اسْتَوْعَاهُمُ اللَّهُ جَلُّ وَعَزُّ مِنْ أَمْرِ  
الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ .

مِنْ ذَلِكَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ (٤) حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَالْيَا عَلَيْهَا مِنْ قِتْلِ  
الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ جَاءَهُ النَّاسُ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ... فَلَمَّا صَلَّى الظُّهْرَ دَعَا عَشْرَةَ  
مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ غُرُوزَهُ بِنُ الرُّبُورِ ...

(١) أكب على طلب العلم : عكف على طلب العلم ، وانقطع له .

(٢) يوم يوتهم : يأتي يوتهم .

(٣) يفرع إليه المسلمون : يلجأون إليه ، ويلوذون به . (٤) عمر بن عبد العزيز : انظره ص ٨٠ ، ٢٥٥ ، ٣٢٦ .

فَلَمَّا صَارُوا عِنْدَهُ رَحِبَ بِهِمْ ، وَأَكْرَمَ مَجَالِسَهُمْ ، ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ  
وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ :

إِنِّي دَعَوْتُكُمْ لِأَمْرِ تُؤْجِرُونَ عَلَيْهِ وَتُكُونُونَ لِي فِيهِ أَغْرَانًا عَلَى الْحَقِّ ...  
فَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَقْطَعَ أَمْرًا إِلَّا يَرَأَيْكُمْ ، أَوْ يَرَأِي مَنْ حَضَرَ مِنْكُمْ .  
فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَحَدًا يَتَعَدَّى عَلَيَّ أَحَدًا ، أَوْ يَلْفُكُم عَنْ غَامِلٍ لِي مَظْلَمَةٌ  
فَأَسْأَلُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تُبَلِّغُونِي ذَلِكَ .

فَدَعَا لَهُ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ بِخَيْرٍ ، وَزَجَا لَهُ مِنَ اللَّهِ السَّدَادَ<sup>(١)</sup> وَالرَّشَادَ .

\* \* \*

وَقَدْ جَمَعَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْعِلْمَ إِلَى الْعَمَلِ ، فَقَدْ كَانَ صَوَامًا فِي  
الهِوَاَجِرِ<sup>(٢)</sup> ... قَوَامًا فِي الْعَتَمَاتِ ، رَطَبَ اللِّسَانِ دَائِمًا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَكَانَ إِلَى ذَلِكَ خَدِيصًا<sup>(٣)</sup> لِيَكْتَابَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ، عَاكِفًا عَلَى تِلَاوَتِهِ ...  
فَكَانَ يَقْرَأُ رُبْعَ الْقُرْآنِ كُلِّ نَهَارٍ نَظْرًا فِي الْمُصْحَفِ ...

ثُمَّ يَقُومُ بِهِ اللَّيْلَ تِلَاوَةً عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ ...

وَلَمْ يُعْرِفْ عَنْهُ أَنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ مِثْلَ صَلْبٍ<sup>(٤)</sup> شَبَابِهِ إِلَى يَوْمٍ وَقَاتِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ  
وَاحِدَةٍ لِيَخْطُبَ نَزَلَ بِهِ سَيِّئَاتِكَ نَبْؤُهُ بَعْدَ قَلِيلٍ .

\* \* \*

وَلَقَدْ كَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ يَجِدُ فِي الصَّلَاةِ رَاحَةً تَنْفِيسٍ ، وَقُوَّةَ عَيْنٍ ، وَجَنَّةَ  
عَلَى الْأَرْضِ ، فَيُحْسِنُهَا كُلَّ الْإِحْسَانِ ، وَيَتَمَرَّنُ شَعَائِرَهَا أَتَمَّ الْإِتْقَانِ ، وَيُطِيلُهَا  
غَايَةَ الطُّولِ ...

(١) السداد: الصواب والاستقامة .

(٢) الهواجر: شدة القبط ، والجمع هواجر .

(٣) خديصاً: مصاحباً .

(٤) صدر شبابه : أول شبابه .

رُوي عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي صَلَاةً خَفِيفَةً ، فَلَمَّا قَرَعَ مِنْ صَلَاتِهِ دَعَاهُ  
إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : يَا بَنَ أَسْحَى ، أَمَا كَانَتْ لَكَ عِنْدَ رَجُلٍ وَعِزٌّ حَاجَةٌ ١٩ ...  
وَاللَّهُ إِنِّي لَأَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صَلَاتِي كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْمَلُخ .

\* \* \*

وَقَدْ كَانَ غُرُوزُهُ بَنُ الزُّبَيْرِ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ سَخِيحِي الْيَدِ سَمَحًا بِجَوَادًا ...  
وَمِمَّا أُبْرِغَ عَنْ مَجُودِهِ أَنَّهُ كَانَ لَهُ بُسْتَانٌ مِنْ أَكْثَمِ الْمَدِينَةِ ...  
عَذَّبَ الْمَيَاةَ ، ظَلِيلُ الْأَشْجَارِ ، بِأَيْقُ النَّخِيلِ ...

وَكَانَ يُسَوِّرُ<sup>(١)</sup> بُسْتَانَهُ طَوَالَ الْعَامِ ؛ لِجَمَاعَةِ أَشْجَارِهِ مِنْ أَدْنَى الْعَاشِيَةِ  
وَعَبْتِ الصَّبِيَّةِ ، حَتَّى إِذَا آتَى أَوَانَ الرُّطْبِ<sup>(٢)</sup> وَأَبْتَعَتِ الْقُمَارَ وَطَابَتْ ، وَاسْتَهْتَهَا  
الْقُمُوسُ ... كَسَرَ حَائِطَ بُسْتَانِهِ فِي أَكْثَرِ مِنْ جِهَةٍ لِيَجِيزَ لِلنَّاسِ دُخُولَهُ ...  
فَكَانُوا يُلْهَوْنَ<sup>(٣)</sup> بِهِ ذَاهِبِينَ آيِينَ ، وَيَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِهِ مَا لَدَّهُ لَهُمُ الْأَكْمَلُ ،  
وَيَحْمِلُونَ مِنْهُ مَا طَابَ لَهُمُ الْحَمْلُ .

وَكَانَ كُلَّمَا دَخَلَ بُسْتَانَهُ هَذَا رَدَّدَ قَوْلَهُ جَلُّ وَعِزُّ :

﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

وَفِي ذَاتِ سَنَةٍ مِنْ خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ<sup>(٥)</sup> شَاءَ اللَّهُ جَلُّ وَعِزُّ أَنْ  
يَمْتَحِنَ غُرُوزُهُ بَنُ الزُّبَيْرِ امْتِحَانًا لَا يَبْثُثُ لَهُ إِلَّا دُرُو الْأَقِيدَةِ الَّتِي عَمَرَهَا الْإِيمَانُ  
وَأَثَرُهَا<sup>(٦)</sup> الْيَقِينُ .

(١) يسور بستانه : يجعل لبستانه سوراً .

(٢) الرطب : ثمر النخيل قبل أن يصير تمرأ .

(٣) يُلْهَوْنَ به : يدخلونه .

(٤) سورة الكهف : آية ٣٩ .

(٥) الوليد بن عبد الملك : سادس خلفاء بني أمية

وقد بلغت دولة الإسلام في عهده أوج حرها .

(٦) أثرها : ملامها .

فَلَقَدْ دَعَا خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ عُزْرَةَ بِنَ الرَّبِيعِ لِرِيزَاتِهِ فِي « دِمَشْق » ، فَلِئَلَى  
دَعْوَتِهِ ، وَصَحِبَ مَعَهُ أَكْثَرُ بَنِيهِ ... وَلَمَّا قَدِمَ عَلَى الْخَلِيفَةِ رَحَّبَ بِمُقَدِّمِهِ أَعْظَمَ  
التَّزْجِيبِ ، وَأَكْرَمَ وَفَادَتَهُ أَوْفَى الْإِكْرَامِ ، وَتَالَعَ فِي الْحَقَاوَةِ بِهِ .

ثُمَّ شَاءَ اللَّهُ شُبْحَانَهُ بِأَنْ تَجْرِيَ الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي الشُّفَى .

ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ عُزْرَةَ دَخَلَ عَلَى إِصْطَبِلِ<sup>(١)</sup> الْوَلِيدِ لِيَتَفَرَّجَ عَلَى جِوَادِهِ  
الصَّافِيَاتِ<sup>(٢)</sup> ، فَرَمَحَتْهُ<sup>(٣)</sup> ذَاتُهُ رَمْحَةً قَاضِيَةً أَوَدَّتْ بِحَيَاتِهِ .

وَلَمْ يَكِدِ الْأَبُ الْمَفْجُوعُ يَنْفُضُ يَدَيْهِ مِنْ ثُرَابِ قَبْرِ وَلَدِهِ ، حَتَّى أَصَابَتْ  
إِخْدَى قَدَمَيْهِ « الْآكِلَةُ »<sup>(٤)</sup> .

فَتَوَزَّعَتْ سَاقُهُ ، وَجَعَلَ الْوَرَمُ يَشْتَدُّ وَيَعْتَدُّ بِسُرْعَةٍ مُذْهِلَةٍ .

فَاسْتَدْعَى الْخَلِيفَةُ لِصَفِيهِ الْأَطِيَاءِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ...

وَحَضَّهُمْ عَلَى مُعَالَجَتِهِ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ ...

لَكِنَّ الْأَطِيَاءَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ لَا مَنْدُوحَةَ<sup>(٥)</sup> مِنْ بَثْرِ سَاقِ عُزْرَةَ قَبْلَ أَنْ  
يَسْرِيَ الْوَرَمُ إِلَى جَسَدِهِ كُلِّهِ ، وَيَكُونَ سَبَباً فِي الْقَضَاءِ عَلَيْهِ ...

فَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنَ الْإِذْعَانِ لِذَلِكَ .

وَلَمَّا حَضَرَ الْجَوَاحِ لِثَرِ السَّاقِ ، وَأَخْضَرَ مَعَهُ مَبَاضِغُهُ<sup>(٦)</sup> لِيَشُقَّ اللَّحْمُ ،  
وَمَتَاشِيرُهُ لِيَنْشُرِ الْعَظْمُ ، قَالَ الطَّبِيبُ لِعُزْرَةَ :

أَرَأَيْتَ أَنْ تُسْقِيكَ جُرْعَةً مِنْ مُسْكِرٍ لِكُنِّي لَا تَشْعُرُ بِالْآلَمِ الْبَثْرِ الْمُبْرَحَةِ .

(١) الإصطبل : مرط الخيل ونحوها من الدواب .

(٢) الجياد الصافات : الجياد التي تقف على ثلاث وترفع الرابعة ، وهي صفة من صفات الجياد الكريمة .

(٣) رَمَحَتْهُ : رَفَسَتْهُ .

(٤) لا مندوحة : لا بُدَّ وَلَا مَقَرَّ .

(٥) المَبَاضِغُ : آلة يشق بها الطبيب الجلد .

(٦) الْآكِلَةُ : داء يصيب العضو فيأكل منه .

فَقَالَ : هَيْهَاتَ (١) ... لَا أَسْتَعِينُ بِحَرَامٍ عَلَى مَا أَرْجُوهُ مِنَ الْعَافِيَةِ .

فَقَالَ لَهُ : إِذَنْ تَسْقِيكَ الْمُخَدَّرَ ، فَقَالَ :

مَا أَحِبُّ أَنْ أَسْلَبَ غُضُوًّا مِنْ أَعْضَائِي دُونَ أَنْ أَشْعُرَ بِالْأَلَمِ ، وَأُحْتَسِبَ (٢) ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ .

وَلَمَّا هَمَّ الْجِرَاحُ بِقَطْعِ السَّاقِ ، تَقَدَّمَ نَحْوَ غُرُوزَةٍ طَائِفَةً مِنَ الرِّجَالِ فَقَالَ :

مَا هَؤُلَاءِ ؟ ... فَقِيلَ لَهُ :

لَقَدْ جِئَ بِهِمْ لِيَمْسِكُوكَ ، فَلَرَبَّمَا اشْتَدَّ عَلَيْكَ الْأَلَمُ ، فَجَذَبْتَ قَدَمَكَ جَذْبَةً أَضْرَتْ بِكَ .

فَقَالَ : رُدُّوهُمْ ...

لَا حَاجَةَ لِي بِهِمْ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكْفِيَكُمْ (٣) ذَلِكَ بِالذَّخْرِ وَالتَّشْبِيحِ ...

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الطَّبِيبُ ؛ فَقَطَعَ اللَّحْمَ بِالْمِبْضِجِ ... وَلَمَّا بَلَغَ الْعَظْمَ ، وَضَعَ عَلَيْهِ الْجَنْشَارَ وَطَفِقَ يَنْشُرُهُ بِهِ ، وَغُرُوزَةٌ يَقُولُ :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ .

وَمَا فَتَى الْجِرَاحُ يَنْشُرُ ، وَغُرُوزَةٌ يُهْلَلُ وَيُكَبَّرُ حَتَّى يُبْرِتَ السَّاقُ بَرًّا .

ثُمَّ أُغْلِيَ (٤) الزَّيْتُ فِي مَغَارِفِ الْحَدِيدِ ، وَغُمِسَتْ بِهِ سَاقُ غُرُوزَةٍ لِإِيقَافِ

تَدْفِيقِ الدَّمَاءِ ، وَحَشَمَ الْجِرَاحَ ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ إِعْمَاءَةٌ طَوِيلَةٌ حَالَتْ دُونَهُ وَدُونَ أَنْ يَقْرَأَ حِصْنَتَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ...

وَكَانَتْ الْمَوَّةُ الْوَجِيدَةُ الَّتِي فَاتَتْ فِيهَا ذَلِكَ الْخَيْرُ مُنْذُ صَدَرَ سَبَابِهِ .

(١) هيهات : اسم فعل بمعنى يهتد ، [أي لا أقبل] . (٣) أكفيكم ذلك : أغنيكم من ذلك .

(٢) أحتسب الشيء : تؤمِّل به وَجْهَ اللَّهِ . (٤) أغلَى الزيت : غمى الزيت على النار .

وَلَمَّا صَحَا عَزَوْدُهُ ، دَعَا بِقَدَمَيْهِ الْمَبْثُورَةَ ، فَتَنَاوَلُوهُ إِثَامَهَا ...  
 فَجَعَلَ يُقَالِبُهَا بِيَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا وَالَّذِي حَمَلَنِي عَلَيْكَ فِي عَقَمَاتِ اللَّيْلِ  
 إِلَى الْمَسَاجِدِ ؛ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّنِي مَا مَشَيْتُ بِكَ إِلَى حَرَامٍ قَطُّ ...  
 ثُمَّ تَمَثَّلَ بِأَيَّاتِ « لِمَعْنِ بْنِ أَوْسٍ » <sup>(١)</sup> يَقُولُ فِيهَا :

لَعَنُوكَ مَا أَهْوَيْتُ كَفِّي لِرَبِيَّةٍ <sup>(٢)</sup> وَلَا حَمَلَتْنِي نَحْوَ فَاحِشَةٍ رِجْلِي  
 وَلَا قَادَنِي سَعْعِي وَلَا بَصْرِي لَهَا وَلَا دَلَّتْنِي رَأْيِي عَلَيْهَا وَلَا غَفْلِي  
 وَأَعْلَمُ أَنَّنِي لَمْ تُصِيبْنِي مُصِيبَةٌ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا قَدْ أَصَابَتْ قَتَى قَبْلِي

\* \* \*

وَقَدْ شَقَّ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَا نَزَلَ بِضَيْفِهِ الْكَبِيرِ مِنَ التَّوَازِيلِ ...  
 فَقَدْ اخْتَسَبَ ابْنَهُ ، وَقَدْ سَاقَهُ فِي أَيَّامِ مَعْدُودَاتٍ ؛ فَجَعَلَ يَحْتَالُ لِتَغْرِيبِهِ  
 وَتَضْيِيرِهِ عَلَى مَا أَصَابَهُ .

وَصَادَفَ أَنْ نَزَلَ بِدَارِ الْخِلَافَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي « عَبَسٍ » فِيهِمْ رَجُلٌ  
 ضَرِيرٌ ، فَسَأَلَهُ الْوَلِيدُ عَنْ سَبَبِ كَفِّ بَصَرِهِ ، فَقَالَ :  
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَكُنْ فِي بَنِي « عَبَسٍ » رَجُلٌ أَوْفَرُ مِنِّي مَالاً ، وَلَا أَكْثَرُ  
 أَهْلًا وَوَلَدًا .

فَنَزَلْتُ مَعَ مَالِي وَعِيَالِي فِي بَطْنِ وَادٍ مِنْ مَنَازِلِ قَوْمِي ، فَطَرَقَنَا سَيْلٌ لَمْ تَرَ  
 مِثْلَهُ قَطُّ ...

فَلَذَهَبَ السَّيْلُ بِمَا كَانَ لِي مِنْ مَالٍ ، وَأَهْلٍ ، وَوَلَدٍ ...  
 وَلَمْ يَبْقَ لِي غَيْرُ بَعِيرٍ وَاحِدٍ ، وَطِفْلٍ صَغِيرٍ حَدِيثِ الْوِلَادَةِ .

(١) ثَعْنُ بْنُ أَوْسٍ : شاعر مشهور من بني مرة . (٢) الرمية : الذك والهمة .

وَكَانَ الْبَعِيرُ ضَعِيفًا<sup>(١)</sup> فَتَدَّ<sup>(٢)</sup> مِنِّي ...

فَتَرَكْتُ الصَّبِيَّ عَلَى الْأَرْضِ وَلَحِجْتُ بِالْبَعِيرِ ...

فَلَمْ أَجَاوِزْ مَكَانِي قَلِيلًا حَتَّى سَمِعْتُ صَوْتَهُ الطِّفْلِ ...

فَالْتَفَتْتُ ... فَإِذَا رَأْسُهُ فِي فَمِ الذَّنْبِ وَهُوَ يَأْكُلُهُ ...

فَبَادَرْتُ إِلَيْهِ ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَشْتَطِيعَ إِنْقَاذَهُ إِذْ كَانَ قَدْ أَتَى عَلَيْهِ ...

فَلَحِجْتُ بِالْبَعِيرِ فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ ، وَرَمَانِي بِرِجْلِهِ عَلَى وَجْهِهِ زَمِيئَةً حَطَمْتُ  
جَبِينِي ، وَذَهَبْتُ بِبَصَرِي ...

وَهَكَذَا وَجَدْتُ نَفْسِي قَدْ عَدَوْتُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ غَيْرِ أَهْلٍ ، وَلَا وَلَدٍ ،  
وَلَا مَالٍ ، وَلَا بَصِيرٍ ... فَقَالَ الْوَلِيدُ لِحَاجَتِهِ :

انْطَلِقْ بِهَذَا الرَّجُلِ إِلَى ضَيْفَتِنَا غُرُورَةَ بِنِ الرَّبِيعِ ، وَلْيَقْصُصْ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ ؛ لِيَعْلَمَ  
أَنْ فِي النَّاسِ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ بَلَاءً .

\* \* \*

وَلَمَّا حَمَلَ غُرُورَةُ بِنِ الرَّبِيعِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَأُذْخِلَ عَلَى أَهْلِهِ ، بَادَرَهُمْ قَائِلًا :  
لَا يَهْوُلَنَّكُمْ مَا تَرَوْنَ ... فَلَقَدْ وَهَبَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعَةً مِنْ الْبَتِينِ ، ثُمَّ  
أَخَذَ مِنْهُمْ وَاحِدًا وَأَبْقَى لِي ثَلَاثَةً ...  
فَلَهُ الْحَمْدُ .

وَأَعْطَانِي أَرْبَعَةً مِنَ الْأَطْرَافِ ، ثُمَّ أَخَذَ مِنْهَا وَاحِدًا وَأَبْقَى لِي ثَلَاثَةً ...  
فَلَهُ الْحَمْدُ ...

وَأَمَّهُم<sup>(٣)</sup> اللَّهُ ، لَعِنَ أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي قَلِيلًا ، فَلَقَدْ أَبْقَى لِي كَثِيرًا ...

(٣) لَمَّا اللَّهُ : أَحْلَفَ بِاللَّهِ .

(٢) تَدَّ : شَرَفَ .

(١) الْبَعِيرُ الضَّعِيفُ : الْجَمَلُ الْغَرِيبُ .

وَلَقِينَ ابْنَتَانِي مَرَّةً ، فَلَطَّلَا مَا عَافَانِي مَرَاتٍ ...

\* \* \*

وَلَمَّا عَزَفَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِوُصُولِ إِمَامِهِمْ وَعَالِيهِمْ غُرُورَةُ بْنُ الرَّبِيعِ  
تَسَاءَلُوا<sup>(١)</sup> عَلَى بَيْتِهِ لِيُؤَاثُوا وَيُعْزُوا ...

فَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ مَا عَزَّي بِهِ كَلِمَةُ «إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ طَلْحَةَ» ، حَيْثُ  
قَالَ لَهُ :

أَبْهَرُ - يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ - فَقَدْ سَبَقَكَ عُضْوٌ مِنْ أَعْضَائِكَ ، وَوَلَدَ مِنْ أَبْنَائِكَ  
إِلَى الْجَنَّةِ ...

وَالْكُلُّ يَتَّبِعُ الْبَعْضَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ...

وَلَقَدْ أَتَقَى اللَّهُ لَنَا مِنْكَ مَا نَحْنُ إِلَيْهِ فَقَرَأَ وَعَنْهُ عَمْرٌ أُغْنِيَاءَ مِنْ عِلْمِكَ ،  
وَفَقِيهَكَ ، وَرَأْيِكَ ... نَفَعَكَ اللَّهُ وَإِنَّا بِهِ ...

وَاللَّهُ وَلِيُّ نَوَائِكَ ، وَالضَّمِيرُ بِحُسْنِ حِسَابِكَ .

\* \* \*

ظَلَّ غُرُورَةُ بْنُ الرَّبِيعِ لِلْمُسْلِمِينَ مَنَارَةً هُدًى ، وَذَلِيلَ فَلَاحٍ ، وَدَاعِيَةً خَيْرِ  
طُلُوفِ حَيَاتِهِ ...

وَلَقَدْ اِهْتَمَّ أَكْثَرُ مَا اِهْتَمَّ بِتَرْبِيَةِ أَوْلَادِهِ خَاصَّةً ، وَسَائِرِ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ  
عَامَّةً ، فَلَمْ يَتْرِكْ فُرْصَةً لِيُوجِّهِيهِمْ إِلَّا اغْتَنَمَهَا ، وَلَمْ يَدَعْ سَانِحَةً<sup>(٢)</sup> لِيُنْصَحِيهِمْ  
إِلَّا أَفَادَ مِنْهَا .

مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ ذَابَ عَلَى حَصٍّ<sup>(٣)</sup> بَيْنَهُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ ، إِذْ كَانَ يَقُولُ  
لَهُمْ :

(١) تَسَاءَلُوا عَلَى بَيْتِهِ : تَوَارَدُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ .

(٢) سَانِحَةٌ : عَثْرٌ أَوْلَادِهِ .

(٣) حَصٍّ : لَمْ يَتْرِكْ فُرْصَةً .



يَا بَنِي تَعْلَمُوا الْعِلْمَ ، وَابْتَذِلُوا لَهُ حَقَّهُ ...

فَإِنَّكُمْ إِنْ تَكُونُوا صِبَاغَ قَوْمٍ ؛ فَعَسَى أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ بِالْعِلْمِ كُتُبًا لَهُمْ .  
ثُمَّ يَقُولُ : وَاسْوَأَاتُهُ<sup>(١)</sup> ، هَلْ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ أَقْبَحُ مِنْ شَيْخٍ جَاهِلٍ ۱۱۹ .

\* \* \*

وَكَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَدَدِ الصَّدَقَةِ هَدِيَّةً تُهْدَى لِلَّهِ جَلُّ وَعَزُّ ، فَيَقُولُ :  
يَا بَنِي ، لَا يُهْدَيْنِ أَحَدُكُمْ إِلَى رَبِّهِ مَا يَشْتَجِي أَنْ يُهْدِيَهُ إِلَى عَزِيزٍ قَوْمِهِ ...  
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعَزُّ الْأَعْيَاءِ ، وَأَكْرَمُ الْكَرَمَاءِ ، وَأَحَقُّ مَنْ يُخْتَارُ لَهُ .

\* \* \*

وَكَانَ يُصَوِّرُهُمْ بِالنَّاسِ ، وَيَنْقُذُ بِهِمْ إِلَى جَوْهَرِهِمْ فَيَقُولُ :  
يَا بَنِي إِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ رَجُلٍ فَعَلَّةٌ خَيْرٌ رَائِعَةً فَأَمْلُوا بِهِ خَيْرًا ، وَلَوْ كَانَ فِي نَظَرِ  
النَّاسِ رَجُلٌ سُوءٍ ؛ فَإِنَّ لَهَا عِنْدَهُ أَخَوَاتٍ ...

وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ رَجُلٍ فَعَلَّةٌ شَرٌّ فَطِيعَةً فَاحْذَرُوهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي نَظَرِ النَّاسِ  
رَجُلٌ خَيْرٍ ؛ فَإِنَّ لَهَا عِنْدَهُ أَخَوَاتٍ أَيْضًا .  
وَاعْلَمُوا أَنَّ الْحَسَنَةَ تَذُلُّ عَلَى أَخَوَاتِهَا ...  
وَأَنَّ السُّيُئَةَ تَذُلُّ عَلَى أَخَوَاتِهَا أَيْضًا .

\* \* \*

وَكَانَ يُوصِيهِمْ بِلَيْنِ<sup>(٢)</sup> الْجَانِبِ ، وَطِيبِ الْكَلَامِ ، وَبِشْرِ<sup>(٣)</sup> الْوَجْهِ  
فَيَقُولُ :

يَا بَنِي ، مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ ، « لَتَكُنْ كَلِمَتُكَ طَيِّبَةً ، وَلَتَكُنْ وَجْهُكَ

(١) واسوأتاه : أسلوب يستعمل لاستباح الأمر .

(٢) بشر الوجه : طلاقة الوجه ، وبشاشته .

(٣) لين الجانب : سهولة المعاشرة .

مَلَقًا ، تَكُنْ أَحَبَّ إِلَيَّ النَّاسِ مِنْ يَدُلُّ لَهُمُ الْعَطَاءُ .

\* \* \*

وَكَانَ إِذَا رَأَى النَّاسَ يَجْتَحُونَ<sup>(١)</sup> إِلَى التَّرْفِ ، وَيَسْتَمْرِئُونَ<sup>(٢)</sup> النَّعِيمَ  
يَذَكِّرُهُمْ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ شَطَلِ الْعَيْشِ ، وَخُسُوفَةِ الْحَيَاةِ .

مِنْ ذَلِكَ مَا حَكَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنِّبِ<sup>(٣)</sup> قَالَ :

لَقِيتُ عُزُوءَهُ بْنُ الزُّبَيْرِ فَأَخَذَ يَبْدِي وَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ .

فَقُلْتُ : لَبَيْكَ .

فَقَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أُمِّي عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ :

يَا بُنَيَّ ...

فَقُلْتُ : لَبَيْكَ .

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا<sup>(٤)</sup> لَتَمُكُّ أَزْوَاجَ لَيْلَةٍ مَا نُوقِدُ فِي بَيْتِ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ بَنَارٍ مُضْبَاحًا وَلَا غَيْرَهُ .

فَقُلْتُ : يَا أُمِّهِ ، فِيمَ كُنْتُمْ تَعِيشُونَ ؟

فَقَالَتْ : بِالْأَسْوَدَيْنِ ... الثَّمَرِ وَالْمَاءِ .

\* \* \*

وَبَعْدُ ... فَقَدْ عَاشَ عُزُوءَهُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَاحِدًا وَسَبْعِينَ عَامًا مَثْرَعَةً<sup>(٥)</sup> بِالْحَبِيرِ ،  
حَافِلَةً بِالْبِرِّ ، مُكَلَّلَةً بِالتَّقَى .

فَلَمَّا جَاءَهُ الْأَجَلُ الْمَحْثُومُ أَذْرَكَهُ وَهُوَ صَائِمٌ ...

(١) يجتهدون : يميلون .

(٢) يستمرون النعم : يستطرون النعم .

(٤) إِنْ كُنَّا : لقد كنا .

(٣) محمد بن المثنبي : تابعي من أهل المدينة توفي سنة ١٣٠ هـ .

(٥) مَرَعَة : مملوكة .

وَلَقَدْ أَلَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُهُ أَنْ يُفْطِرَ فَأَتَى ...

لَقَدْ أَتَى ، لِأَنَّهُ كَانَ يَوجُو أَنْ يَكُونَ فِطْرُهُ عَلَى شُرْبَةِ مِنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ<sup>(١)</sup> ...

فِي قَوَارِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ ...

بِأَيْدِي الْحَوِيرِ الْعَيْنِ (\*) ...

---

(١) نَهْرُ الْكَوْثَرِ: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ .

(\*) لِلْإِسْوَادَةِ مِنْ أَسْوَارِ حُورٍ بَنِي الزُّبَيْرِ انظر:

- ١ - الطبقات الكبرى لابن سعد: ٤٠٦/١ و ٣٨٧، ٣٨٢/٢ و ١٠٠/٣ و ١٦٧/٤ و ٣٣٤/٥ و ١٠٢/٨ .
- ٢ - حلية الأولياء لأبي نعيم: ١٧٦/٢ .
- ٣ - صفة الصفوة لابن الجوزي: ٨٧/٢ .
- ٤ - وفیات الأعيان لابن خلكان: ٢٥٥/٣ .
- ٥ - أنساب الأشراف للبلاذري: (انظر الفهارس) .
- ٦ - جمهرة أنساب العرب لابن حزم: (انظر الفهارس) .

# الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ

« يَا أَبَا نُرَيْدٍ ، لَوْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَأَحْبَبَكَ ،

[عَنْهُ اللَّهُ بْنُ مَسْعُودٍ]

قَالَ هِلَالٌ<sup>(١)</sup> بْنُ إِسَافٍ لِيَصْفِيهِ مُنْذِرٌ<sup>(٢)</sup> الثَّوْرِيُّ :

أَلَا أَمْضِي بِكَ يَا مُنْذِرُ إِلَى الشَّيْخِ لَعَلَّنَا نُؤْمِنُ سَاعَةً<sup>(٣)</sup> ١٩ .

فَقَالَ مُنْذِرٌ : بَلَى ...

فَوَاللَّهِ مَا أَقْدَمَنِي « الْكُوفَةُ » إِلَّا الرَّغْبَةُ فِي لِقَاءِ شَيْخِكَ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ ،  
وَالْحَيْنُ لِلْعَيْشِ سَاعَةً فِي رَحَابِ إِيْمَانِهِ .

وَلَكِنْ هَلْ اسْتَأْذَنْتَ لَنَا عَلَيْهِ ؟ ...

فَقَدْ قِيلَ لِي : إِنَّهُ مُنْذُ أُصِيبَ بِالْفَالِجِ<sup>(٤)</sup> لَزِمَ بَيْتَهُ ، وَانْصَرَفَ إِلَى رَبِّهِ ...  
وَعَزَفَ<sup>(٥)</sup> عَنْ لِقَاءِ النَّاسِ .

فَقَالَ هِلَالٌ : إِنَّهُ لَكَذَلِكَ مُنْذُ عَرَفْتُهُ « الْكُوفَةُ » ، وَإِنَّ الْمَرَضَ لَمْ يُخَيِّرْ مِنْهُ  
شَيْئًا .

فَقَالَ مُنْذِرٌ : لَا بَأْسَ ...

وَلَكِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ لِيَهْوُلَاءِ الْأَشْيَاخِ<sup>(٦)</sup> أَمْرٌ جَدُّ<sup>(٧)</sup> رَقِيقَةً ، فَهَلْ تَرَى أَنَّ تُبَادِرَ  
الشَّيْخَ فَتَسْأَلَهُ عَمَّا نُرِيدُ ؟ ...

(١) هِلَالُ بْنُ إِسَافٍ : هُوَ هِلَالُ بْنُ إِسَافٍ « بِالْبَاءِ » أَوْ هِلَالُ بْنُ إِسَافٍ « بِالْهَمْزَةِ » الْأَشْجَمِي ، أَحَدُ ثَقَاتِ التَّابِعِينَ وَمُتَقَدِّمِهِمْ .

(٢) مُنْذِرُ الثَّوْرِيُّ : هُوَ الْمُنْذَرُ بْنُ تَغْلَى الثَّوْرِيُّ أَحَدُ مِتَّأَخِرِي التَّابِعِينَ .

(٣) لَعَلَّنَا نُؤْمِنُ سَاعَةً : لَعَلَّنَا نَتَحَقَّقُ فَلَا نَشْغَلُ أَنْفُسَنَا إِلَّا بِالْإِيْمَانِ .

(٤) الْفَالِجُ : مَرَضٌ ، هُوَ مَا يُعْرِضُ الْآنَ بِالشَّلَلِ النَّصَبِيِّ . (٦) الْأَشْيَاخُ : جَمْعٌ مُفْرَدُهُ شَيْخٌ .

(٥) عَزَفَ عَنْ لِقَاءِ النَّاسِ : زَهَدَ فِي لِقَاءِ النَّاسِ وَتَلَّى مِنْهُ . (٧) أَمْرٌ جَدُّ : طَبَائِعُ وَأَحْوَالٌ .

أَمْ نَلْتَرَمُ الصُّنْتَ فَتَسْمَعَ مِنْهُ مَا يُرِيدُ ؟ ...  
 فَقَالَ هَلَالٌ : لَوْ جَلَسْتُ مَعَ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ عَاماً بِأَكْمَلِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُكَلِّمُكَ  
 إِذَا لَمْ تُكَلِّمَهُ ...

وَلَا يُبَادِرُكَ إِذَا لَمْ تَسْأَلْهُ ...  
 فَهُوَ قَدْ جَعَلَ كَلَامَهُ ذِكْراً ، وَصَفَتُهُ فِكْراً .  
 فَقَالَ مُنْذِرٌ : فَلْتَنْعُضِ إِلَيْهِ إِذَا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ .  
 ثُمَّ مَضَى إِلَى الشَّيْخِ ... فَلَمَّا صَارَا عِنْدَهُ سَلَمَا وَقَالَ :  
 كَيْفَ أَصْبَحَ الشَّيْخُ ؟ .

فَقَالَ : أَصْبَحَ ضَعِيفاً مُذْنِياً ، يَأْكُلُ رِزْقَهُ ...  
 وَيَنْتَظِرُ أَجَلَهُ .

فَقَالَ لَهُ هَلَالٌ :

لَقَدْ أَمَّ<sup>(١)</sup> « الْكُوفَةُ » طَبِيبٌ حَاضِقٌ ، أَقْنَدُنْ بِأَنْ أَدْعُوهُ لَكَ ؟ .  
 فَقَالَ : يَا هَلَالُ إِنِّي لَا غَلَمٌ أَنَّ الدَّوَاءَ حَقٌّ ...  
 وَلَكِنِّي تَأَمَّلْتُ عَاداً وَتَمُودَ وَأَصْحَابَ الرُّسِّ<sup>(٢)</sup> وَقُورُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً ...  
 وَنَظَرْتُ فِي جِزْصِهِمْ عَلَى الدُّنْيَا ، وَرَغَبَتِهِمْ فِي مَتَاعِهَا ...  
 وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ مِنَّا بَأْساً<sup>(٣)</sup> ، وَأَعْظَمَ قُدْرَةً ...  
 وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ أَطِبَّاءٌ ...

(١) أَمَّ الْكُوفَةُ : جَاءَ الْكُوفَةُ .

(٢) عَاد ، وَتَمُود ، وَأَصْحَابَ الرُّسِّ : مِنَ الْأَسْمِ الْخَالِيَةِ الَّتِي كَانَ لَهَا شَأْنٌ .

(٣) بَأْساً : قُوَّةً .

وَفِيهِمْ مَرَضَى ...

فَلَا الْمَدَاوِي بَقِي وَلَا الْمَدَاوِي ۱۱ .

ثُمَّ تَنْهَدُ تَنْهَدًا عَمِيقًا وَقَالَ :

وَلَوْ كَانَ هَذَا هُوَ الدَّاءُ لَتَدَاوَيْتَا مِنْهُ .

فَاسْتَأْذَنَ مُنْذِرٌ وَقَالَ :

فَعَا الدَّاءُ إِذَا يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ ۱۲ .

فَقَالَ : الدَّاءُ الدُّنُوبُ ...

فَقَالَ مُنْذِرٌ : وَمَا الدُّوَاءُ ۱۳ .

فَقَالَ : الدُّوَاءُ الْاِسْتِغْفَارُ .

فَقَالَ مُنْذِرٌ : وَكَيْفَ يَكُونُ الشِّفَاءُ ؟

فَقَالَ : يَا أَبْنَى تَتُوبُ ثُمَّ لَا تَعُودُ ...

ثُمَّ حَدَّثَ فِينَا وَقَالَ : السَّرَائِرُ ... السَّرَائِرُ ...

عَلَيْكُمْ بِالسَّرَائِرِ اللَّائِي تَخْفَى عَلَى النَّاسِ ، وَهِيَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى  
بَوَاقٍ (۱) ...

الْتَمِسُوا دَوَاءَهُمْ .

فَقَالَ مُنْذِرٌ : وَمَا دَوَاءُهُمْ ؟

فَقَالَ الشَّيْخُ : التَّوْبَةُ النَّصُوحُ (۲) ...

---

(۱) بَوَاقٍ : ظاهرة .

(۲) التَّوْبَةُ النَّصُوحُ : التَّوْبَةُ الصَّادِقَةُ الْمُقْتَرَنَةُ بِالْعَزْمِ عَلَى عَدَمِ الْعَوْدَةِ .

ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَكَتْ دُمُوعُهُ لِحَيْتَيْهِ .

فَقَالَ لَهُ مُنْذِرٌ : أَتَبْكِي وَأَنْتِ أَنْتِ (١) ١٩ .

فَقَالَ : هَيْهَاتَ (٢) ...

لِمَ لَا أَبْكِي ١٩ ... وَقَدْ أَذْرَكْتُ قَوْمًا نَحْنُ فِي جَنْبِهِمْ (٣) لُصُوصٌ [ يُرِيدُ  
الصُّحَابَةَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ] .

قَالَ هَلَالٌ :

وَفِيمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا ابْنُ الشَّيْخِ ، فَحَيَّا وَقَالَ :

يَا أَبَتِ إِنَّ أُمِّي قَدْ صَنَعَتْ لَكَ خَيْصًا (٤) وَجَوْدَةً ...

وَأَنَّهُ لَيَجْبِرُ قَلْبَهَا أَنْ تَأْكُلَ مِنْهُ ، فَهَلْ آتَيْكَ بِهِ ؟ .

فَقَالَ : هَاتِيهِ .

فَلَمَّا خَرَجَ لِيُخْضِرُهُ ... طَرَقَ الْبَابَ سَائِلٌ ، فَقَالَ : أَذْخُلُوه .

فَلَمَّا صَارَ فِي صُحْبِ (٥) الدَّارِ نَظَرْتُ إِلَيْهِ ؛ فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ كَهْلٌ مُعَرِّقُ

الْثِّيَابِ قَدْ سَالَ لُعَابُهُ عَلَى ذَقْنِهِ ، وَبَدَأَ مِنْ مَلَامِحِ وَجْهِهِ أَنَّهُ مَغْشُوهٌ .

فَمَا كِدْتُ أَرْفَعُ بَصَرِي عَنْهُ حَتَّى أَقْبَلَ ابْنُ الشَّيْخِ بِصُحْفَةٍ (٦) الْخَيْصِ ؛

فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَبُوهُ : أَنْ صُغِّعَهَا بَيْنَ يَدَيْ السَّائِلِ .

فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ... فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا الرَّجُلُ ، وَجَعَلَ يَلْتَمِسُ مَا فِيهَا إِلَيْهِمَا ...

(١) وَأَنْتِ أَنْتِ : إشارة إِلَى مَا عُرِفَ مِنْ صَلَاحِهِ وَعِبَادَتِهِ وَزَعَادَتِهِ .

(٢) هَيْهَاتَ : اسم فعل معناه لَقَدْ أَتَيْتُكَ .

(٣) صحن الدرر : تَأَخُّهَا .

(٤) نحن في جنبهم : نحن بالنسبة إِلَيْهِمْ .

(٥) الصُّحْفَةُ : وَهَاءٌ مُنْبَسَطٌ بِشَبَعِ الْخَمْسَةِ ، وَجَمْعُهُ صُحُوفٌ .

(٦) الخيصر : لون من الألوان .

وَلَعَابُهُ يَسِيلُ فَوْقَهَا ...

فَمَا زَالَ يَأْكُلُ حَتَّى أَتَى عَلَى مَا فِي الصُّحْفَةِ كُلِّهِ .

فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ :

رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَتِ ، لَقَدْ تَكَلَّفْتُ أُمِّي وَصَنَعْتُ لَكَ هَذَا الْحَبِيصَ ...

وَكُنَّا نَشْتَهِي أَنْ نَأْكُلَ مِنْهُ ...

فَأَطَعَمْتُهُ لِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي لَا يَذَرِي مَادًّا أَكَلَ .

فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ...

إِذَا كَانَ هُوَ لَا يَذَرِي ، فَإِنَّ اللَّهَ يَذَرِي ... ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ بَجَلٍّ وَعَزُّ :

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُتَفَقُّوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُتَفَقُّوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (١) .

وَفِيمَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ ذَوِي قُرْبَاهُ وَقَالَ :

يَا أَبَا يَزِيدَ ، قِيلَ الْحُسَيْنُ (٢) هُنَّ فَاطِمَةُ (٣) عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّهِ السَّلَامُ .

فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ...

ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى :

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِمَةُ (٤) السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ

(١) سورة آل عمران : آية ٩٢ .

(٢) هو الحسين بن علي بن أبي طالب سبط الرسول صلوات الله عليه ، قُتِلَ جُنُودَ بَنِي أُمَيَّةَ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْكَوْفَةِ .

(٣) فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ : ابْنَةُ الرَّسُولِ ﷺ ، وَزَوْجُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ... انْظُرْهَا فِي كِتَابِ «صُورٍ مِنْ حَيَاةِ الصُّحَّاحِيَّاتِ» ، لِلْمَوْلَفِ .

(٤) فَاطِمَةُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : مُجِدِّعَةُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .



تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١﴾ .

لَكِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَشْفِهِ كَلَامُهُ ، فَقَالَ لَهُ :

مَا تَقُولُ فِي قَتْلِهِ ؟ .

فَقَالَ : أَقُولُ إِلَى اللَّهِ إِنِّي أَهْمُهُمْ ، وَعَلَى اللَّهِ حِسَابُهُمْ .

قَالَ هَلَالٌ :

ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُ وَقْتَ الظُّهْرِ قَدِ اقْتَرَبَ ، فَقُلْتُ لِلشَّيْخِ : أَوْصِنِي .

فَقَالَ : لَا يَغُرُّكَ - يَا هَلَالٌ - كَثْرَةُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْكَ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ  
مِنْكَ إِلَّا ظَاهِرَكَ ...

وَاعْلَمْ أَنَّكَ صَائِرٌ إِلَى عَمَلِكَ ...

وَأَنْ كُلَّ عَمَلٍ لَا يُمْتَعَلُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ يَضْمَحِلُّ (٢) .

فَقَالَ لَهُ مُنْذِرٌ : وَأَوْصِنِي أَنَا أَيْضاً حُزِرْتَ خَيْراً .

فَقَالَ : يَا مُنْذِرُ ، أَتَتَى اللَّهَ فِيمَا عَلِمْتَ ... وَمَا اسْتَشِيرُ (٣) عَلَيْكَ بِعَلْمِهِ ؛

فَكَلِّهِ إِلَى عَالِيهِ ...

يَا مُنْذِرُ ، لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ ، ثُمَّ لَا يَتُوبُ ، فَتَكُونَ  
كِذْبَةً ...

وَلَكِنْ لِيَقُلْ : اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيَّ ، فَيَكُونَ دُعَاءً .

وَاعْلَمْ يَا مُنْذِرُ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي كَلَامٍ إِلَّا فِي تَهْلِيلِ اللَّهِ (٤) ...

(١) سورة الزمر: آية ٤٦ .

(٢) يضمحل: يتلاشى .

(٣) مَا اسْتَشِيرُ عَلَيْكَ بِعَلْمِهِ : مَا أَغْفِيْ عَنْكَ عِلْمَهُ . (٤) تَهْلِيلُ اللَّهِ : قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَتَحْمِيدِ اللَّهِ ...

وَتَكْبِيرِ اللَّهِ ...

وَتَسْبِيحِ اللَّهِ ...

وَسُؤَالِكَ مِنَ الْخَيْرِ ...

وَتَعَوُّذِكَ مِنَ الشَّرِّ ...

وَأَمْرِكَ بِالْمَعْرُوفِ ...

وَنَهْيِكَ عَنِ الْمُنْكَرِ ...

وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ...

فَقَالَ لَهُ مُنْذِرٌ : لَقَدْ جَالَسْنَاكَ فَمَا سَمِعْنَاكَ تَتَمَثَّلُ بِالشُّعْرِ ، وَقَدْ رَأَيْنَا بَعْضَ أَصْحَابِكَ يَتَمَثَّلُونَ بِهِ .

فَقَالَ : مَا مِنْ شَيْءٍ تَقُولُهُ هُنَا إِلَّا كُتِبَ وَقُرِئَ عَلَيْكَ هُنَا<sup>(١)</sup> ...

وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَجِدَ فِي كِتَابِي يَتَّ شِعْرٌ يُقْرَأُ عَلَيَّ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ .  
ثُمَّ التَفَّتْ إِلَيْنَا جَمِيعاً وَقَالَ :

أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ الْعَوْبِ ، فَهَوَّ غَائِبُكُمْ الْمُؤْتَقِبُ ...

وَلِإِنَّ الْغَائِبَ إِذَا طَالَتْ غَيْبَتُهُ أَوْشَكَتْ<sup>(٢)</sup> أَوْبَتُهُ ، وَتَرَقَّبَتْ ذَوُوهُ .

ثُمَّ اسْتَعْبَرَ<sup>(٣)</sup> وَقَالَ :

---

(١) هنا : إشارة إلى الدنيا ، وهناك : إشارة إلى الآخرة .

(٢) أوشكت أوبته : قرئت هودته .

(٣) استعبر : بكى وسالت عبرته .

مَاذَا نَصْنَعُ غَدًا ﴿۱﴾ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا...

وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ...

وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴿۲﴾ ۱۹ .

قَالَ هَلَلٌ :

وَمَا كَادَ الرِّبُوعُ يَنْتَهِي مِنْ كَلَامِهِ حَتَّى أُذِّنَ لِلظُّهْرِ ، فَأَقْبَلَ عَلَى ابْنِهِ وَقَالَ :  
هَيَّا نَجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ ...

فَقَالَ لَنَا ابْنُهُ :

أَعِثُّونِي عَلَى حِفْلِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ جُزَيْتُمْ خَيْرًا .

فَرَفَعْنَاهُ ، فَوَضَعَ مُنْتَاهَهُ عَلَى كَيْفِ ابْنِهِ وَبُشْرَاهُ عَلَى كَيْفِي ، وَجَعَلَ  
يَنْهَادِي<sup>(۳)</sup> بَيْنَنَا ، وَرَجَلَاهُ تَحْطَانِ عَلَى الْأَرْضِ خَطًّا .

فَقَالَ لَهُ مُنْذِرٌ : يَا أَبَا يَزِيدَ ، لَقَدْ رَخَّصَ اللَّهُ لَكَ فَلَوْ ضَلَّيْتُ فِي بَيْتِكَ ۱۱ .  
فَقَالَ : إِنَّهُ كَمَا تَقُولُ ...

وَلَكِنِّي سَمِعْتُ الْمُتَنَادِي يُنَادِي : حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ<sup>(۴)</sup> ...

حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ...

فَمَنْ سَمِعَ مِنْكُمْ الْمُتَنَادِي يَدْعُوهُ إِلَى الْفَلَاحِ ، فَلْيَجِبْهُ وَلَوْ حَبْرًا<sup>(۵)</sup> .

\* \* \*

وَيَقْعُدُ ... فَمَنْ الرِّبُوعُ بْنُ حُثَيْمٍ هَذَا ۱۹ .

(۱) دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا : زَالَتْ الْأَرْضُ وَانْهَمَتْ كُلُّ بَنَاءٍ عَلَيْهَا .

(۲) سُورَةُ الْفَجْرِ : مِنَ الْآيَةِ ۲۱ - ۲۳ .

(۳) يَنْهَادِي : يُقَالُ جَاءَ فُلَانٌ يَنْهَادِي بَيْنَ اثْنَيْنِ أَيْ شَتَّى وَهُوَ يَحْصِدُ عَلَيْهِمَا فِي تَشْبِيهِ .

(۴) حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ : أَهْلُوا عَلَى الْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ . (۵) حَبْرًا : زَحَاً عَلَى الْبَدَنِ وَالْبَطْنِ .

إِنَّهُ عَلَّمَ مِنْ أَعْلَامِ التَّابِعِينَ ...

وَأَحَدُ الثَّمَانِيَةِ الَّذِينَ انْتَهَى إِلَيْهِمُ الرُّهْدُ فِي عَصْرِهِمْ .

عَزِيَّتِي الْأَصْلُ ...

مُضَرِّي الْأَرْوَمَةِ<sup>(١)</sup> ...

يَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِي جَدِّيهِ الْيَاسِ وَمُضَرَ .

نَشَأَ مِنْذُ نُفُومَةٍ أَطْفَارِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ...

وَقَطَمَ نَفْسَهُ مِنْذُ حَدَائِثِهَا عَلَى تَفَوَّاهُ ...

كَانَتْ أُمُّهُ تَنَامُ فِي اللَّيْلِ ثُمَّ تَصْحُو ، فَتَجِدُ ابْنَهَا الْيَافِعَ<sup>(٢)</sup> مَا زَالَ صَافًا فِي

مِغْرَابِهِ ...

سَابِحًا فِي مُتَابِعَاتِهِ ...

مُسْتَعْرِقًا فِي صَلَاتِهِ ...

فَتُنَادِيهِ وَتَقُولُ :

يَا بُنَيَّ - يَا زَيْعُ - أَلَا تَنَامُ ؟!

فَيَقُولُ : كَيْفَ يَسْتَطِيعُ النَّوْمُ مَنْ جُنَّ<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، وَهُوَ يَخْشَى

الْبَيَاتِ<sup>(٤)</sup> ؟!

فَتَحْدَرُ الدُّمُوعُ عَلَى خَدَّيِ الشَّيْخَةِ الْعَجُوزِ وَتَدْعُو لَهُ بِالْخَيْرِ .

وَلَمَّا سَبَّ الزَّيْعُ وَنَمَا ؛ سَبَّ مَعَهُ وَزَعَهُ وَنَمَتْ بِنُفُومِهِ خَشْيَتُهُ مِنَ اللَّهِ ...

(١) الأرومة : الأصل ، ومضري الأرومة : أي لأن أصله ينتهي إلى مضر أحد أجداد رسول الله ﷺ .

(٢) اليافع : من قارب البلوغ .

(٣) جُنَّ عليه الليل : غشاه الليل وأظلم عليه .

(٤) البيات : هجوم الخصوم .

وَلَقَدْ أَرَقَ أُمُّهُ كَثْرَةً تَصْرِعُهُ ، وَشِدَّةَ نَحْيِهِ فِي عَتَمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّاسِ نِيَامَ  
حَتَّى طَلَّتْ بِهِ الظُّنُونُ ...

فَصَارَتْ تُنَادِيهِ قَائِلَةً :

مَا الَّذِي أَصَابَكَ يَا بُنَيَّ ؟ ...

لَعَلَّكَ أَتَيْتَ جُزْماً ...

لَعَلَّكَ قَتَلْتَ نَفْساً .

فَقَالَ : نَعَمْ يَا أُمُّهُ ، لَقَدْ قَتَلْتُ نَفْساً .

فَقَالَتْ فِي لَهْفَةٍ : وَمَنْ هَذَا الْقَتِيلُ - يَا بُنَيَّ - حَتَّى نَجْعَلَ النَّاسَ يَشْعَوْنَ إِلَى  
أَهْلِهِ لَعَلَّهُمْ يَغْفِرُونَ عَنْكَ ؟ ...

وَاللَّهُ لَوْ عَلِمَ أَهْلُ الْقَتِيلِ مَا تُعَانِي مِنَ الْبُكَاءِ ، وَمَا تُكَادِي مِنَ السَّهْرِ  
لَرَجَعُوكَ .

فَقَالَ : لَا تُكَلِّمِي أَحَداً ...

فَإِنَّمَا قَتَلْتُ نَفْسِي ...

لَقَدْ قَتَلْتُهَا بِالذُّنُوبِ ...

\* \* \*

وَلَقَدْ تَتَلَمَذَ الرَّبِيعُ بْنُ حُثَيْمٍ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَشْعُودٍ <sup>(١)</sup> صَاحِبِ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ وَأَقْرَبِ الصَّحَابَةِ هَذَا وَسَمِعْنَا <sup>(٢)</sup> مِنَ النَّبِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

وَقَدْ تَعَلَّقَ الرَّبِيعُ بِأُسْتَاذِهِ تَعَلَّقَ الْوَلِيدُ بِأُمِّهِ ...

وَأَحَبَّ الْأُسْتَاذُ تَلْمِيذَهُ حُبَّ الْأَبِ لِوَحِيدِهِ .

(١) انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشرقة .

(٢) سمعاً : ههنا .

فَكَانَ الرِّبِيعُ يَدْخُلُ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ مِنْ غَيْرِ إِذِنْ ، فَإِذَا صَارَ عِنْدَهُ لَمْ يُؤَدِّنْ  
لِأَحَدٍ بِالدُّخُولِ عَلَيْهِ حَتَّى يَخْرُجَ الرِّبِيعُ .

وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَرَى مِنْ صَفَاءِ نَفْسِ الرِّبِيعِ ، وَإِخْلَاصِ قَلْبِهِ ، وَإِحْسَانِ  
عِبَادَتِهِ مَا يَمْلَأُ قُودَاهُ أَسَى عَلَى تَأْخِيرِ زَمَانِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَجِزْمَانِهِ  
مِنْ صُحْبَتِهِ ...

وَكَانَ يَقُولُ لَهُ :

يَا أَبَا بَرْدٍ ، لَوْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَأَحْبَبَكَ .

كَمَا كَانَ يَقُولُ لَهُ :

مَا رَأَيْتُكَ مَرَّةً إِلَّا ذَكَرْتُ الْمُحْبِبِينَ<sup>(١)</sup> ...

\* \* \*

وَلَمْ يَكُنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ مُغَالِيًا فِي ذَلِكَ .

فَقَدْ بَلَغَ الرِّبِيعُ بَنَ خُتَيْمٍ مِنَ الْحَشِيَّةِ ، وَالْوَرَعِ ، وَالتَّقْوَى مَبْلَغًا قَلَمًا سَمَا  
إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ طَبَقَتِهِ .

وَأَثَرَتْ عَنْهُ فِي ذَلِكَ أَنْبَاءُ مَا تَزَالُ تَزْهُو بِهَا صَفَحَاتُ التَّارِيخِ ..

مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ قَالَ :

صَحِبْتُ الرِّبِيعَ بَنَ خُتَيْمٍ عَشْرِينَ سَنَةً ؛ فَمَا سَمِعْتُهُ يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِكَلِمَةٍ  
تَضَعُهُ ... وَتَلَا قَوْلَهُ جُلٌّ وَعَرٌّ :

﴿إِلَيْهِ يَضَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ وَالْعَمَلُ الصَّالِحَ يَرْفَعُهُ﴾<sup>(٢)</sup> .

وَأَخْبَرَ عَنْهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَجْلَانَ قَالَ :

(١) المحبتون : الخاشعون .

(٢) سورة فاطر : آية ١٠ .

بِثِّ عِنْدَ الرِّبْعِ لَيْلَةً ؛ فَلَمَّا أَتَقَنَ أَنِّي دَخَلْتُ فِي النَّوْمِ قَامَ يُصَلِّي ، فَقَرَأَ قَوْلَهُ  
جَلَّ وَعَزَّ :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا <sup>(١)</sup> السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخْيَاهُمْ وَمَخَائِلُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

فَمَكَثَ لَيْلَتُهُ يُصَلِّي بِهَا ...

يَتَذَوُّهَا وَيُعِيدُهَا حَتَّى طَلَعَ عَلَيْهِ الْفَجْرُ ...

وَعَيْنَاهُ تَسْحَانِ الدُّمُوعَ سَحًا .

\* \* \*

وَالرَّبِيعِ فِي خَوْفِ اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ ...

مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالُوا :

خَرَجْنَا يَوْمًا بِصُحْبَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَمَعَنَا الرَّبِيعُ بْنُ خُنَيْمٍ ، فَلَمَّا صِرْنَا  
عَلَى شَاطِئِ « الْفُرَاتِ » ... مَرَرْنَا بِأَثُونٍ <sup>(٣)</sup> كَبِيرٍ قَدْ سَعَرَتْ نَارُهُ ...

فَتَطَايَرَ شَرُّهَا ...

وَتَصَاعَدَتْ أَلْسِنَةُ لَهَبِهَا ...

وَسَمِعَ زَفِيرُهَا ...

وَقَدْ أَلْقَيْتَ فِي الْأَثُونِ الْحِجَارَةَ لِتَخْتَرِقَ حَتَّى تُصْبِحَ كِلْسًا .

فَلَمَّا رَأَى الرَّبِيعُ النَّارَ تَوَقَّفَ فِي مَكَانِهِ ...

وَعَرَّتْهُ <sup>(٤)</sup> رِغْدَةٌ شَدِيدَةٌ ...

(٣) الأثون : موقد تحرق فيه الحجارة حتى تصبح كِلْسًا .

(٤) عَرَّتْهُ : أصابته .

(١) اجترحوا : ارتكبوا واكتسبوا .

(٢) سورة الجاثية : آية ٢١ .

وَتَلَا قَوْلَهُ جَلَّ وَعَزَّ:

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ (١) مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا (٢) وَزَفِيرًا (٣) \*  
وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ (٤) دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (٥)﴾ (٦).  
ثُمَّ سَقَطَ مَغْشِيًا عَلَيْهِ .

فَرَابَطْنَا مَعَهُ حَتَّى أَفَاقَ مِنْ غَشِيَّتِهِ ، وَمَضَيْنَا بِهِ إِلَى يَتِيَّتِهِ .

\* \* \*

وَيَعْدُ ...

فَقَدْ ظَلَّ الرِّيحُ هُنَّ خُتَيْمَ حَيَاتِهِ كُلُّهَا يَتَرَقَّبُ الْمَوْتَ وَيَسْتَعِدُّ لِلْقَائِهِ .

فَلَمَّا اخْتَضِرَ ؛ جَعَلَتْ يَشَّةٌ تَبْكِي ، فَقَالَ :

مَا يُبْكِيكَ يَا بُيُوتِي وَقَدْ أَقْبَلَ عَلَى أَيْلِكَ الْحَيُّ ؟ ...

ثُمَّ أَسْلَمَ رُوحَهُ إِلَى بَارِئِهَا (٥) ...

---

(١) إِذَا رَأَتْهُمْ : الضمير في رأَتْهم يعود عَلَى نَارِ السَّعِيرِ .

(٢) تَغَيُّظًا : غليظاً كغليظ صدر الغضب .

(٣) زَفِيرًا : صوتاً شديداً .

(٤) مُقَرَّنِينَ : مُضَفَّدِينَ [أي جمعت أيديهم إِلَى أعناقهم بِالْأَغْلَالِ] .

(٥) ثُبُورًا : هلاكاً .

(٦) سورة الفرقان : من الآية ١٢ - ١٣ .

(٥) للاستزادة من أسرار الرِّيحِ هُنَّ خُتَيْمَ انظر :

١ - تهذيب التهذيب لابن حجر : ٢٤٢/٣ .

٢ - حلية الأولياء لأبي نعيم : ١٠٥/٢ - ١١٨ .

٣ - صفة الصفوة : ٥٩/٣ - ٦٨ .

٤ - كتاب الزهد لأحمد بن حنبل : ٣٣٦ وما بعدها .

٥ - العقد الفريد : (انظر الفهارس في الثامن) .

٦ - المعارف لابن قتيبة طبعة دار المعارف : (انظر الفهارس) .

٧ - جوهرة أنساب العرب : ٧٠١ .

٨ - الطبقات الكبرى : ١٠/٦ (وانظر الفهرس) .



# إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْمُرْنِيُّ

«إِفْدَامُ عَفْرِو فِي سَمَاعَةِ حَالِمٍ  
فِي جِلْمٍ أَخْفَتْ فِي ذِكَاؤِ إِيَّاسٍ»

[أَبُو ثَعَالِب]

بَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ <sup>(١)</sup> لَيْلَتَهُ تِلْكَ أَرْقَا <sup>(٢)</sup> مُسْهَدًا لَمْ  
يَغْتَمِضْ لَهُ جَفْرٌ، وَلَمْ يَطْمَعَنَّ لَهُ جَنْبٌ <sup>(٣)</sup>.

فَلَقَدْ كَانَ يَشْغَلُهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْبَارِدَةِ مِنْ لَيْتَالِي «دِمَشْق» أَمْرُ اخْتِيَارِ  
قَاضٍ «لِلْبُصْرَةِ» <sup>(٤)</sup> يَتِيمٌ بَيْنَ النَّاسِ مَوَازِينَ الْعَدْلِ، وَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ،  
وَلَا تَأْخُذُهُ فِي الْحَقِّ رَهْبَةٌ وَلَا رَغْبَةٌ.

وَلَقَدْ وَقَعَ اخْتِيَارُهُ عَلَى رَجُلَيْنِ اثْنَيْنِ كَانَا كَفَرَسِي <sup>(٥)</sup> رِهَانِ:

يَقْهَأُ فِي الدِّينِ، وَصَلَابَةٌ فِي الْحَقِّ...

وَوَصَاءَةٌ <sup>(٦)</sup> فِي الْفِكْرِ...

وَتَقْوَابٌ فِي النَّظَرِ <sup>(٧)</sup>...

وَكَانَ كُلُّمَا وَجَدَ فِي أَحَدِهِمَا مَرِيَّةً تُرْجِعُهُ عَلَى صَاحِبِهِ، أَلْفَى <sup>(٨)</sup> فِي  
الْآخَرِ مَا يُقَابِلُ هَذِهِ الْمَرِيَّةَ.

(١) عمر بن عبد العزيز: انظره ص ٨٠، ٢٥٥، ٣٢٦.

(٢) أَرْقَا مُسْهَدًا: أَي دُكِبَتْ عَلَيْهِ التُّؤَمَةُ.

(٣) لَمْ يَطْمَعَنَّ لَهُ جَنْبٌ: كِتَابَةٌ عَنْ الْقَلْقُ وَشُحْلُ الْبَالِ.

(٤) الْبُصْرَةُ: مَدِينَةُ اعْطَلَهَا الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ فَتْحِ الْعِرَاقِ.

(٥) كَفَرَسِي رِهَانِ: مَثَلٌ يَضْرِبُ لِلْمُتَوَاسِينَ الْمُقَارِبِينَ فِي الْفَضْلِ وَغَيْرِهِ، أَوْ لِلْمُسَابِقِينَ فِي الْمَجَارَةِ.

(٦) وَصَاءَةٌ فِي الْفِكْرِ: نُورٌ فِي الْفِكْرِ.

(٧) تَقْوَابٌ فِي النَّظَرِ: حِدَّةٌ فِي النَّظَرِ، وَصِفًا فِي الْفَهْمِ.

(٨) أَلْفَى فِي الْآخَرِ: وَجَدَ فِي الْآخَرِ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ دَعَا وَالِيَهُ عَلَى «الْعِرَاقِ» عَدِيَّ بْنَ أَرْطَاةَ - وَكَانَ يُؤَمِّدُ عَنْدَهُ فِي «دِمَشَقَ» - وَقَالَ لَهُ :  
يَا عَدِي ...

اجْمَعْ بَيْنَ إِيَّاسَ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْمُزَنِيِّ ، وَالْقَاسِمِ بْنِ رَيْعَةَ الْحَارِثِيِّ ...  
وَكَلَّمَهُمَا فِي أَمْرِ قَضَاءِ «الْبَصْرَةِ» ، وَوَلَّ أَحَدَهُمَا عَلَيْهِ .  
فَقَالَ : سَمِعْنَا وَطَاعَةَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

\* \* \*

جَمَعَ عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ بَيْنَ «إِيَّاسَ» وَ«الْقَاسِمِ» وَقَالَ :  
إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - أَمَرَنِي أَنْ أُولِّيَ أَحَدَكُمَا قَضَاءَ  
«الْبَصْرَةِ» ...

فَمَاذَا تَرْتَابِن ؟ .

فَقَالَ كُلُّ مِثْلُ مِثْلُهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ : أَنَّهُ أُولَى مِنْهُ بِهَذَا الْمَنْصِبِ ...  
وَذَكَرَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَعَلَمِيهِ ، وَفَقِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَذْكُرَ .  
فَقَالَ عَدِيُّ : لَنْ تَخْرُجَا مِنْ مَجْلِسِي هَذَا حَتَّى تَحْكِمَا <sup>(١)</sup> هَذَا الْأَمْرَ .  
فَقَالَ لَهُ إِيَّاسُ :

أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، سَلْ عَنِّي وَعَنِ «الْقَاسِمِ» فَقِيهِي «الْعِرَاقِ» : الْحَسَنَ  
الْبَصْرِيُّ <sup>(٢)</sup> ، وَمُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ <sup>(٣)</sup> ... فَهُمَا أَفْضَلُ النَّاسِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَنَا .  
وَكَانَ «الْقَاسِمُ» يَزُورُهُمَا وَيُزَوِّرَانِهِ ، وَ«إِيَّاسُ» لَا تَرِبَطُهُ بِهِمَا رَابِطَةٌ .

(١) حَكَمَ الْأَمْرَ : قَطَعَهُ .

(٢) الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : انْظُرْ ص ٩٥ .

(٣) مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ : انْظُرْ ص ١٢٤ .

فَعَلِمَ « الْقَاسِمُ » أَنَّ « إِيَّاسَا » أَرَادَ أَنْ يُورِطَهُ ...  
وَأَنَّ الْأَمِيرَ إِذَا اسْتَشَارَهُمَا أَشَارَا بِهِ دُونَ صَاحِبِهِ ...  
فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ التَّقَتْ إِلَى الْأَمِيرِ ، وَقَالَ :  
لَا تَسْأَلْ أَحَدًا عَنِّي وَلَا عَنْهُ - أَيُّهَا الْأَمِيرُ - فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّ  
« إِيَّاسَا » أَفْقَهُ مِنِّي فِي دِينِ اللَّهِ ...  
وَأَعْلَمَ بِالْقَضَاءِ ...  
فَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فِي قَسَمِي هَذَا ؛ فَمَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُؤْتِيَنِي الْقَضَاءَ وَأَنَا  
أَقْتَرِفُ<sup>(١)</sup> الْكَذِبَ ...  
وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا ؛ فَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تُعْدِلَ<sup>(٢)</sup> عَنِّي الْفَاضِلَ إِلَى  
الْمَفْضُولِ<sup>(٣)</sup> ...

فَالْتَقَتْ « إِيَّاسُ » إِلَى الْأَمِيرِ ، وَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ...  
إِنَّكَ جِئْتَ بِرَجُلٍ وَدَعَوْتَهُ إِلَى الْقَضَاءِ ؛ فَأَوْقَفْتَهُ عَلَى شَفِيرِ<sup>(٤)</sup> جَهَنَّمَ ،  
فَتَجَلَّى نَفْسُهُ مِنْهَا ، يَتِمِّينَ كَاذِبَةً ؛ لَا يَلْبِثُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ مِنْهَا ، وَيَنْجُو بِنَفْسِهِ  
مِمَّا يَخَافُ .  
فَقَالَ لَهُ عِدِّي :

إِنْ مَنَ بَنُهُمُ مِثْلَ فَهْمِكَ هَذَا لَجَدِيرٌ بِالْقَضَاءِ ، حَرِيٌّ<sup>(٥)</sup> بِهِ .  
ثُمَّ وَلَّاهُ قَضَاءَ « الْبَصْرَةِ » .

\* \* \*

(١) أَقْتَرِفَ الْكَذِبَ : أَخْلَقَ الْكَذِبَ . (٢) الْمَفْضُولُ : الْأَقْلُ فَضْلًا .  
(٣) عُدِّلَ عَنِ الْأَمْرِ : مَالَ عَنْهُ وَزَكَّهُ . (٤) شَفِيرُ جَهَنَّمَ : حَافَةُ جَهَنَّمَ . (٥) حَرِيٌّ بِهِ : أَهْلٌ لَهُ .

فَمَنْ هَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ الْخَلِيفَةُ الرَّاهِدُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَاضِيًا لَهُ عَلَى  
«البصرة» ؟ .

مَنْ ذَلِكَ الَّذِي ضَرَبَتْ يَدَكَائِهِ وَفُطِنَتْهُ وَيَدِيهِتُهُ<sup>(١)</sup> الْأُمَثَالُ ؛ كَمَا ضَرَبَتْ  
الْأُمَثَالُ بِمَجُودِ حَاتِمِ الطَّائِي...

وَجَلِمِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ<sup>(٢)</sup>...

وَأَقْدَامِ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرَبٍ<sup>(٣)</sup>...

حَتَّى قَالَ أَبُو تَمَامٍ<sup>(٤)</sup> فِي مَذْحِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُعْتَصِمِ :

إِقْدَامُ عَمْرِو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي جَلِمِ أَخْنَفٍ فِي ذَكَاءِ إِيَّاسٍ  
تَعَالَ تَبْدَأُ قِصَّةَ حَيَاةِ الرَّجُلِ مِنْ أَوَّلِهَا...

فَلِلرَّجُلِ سِيرَةٌ مُبِيرَةٌ فَذَّةٌ<sup>(٥)</sup> مِنْ رَوَائِعِ السَّيْرِ .

\* \* \*

وُلِدَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ الْمُرَنْدِي سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ فِي مِثْلَةِ  
«الْيَمَامَةِ» فِي «نَجْدٍ» .

وَانْتَقَلَ مَعَ أُمِّهِ إِلَى «البصرة» وَفِيهَا نَشَأَ وَتَعَلَّمَ...

وَتَرَدَّدَ عَلَى «دِمَشْقٍ» فِي يَفَاعَتِهِ<sup>(٦)</sup> ، وَأَخَذَ عَمَّنْ أَدْرَكَهُ مِنْ بَقَايَا الصُّحَابَةِ  
الْكِرَامِ ، وَجَلَّةِ<sup>(٧)</sup> النَّابِغِينَ .

---

(١) البديهة : شَوْعَةُ الْفَهْمِ .

(٢) الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : تَابِعِي جَلِيلٌ ، وَقَالَ عَظِيمٌ ، وَخُطِبَ مَقُودُ سَادَ قَوْمِهِ بَنِي تَمِيمٍ ، وَضُرِبَ لِلْمَثَلِ بِجَلِيلِهِ ، تُوفِي  
سَنَةَ ٥٧٢... انظره : ص ٤٥٧ ، ٤٦٨ .

(٣) عَمْرِو بْنُ مَعْدِي كَرَبٍ : أَحَدُ شَجْعَانِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِينَ ، كَانَ يُقَالُ لِكُلِّ فَارِسٍ مِنَ الْعَرَبِ فَارِسُ بَنِي فَلَانٍ  
إِلَّا هُوَ فَكَانَ يُقَالُ لَهُ فَارِسُ الْعَرَبِ جَمِيعًا ، تُوفِي فِي الْقَادِسِيَةِ عَطْشًا .

(٤) أَبُو تَمَامٍ : هُوَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِي ( ٧٨٨ - ٨٤٥ ) شَاعِرٌ عَبَّاسِيٌّ ، اشتهر بمجده الخلفاء ، له ديوان مشهور .

(٥) فَذَّةٌ : قُرْبَةٌ ، تَابِيزَةٌ . (٦) الْيَفَاعَةُ : أَوَّلُ الصُّبَا . (٧) جَلَّةُ النَّابِغِينَ : أَكْبَرُ النَّابِغِينَ .

وَلَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَى الْعَلَامِ الْمُزَنِيِّ عَلَائِمُ النُّجَايَةِ وَأَمَارَاتُ<sup>(١)</sup> الذِّكَايَةِ مُنْذُ  
نُعُومَةِ أَظْفَارِهِ<sup>(٢)</sup> ...

وَجَعَلَ النَّاسَ يَتَنَاقَلُونَ أَخْبَارَهُ وَنَوَادِرَهُ وَهُوَ مَا زَالَ صَبِيًّا صَغِيرًا ...

\* \* \*

رُوي عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَتَعَلَّمُ الْحِسَابَ فِي كُتَّابٍ<sup>(٣)</sup> لِرَجُلٍ يَهُودِيٍّ مِنْ أَهْلِ  
الذَّمَّةِ<sup>(٤)</sup> ... فَاجْتَمَعَ عِنْدَ الْمُعَلِّمِ أَصْحَابُهُ مِنَ الْيَهُودِ ، وَجَعَلُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي أُمُورِ  
الدِّينِ وَهُوَ يُنْصِتُ لِإِيَّهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرُونَ ...  
فَقَالَ الْمُعَلِّمُ لِأَصْحَابِهِ :

أَلَا تَعْجَبُونَ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي الْجَنَّةِ  
وَلَا يَتَمَوَّطُونَ<sup>(٥)</sup> ۱۱ .

فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ إِيَّاسَ وَقَالَ :

أَتَأْذُنُ لِي يَا مُعَلِّمُ بِالْكَلامِ فِيمَا تَخُوضُونَ<sup>(٦)</sup> فِيهِ ؟ .

فَقَالَ الْمُعَلِّمُ : نَعَمْ .

فَقَالَ الْفَتَى : أَكُلُ مَا يُؤْكَلُ فِي الدُّنْيَا يَخْرُجُ غَائِطًا ؟ .

فَقَالَ الْمُعَلِّمُ : لَا .

فَقَالَ الْفَتَى : فَأَيْنَ يَذْهَبُ الَّذِي لَا يَخْرُجُ ؟ .

---

(١) أمارات الذكاء : علامات الذكاء .

(٢) منذ نعومة أظفاره : كناية عن صغر السن .

(٣) الكُتَّاب : مكان التعليم ، وجمعه كُتَّاب .

(٤) أهل الذَّمَّة : من دَخَلَ فِي عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ وَحَمَلَتْهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ .

(٥) لا يتَمَوَّطُونَ : لا يقضون الحاجة ولا يبرزون .

(٦) تخوضون فيه : تتناقشون فيه ويتبادلون الآراء .

فَقَالَ الْمُعَلَّمُ : يَذْهَبُ فِي غِذَاءِ الْجَنَنِ .  
 فَقَالَ الْفَتَى : فَمَا وَجْهُ الِاسْتِثْكَارِ مِنْكُمْ إِذَا كَانَ يَذْهَبُ بَعْضُ مَا نَأْكُلُهُ فِي  
 الدُّنْيَا غِذَاءً ، أَنْ يَذْهَبَ كُلُّهُ فِي الْجَنَّةِ فِي الْغِذَاءِ ؟ .  
 فَأَلْوَى الْمُعَلَّمُ يَدَهُ وَقَالَ لَهُ : فَأَتْلِكَ اللَّهُ مِنْ فَتَى .

\* \* \*

وَيَتَقَدَّمُ الْغُلَامُ فِي السَّنِّ سَنَةً فَسَنَةً ...  
 وَتَتَقَدَّمُ مَعَهُ أَخْبَارُ ذَكَائِهِ أَيْتِمًا حُلًّا .  
 فَقَدْ رُويَ أَنَّهُ دَخَلَ « دِمَشْقَ » وَهُوَ مَا يَزَالُ غُلَامًا ، فَأَخْتَلَفَ مَعَ شَيْخٍ مِنْ  
 أَهْلِ « دِمَشْقَ » فِي حَقِّ مِنَ الْحُقُوقِ ، وَلَمَّا يَمَسَّ مِنْ إِقْنَاعِهِ بِالْحُجَّةِ ، دَعَاهُ إِلَى  
 الْقَضَاءِ ...

فَلَمَّا صَارَا بَيْنَ يَدَيِ الْقَاضِي ، اخْتَدَّ إِيَّاسُ وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَى خَصْمِهِ ...  
 فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : اخْفِضْ صَوْتَكَ يَا غُلَامُ ...  
 فَإِنَّ خَضَمَكَ شَيْخٌ كَبِيرُ السَّنِّ وَالْقَدْرِ .  
 فَقَالَ إِيَّاسُ : وَلَكِنَّ الْحَقَّ أَكْبَرُ مِنْهُ .  
 فَغَضِبَ الْقَاضِي وَقَالَ : اسْكُتْ ...  
 فَقَالَ الْفَتَى : وَمَنْ يَطْلُقُ بِحُجَّتِي إِذَا سَكَتُ ؟ .  
 فَازْدَادَ الْقَاضِي غَضَبًا وَقَالَ :  
 مَا أَرَاكَ تَقُولُ مُنْذُ دَخَلْتَ مَجْلِسَ الْقَضَاءِ إِلَّا بِاطِلًا .  
 فَقَالَ إِيَّاسُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ...  
 أَحَقُّ هَذَا أَمْ بِاطِلٌ ؟ .

فَهَذَا الْقَاضِي وَقَالَ :

حَقٌّ ... وَرَبُّ الْكَفْبَةِ حَقٌّ ...

\* \* \*

وَأَكْبَ (١) الْفَتَى الْمَزْنِي عَلَى الْعِلْمِ، وَنَهَلَ (٢) مِنْهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَنْهَلَ  
حَتَّى بَلَغَ فِيهِ مَبْلَغًا جَعَلَ الشُّيُوحَ يَخْضَعُونَ لَهُ، وَيَأْتُمُونَ بِهِ، وَيَسْتَلْمِذُونَ عَلَى  
يَدَيْهِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ صِغَرِ سِنِهِ .

فَفِي ذَاتِ سَنَةٍ، زَارَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ «البصرة» قَبْلَ أَنْ يَلِي  
الْخِلَافَةَ، فَوَاضَى إِتَاسًا وَكَانَ يُؤَمِّدُ قَتَى يَافِعًا (٣) لَمْ يَطُرْ شَارِبُهُ (٤) بَعْدُ ...  
وَرَأَى خَلْفَهُ أَرْبَعَةً مِنَ الْقُرَاءِ مِنْ ذَوِي اللَّحَى فِي طَيَالِسِيهِمْ (٥) الْحُضِرِ،  
وَهُوَ يَتَقَدَّمُهُمْ ...

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَفْ لِأَصْحَابِ هَذِهِ اللَّحَى ...

أَمَّا فِيهِمْ شَيْخٌ يَتَقَدَّمُهُمْ ؛ فَقَدَّمُوا هَذَا الْعَلَامَ ؟ !

ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى إِتَاسٍ وَقَالَ : كَمْ سِنَّكَ يَا قَتَى ؟

فَقَالَ إِتَاسٌ : سِنِّي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ - كَسِينُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (٦) حِينَ  
وَلَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشًا فِيهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ (٧) .

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : تَقَدَّمْ يَا قَتَى ... تَقَدَّمْ ...

(١) أَكْبَ عَلَى الْعِلْمِ : حَكَمَ عَلَيْهِ وَانْقَطَعَ لَهُ .

(٢) نَهَلَ مِنْهُ : شَرِبَ مِنْهُ .

(٣) قَتَى يَافِعًا : قَتَى فِي بَوَاكِرِ السَّنَا .

(٤) لَمْ يَطُرْ شَارِبُهُ : لَمْ يَظْهَرْ شَرُّ شَارِبِهِ [ كِتَابَةُ عَنْ حَدِيثِ السَّنِ ] .

(٥) الطَيَالِسَانُ : كِسَاءُ أَحْضَرُ بَالِيَةِ الْمَشَايِخِ، وَجَمَلُهُ : طَيَالِسَةٌ .

(٦) أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ : انْظُرْهُ فِي كِتَابِ «صُورِ مِنْ حَيَاةِ الصُّحَابَةِ» لِلْمُؤَلِّفِ، النَّاشِرِ دَارَ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ، الطَّبَعَةُ الْمَشْرُوعَةُ .

(٧) كَانَتْ مِنْ أُسَامَةَ يَوْمَئِذٍ دُونَ الْعَشْرِينَ .

بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ .

\* \* \*

وَفِي ذَاتِ سَنَةِ خَرَجَ النَّاسُ يَلْتَمِسُونَ<sup>(١)</sup> هِلَالَ رَمَضَانَ ، وَعَلَى رَأْسِهِمُ  
الصُّحَايِي الْجَبِيلُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ<sup>(٢)</sup> ...

وَكَانَ يَوْمَئِذٍ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ قَارَبَ الْحَيَاةَ ...

فَنَظَرَ النَّاسُ إِلَى السَّمَاءِ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئاً .

لَكِنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ جَعَلَ يُحَدِّثُ فِي السَّمَاءِ وَيَقُولُ :

لَقَدْ رَأَيْتُ الْهِلَالَ ... هَا هُوَ ذَا ...

وَجَعَلَ يُبَشِّرُ إِلَيْهِ بِيَدِهِ ... فَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ .

عِنْدَ ذَلِكَ نَظَرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِذَا شَجَرَةٌ طَوِيلَةٌ فِي حَاجِبِهِ  
قَدْ انْتَشَتْ حَتَّى غَدَّتْ قُبَالَةَ<sup>(٣)</sup> عَيْنَيْهِ .

فَاسْتَأْذَنَهُ فِي أَدَبٍ ، وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى الشَّجَرَةِ فَمَسَحَهَا وَسَوَّاهَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

أَتَرَى الْهِلَالَ الْآنَ أَيْضاً يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ؟ .

فَجَعَلَ أَنَسُ يَنْظُرُ وَيَقُولُ :

كَلَّا مَا أَرَاهُ ، كَلَّا مَا أَرَاهُ .

\* \* \*

وَسَاعَتْ أَخْبَارُ ذِكَاةِ إِبْرَاهِيمَ وَذَاعَتْ ، وَصَارَ النَّاسُ يَأْتُونَهُ مِنْ كُلِّ

(١) يَلْتَمِسُونَ الْهِلَالَ : يَتَحَرَّوْنَ رُؤْيَاهُ .

(٢) أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ : انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ،  
الطبعة المشرقة .

(٣) قُبَالَةَ عَيْنَيْهِ : أَمَامَ عَيْنِهِ .



صَوَّبُ<sup>(١)</sup> وَيُلْقُونَ يَنْ يَدَيْهِ مَا يَغْتَرِضُهُمْ مِنْ مُشْكَلَاتٍ فِي الْعِلْمِ وَالْدِّينِ ...  
بَعْضُهُمْ يُرِيدُ الْمَعْرِفَةَ ...

وَبَعْضُهُمْ الْآخَرُ يَتَّبِعِي التَّعْجِيزَ وَالْمُمَارَاةَ<sup>(٢)</sup> بِالْبَاطِلِ ...

مِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ أَنَّ دُهَقَانَ<sup>(٣)</sup> أَتَى مَجْلِسَهُ فَقَالَ :

يَا أَبَا وَائِلَةَ ... مَا تَقُولُ فِي الْمُسْكِرِ ؟ .

قَالَ : حَرَامٌ .

قَالَ : وَمَا وَجْهُ حُرْمَتِهِ ، وَهُوَ لَا يَرِيدُ عَنْ كَوْنِهِ ثَمَرًا وَمَاءً عَلَيْنَا عَلَى النَّارِ ،  
وَكُلُّ ذَلِكَ مُبَاحٌ لَا شَيْءَ فِيهِ .

فَقَالَ : أَفَرَعْتَ مِنْ قَوْلِكَ يَا دُهَقَانُ أَمْ يَبْقَى لَدَيْكَ مَا تَقُولُهُ ؟ .

فَقَالَ : بَلَى فَرَعْتُ .

فَقَالَ : لَوْ أَخَذْتُ كَفًّا مِنْ مَاءٍ وَضَرَبْتُكَ بِهِ أَكَانَ يُوجِعُكَ ؟ .

قَالَ : لَا .

فَقَالَ : وَلَوْ أَخَذْتُ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَضَرَبْتُكَ بِهِ أَكَانَ يُوجِعُكَ ؟ .

قَالَ : لَا .

فَقَالَ : وَلَوْ أَخَذْتُ كَفًّا مِنْ تَبَنٍ فَضَرَبْتُكَ بِهِ أَكَانَ يُوجِعُكَ ؟ .

قَالَ : لَا .

فَقَالَ : فَلَوْ أَخَذْتُ التُّرَابَ ثُمَّ طَرَحْتُ عَلَيْهِ التَّبَنَ ، وَصَبَيْتُ فَوْقَهُمَا الْمَاءَ

---

(١) الصَّوَّبُ : الجهة .

(٢) المُمَارَاةُ بِالْبَاطِلِ : المَجَادَلَةُ بِالْبَاطِلِ .

(٣) الدُّهَقَانُ : كلمة فارسية معناها رئيس الإقليم وغيره .

ثُمَّ مَزَجْتُهَا مَزْجًا ، ثُمَّ جَعَلْتُ الْكُثْلَةَ فِي الشَّمْسِ ، حَتَّى يَبْسُتَ ، ثُمَّ صَرَبْتُكَ بِهَا  
أَكَانَتْ تُوجِعُكَ ؟ .

قَالَ : نَعَمْ ... وَقَدْ تَقُلْتُنِي .

فَقَالَ : هَكَذَا شَأْنُ الْحَمْرِ ، فَهُوَ جَيْنٌ مُجْمِعٌ أَجْزَاؤُهُ وَحُمْرٌ حُرْمٌ .

\* \* \*

وَلَمَّا وَلِيَ إِتَاسَ الْقِصَاءِ ظَهَرَتْ لَهُ فِيهِ مَوَاقِفٌ تُدُلُّ عَلَى فَرْطِ ذَكَائِهِ ،  
وَسَعَةِ حِيلَتِهِ ، وَقُدْرَتِهِ الْقَذِيَّةِ فِي الْكَشْفِ عَنِ الْحَقَائِقِ .

مِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلَيْنِ تَقَاضَيَا عِنْدَهُ ، فَادَّعَى أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أُوْدِعَ لَدَى صَاحِبِهِ  
مَالًا ، فَلَمَّا طَلَبَهُ مِنْهُ جَحَدَهُ (١) .

فَسَأَلَ إِتَاسَ الرَّجُلَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ عَنْ أَمْرِ الْوَدِيعَةِ ، فَأَتَتْكَرَهَا وَقَالَ :

إِنْ كَانَتْ لِصَاحِبِي بَيِّنَةٌ (٢) فَلْيَأْتِ بِهَا ...

وِلَّا قَلَيْسَ لَهُ عَلَيْهِ إِلَّا الْيَمِينُ .

فَلَمَّا خَافَ إِتَاسُ أَنْ يَأْكُلَ الرَّجُلُ الْمَالَ يَمِينِيهِ ، انْتَفَتَ إِلَى الْمُودِعِ وَقَالَ  
لَهُ : فِي أَيِّ مَكَانٍ أُوْدِعْتَهُ الْمَالَ ؟ .

قَالَ : فِي مَكَانٍ كَذَا ...

فَقَالَ : وَمَاذَا تُوجِدُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ ؟ .

فَقَالَ : شَجَرَةٌ كَبِيرَةٌ جَلَسْنَا تَحْتَهَا ، وَتَنَاوَلْنَا الطَّعَامَ مَعًا فِي ظِلِّهَا ...

وَلَمَّا هَمَمْنَا بِالْانْصِرَافِ دَفَعْتُ إِلَيْهِ الْمَالَ .

فَقَالَ لَهُ إِتَاسُ :

(٢) بَيِّنَةٌ : دَلِيلٌ وَحُجَّةٌ .

(١) جَحَدَهُ : أَنْكَرَهُ .

انْطَلَقَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ الشَّجَرَةُ؛ فَلَعَلَّكَ إِذَا أَتَيْتَهَا ذَكَرْتُكَ أَتَيْنَ  
وَضَعْتَ مَالَكَ، وَبَكَيْتَكَ إِلَى مَا قَعَلْتَهُ بِهِ ...

ثُمَّ عُدَّ إِلَيَّ لِتُخَوِّرَنِي بِمَا رَأَيْتَ .

فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَكَانِ، وَقَالَ إِيَّاسَ لِلْمُدْعَى عَلَيْهِ :

اجْلِسْ إِلَيَّ أَنْ يَجِيءَ صَاحِبُكَ ... فَجَلَسَ .

ثُمَّ التَفَتَ إِيَّاسَ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَمَاضِينَ، وَطَفِقَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ، وَهُوَ  
يَرُوقِبُ الرَّجُلَ بِطَرَفِ خَفِيٍّ ...

حَتَّى إِذَا رَأَاهُ قَدْ سَكَنَ وَاطْمَأَنَّ، التَفَتَ إِلَيْهِ وَبَادَرَهُ<sup>(١)</sup> قَائِلًا :

أَتَقْدِرُ أَنْ صَاحِبُكَ قَدْ بَلَغَ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَوْدَعَكَ فِيهِ الْمَالُ ؟ .

فَقَالَ الرَّجُلُ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ<sup>(٢)</sup> : كَلَّا ...

إِنَّهُ بَعِيدٌ مِنْ هُنَا .

فَقَالَ لَهُ إِيَّاسُ :

يَا عَدُوَّ اللَّهِ تَجْعُدُ الْمَالَ، وَتَعْرِفُ الْمَكَانَ الَّذِي أَخَذْتَهُ فِيهِ !؟ ...

وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَائِرٌ .

فَبُهِتَ<sup>(٣)</sup> الرَّجُلُ، وَأَقْرَبَ بِحَيَاتِيهِ ... فَحَبَسَهُ حَتَّى جَاءَ صَاحِبُهُ، وَأَمَرَهُ بِرَدِّ  
وَدِيْعَتِهِ إِلَيْهِ .

\* \* \*

(١) بادره : عاجله وفاجاه .

(٢) من غير روية : من غير تفكير .

(٣) بُهِتَ : ذهش وسكت متحيراً .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً مَا رُويَ مِنْ أَنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَيْهِ فِي قَطِيفَتَيْنِ (١) مِمَّا يُوضَعُ عَلَى الرَّأْسِ وَيُسَدَّلُ عَلَى الْكَتِفَيْنِ ...

إِحْدَاهُمَا خَضِرَاءُ جَدِيدَةٌ ثَمِينَةٌ ، وَالْأُخْرَى حُمْرَاءُ بَالِيَةٌ .

فَقَالَ الْمُدْعِي : نَزَلْتُ إِلَى الْحَوْضِ لِأَعْتَسِلَ ، وَوَضَعْتُ قَطِيفَتِي الْخَضِرَاءَ مَعَ ثِيَابِي عَلَى حَافَةِ الْحَوْضِ ، وَجَاءَ خَضَمِي فَوَضَعَ قَطِيفَتَهُ الْحُمْرَاءَ إِلَى جَانِبِ قَطِيفَتِي ، وَنَزَلَ إِلَى الْحَوْضِ ، وَخَرَجَ قَبْلِي ... فَلَيْسَ ثِيَابُهُ وَأَخَذَ قَطِيفَتِي ، فَأَلْقَاهَا عَلَى رَأْسِهِ وَكَتِفَيْهِ وَمَضَى بِهَا .

فَخَرَجْتُ عَلَى إِثَرِهِ وَتَبِعْتُهُ ، وَطَالَبْتُهُ بِقَطِيفَتِي ، فَرَزَعَمَ أَنَّهَا لَهُ ...

فَقَالَ إِيَّاسُ لِلرَّجُلِ الْمُدْعَى عَلَيْهِ :

وَمَا تَقُولُ أَنْتَ ۑ .

فَقَالَ : هِيَ قَطِيفَتِي وَفِي يَدِي .

فَقَالَ إِيَّاسُ لِلرَّجُلِ الْمُدْعِي : أَلَمْ يَبَيِّنْهُ ۑ .

فَقَالَ : كَلَّا .

فَقَالَ لِحَاجِبِهِ (٢) : أَخْضِرْ لِي مِشْطاً ، فَأَخْضِرْ لَهُ ...

فَمَشَطَ شَعْرَ رَأْسِ الرَّجُلَيْنِ ، فَخَرَجَ مِنْ رَأْسِ أَحَدِهِمَا زَعْبٌ (٣) أَحْمَرٌ مِنْ

ثَنَائِرِ (٤) صُوفِ الْقَطِيفَةِ ، وَخَرَجَ مِنْ رَأْسِ الْآخَرِ زَعْبٌ أَخْضَرٌ ... فَقَضَى

(١) القطيفة : قطعة من الخمطل يلقبها المرء على تقيده .

(٢) الحاجب : البواب الذي يقف بأبواب الخلفاء والوزراء ونحوهم .

(٣) الزغب : صغار الریش والشعر .

(٤) الثنار : ما يتناثر من الشيء إذا تفرقه .

بِالْقَطِيقَةِ الْحُمْرَاءِ لِصَاحِبِ الرُّغَبِ الْأَحْمَرِ، وَبِالْقَطِيقَةِ الْخَضْرَاءِ لِصَاحِبِ  
الرُّغَبِ الْأَخْضَرِ.

\* \* \*

وَمِنْ أَخْبَارِ فِطْنَتِهِ وَذَكَائِهِ أَيْضاً أَنَّهُ كَانَ فِي « الْكُوفَةِ » رَجُلٌ يُظَاهِرُ لِلنَّاسِ  
الصَّلَاحَ ، وَيُتَيْدِي لَهُمُ الْوَرَعَ وَالتَّقَى ... حَتَّى كَثُرَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ ، وَاتَّخَذَهُ بَعْضُ  
النَّاسِ أَمِيناً لَهُمْ بِأَتَمِّئُونَهُ عَلَى مَالِهِمْ إِذَا سَافَرُوا ...

وَيَجْعَلُونَهُ وَصِيّاً عَلَى أَوْلَادِهِمْ إِذَا أَحْسَوْا بِدُنُوِّ الْأَجَلِ .  
فَاتَّاهَ رَجُلٌ وَاسْتَوْدَعَهُ مَالاً ، وَلَمَّا اخْتِاجَ الرَّجُلُ إِلَى مَالِهِ طَلَبَهُ مِنْهُ فَأَنْكَرَهُ .  
فَمَضَى إِلَى إِيَّاسٍ وَشَكَا لَهُ الرَّجُلُ ، فَقَالَ لِلْمُسْتَشْكِي :  
أَعَلِمَ صَاحِبُكَ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَأْتِيَنِي ؟

قَالَ : تَمَلَّ .

فَقَالَ لَهُ : انصَرِفْ وَعُدْ إِلَيَّ غَداً ...  
ثُمَّ أَرْسَلَ إِيَّاسٌ إِلَى الرَّجُلِ الْمُؤْتَمِنِ ، وَقَالَ لَهُ :  
لَقَدْ اجْتَمَعَ لَدَيَّ مَالٌ كَثِيرٌ لِإِيْتَامِ لَا كَافِلَ لَهُمْ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ أَوْدِعَهُ  
لَدَيْكَ ، وَأَنْ أَجْعَلَكَ وَصِيّاً عَلَيْهِمْ ، فَهَلْ مَثَرُكَ حَصِينٌ وَزَوْفُكَ مُشِيعٌ ؟

فَقَالَ : نَعَمْ أَهْمَا الْقَاضِي .

فَقَالَ : تَعَالَ إِلَيَّ بَعْدَ غَدٍ ، وَأَعِدْ مَوْضِعاً لِلْمَالِ ...

وَأَخْضِرْ مَعَكَ حِمَالَيْنِ يَحْمِلُونَهُ ...

وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِي جَاءَ الرَّجُلُ الْمُشْتَكِي ؛ فَقَالَ لَهُ إِيَّاسٌ :  
انطَلِقْ إِلَى صَاحِبِكَ وَاطْلُبْ مِنْهُ الْمَالَ ، فَإِنْ أَنْكَرَهُ فَقُلْ لَهُ :

أَشْكُوكَ إِلَى الْقَاضِي .

فَأَتَاهُ الرَّجُلُ فَطَلَبَ مِنْهُ مَالَهُ ، فَأَمْتَنَعَ عَنْ إِعْطَائِهِ لَهُ وَجَحَدَهُ .

فَقَالَ لَهُ : إِذْنُ أَشْكُوكَ إِلَى الْقَاضِي .

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ دَفَعَ إِلَيْهِ الْمَالَ ، وَطَلِبَ خَاطِرَهُ .

فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى إِيَّاسٍ وَقَالَ :

لَقَدْ أَعْطَانِي صَاحِبِي حَقِّي وَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا .

ثُمَّ جَاءَ الرَّجُلُ الْمُؤْتَمَنُ إِلَى إِيَّاسٍ فِي مَوْعِدِهِ وَمَعَهُ الْحُمَالُونَ ، فَرَجَرَهُ وَأَشْهَرَهُ<sup>(١)</sup> وَقَالَ لَهُ :

يَفْسَ الرَّجُلُ أَنْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، لَقَدْ جَعَلْتَ الدِّينَ مَضِيْدَةً لِلدُّنْيَا ...

\* \* \*

لَكِنْ إِيَّاسًا عَلَى شِدَّةِ ذِكَايِهِ ، وَقُوَّةِ عَارِضَتِهِ<sup>(٢)</sup> وَسُرْعَةِ بَدِيهِتِهِ ... رُبَّمَا صَادَفَ مَنْ يُقَارِعُهُ الْحُجَّةَ بِالْحُجَّةِ ، وَيَقْطَعُ عَلَيْهِ شُبُلَ الْكَلَامِ وَيُفْجِئُهُ<sup>(٣)</sup> ...

حَدَّثَ عَنْ نَفْسِهِ قَالَ :

مَا غَلَبَنِي أَحَدٌ قَطُّ سِوَى رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ « بِالْبَصْرَةِ » فَدَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ ، فَشَهِدَ عِنْدِي أَنَّ الْبُشْتَانَ الْفُلَانِي هُوَ مِلْكُ فُلَانٍ ، وَحَدَّدَهُ لِي ...

فَأَرَدْتُ أَنْ أَمْتَجَنَ شَهَادَتَهُ .

فَقُلْتُ لَهُ : وَكَمْ عَدَدُ شَجَرِ الْبُشْتَانِ ؟

فَأَطْرَقَ قَلِيلًا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ :

(١) أَشْهَرَهُ : فَضَحَهُ . (٢) قُوَّةُ عَارِضَتِهِ : قُوَّةُ تَفْكِيرِهِ . (٣) يُفْجِئُهُ : يَسْكِتُهُ بِالْحُجَّةِ .

مُنْذُ كَمْ تَحْكُمُ سَيِّدُنَا الْقَاضِي فِي هَذَا الْمَجْلِسِ ؟  
فَقُلْتُ : مُنْذُ كَذَا سَنَةٍ .

فَقَالَ : كَمْ عَدَدُ خَشَبِ سَقْفِ هَذَا الْمَجْلِسِ ؟  
فَلَمْ أَعْرِفْ ، وَقُلْتُ : الْحَقُّ مَعَكَ ...  
ثُمَّ أَجَزْتُ شَهَادَتَهُ ...

\* \* \*

وَلَمَّا بَلَغَ إِيَّاسُ بَنُ مُعَاوِيَةَ السَّادِسَةَ وَالسَّبْعِينَ مِنْ عُمرِهِ ، رَأَى نَفْسَهُ وَأَبَاهُ  
فِي الْمَتَامِ زَاكِيَيْنِ عَلَى فَرَسَيْنِ ، فَعَجَزَا مَعًا ... فَلَمْ يَسْبِقْ أَبَاهُ وَلَمْ يَسْبِقْهُ أَبُوهُ ،  
وَكَانَ وَالِدُهُ قَدْ مَاتَ عَنْ سِتٍّ وَسَبْعِينَ سَنَةً .

وَفِي ذَاتِ لَيْلَةٍ أَوَى إِيَّاسٌ إِلَى فُرَاشِهِ وَقَالَ لِأَهْلِهِ :  
اتَّذَرُونِ أَيَّ لَيْلَةٍ هَذِهِ ؟  
قَالُوا : كَلَّا .

قَالَ : فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ اسْتَكْمَلَ أَبِي عُمرَهُ .  
فَلَمَّا أَصْبَحُوا ، وَجَدُوهُ مَيِّتًا .

\* \* \*

رَجِمَ اللَّهُ إِيَّاسًا الْقَاضِي ، فَقَدْ كَانَ نَادِرَةً مِنْ نَوَادِرِ الزَّمَانِ ، وَأَعْجُوبَةً مِنْ  
أَعَاجِبِ الدُّهْرِ فِي الْفِطْنَةِ وَالذِّكَاةِ ، وَابْتَحِثَ عَنِ الْحَقِّ وَالْوُصُولِ إِلَيْهِ (\*) .

(\*) للاستزادة من أخبار إِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْخَزَنِي انظر :

- ١ - وفیات الأعيان لابن خلكان : ٢٤٧/١ وما بعدها .
- ٢ - البيان والنبين للجاحظ : ٥٦/١ ( انظر الفهارس ) .
- ٣ - شرح المقامات للشريشي : ١١٣/١ - ١١٥ .
- ٤ - المعقد الفريد لابن عبد ربه : ( انظر الفهارس ) .
- ٥ - حلية الأولياء : ١٢٣/٣ وما بعدها .
- ٦ - أخبار القضاة لوكيع : ٣١٢ - ٣٧٤ .
- ٧ - ثمار القلوب للتعاليبي : ٩٢ - ٩٤ .
- ٨ - تهذيب التهذيب : ٣٩٠/١ .

# عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَبْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ

«أَنَا عَلِمْتُ أَنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ نَجِيًّا ... وَأَنْ نَجِيبَ بَنِي أُمَيَّةَ  
عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَأَنَّهُ يُعِثُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَاحِدَةً»

[مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ]

مَا كَادَ النَّابِغِيُّ الْجَلِيلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يُنْقَضُ يَدَيْهِ مِنْ  
تُرَابِ قَبْرِ سَلَفِهِ<sup>(١)</sup> سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، حَتَّى سَمِعَ لِلْأَرْضِ - مِنْ حَوْلِهِ -  
رَجَّةً.

فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟ ١٩.

فَقَالُوا: هَذِهِ مَرَائِبُ الْخِلَافَةِ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - قَدْ أُعِدَّتْ لَكَ  
لِتَرْكَبَهَا ... فَتَنْظُرَ إِلَيْهَا عُمَرُ بِطَرَفٍ عَيْنِهِ، وَقَالَ بِصَوْتِهِ الْمُتَهَدِّجِ<sup>(٢)</sup> الَّذِي  
نَهَكَهُ<sup>(٣)</sup> الثَّغْبُ، وَأَذْبَلَهُ الشَّهْرُ: مَا لِي وَلَهَا ١٩ ...  
نَحْوَهَا عَنِّي بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ...

وَقَرَّبُوا لِي بَعْثَتِي؛ فَإِنْ لِي فِيهَا بَلَاغٌ<sup>(٤)</sup>.

ثُمَّ إِنَّهُ مَا كَادَ يَسْتَوِي عَلَى ظَهْرِ الْبَعْلَةِ حَتَّى جَاءَ صَاحِبُ الشَّرْطِ<sup>(٥)</sup>؛  
لِيُشْفِي بَيْنَ يَدَيْهِ ... وَمَعَهُ ثَلَاثَةٌ<sup>(٦)</sup> مِنْ رِجَالِهِ اضْطَفُوا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ.  
وَفِي أَيْدِيهِمْ حِزَابُهُمُ اللَّامِعَةُ.

(١) سَلَفُهُ: الْخَلِيفَةُ الَّذِي قَبْلَهُ.

(٢) الْمُتَهَدِّجُ: الْمُرْتَوِّشُ الْمُنْفَعُ.

(٣) نَهَكَهُ: أَضْعَاهُ.

(٤) بَلَاغًا: كَفَايَةً.

(٥) صَاحِبُ الشَّرْطِ: رَئِيسُ الشَّرْطِ وَمُدِيرُهُم.

(٦) ثَلَاثَةٌ: جَمَاعَةٌ.



فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ : مَا لِي بِكَ وَبِهِمْ حَاجَةٌ ...  
فَمَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ...  
أَعْدُو كَمَا يَغْدُونَ ، وَأَرْوَحُ كَمَا يَرْوَحُونَ .  
ثُمَّ سَارَ وَسَارَ النَّاسُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، وَتَوَدَّى فِي النَّاسِ :  
الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ... الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ...  
فَتَسَاءَلَ النَّاسُ عَلَى الْمَسْجِدِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ .  
فَلَمَّا اكْتَمَلَتْ جُمُوعُهُمْ ، قَامَ فِيهِمْ خَطِيباً .  
فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ، ثُمَّ قَالَ :  
أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ ابْتَلَيْتُ بِهِذَا الْأَمْرَ <sup>(١)</sup> عَلَى غَيْرِ رَأْيٍ <sup>(٢)</sup> يَمُنِّي فِيهِ ...  
وَلَا طَلَبَ لَهُ ...  
وَلَا مَشُورَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ <sup>(٣)</sup> ...  
وَإِنِّي خَلَعْتُ مَا فِي أَعْنَاقِكُمْ مِنْ يَتَعَتِي <sup>(٤)</sup> ...  
فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ خَلِيفَةً تَرْضَوْنَهُ ...  
فَقَصَّاحَ النَّاسُ صَوِيحَةً وَاحِدَةً :  
قَدْ اخْتَرْنَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَضِينَا بِكَ ...  
قُلِ <sup>(٥)</sup> أَمَرْنَا بِالْيَمِينِ وَالْبِرَكَةِ .

(١) بهذا الأمر : أي بالخلافة .

(٢) عَلَى غَيْرِ رَأْيٍ مَنِي : إشارة إلى أنه لم يكن طالباً للخلافة ، أو عارفاً بأن سلفه عهد بها إليه .

(٣) ولا مشورة المسلمين : إشارة إلى أن سلفه أخذ البيعة له دون أن يُسميه ... انظر خبر البيعة لعمر بن عبد العزيز

في رجاء بن حوة ص ١٥٥ .

(٤) وإني خلعت ما في أعناقكم من يتي : جعلتكم في حلٍّ منها . (٥) قُلِ أَمَرْنَا : قَوْلُ أَمَرْنَا .

فَلَمَّا رَأَى أَنَّ الْأَصْوَاتَ قَدْ هَدَأَتْ ، وَالْقُلُوبَ قَدْ اطمَأْنَتْ ، حَمِدَ اللَّهَ  
كَرَّةً<sup>(١)</sup> أُخْرَى وَأَتْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى وَسَلَّم عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ .

وَطَفِقَ يَحُضُّ النَّاسَ عَلَى التَّقْوَى ...

وَيُرْغِئُهُمْ فِي الدُّنْيَا ...

وَيُرْغِئُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ...

وَيَذْكُرُهُمْ بِالْعَوْتِ بِلَهْجَةٍ تَسْتَلِيهِ الْقُلُوبُ الْقَاسِيَّةُ ، وَتَسْتَدِيرُ الدُّمُوعُ  
الْعَاصِيَّةُ ، وَتَخْرُجُ مِنْ فُؤَادِ صَاحِبِهَا فَتَسْتَقِرُّ فِي أَفِيدَةِ السَّامِعِينَ .

ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ الْمُتَعَبَ حَتَّى أَسْمَعَ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَقَالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَجَبَتْ طَاعَتُهُ ...

وَمَنْ عَصَى اللَّهَ فَلَا طَاعَةَ لَهُ عَلَى أَحَدٍ ...

أَيُّهَا النَّاسُ ، أَطِيعُونِي مَا أَعْطَى اللَّهُ فِيكُمْ ...

فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ .

ثُمَّ نَزَلَ عَنِ الْمِثْبَرِ ، وَاتَّجَعَ إِلَى بَيْتِهِ ، وَأَوَى إِلَى حُجْرَتِهِ .

فَقَدْ كَانَ يَتَّبِعِي أَنْ يُصِيبَ سَاعَةً مِنَ الرَّاحَةِ ؛ بَعْدَ ذَلِكَ الْجُهْدِ الْجَاهِدِ<sup>(٢)</sup>  
الَّذِي كَانَ فِيهِ مُنْذُ وَفَاةِ الْخَلِيفَةِ .

\* \* \*

لِكِنْ عَمَزَ بَنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا كَادَ يُسْلِمُ جَنْبَهُ إِلَى مَضْجَعِهِ ، حَتَّى أَقْبَلَ عَلَيْهِ  
ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ - وَكَانَ يُؤَمِّدُ يَتَّحِجُهُ نَحْوَ السَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمرِهِ - وَقَالَ :

مَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَضَنَّعَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !!؟ .

(١) كَرَّةٌ أُخْرَى: مَرَّةٌ ثَانِيَةٌ .

(٢) الْجُهْدُ الْجَاهِدُ: الْكَفَاةُ الشَّدِيدُ .

فَقَالَ : أَيُّ بُنْيَ (١) ، أَرِيدُ أَنْ أَعْفُو (٢) قَلِيلًا ؛ فَلَمْ تَبْقَ فِي جَسَدِي طَاقَةٌ (٣) .  
 فَقَالَ : اتَّعَفُوا قَبْلَ أَنْ تَزُودَ الْمَظَالِمَ (٤) إِلَى أَهْلِهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ١١٩ .  
 فَقَالَ : أَيُّ بُنْيَ ، إِنِّي قَدْ سَهَوْتُ الْبَارِحَةَ (٥) فِي عَمَلِكَ سُلَيْمَانَ ...  
 وَإِنِّي إِذَا حَانَ الظُّهْرُ صَلَّيْتُ فِي النَّاسِ ، وَرَزَذْتُ الْمَظَالِمَ إِلَى أَهْلِهَا إِنْ شَاءَ  
 اللَّهُ .

فَقَالَ : وَمَنْ لَكَ (٦) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ تَعِيشَ إِلَى الظُّهْرِ ١٢٠ .  
 فَأَلْهَبْتَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ عَزِيمَةً عُمَرَ ...  
 وَأَطَارَبَ التَّوَمَ مِنْ عَيْنَيْهِ ...

وَبَعَثَ الْقُوَّةَ وَالْعَزَمَ فِي جَسَدِهِ الْمُثْعَبِ ، وَقَالَ :  
 أَذُنُ مَيِّ أَيُّ بُنْيَ .  
 قَدْ نَا مِنْهُ ، فَضَمُّهُ إِلَيْهِ وَقَبْلَ مَا يَبِينُ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ :  
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَ مِنْ صُلَيْبِي (٧) مَنْ يُعِيشُنِي عَلَى دِينِي .  
 ثُمَّ قَامَ ، وَأَمَرَ أَنْ يُتَادَى فِي النَّاسِ :  
 أَلَا مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ (٨) فَلْيَرْفَعْهَا ...

\* \* \*

فَمَنْ عَبْدُ الْمَلِكِ هَذَا ١٢١ .

---

(١) أَيُّ بُنْيَ : يَا بُنْيَ .  
 (٢) أَعْفُو : أَنْام نَوْمَةً خفيفة .  
 (٣) طَاقَةٌ : قُوَّةُ  
 (٤) الْمَظَالِمَ : جَمْعُ مَظْلَمَةٍ ، وَهِيَ مَا أُجِبَتْ مِنْ مَالِ النَّاسِ غُلْمًا .  
 (٥) الْبَارِحَةَ : اللَّيْلَةَ السَّابِقَةَ .  
 (٦) وَمَنْ لَكَ : وَمَنْ يَهْتَمُّ لَكَ .  
 (٧) مِنْ صُلَيْبِي : مِنْ نَسْلِي .  
 (٨) الْمَظْلَمَةُ : مَا أُجِبَتْ ظُلْمًا .

مَا خَبِرَ هَذَا الْفَتَى الَّذِي قَالَ عَنْهُ النَّاسُ :

إِنَّهُ هُوَ الَّذِي أَذْخَلَ أَبَاهُ فِي الْعِبَادَةِ ...

وَسَلَكَهُ مَسَلَكَ الزُّهَادَةِ ...

تَعَالَوْا نُلِمَّ بِقِصَّةِ هَذَا الْفَتَى الصَّالِحِ مِنْ أَوْلِيهَا ...

\* \* \*

كَانَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ خَمْسَةُ عَشَرَ وَلَدًا فِيهِمْ ثَلَاثُ بَنَاتٍ ...

وَكَانُوا جَمِيعًا عَلَى حَظٍّ مَوْفُورٍ مِنَ التَّقَى ، وَمَقَامٍ كَبِيرٍ مِنَ الصَّلَاحِ ...

لِكِبْرِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ وَاسِطَةً عَقْدٍ<sup>(١)</sup> لِإِخْوَتِهِ ، وَكَوْثَبُهُمُ الْمُتَأَلَّقَى ...

لَقَدْ كَانَ أَدِيبًا أَرِيئًا<sup>(٢)</sup> ... لَهُ سِرٌّ الْفُتَيَانِ ، وَعَقْلُ الْكُهُولِ .

ثُمَّ إِنَّهُ تَشَأَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ جَلٍّ وَعَزٍّ مُنْذُ نُعُومَةِ أَطْفَالِهِ ؛ فَكَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ

سَمْعًا<sup>(٣)</sup> إِلَى آلِ الْحَطَّابِ عَامَّةً ، وَأَشْبَهَهُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ خَاصَّةً فِي تَقْوَاهُ

لِلَّهِ ، وَتَخَوُّفِهِ مِنْ مَعَاصِيهِ ، وَتَقَرُّبِهِ إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ .

\* \* \*

حَدَّثَ ابْنُ عُمَرَ عَاصِمٌ<sup>(٤)</sup> قَالَ :

وَقَدْتُ عَلَى « دِمَشْقَ » ، فَتَزَلْتُ عَلَى ابْنِ عَمِّي عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ عَزَبٌ<sup>(٥)</sup>

فَصَلَّيْنَا الْعِشَاءَ ، وَأَوَى كُلُّ مَنَا إِلَى فِرَاشِهِ .

فَقَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْحِضْبَانِ فَأَطْفَأَهُ .

وَأَسْلَمَ كُلُّ مَنَا جَفْنَيْهِ إِلَى الْكَرَى<sup>(٦)</sup> ...

(١) الوَقْدُ : الْقِيَادَةُ . (٢) أَرِيئًا : غَيْرُ مَتَرُوجٍ .  
(٣) سَمْعًا : مَاهِرًا قَلْبَانًا . (٤) عَاصِمٌ : هُوَ عَاصِمُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ وَهُوَ ابْنُ أُمِّهِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ .  
(٥) عَزَبٌ : الْكَرَى : التَّعَاسُ . (٦) جَفْنَيْهِ : قُبَّةٌ .

ثُمَّ إِنِّي اسْتَيْقَظْتُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَإِذَا عَبْدُ الْمَلِكِ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْعَتَمَةِ  
وَهُوَ يَقْرَأُ قَوْلَهُ جَلَّ وَعَزَّ :

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ \* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ \* مَا أَغْنَىٰ  
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتِّتُونَ ﴾ <sup>(١)</sup>.

فَمَا زَاعَنِي مِنْهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُرَدُّ الْآيَةُ وَيُنشِجُ <sup>(٢)</sup> نَشِيجًا مَكْبُوتًا ؛ يُقَطِّعُ  
نِيبَاطَ الْقُلُوبِ <sup>(٣)</sup> ...

وَكَانَ كُلَّمَا فَرَّغَ مِنَ الْآيَةِ عَادَ إِلَيْهَا ، حَتَّى قُلْتُ : سَيَقْتُلُهُ الْبُكَاءُ .

فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْتُ :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

كَمَا يَفْعَلُ الْمُسْتَيْقِظُ مِنَ النَّوْمِ ؛ لِأَقْطَعَ عَلَيْهِ الْبُكَاءَ .

فَلَمَّا سَمِعَنِي سَكَتَ ، فَلَمْ أَسْمَعْ لَهُ جَسًا ...

\* \* \*

وَقَدْ تَلَمَّذَ الْفَتَى الْعُمَرِيُّ عَلَى أَكَابِرِ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ حَتَّى تَمَلَّى <sup>(٤)</sup> مِنْ  
كِتَابِ اللَّهِ ...

وَتَضَلَّعَ <sup>(٥)</sup> بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ...

وَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ ...

فَقَدَا عَلَى حَدَاثَةِ سِنِهِ ؛ يُزَاحِمُ الطَّبِيقَةَ الْأُولَى مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الشَّامِ فِي زَمَانِهِ .

(١) سورة الشعراء : من الآية ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٢) ينشج : ينفش بالبكاء من غير انتحاب .

(٣) نيباط القلوب : المروق التي تتصلق بها القلوب .

(٤) تملَّى من يكتاب الله : استمتع بالقرآن الكريم .

(٥) تضلّع : امتلا شبعاً ورها ، وتضلّع من العلوم : نال منها حظاً وافراً .

فَقَدْ رُويَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَمَعَ قُرَاءَ الشَّامِ وَفُقَهَاءَهَا وَقَالَ :  
إِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ لِأَمْرِ هَذِهِ الْمَظَالِمِ الَّتِي فِي أَيْدِي أَهْلِ بَيْتِي ؛ فَمَا تَرَوْنَ  
فِيهَا ؟ .

فَقَالُوا :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ كَانَ فِي غَيْرِ وَلَا يَتِكَ ...

وَأَنَّ وِزْرَ<sup>(١)</sup> هَذِهِ الْمَظَالِمِ عَلَى مَنْ غَضَبَهَا .

فَلَمْ يَزِدْ إِلَى مَا قَالُوهُ ؟ ...

فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ مِمَّنْ كَانَ يَرَى غَيْرَ رَأْيِهِمْ ، وَقَالَ :

ابْعَثْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِدُونِ مَنْ دَعَوْتَ عِلْمًا ،  
أَوْ فِقْهًا ، أَوْ عَقْلًا .

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ قَالَ لَهُ عُمَرُ :

مَا تَرَى فِي هَذِهِ الْأَمْوَالِ الَّتِي أَخَذَهَا بَنُو عَمَّنَا مِنَ النَّاسِ ظُلْمًا ؟ ...

وَقَدْ حَضَرَ أَصْحَابُهَا وَجَعَلُوا يَطْلُبُونَهَا ، وَقَدْ عَرَفْنَا حَقَّهُمْ فِيهَا ؟ ! .

فَقَالَ : أَرَأَيْتَ أَنْ تَرُدَّهَا إِلَى أَصْحَابِهَا مَا دُمْتَ قَدْ عَرَفْتَ أَمْرَهَا ...

وَأَنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ؛ كُنْتَ شَرِيكًا لِلَّذِينَ أَخَذُوهَا ظُلْمًا .

فَانْبَسَطَتْ<sup>(٢)</sup> أَسَارِيرُ عُمَرَ ، وَارْتَاخَتْ نَفْسُهُ ، وَزَالَ عَنْهُ مَا أَهْمُهُ .

\* \* \*

(١) وِزْرُهَا : إِسْمُهَا .

(٢) انْبَسَطَتْ : انْفَرَجَتْ .

وَلَقَدْ أَثَرُ الْفَتَى الْعُمَرِي الْمُرَاتِطَةَ عَلَى الثُّغُورِ<sup>(١)</sup> وَالْإِقَامَةَ فِي إِحْدَى الْمُدُنِ  
الْقَرِيْبَةِ مِنْهَا عَلَى الْبَقَاءِ فِي بِلَادِ الشَّامِ .

فَمَضَى إِلَيْهَا ... وَخَلَفَ وَرَاءَهُ « دِمَشْق » ذَاتَ الرِّيَاضِ النَّصْرِ، وَالظُّلَالِ  
الظُّلَيْلَةِ، وَالْأَنْهَارِ السَّجْعَةِ .

وَكَانَ أَبُوهُ - عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ مَا عَرَفَهُ مِنْ صَلَاحِهِ وَتَقَاهُ - شَدِيدَ  
الْخَوْفِ عَلَيْهِ مِنْ نَزَغَاتِ<sup>(٢)</sup> الشَّيْطَانِ، كَثِيرَ الْإِشْقَاقِ عَلَيْهِ مِنْ نَزَوَاتِ<sup>(٣)</sup>  
الشَّبَابِ، حَرِيصاً عَلَى أَنْ يَغْلَمَ مِنْ أَمْرِهِ كُلِّ مَا يَحْجُوزُ لَهُ أَنْ يَغْلَمَ ...  
وَكَانَ لَا يَفْعَلُ عَنْ ذَلِكَ أَبَداً، وَلَا يُهْمِلُهُ .

\* \* \*

حَدَّثَ مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانَ وَزِيرُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَقَاضِيهِ وَمُسْتَشَارُهُ،  
قَالَ :

دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَوَجَدْتُهُ يَكْتُبُ رِسَالَةً إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ  
الْمَلِكِ يَعْطِلُ فِيهَا وَيَنْصَحُهُ، وَيُبَصِّرُهُ وَيُحَذِّرُهُ، وَيُنْذِرُهُ وَيُبَشِّرُهُ ...  
وَكَانَ مِمَّا جَاءَ فِيهَا قَوْلُهُ :

أَمَّا بَعْدُ ... فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ وَعَى عَنِّي وَفَهِمَ قَوْلِي لَأَنْتَ .

وَإِنَّ اللَّهَ - وَلَهُ الْحَمْدُ - قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا فِي صَغِيرِ الْأَمْرِ وَكَبِيرِهِ .

فَاذْكُرْ يَا بَنِي فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَيْكَ .

وَالِإِيَّاكَ وَالْكِبَرَ<sup>(٤)</sup> وَالْعِظَمَةَ ؛ فَإِنَّهَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ .

(١) الثُّغُورُ : مَجْمَعُ ثُغَرٍ، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يَهْجُمُ مِنْهُ الْأَعْدَاءُ .

(٢) نَزَغَاتُ الشَّيْطَانِ : وَسْوَاسُهُ وَمَا يَحْمِلُ بِهِ الْإِنْسَانُ عَلَى الْمَعَاصِي .

(٣) نَزَوَاتُ الشَّبَابِ : وَثَبَاتُ الشَّبَابِ . (٤) الْكِبَرُ : الْكِبَرُ .

وَهُوَ لِلْمُؤْمِنِينَ عَدُوٌّ مُبِينٌ ...

وَاعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَهْبُتْ إِلَيْكَ بِكِتَابِي هَذَا لِأَمْرِ بَلَغَنِي عَنْكَ ؛ فَمَا عَرَفْتُ مِنْ أَمْرِكَ إِلَّا خَيْرًا ...

غَيْرَ أَنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ شَيْءٌ مِنْ إِعْجَابِكَ يَنْفُسِكَ ...

وَلَوْ أَنَّ هَذَا الْإِعْجَابَ خَرَجَ بِكَ إِلَيَّ مَا أَكْرَهُ ، لَرَأَيْتُ مِنِّي مَا تَكْرَهُ .  
قَالَ مَيْمُونُ :

ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ عُمَرُ وَقَالَ :

يَا مَيْمُونُ ، إِنَّ انْتِهِى عَبْدَ الْمَلِكِ قَدْ زُيِّنَ فِي عَيْنِي ، وَإِنِّي أَنْتَهُمُ نَفْسِي فِي ذَلِكَ ، وَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ حُبِّي لَهُ قَدْ غَلَبَ عَلَى عِلْمِي بِهِ ... وَأَذْرَكُنِي مَا يُدْرِكُ الْآبَاءَ مِنَ الْعَمَلِ عَنْ غُيُوبِ أَوْلَادِهِمْ ...

فَسِرَ إِلَيْهِ ، وَاسْتَبْرَ عَوْرَهُ<sup>(١)</sup> ، وَانْظُرْ هَلْ تَرَى فِيهِ مَا يُشْبِهُ الْكِبَرِ وَالْفَخْرَ ...  
فَإِنَّهُ غُلَامٌ حَدَثٌ ، وَلَا أَمْنُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ .

قَالَ مَيْمُونُ :

فَشَدَّدْتُ الرِّحَالَ<sup>(٢)</sup> إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ ، فَاسْتَأْذَنْتُ  
وَدَخَلْتُ ، فَإِذَا غُلَامٌ فِي مُقْتَبِلِ الْعُمْرِ ... رِيَّانُ الشَّبَابِ ، بَهِيَّةُ الطَّلَعِ ، جَمٌّ<sup>(٣)</sup>  
التَّوَاضِعِ ، قَدْ جَلَسَ عَلَى حَشِيَّةِ<sup>(٤)</sup> بَيْضَاءَ فَوْقَ بَسَاطِ مِنْ شَعْرِ .  
فَرَحَّبَ بِي ، ثُمَّ قَالَ :

(١) اسْتَبْرَ عَوْرَهُ : انْصَبَر حَقِيقَتُهُ وَانْقَلَبَ إِلَى خَفَائِهِ .

(٢) شَدَّدْتُ الرِّحَالَ : سَافَرْتُ .

(٣) جَمٌّ التَّوَاضِعِ : شَدِيدُ التَّوَاضِعِ .

(٤) الْحَشِيَّةُ : الْفِرَاشُ الْمَعْدُو .



لَقَدْ سَمِعْتُ أَبِي يَذْكُرُكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَنْفَعَ  
اللَّهُ بِكَ .

فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ تَجِدُ نَفْسَكَ ؟ .

فَقَالَ : بِخَيْرٍ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَنِعْمَةٍ ...

غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ قَدْ غَرَّنِي حُسْنُ ظَنِّي وَإِلْدِي بِي ، وَأَنَا لَمْ أَتْلُغْ مِنَ  
الْفَضْلِ كُلِّ مَا يَظُنُّ ...

وَإِنِّي لَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ حُبُّهُ لِي قَدْ غَلَبَهُ عَلَى مَعْرِفَتِي بِي ...  
فَأَكُونُ آفَةً عَلَيْهِ .

فَعَجِبْتُ مِنْ اتِّفَاقِهِمَا ... ثُمَّ قُلْتُ لَهُ :

أَعْلِمْنِي مِنْ أَتَيْنَ مَعِيشَتَكَ ؟ .

فَقَالَ : مِنْ غَلَّةِ أَرْضٍ اشْتَرَيْتُهَا مِنْ وَرَثَتِهَا عَنْ أَبِيهِ ، وَدَفَعْتُ ثَمَنَهَا مِنْ مَالِ  
لَا شُبْهَةَ<sup>(١)</sup> فِيهِ ، فَاسْتَعْتَيْتُ بِذَلِكَ عَنْ فَيٍّ<sup>(٢)</sup> الْمُسْلِمِينَ .

قُلْتُ : فَمَا طَعَامُكَ ؟ .

فَقَالَ : لَيْلَةٌ لَحْمٌ ... وَلَيْلَةٌ عَدَسٌ وَرَيْثٌ ... وَلَيْلَةٌ حَلٌّ وَرَيْثٌ ...  
وَفِي هَذَا بَلَاغٌ<sup>(٣)</sup> .

فَقُلْتُ لَهُ : أَفَمَا تُعْجِبُكَ نَفْسُكَ ؟ .

فَقَالَ : قَدْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ...

---

(١) الشُّبْهَةُ : كُلُّ مَا يَنْبَسُ فِيهِ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَالْحَلَالُ بِالْحَرَامِ .

(٢) الْفَيُّ : الْحَرَجُ .

(٣) وَفِي هَذَا بَلَاغٌ : وَفِي هَذَا مَا يَكْفِي مِنَ الْعَيْشِ .

فَلَمَّا وَعَظَنِي أَبِي بَصُرَنِي بِحَقِيقَةِ نَفْسِي ، وَصَغُرَ مَا عِنْدِي ، وَحُطَّ مِنْ  
قُدْرَتِي فِي عَتِي ...

فَتَقَعَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ ، فَجَزَاهُ اللَّهُ مِنْ وَالِدٍ خَيْرًا .  
فَقَعَدْتُ سَاعَةً أُحَدِّثُهُ ، وَأَسْتَمْتِعُ بِمِنْطِقِهِ ، فَلَمْ أَرُ قَتَى كَانَ أَجْمَلَ  
وَجْهًا ...

وَلَا أَكْمَلَ عَقْلاً ...  
وَلَا أَحْسَنَ أَدَبًا مِنْهُ عَلَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ ، وَقِلَّةِ تَجَرُّبَتِهِ .  
فَلَمَّا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ ، أَنَاهُ غُلَامٌ فَقَالَ :  
أُضْلَحَكَ اللَّهُ قَدْ فَرَعْنَا ...  
فَسَكَتُ ...

فَقُلْتُ : مَا هَذَا الَّذِي فَرَعُوا مِنْهُ ١٩ .  
قَالَ : الْحَمَامُ .  
قُلْتُ : وَكَيْفَ ؟  
قَالَ : أَخْلَوْهُ لِي مِنَ النَّاسِ .  
فَقُلْتُ : لَقَدْ كُنْتُ وَقَعْتُ مِنْ نَفْسِي مَوْعِعًا عَظِيمًا حَتَّى سَمِعْتُ هَذَا ...  
فَذَعِرَ<sup>(١)</sup> وَاسْتَرْجَعَ<sup>(٢)</sup> وَقَالَ :  
وَمَا فِي ذَلِكَ يَا عَمَّ يُوَحِّمُكَ اللَّهُ ١٩ .  
قُلْتُ : الْحَمَامُ لَكَ ١٩ .

(٢) اسْتَرْجَعَ : قَالَ إِنَّا إِلَهُهُ وَإِنَّا إِلَهُهُ رَاجِعُونَ .

(١) ذَعِرَ : خَافَ .

قَالَ : لَا ...

قُلْتُ : فَمَا دَعَاكَ إِلَى أَنْ تُخْرِجَ مِنْهُ النَّاسَ ۱۲ ...

كَأَنَّكَ تُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تَرْفَعَ نَفْسَكَ فَوْقَهُمْ ، وَأَنْ تَجْعَلَ لَهَا قَدْرًا يَغْلُو عَلَى أَقْدَارِهِمْ ...

ثُمَّ إِنَّكَ تُؤْذِي صَاحِبَ الْحَمَامِ فِي غَلَّةِ<sup>(١)</sup> يَوْمِهِ ، وَتُزْجِعُ مِنْ أَمَلِ حَمَامَتِهِ خَائِبًا .

قَالَ : أَمَّا صَاحِبُ الْحَمَامِ فَأَنَا أَرْضِيهِ وَأُعْطِيهِ غَلَّةَ يَوْمِهِ .

قُلْتُ : هَذِهِ نَفَقَةٌ سَرَفٍ خَالَطَهَا كِبِيرٌ ...

وَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَمَامَ مَعَ النَّاسِ ، وَأَنْتَ كَأَحَدِهِمْ ۱۳ .

قَالَ :

يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنَّ طَائِفَةً مِنْ رِعَاعِ النَّاسِ<sup>(٢)</sup> يَدْخُلُونَ الْحَمَامَ بِغَيْرِ أَزْرِ<sup>(٣)</sup> فَأَكْزَرُهُ رُؤْيَا غَوْرَاتِهِمْ ...

وَأَكْزَرُهُ أَنْ أُجِيرَهُمْ عَلَى وَضْعِ الْأَزْرِ ، فَيَأْخُذُوا ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ اقْتِدَارٌ مِنِّي عَلَيْهِمْ بِالسُّلْطَانِ الَّذِي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَنَا مِنْهُ كَفَافًا لَا عَلَيْنَا وَلَا لَنَا ...

فَمَعْظِي رَحِمَكَ اللَّهُ عِظَةً أَتَتَفَعَّلُ بِهَا ...

وَاجْعَلْ لِي مَخْرَجًا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ .

فَقُلْتُ :

انْتَظِرْ حَتَّى يُخْرِجَ النَّاسُ مِنَ الْحَمَامِ لَيْلًا وَيَهْجُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ ثُمَّ ادْخُلْهُ ...

(١) الغلَّة : الدُّخْلُ مِنْ كِبْرَاءِ هَائِرٍ وَطَائِفَةِ أَرْضٍ وَدَكَانٍ وَغَيْرِهِمَا .  
(٢) رِعَاعُ النَّاسِ : سَفَلَةُ النَّاسِ .  
(٣) الْأَزْرُ : الْخُشْيُ .

قَالَ : لَا جَزْمَ<sup>(١)</sup> ...

لَا أَدْخُلُهُ نَهَاراً أَبَدًا بَعْدَ الْيَوْمِ ، وَلَوْ لَا بَيْدَةُ يَرُودُ هَذِهِ الْبِلَادِ مَا دَخَلْتُهُ أَبَدًا .  
وَأَطْرَقَ قَلِيلاً كَأَنَّمَا يُفَكِّرُ فِي أَمْرِ .

ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ :

أَقَسَمْتُ عَلَيْكَ لَتَطْوِيَنَّ هَذَا الْحَبِيرَ<sup>(٢)</sup> عَنْ أَبِي ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَظُلَّ سَاخِطاً عَلَيَّ ...

وَإِنِّي لَأُحْشَى أَنْ يَحُولَ الْأَجَلُ دُونَ الرِّضَا مِنْهُ .

قَالَ مَيِّمُونُ :

فَأَرَدْتُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ أَسِيرَ عَقْلَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ :

إِنْ سَأَلَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : هَلْ رَأَيْتُ مِنْكَ شَيْئاً ؟ ... فَهَلْ تَرْضَى لِي أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ ١٢ .

فَقَالَ : لَا ... مَعَاذَ اللَّهِ ... وَلَكِنْ قُلْ لَهُ :

رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئاً فَوَعِظْتُهُ وَكَبَّرْتُهُ فِي عَيْنَيْهِ ، فَسَارَعَ إِلَى الرُّجُوعِ عَنْهُ ، فَإِنْ أَبِي لَا يَسْأَلُكَ عَنْ كَشْفِ مَا لَمْ تُظْهِرْهُ لَهُ .

لِأَنَّ اللَّهَ جَلُّ وَعَزُّ قَدْ أَعَادَهُ مِنَ الْبَحْثِ عَمَّا اسْتَشَرَ .

قَالَ مَيِّمُونُ : فَلَمْ أَرِ وَالِدَا قُطُ وَلَا وَلَدًا مِثْلَهُمَا يَوْحِيَهُمَا اللَّهُ .

\* \* \*

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ خَامِسِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَرْضَاهُ ...

(١) لَا جَزْمَ : أَحَادِثٌ وَأَقْبِسُ .

(٢) لَتَطْوِيَنَّ هَذَا الْحَبِيرَ : لَتَكْتَفُرَنَّ هَذَا الْحَبِيرَ .

وَنَصَرَ ضَرِيحَهُ وَضَرِيحَ اِثْنَيْهِ وَفَلَذَهُ كَيْدِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ ...  
وَسَلَامٌ عَلَيْهِمَا يَوْمَ لَحِقَا بِالرُّفَيْقِ الْأَعْلَى ...  
وَسَلَامٌ عَلَيْهِمَا يَوْمَ يُتَعَتَّانِ مَعَ الْأَخْيَارِ الْأَبْرَارِ (٥) ...

(٥) للاستزادة من أخبار عُتْمَرُ بْنُ عُتَيْدٍ الْقَزِينِ وولده عُتَيْدِ الْمَلِكِ انظر:

- ١ - سيرة عُتْمَرُ بْنُ عُتَيْدٍ الْقَزِينِ لِأَبْنِ الْجَوْزِيِّ .
- ٢ - سيرة عُتْمَرُ بْنُ عُتَيْدٍ الْقَزِينِ لِأَبْنِ عُتَيْدِ الْحَكَمِ .
- ٣ - الطبقات الكبرى لِأَبْنِ سَعْدٍ، المجلدات: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، وانظر المجلد الخاص بالفهارس للوقوف عَلَى أرقام الصفحات في كل مجلد .
- ٤ - صفة الصفوة لِأَبْنِ الْجَوْزِيِّ: ١١٣/٢ - ١٢٦، وفي ص ١٢٧ وما يليها ترجمة خاصة بابنه عبد الملك .
- ٥ - حلية الأولياء للأصبهاني: ٣٠٢/٥ - ٣٥٣، وفي ص ٣٥٣ وما يليها ترجمة خاصة بابنه عبد الملك .
- ٦ - وفيات الأعيان لِأَبْنِ خَلْكَانَ: المجلدات ٢، ٣، ٤، ٥، (وانظر المجلد الخاص بالفهارس) .
- ٧ - تاريخ الطبري: (انظر الفهارس بالجزء العاشر) .
- ٨ - المقصد الفريد لِأَبْنِ عِيدٍ ربه: (انظر الفهارس بالجزء الثامن) .
- ٩ - البيان والتبيين للجاحظ: انظر فهارس الأجزاء ١، ٢، ٣، ٤ .
- ١٠ - تاريخ مدينة دمشق لِأَبْنِ عَسَاكِر: ١١٥/٢ - ١٢٧ .
- ١١ - تهذيب التهذيب لِأَبْنِ حَجَرٍ الْمَسْكَنِيِّ: ٤٧٥/٧ - ٤٧٨ .



# الحسن البصري

كَيْفَ يَعْمَلُ قَوْمٌ فِيهِمْ بَطْلُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ۱۹

[مَسْلَمَةٌ بِنُ عَبْدِ الْمَلِكِ]

جَاءَ الْبَشِيرُ يُبَشِّرُ زَوْجَ النَّبِيِّ «أُمَّ سَلَمَةَ» (١) بِأَنَّ مَوْلَاتَهَا (٢) «خَيْرَةَ» قَدْ وَضَعَتْ حِفْلَهَا وَوَلَدَتْ غُلَامًا.

فَعَمَرَتِ الْفَرْحَةَ فَوَادَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَطَفَحَ الْبَشَرُ (٣) عَلَى مُحَبَّاتِهَا (٤) النَّبِيلِ الْوَقُورِ.

وَبَادَرَتْ فَأَرْسَلَتْ رَسُولًا لِيَحْمِلَ إِلَيْهَا الْوَالِدَةَ وَمَوْلُودَهَا، لِيَتَقَضِيَ فِتْرَةَ النَّفَاسِ فِي بَيْتِهَا.

فَقَدْ كَانَتْ «خَيْرَةُ» أَثِيرَةً (٥) لَدَى أُمِّ سَلَمَةَ، حَبِيبَةً إِلَى قَلْبِهَا ...

وَكَانَ بِهَا لَهْفَةٌ وَتَشْوُقٌ؛ لِزُورِيَةِ وَلِيدِهَا الْبَكْرِ ...

\* \* \*

وَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى جَاءَتْ «خَيْرَةُ» تَحْمِلُ طِفْلَهَا عَلَى يَدَيْهَا ...

فَلَمَّا وَقَعَتْ عَيْنَا أُمِّ سَلَمَةَ عَلَى الطُّفْلِ اثْتَلَأَتْ نَفْسُهَا أَنْسَاءً بِهِ، وَازْتَبَاحًا

لَهُ ...

فَقَدْ كَانَ الْوَلِيدُ الصَّغِيرُ قَسِيمًا وَسِيمًا (٦)، بَهِيٍّ الطَّلَعَةِ، تَامَّ الْخِلْقَةِ؛ يَمْلَأُ

عَيْنَ مُجْتَئِلِيهِ (٧)، وَيَأْسِرُ قَوَادَ رَأْيِيهِ (٨).

(١) أُمُّ سَلَمَةَ: انظرها في كتاب «صور من حياة الصحابات» للمؤلف.

(٢) مولاتها: أمتها.

(٦) قسيمًا وسيمًا: جميلًا حسن الوجه.

(٣) طفتح البشر: فاض السرور.

(٧) يملأ عين مجتئليه: يسر الناظر إليه.

(٤) المحبا: الوجه.

(٨) يأسر قواد رأيه: يملك قلب رأيه.

(٥) أثيرة: عزيزة مكربة.

ثُمَّ التَفَتَتْ أُمُّ سَلَمَةَ إِلَى مَوْلَاهَا وَقَالَتْ :

أَسْمِعِي عَلَامَتِكَ يَا « خَيْرُهُ » ؟ .

فَقَالَتْ : كَلَّا يَا أُمَاهُ ...

لَقَدْ تَرَكْتُ ذَلِكَ لَكَ ؛ لِتُخْتَارِيَ لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا تَشَائِينَ .

فَقَالَتْ : تُسَمِّيهِ - عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ - الْحَسَنَ .

ثُمَّ رَفَعَتْ يَدَيْهَا وَدَعَتْ لَهُ بِصَالِحِ الدُّعَاءِ .

\* \* \*

لَكِنَّ الْفَرَحَةَ بِالْحَسَنِ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى يَتِيمٍ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ رَضْوَانُ  
اللَّهِ عَلَيْهَا ، وَإِنَّمَا شَارَكَهَا فِيهَا يَتِيمٌ آخَرُ مِنْ يَتِيمَاتِ الْمَدِينَةِ .

هُوَ يَتِيمُ الصُّحَابِيِّ الْجَلِيلِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ <sup>(١)</sup> كَاتِبِ وَخِيِّ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ .

ذَلِكَ أَنَّ « يَسَارًا » وَالِدَ الصُّبِّيِّ كَانَ مَوْلَى لَهُ أَيْضًا ...

وَكَانَ مِنْ أَثَرِ <sup>(٢)</sup> النَّاسِ عِنْدَهُ ، وَأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ .

\* \* \*

دَرَجَ <sup>(٣)</sup> الْحَسَنُ بْنُ يَسَارٍ [ الَّذِي عُرِفَ فِيمَا بَعْدَ بِالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ] فِي

يَتِيمَاتِ مِنْ يَتِيمَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ...

وَرُويَ فِي حَجَرِ زَوْجَةٍ مِنْ زَوَاجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ هِيَ « هِنْدُ بِنْتُ سَهْلٍ »

الْمَعْرُوفَةُ بِأُمِّ سَلَمَةَ .

---

(١) زيد بن ثابت : انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة  
للمشروعة .

(٢) من أثر الناس عنده : من أعر الناس وأكرمهم عنده . (٣) درج : نفاً وترفع .



وَأُمُّ سَلَمَةَ - إِنْ كُنْتَ لَا تَعْلَمُ - كَانَتْ مِنْ أَكْثَلِ نِسَاءِ الْعَرَبِ عَقْلاً ،  
وَأَوْفَرَهُنَّ<sup>(١)</sup> فَضْلاً ، وَأَشَدَّهُنَّ حَزْماً .

كَمَا كَانَتْ مِنْ أَوْسَعِ زُوجَاتِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ عِلْماً ، وَأَكْثَرَهُنَّ  
رِوَايَةً عَنْهُ ...

حَيْثُ رَوَتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ثَلَاثِمِائَةً وَسَبْعَةً وَثَمَانِينَ حَدِيثاً ...  
وَكَانَتْ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ النِّسَاءِ الْقَلِيلَاتِ النَّادِرَاتِ اللَّوَاتِي يَكْتَفِيَنَّ فِي  
الْجَاهِلِيَّةِ ...

وَلَمْ تَقِفْ صِلَةَ الصَّبِيِّ الْمَحْظُوطِ بِأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ « أُمِّ سَلَمَةَ » عِنْدَ هَذَا  
الْحَدِّ ...

وَلِنَّمَا امْتَدَّتْ إِلَى أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ ...

فَكَثِيرًا مَا كَانَتْ « خَيْرَةً » أُمُّ الْحَسَنِ تَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ لِقَضَاءِ بَعْضِ  
حَاجَاتِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَكَانَ الطُّفْلُ الرُّضِيعُ يَتَكِي مِنْ جُوعِهِ ، وَيَشْتَدُّ بُكَاءُهُ  
فَتَأْخُذُهُ أُمُّ سَلَمَةَ إِلَى جِجْرِهَا ، وَتَلْقِمُهُ<sup>(٢)</sup> تَدْيِهَا ؛ لِتَصْبِرَهُ بِهِ وَتَعَلِّلَهُ<sup>(٣)</sup> عَنْ غِيَابِ  
أُمِّهِ ...

فَكَانَتْ لِشِدَّةِ حُبِّهَا إِيَّاهُ يَدُرُّ تَدْيُهَا لَبَنًا سَائِغًا فِي فَمِهِ فَيَرْضَعُهُ الصَّبِيُّ  
وَيَشْكُتُ عَلَيْهِ .

وَبِذَلِكَ عَدَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أُمًّا لِلْحَسَنِ مِنْ جِهَتَيْنِ :

فَهِيَ أُمُّهُ بِرُضْعِهِ أَحَدَ الْمُؤْمِنِينَ ...

وَهِيَ أُمُّهُ مِنَ الرُّضَاعِ أَيْضاً ...

\* \* \*

---

(١) أوفرهن : أكثرهن . (٢) تلقمه تديها : تضع تديها في فمه . (٣) تعلله : تشغله .

وَقَدْ اتَّخَذَ الصَّلَاتُ الْوَاشِحَةَ<sup>(١)</sup> بَيْنَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقُرُبَ مَيُوتٍ  
بَعْضُهُنَّ مِنْ بَعْضٍ لِلْعَلَامِ الشَّعِيدِ أَنْ يَتَرَدَّدَ عَلَى هَذِهِ الْبُيُوتِ كُلِّهَا ...  
وَأَنْ يَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ رَبَّائِهَا<sup>(٢)</sup> جَمِيعاً ...  
وَأَنْ يَهْتَدِيَ بِهَدْيِهِنَّ ...  
وَقَدْ كَانَ - كَمَا يُحَدِّثُ عَنْ نَفْسِهِ - يَمْلَأُ هَذِهِ الْبُيُوتَ بِحَرَكَاتِهِ الدَّائِيَةِ ،  
وَيُثَرِّغُهَا بِلَعِبِهِ النَّشِيطِ ...  
حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَتَالُفُ مَيُوتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَقْفُزُ فِيهَا  
قَفْزاً .

\* \* \*

ظَلَّ الْحَسَنُ يَتَقَلَّبُ فِي هَذِهِ الْأَجْوَاءِ الْعَبْقَةِ<sup>(٣)</sup> يَطْلُبُ الثُّبُوتَ ، الْمُتَالِفَةَ<sup>(٤)</sup>  
بِسَنَائِهَا ...  
وَيَتَهَلَّلُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَارِدِ الْعَذْبَةِ الَّتِي حَقَلَتْ بِهَا مَيُوتُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ...  
وَيَتَلَمَّذُ عَلَى أَهْدَى كِبَارِ الصُّحَابَةِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ...  
حَيْثُ رَوَى عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَبِي مُوسَى  
الْأَشْعَرِيِّ ، وَعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ...  
وَعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَغَيْرِهِمْ  
وَعَيْرِهِمْ<sup>(٥)</sup> ...

(١) الصَّلَاتُ الْوَاشِحَةُ : الصَّلَاتُ الْوُثْقَةُ الْخَفِيَّةُ .

(٢) رَبَّائِهَا : صَاحِبَاتُهَا .

(٣) الْعَبْقَةُ : الْمَطَرَةُ .

(٤) الْمُتَالِفَةُ : الْمُتَّفِقَةُ .

(٥) عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : انْظُرْهُمْ فِي  
كِتَابِ «صُورٍ مِنْ حَيَاةِ الصُّحَابَةِ» لِلْمَوْلَفِ ، النَّاشِرِ دَارَ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ ، الطَّبَعَةُ الْمَشْرُوعَةُ .

لِكَيْتَهُ أَوْلَعَ أَكْثَرَ مَا أَوْلَعَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .  
فَقَدْ رَاعَاهُ مِنْهُ صَلَاحُهُ فِي دِينِهِ ، وَإِحْسَانُهُ لِعِبَادَتِهِ ، وَزَهَادَتُهُ بِرَبِّتِهِ الدُّنْيَا  
وَزُخْرُفِهَا ...

وَحَلَبَتُهُ<sup>(١)</sup> مِنْهُ بَيَانُهُ الْمَشْرِقُ ، وَحِكْمَتُهُ الْبَالِغَةُ ، وَأَقْوَالُهُ الْجَامِعَةُ ، وَعِظَاتُهُ  
الَّتِي تَهْزُ الْقُلُوبَ هَزًّا .

فَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِ فِي التَّقَى وَالْعِبَادَةِ ...

وَنَسَجَ عَلَى مِثْوَالِهِ<sup>(٢)</sup> فِي الْبَيَانِ وَالْفَصَاحَةِ ...

وَلَمَّا بَلَغَ الْحَسَنُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَبِيعًا مِنْ عُمرِهِ ، وَدَخَلَ فِي مَدَاحِلِ الرِّجَالِ  
انْتَقَلَ مَعَ أَبَوَيْهِ إِلَى « الْبَصْرَةِ » وَاسْتَقَرَّ فِيهَا مَعَ أُسْرَتِهِ .

وَمِنْ هُنَا تُسَبِّبُ الْحَسَنُ إِلَى « الْبَصْرَةِ » ...

وَعُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ...

\* \* \*

كَانَتْ « الْبَصْرَةُ » يَوْمَ أُمَمِهَا الْحَسَنُ ؛ فَلَعَنَ مِنْ أَكْبَرِ قِلَاعِ الْعِلْمِ فِي دَوْلَةِ  
الْإِسْلَامِ ...

وَكَانَ مَسْجِدُهَا الْعَظِيمُ ؛ يَمُوجُ بِمَنِ ارْتَحَلَ إِلَيْهَا مِنْ كِبَارِ الصُّحَابَةِ ،  
وَجَلَّةِ التَّابِعِينَ ...

وَكَانَتْ حَلَقَاتُ الْعِلْمِ عَلَى اخْتِلَافِ أَلْوَانِهَا ؛ تَعْمُرُ بِاحَادِ الْمَسْجِدِ  
وَمُصَلَّاهُ .

وَقَدْ لَزِمَ الْحَسَنُ الْمَسْجِدَ ، وَانْقَطَعَ إِلَى خَلْقَةِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ خَبِيرِ أُمَّةٍ

(١) حَلَبَتُهُ : فَتَتْهُ وَسَمَرَتْهُ .

(٢) نَسَجَ عَلَى مِثْوَالِهِ : سَارَ عَلَى طَرَفَتِهِ .

مُحَمَّدٍ<sup>(١)</sup>، وَأَخَذَ عَنْهُ التَّفْسِيرَ وَالْحَدِيثَ وَالْقِرَاءَاتِ .  
 كَمَا أَخَذَ عَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ الْفِقْهَ ، وَاللُّغَةَ ، وَالْأَدَبَ ، وَغَيْرَهَا وَغَيْرَهَا ...  
 حَتَّى عَدَا عَالِمًا جَامِعًا فَقِيهًا ثِقَةً<sup>(٢)</sup> .  
 فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَتَهَلَّلُونَ مِنْ عِلْمِهِ الْعَزِيزِ ...  
 وَاتَّقُوا حَوْلَهُ يُصِيبُحُونَ<sup>(٣)</sup> إِلَى مَوَاعِظِهِ الَّتِي تَمْتَلِكُ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ ،  
 وَتَسْتَدِيرُ الدُّمُوعَ الْعَاصِيَةَ .  
 وَيَهْوُونَ<sup>(٤)</sup> حِكْمَتَهُ الَّتِي تَخْلِبُ الْأَلْبَابَ ...  
 وَيَتَأَسَّوْنَ بِسِيرَتِهِ الَّتِي كَانَتْ أَطْيَبَ مِنْ نَشْرِ الْمِسْكِ<sup>(٥)</sup> ...  
 وَلَقَدْ انْتَشَرَ أَمْرُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فِي الْبِلَادِ وَقَشَا ذِكْرُهُ<sup>(٦)</sup> بَيْنَ الْعِبَادِ ...  
 فَجَعَلَ الْخُلَفَاءَ وَالْأَمْراءَ يَتَسَاءَلُونَ عَنْهُ وَيَتَسَقَطُونَ<sup>(٧)</sup> أَخْبَارَهُ ...

\* \* \*

حَدَّثَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ<sup>(٨)</sup> قَالَ :  
 لَقِيتُ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ<sup>(٩)</sup> فِي « الْحِيرَةِ »<sup>(١٠)</sup> فَقَالَ لِي :

- 
- (١) حبر أمة محمد : عالم أمة محمد ﷺ وعابدها .  
 (٢) الثقة : من يعتمد عليه ، ويوثق بدينه وعلمه .  
 (٣) يصيحون : ينصتون .  
 (٤) يهلون حكيمته : يحفظون حكيمته ويحذرونها .  
 (٥) نشر المسك : ربح المسك .  
 (٦) قشاً ذكره : شاع ذكره وانتشر .  
 (٧) يتساقطون أخباره : يتبعون أخباره .  
 (٨) خالد بن صفوان : من فصحاء العرب ، جالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، وعاش حتى أدرك السفاح العباسي وحظي عنده .  
 (٩) مسلمة بن عبد الملك : أمير قايذ من أبطال بني أمية ، غزا القسطنطينية ، وبني فيها مسجداً مسلمة .  
 (١٠) الحيرة : بلدة قديمة في العراق على بعد ثلاثة أميال من الكوفة ، اندثرت ولم يبق لها وجود اليوم .

أَخْبِرْنِي يَا خَالِدُ عَنْ حَسَنِ الْبَصْرَةِ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ تَعْرِفُ مِنْ أَمْرِهِ  
مَا لَا يَعْرِفُ سِوَاكَ .

فَقُلْتُ : أَضْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ...

أَنَا خَيْرُ مَنْ يُخِيرُكَ عَنْهُ يَعْلَمُ ...

فَأَنَا جَارُهُ فِي بَيْتِهِ ، وَجَلِيسُهُ فِي مَجْلِسِهِ ، وَأَعْلَمُ أَهْلَ « الْبَصْرَةِ » بِهِ .

فَقَالَ مُسْلِمَةً : هَاتِ مَا عِنْدَكَ .

فَقُلْتُ : إِنَّهُ امْرُؤٌ سَرِيرَتُهُ كَعَلَانِيَتِهِ ...

وَقَوْلُهُ كَفِعْلِهِ ...

إِذَا أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ كَانَ أَغْمَلَ النَّاسِ بِهِ ...

وَإِذَا نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ كَانَ أَتْرَكَ النَّاسِ لَهُ ...

وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ مُسْتَعْتَباً عَنِ النَّاسِ ؛ زَاهِداً يَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ ...

وَرَأَيْتُ النَّاسَ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ ؛ طَالِبِينَ مَا عِنْدَهُ ...

فَقَالَ مُسْلِمَةً : حَسْبُكَ <sup>(١)</sup> يَا خَالِدُ حَسْبُكَ !! .

كَيْفَ يَضِلُّ قَوْمٌ فِيهِمْ مِثْلُ هَذَا !؟ .

\* \* \*

وَلَمَّا وَلِيَ الْحُجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِي « الْعِرَاقَ » ، وَطَعَلَى فِي وَلَآئِهِ  
وَتَجَبَّرَ ...

كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ أَخَذَ الرِّجَالَ الْقَلَائِلَ الَّذِينَ تَصَدَّوْا لَطُغْيَانِهِ <sup>(٢)</sup> ،

(١) حَسْبُكَ : يَكْفِيكَ .

(٢) تَصَدَّوْا لَطُغْيَانِهِ : نَاهَضُوا طُغْيَانَهُ وَعَارَضُوهُ .

وَجَهَّزُوا بَيْنَ النَّاسِ بِشُؤْءِ أَعْمَالِهِ ، وَصَدَّعُوا<sup>(١)</sup> بِكَلِمَةِ الْحَقِّ فِي وَجْهِهِ .  
 مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْحَجَّاجَ بَنَى لِتَنْفِيسِهِ بِنَاءً فِي « وَاسِطَ »<sup>(٢)</sup> .  
 فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ ، نَادَى فِي النَّاسِ أَنْ يَخْرُجُوا لِلْفُرْجَةِ عَلَيْهِ وَالِدُعَاءِ لَهُ بِالْبَرَكَةِ .  
 فَلَمَّ يَشَأُ الْحَسَنُ أَنْ يَقُوتَ عَلَى نَفْسِهِ فُرْصَةً أَجْمَاعِ النَّاسِ هَذِهِ ...  
 فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ لِيُعِظَهُمْ وَيُذَكِّرَهُمْ ، وَيُؤْهِدَهُمْ بِعَرِضِ الدُّنْيَا ، وَيُرْعِبَهُمْ بِمَا  
 عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ...

وَلَمَّا بَلَغَ الْمَكَانَ ، وَنَظَرَ إِلَى جُمُوعِ النَّاسِ وَهِيَ تَطُوفُ بِالْقَصْرِ الْمُنِيفِ  
 مَأْخُودَةً بِرُوحَةِ بِنَائِهِ ، مَذْهُوشَةً بِسَعَةِ أَرْجَائِهِ<sup>(٣)</sup> مَشْدُودَةً إِلَى بَرَاةِ زَخَارِفِهِ ...  
 وَقَفَ فِيهِمْ خَطِيباً ، وَكَانَ فِي جُمْلَةٍ مَا قَالَهُ :  
 لَقَدْ نَظَرْنَا فِيمَا ابْتَنَى الْأَخْبِيثُ ؛ فَوَجَدْنَا أَنَّ « فِرْعَوْنَ » شَيْدَ أَعْظَمَ  
 مِمَّا شَيْدَ ، وَبَنَى أَعْلَى مِمَّا بَنَى ...

ثُمَّ أَهْلَكَ اللَّهُ « فِرْعَوْنَ » ، وَأَتَى عَلَى مَا بَنَى<sup>(٤)</sup> وَشَيْدَ ...  
 لَيْتَ الْحَجَّاجَ يَعْلَمُ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ قَدْ مَقَّتُوهُ ، وَأَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ قَدْ  
 غَرَوُهُ<sup>(٥)</sup> ...

وَمَضَى يَتَدَقَّقُ عَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ<sup>(٦)</sup> حَتَّى أَشْفَقَ عَلَيْهِ أَحَدُ السَّامِعِينَ مِنْ  
 نِفْمَةِ الْحَجَّاجِ ، فَقَالَ لَهُ :  
 حَسْبُكَ يَا أَبَا سَعِيدٍ ... حَسْبُكَ .  
 فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ :

(١) صَدَّعُوا بكلمة الحق : جهَّزوا بكلمة الحق .  
 (٢) واسط : مدينة متوسطة بين البصرة والكوفة .  
 (٣) أرجائه : نواحيه .  
 (٤) أَتَى عَلَى مَا بَنَى : دمر ما بُنِيَ .  
 (٥) قَدْ غَرَوُهُ : عذِّبوه ، وناقضوه حتى امتلأ غروراً .  
 (٦) عَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ : عَلَى هَذَا الأسلوب .

لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ الْبَيْتَاقَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ لِيُعَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْثُرُونَهُ...

\* \* \*

وفي اليوم التالي دَخَلَ الْحَجَّاجُ إِلَى مَجْلِسِهِ وَهُوَ يَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ<sup>(١)</sup> وَقَالَ لِجَلَّاسِهِ :

تَبَّا لَكُمْ وَشَحَقًا<sup>(٢)</sup>...

يَقُومُ عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِ أَهْلِ « الْبَصْرَةِ » وَيَقُولُ فِينَا مَا شَاءَ أَنْ يَقُولَ ، ثُمَّ لَا يَجِدُ فِيكُمْ مَنْ يَزِدُّهُ أَوْ يُنْكَرُ عَلَيْهِ !! ...

وَاللَّهِ لَا شَقِيئَتَكُمْ مِنْ دَمِهِ يَا مَعْشَرَ الْجُبَنَاءِ .

ثُمَّ أَمَرَ بِالسَّيْفِ وَالنُّطْعِ<sup>(٣)</sup> ... فَأَخْضِرَا ...

وَدَعَا بِالْجَلَّادِ ؛ فَمَثَلَ وَاقِفًا بَيْنَ يَدَيْهِ .

ثُمَّ وَجَّهَ إِلَى الْحَسَنِ بَعْضَ شَرْطِهِ ...

وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْتُوهُ بِهِ ...

وَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى جَاءَ الْحَسَنُ ، فَشَخَّصَتْ<sup>(٤)</sup> نَحْوَهُ الْأَبْصَارُ ...

وَوَجَفَتْ<sup>(٥)</sup> عَلَيْهِ الْقُلُوبُ .

فَلَمَّا رَأَى الْحَسَنُ السَّيْفَ وَالنُّطْعَ وَالْجَلَّادَ ، حَرَّكَ شَفَتَيْهِ ...

ثُمَّ أَتْبَلَ عَلَى الْحَجَّاجِ وَعَلَيْهِ جَلَالُ الْمُؤْمِنِ ، وَعِزَّةُ الْمُسْلِمِ ، وَوَقَارُ الدَّاعِيَةِ إِلَى اللَّهِ .

(١) يَحْزَنُ مِنَ الْغَيْظِ : يَتَقَطَّعُ مِنَ الْغَضَبِ .

(٢) تَبَّا لَكُمْ وَشَحَقًا : مَلَأَكُمْ لَكُمْ وَثَقُلًا .

(٣) النُّطْعُ : سَهَابٌ مِنَ الْجِلْدِ يَفْرَشُ تَحْتَ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ بِقَطْعِ الرَّأْسِ .

(٤) شَخَّصَتْ الْأَبْصَارُ : نَظَرَتْ الْعُيُونُ .

(٥) وَجَفَتْ الْقُلُوبُ : غَفَّتِ الْقُلُوبُ .

فَلَمَّا رَأَاهُ الْحَجَّاجُ عَلَى خَالِهِ هَذِهِ ؛ هَابَهُ أَشَدَّ الْهَيْبَةِ وَقَالَ لَهُ :

هَآ هُنَا يَا أَبَا سَعِيدٍ ... هَآ هُنَا ...

ثُمَّ مَا زَالَ يُوسِّعُ لَهُ وَيَقُولُ :

هَآ هُنَا ... وَالتَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فِي دَهْشَةٍ وَاسْتِعْرَابٍ حَتَّى أَجْلَسَهُ عَلَى

فِرَاشِهِ .

وَلَمَّا أَخَذَ الْحَسَنُ مَجْلِسَهُ التَّفَتَّ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ ، وَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ

أُمُورِ الدِّينِ ، وَالْحَسَنُ يُجِيبُهُ عَنْ كُلِّ مَسْأَلَةٍ بِجَنَانٍ ثَابِتٍ ، وَبَيَانٍ سَاجِرٍ ، وَعِلْمٍ

وَاسِعٍ .

فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ :

أَنْتَ سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ يَا أَبَا سَعِيدٍ .

ثُمَّ دَعَا بِغَالِيَةِ<sup>(١)</sup> وَطَلَبَ لَهُ بِهَا لِحْيَتَهُ وَوَدَّعَهُ .

وَلَمَّا خَرَجَ الْحَسَنُ مِنْ عِنْدِهِ ، تَبِعَهُ حَاجِبٌ<sup>(٢)</sup> الْحَجَّاجِ وَقَالَ لَهُ :

يَا أَبَا سَعِيدٍ ، لَقَدْ دَعَاكَ الْحَجَّاجُ لِغَيْرِ مَا فَعَلَ بِكَ ، وَإِنِّي رَأَيْتُكَ عِنْدَ مَا

أَقْبَلْتَ وَرَأَيْتَ السَّيْفَ وَالنُّطْقَ ؛ قَدْ خَرَّكَتْ شَفَتَيْكَ ، فَمَاذَا قُلْتَ ؟ .

فَقَالَ الْحَسَنُ :

لَقَدْ قُلْتُ : يَا وَلِيَّ نِعْمَتِي وَمَلَاذِي عِنْدَ كُرْبَتِي ؛ اجْعَلْ نِعْمَتَهُ بَرْدًا وَسَلَامًا

عَلَيَّ كَمَا جَعَلْتَ النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ .

\* \* \*

(١) الغالية : أنواع من الطيب تُفَرِّجُ وَيَطْلُبُ بِهَا .

(٢) حاجِبُ الْحَجَّاجِ : تَوَاطُبُ الْحَجَّاجِ .



وَلَقَدْ كَثُرَتْ مَوَاقِفُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ هَذِهِ مَعَ الْوَلَاةِ وَالْأَمْرَاءِ ، فَكَانَ يُخْرِجُ مِنْ كُلِّ مِثْنَا عَظِيمًا فِي أَغْيُنِ ذَوِي السُّلْطَانِ ، عَزِيزًا بِاللَّهِ ، مُحَقَّقًا بِحِفْظِهِ ... مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ انْتَقَلَ الْخَلِيفَةُ الرَّاهِدُ عُثْمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ <sup>(١)</sup> إِلَى جَوَارِ رِيهِ وَآلَتِ <sup>(٢)</sup> الْخِلَافَةَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلَّى عَلَى « الْعِرَاقِ » عُثْمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْغَزَارِيَّ ...

ثُمَّ زَادَهُ بَسْطَةً فِي السُّلْطَانِ فَأَصَافَ إِلَيْهِ « خُرَاسَانَ » أَيْضًا .

وَسَارَ يَزِيدُ فِي النَّاسِ سِيرَةً غَيْرَ سِيرَةِ سَلَفِهِ الْعَظِيمِ ...

فَكَانَ يُرْسِلُ إِلَى عُثْمَرِ بْنِ هُبَيْرَةَ بِالْكِتَابِ يُلَوِّ الْكِتَابَ ، وَيَأْمُرُهُ بِإِنْفَاقِ <sup>(٣)</sup> مَا فِيهَا وَلَوْ كَانَ مُجَافِيًا لِلْحَقِّ أحيانًا ...

فَدَعَا عُثْمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ كُلًّا مِنَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، وَغَامِرِ بْنِ مُرَاجِيلَ الْمَعْرُوفِ بِالشُّعْبِيِّ <sup>(٤)</sup> وَقَالَ لَهُمَا :

إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ اسْتَحْلَفَهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَأَوْجَبَ طَاعَتَهُ عَلَى النَّاسِ .

وَقَدْ وَلَّانِي مَا تَرَوْنَ مِنْ أَمْرِ « الْعِرَاقِ » ثُمَّ زَادَنِي قَوْلَانِي « قَارِسَ » .

وَهُوَ يُرْسِلُ إِلَيَّ أحيانًا كُتُبًا يَأْمُرُنِي فِيهَا بِإِنْفَاقِ مَا لَا أَطْمَئِنُّ إِلَى عَدَالَتِهِ .

فَهَلْ تَجِدَانِ لِي فِي مُتَابَعَتِي إِيَّاهُ وَإِنْفَاقِ أَوَامِرِهِ مَخْرَجًا فِي الدِّينِ ؟

فَأَجَابَ الشُّعْبِيُّ جَوَابًا فِيهِ مُلَاطَفَةٌ لِلْخَلِيفَةِ ، وَمُسَاوَاةٌ لِلْوَالِي ...

وَالْحَسَنُ سَاكِتٌ ...

(١) عمر بن عبد العزيز: انظره ص ٨٠ ، ٢٥٥ ، ٣٢٦ . (٢) إنفاذ ما فيها : إجراء ما فيها .

(٣) ألت : الخلافة إلى فلان : صارت إليه وتولاهما . (٤) غامر بن سراحيل : انظره ص ١٧٢ .

فَاتَّفَتْ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ إِلَى الْحَسَنِ وَقَالَ :  
وَمَا تَقُولُ أَتَيْتَ يَا أَبَا سَعِيدٍ ؟

فَقَالَ : يَا بَنَ هُبَيْرَةَ خَفِ اللَّهَ فِي يَدَيْكَ ؛ وَلَا تَخَفْ يَدَيْكَ فِي اللَّهِ ...  
وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ جَلُّ وَعَزُّ يَخْتَلِكُ <sup>(١)</sup> مِنْ يَدَيْكَ ، وَأَنْ يَرِيدَ لَا يَخْتَلِكُ مِنْ  
اللَّهِ ...

يَا بَنَ هُبَيْرَةَ إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ مَلَكٌ غَلِيظٌ شَدِيدٌ لَا يَعْصِي اللَّهَ  
مَا أَمَرَهُ ، فَيَرِيدُكَ عَنْ سَرِيرِكَ هَذَا ، وَيَتَّقُلُّكَ مِنْ سَعَةِ قَهْرِكَ إِلَى ضَيْقِ قَهْرِكَ ...  
حَيْثُ لَا تَجِدُ هُنَاكَ يَدَيْكَ ، وَإِنَّمَا تَجِدُ عَمَلَكَ الَّذِي خَالَفْتَ فِيهِ رَبَّ  
يَرِيدُ ...

يَا بَنَ هُبَيْرَةَ إِنَّكَ إِنْ تَكُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى وَفِي طَاعَتِهِ ؛ يَكْفِكَ <sup>(٢)</sup> بِأَيْقَةِ يَدَيْكَ  
إِنِّي عَبْدُ الْمَلِكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ...

وَأَنْ تَكُ مَعَ يَدَيْكَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْلِكُ <sup>(٣)</sup> إِلَيْكَ يَدَيْكَ .  
وَأَعْلَمْ يَا بَنَ هُبَيْرَةَ أَنَّهُ لَا طَاعَةَ لِخَلْقٍ كَاتِبًا مَنْ كَانَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ  
عَزُّ وَجَلُّ .

فَبَكَى عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ حَتَّى بَلَغَتْ دُمُوعُهُ لَحْيَتَهُ ...

وَقَالَ عَنِ الشَّعْبِيِّ إِلَى الْحَسَنِ ...

وَبَالَغَ فِي إِعْظَامِهِ وَإِكْرَامِهِ ...

فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ تَوَجَّهَا إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِمَا الثَّامِسُ ،  
وَجَعَلُوا يَسْأَلُونَهُمَا عَنْ خَبَرِهِمَا مَعَ أَمِيرِ « الْوَرَّاقِينَ » <sup>(٤)</sup> .

(١) يَكْلِكُ : يَحْسِبُكَ مِنْ يَدَيْكَ .

(٢) يَكْلِكُ : يَحْسِبُكَ مِنْ يَدَيْكَ .

(٣) يَكْلِكُ : يَحْسِبُكَ مِنْ يَدَيْكَ .

(٤) الْوَرَّاقِينَ : الْوَرَّاقِينَ : الْوَرَّاقِينَ : الْوَرَّاقِينَ .

فَالْتَفَتَ الشَّعْبِيُّ إِلَيْهِمْ وَقَالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُؤْخِرَ<sup>(١)</sup> اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ فِي كُلِّ مَقَامٍ فَلْيُفْعَلْ ...

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا قَالَ الْحَسَنُ لِعُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ قَوْلًا أَجْهَلُهُ ...  
وَلَكِنِّي أَرَدْتُ فِيهَا قُلَّتُهُ وَجْهَ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، وَأَرَادَ فِيهَا قَالَهُ وَجْهَ اللَّهِ ...  
فَأَقْصَانِي اللَّهُ مِنْ ابْنِ هُبَيْرَةَ وَأَذْنَاهُ مِنْهُ وَحَبَبَهُ إِلَيْهِ .

\* \* \*

وَقَدْ عَاشَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ نَحْوًا مِنْ ثَمَانِينَ عَامًا مَلَأَ الدُّنْيَا جِلَالَهَا عِلْمًا وَحِكْمَةً وَفَقْهًا .

وَكَانَ مِنْ أَجَلٍ مَا وَرَثَهُ لِلْأَجْيَالِ رَقَائِقُهُ<sup>(٢)</sup> الَّتِي ظَلَّتْ عَلَى الْأِمَامِ رَيْعًا لِلْقُلُوبِ ...

وَمَوَاعِظُهُ الَّتِي هَزَّتْ وَمَا زَالَتْ تَهْزُ الْأَفْئِدَةَ ، وَتَشْتَدُّ الشُّعُونَ<sup>(٣)</sup> ، وَتَدُلُّ الْقَائِمِينَ عَلَى اللَّهِ ، وَتُنَبِّئُ الْغَائِبِينَ<sup>(٤)</sup> إِلَى حَقِيقَةِ الدُّنْيَا ، وَحَالِ النَّاسِ مَعَهَا .

مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ لِسَائِلٍ سَأَلَهُ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا :

تَسْأَلُنِي عَنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ !! ...

إِنَّ مَثَلَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَثَلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ...

مَتَى أَزْدَدْتُ مِنْ أَحَدِهِمَا قُرْبًا أَزْدَدْتُ مِنَ الْآخَرِ بُعْدًا .

(١) طائر : يفضل .

(٢) الرقائق : المرواحط والوصايا ، سميت كذلك لرفقها أو لأنها ترقق القلوب .

(٣) الشُّعُونَ : المرواح التي تجري منها الدموع .

(٤) الغائبين : الخائفين : للمسلمين .

وَتَقُولُ لِي صِفْ لِي هَذِهِ الدَّارَ ۱۱ ...  
فَمَادَا أَصِفُ لَكَ مِنْ دَارٍ أَوْلَاهَا عَنَاءٌ <sup>(١)</sup> وَآخِرُهَا فَنَاءٌ ...  
وَفِي حَلَالِهَا حِسَابٌ ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ ...  
مَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فِتْنٌ ، وَمَنْ انْقَرَفَ فِيهَا حَزَنٌ ...  
وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً قَوْلُهُ لِآخِرِ سَأَلِهِ عَنْ حَالِهِ وَحَالِ النَّاسِ :  
وَيَحِنَّا مَادَا فَعَلْنَا بِأَنْفُسِنَا ۱۲ ...  
لَقَدْ أَهْرَلْنَا دِينَنَا ، وَسَمَّيْنَا دُنْيَانَا ...  
وَأَخْلَقْنَا <sup>(٢)</sup> أَخْلَاقَنَا ، وَجَدَدْنَا فُؤُسَنَا وَثِيَابَنَا ...  
يَبْكِي أَخْدَنَا عَلَى شِمَالِهِ ، وَيَأْكُلُ مِنْ مَالٍ غَيْرِ مَالِهِ ...  
طَعَامُهُ غَضَبٌ ...  
وَيَجِدُمُوهُ سُحْرَةٌ <sup>(٣)</sup> ...  
يَدْعُو بِخُلُوبِهِ بَقْدَ حَامِضٍ ...  
وَبِحَارٍ بَقْدَ بَارِدٍ ...  
وَبِرَطْبٍ بَقْدَ يَابِسٍ ...  
حَتَّى إِذَا أَخَذَتْهُ الْكِظَةُ <sup>(٤)</sup> تَجَسَّأُ <sup>(٥)</sup> مِنْ الْبَشَمِ <sup>(٦)</sup> ثُمَّ قَالَ :  
يَا غَلَامُ ...

(١) عناء : تعب وتعب .

(٢) أَخْلَقْنَا أَخْلَاقَنَا : أَهْلَيْنَا أَخْلَاقَنَا .

(٣) السُّحْرَةُ : العمل قهراً وبلا أجره .

(٤) الْكِظَةُ : ما يعثرى الإنسان عند الامتلاء من الطعام من الضيق والألم .

(٥) تَجَسَّأُ : أخرج رجلاً من فمه مع صوت من شدة الشبع . (٦) الْبَشَمُ : القحمة .

هَاتِ هَاضُومًا يَهْضِمُ الطَّعَامَ ...  
يَا أَحْيِيئُ<sup>(١)</sup> - وَاللَّهِ - لَنْ تَهْضِمَ إِلَّا دِينَكَ ...  
أَيْنَ جَارِكَ الْمُحْتَاجِ ۱۱۹ .  
أَيْنَ يَتِيمِ قَوْمِكَ الْجَائِعِ ۱۱۹ .  
أَيْنَ مِسْكِينِكَ الَّذِي يَنْظُرُ إِلَيْكَ ۱۱۹ .  
أَيْنَ مَا وَصَّاكَ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ۱۱۹ .  
لَيْتَكَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَدَدٌ ...  
وَأَنَّهُ كُلَّمَا غَابَتْ عَنْكَ شَمْسُ يَوْمٍ نَقَصَ شَيْءٌ مِنْ عَدَدِكَ ...  
وَمَضَى بِفَضْلِكَ مَعَهُ ...

\* \* \*

وَفِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ مِنْ غُرَّةِ رَجَبٍ<sup>(٢)</sup> سَنَةِ مِائَةِ وَعَشِيرٍ، لَيْلَى الْحَسَنِ  
الْبَصْرِيِّ يَذَاءُ رَبُّهُ ...  
فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ وَشَاعَ فِيهِمْ نَفْيُهُ؛ ارْتَجَبَ «الْبَصْرَةُ» لِمَوْتِهِ رَجَاءً ...  
فَقُتِلَ وَكُفِّرَ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِغَدِ الْجُمُعَةِ فِي الْجَامِعِ الَّذِي قَضَى فِي رِحَابِهِ  
مَجْلُ حَيَاتِهِ عَالِمًا وَمُعَلِّمًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ .  
ثُمَّ تَبِعَ النَّاسُ جَمِيعًا جَنَازَتَهُ ...  
فَلَمَّ ثَقَمَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي جَامِعِ «الْبَصْرَةِ» ...  
لِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيهِ أَحَدٌ يُقِيمُ الصَّلَاةَ ...

(١) الأحمق: تصغير أحمق وهو القليل العقل الفاسد الرأي.  
(٢) غرة رجب: الغرة من كل شيء أوله وطلعه، وغرة رجب: أول رجب.

وَلَا يَتَلَمَّ النَّاسُ أَنَّ الصَّلَاةَ عَطَلْتُ فِي جَامِعِ «البصرة» مُنْذُ انْتِنَاهُ  
 الْمُسْلِمُونَ إِلَّا فِي ذَلِكَ التَّوْزِمِ ...  
 تَوْزِمِ انْتِقَالِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ إِلَى جَوَارِ رَبِّهِ (\*) ...

- 
- (\*) للاستفادة من أسماء الحسن البصري أنظر:
- ١ - الطبقات الكبرى لابن سعد: ١٥٦/٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٨، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٢، وغيرها من الصفحات (انظر فهرس الكتاب في المجلد الأخير).
  - ٢ - صفة الصفوة لابن الجوزي: ٢٣٣/٣ - ٢٣٧ (طبعة دار الناشر بحلب).
  - ٣ - حلية الأولياء للأصفهاني: ١٣١/٢ - ١٦١.
  - ٤ - تاريخ خليفة بن خياط: ١٢٣، ١٨٩، ٢٨٧، ٣٣١، ٣٥٤.
  - ٥ - وفیات الأعيان لابن خلكان: ٣٥٤/١ - ٣٥٦.
  - ٦ - شذرات الذهب: ١٣٨/١ - ١٣٩.
  - ٧ - ميزان الاعتدال: ٢٥٤/١ وما بعدها.
  - ٨ - أمالي المرتضى: ١٥٢/١، ١٥٣، ١٥٨، ١٦٠.
  - ٩ - البيان والبيان: ١٧٣/٢ و ١٤٤/٣.
  - ١٠ - المغرر لمحمد بن حبيب: ٢٣٥، ٣٧٨.
  - ١١ - كتاب الوفيات لأحمد بن حسن بن علي بن الخطيب: ١٠٨، ١٠٩.
  - ١٢ - الحسن البصري لإحسان عباس.

# شَرِيحُ الْقَاضِي

«لَيْلٌ لِشَرِيحٍ : بِأَيِّ شَيْءٍ أَصَبْتَ هَذَا الْعِلْمَ ؟ ...  
فَقَالَ : بِمُذْكَرَةِ الْعُلَمَاءِ : أَخَذْتُ مِنْهُمْ وَأَعْطَيْتُهُمْ»

[شَفْهُنَا الْأَوْسَى]

اجْتَمَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَرَساً مِنْ رَجُلٍ مِنَ  
الْأَعْرَابِ وَتَقَدَّمَ (١) ثَمَنَهُ ، ثُمَّ امْتَصَلَى (٢) صَهْوَتَهُ وَمَضَى بِهِ .  
لَكِنَّهُ مَا كَادَ يَتَعَدُّ بِالْفَرَسِ طَوِيلاً حَتَّى ظَهَرَ فِيهِ عَطَبٌ عَاقَهُ عَنْ مُوَاصَلَةِ  
الْجَزْيِ ، فَانْتَقَى (٣) بِهِ عَائِداً مِنْ حَيْثُ انْطَلَقَ ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ :  
خُذْ فَرَسَكَ فَإِنَّهُ مَغْطُوبٌ .

فَقَالَ الرَّجُلُ : لَا أَخُذُهُ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - وَقَدْ بَغْتُهُ مِنْكَ سَلِيماً صَاحِبِياً .  
فَقَالَ عُمرُ : اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ حَكْماً .  
فَقَالَ الرَّجُلُ : يَعْصِيكُمْ بَيْنَنَا شَرِيحُ بْنُ الْخَارِثِ الْكِنْدِيُّ .  
فَقَالَ عُمرُ : رَضِيْتُ بِهِ .

\* \* \*

اخْتَصَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَصَاحِبُ الْفَرَسِ إِلَى شَرِيحٍ ، فَلَمَّا  
سَمِعَ شَرِيحُ مَقَالََةَ الْأَعْرَابِيِّ ، التَفَتَ إِلَى عُمرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَقَالَ :  
هَلْ أَخَذْتَ الْفَرَسَ سَلِيماً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟  
فَقَالَ عُمرُ : نَعَمْ .

(١) تقدم له : دفع له ثمنه .

(٢) امتصلى صهوة : ركب على ظهره ، والصهوة : تقعد الفرس من الفرس . (٣) انتقى : انتطف .

فَقَالَ سُرَيْحٌ : اَحْتَفِظْ بِمَا اسْتَرَيْتَ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَوْ رُدَّ كَمَا أَخَذْتَ .

فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى سُرَيْحٍ مُعْجَبًا ، وَقَالَ :

وَهَلِ الْقَضَاءُ إِلَّا هَكَذَا ۱۹ ...

قَوْلَ فَضْلٍ<sup>(١)</sup> ، وَحُكْمَ عَذْلٍ .

مِنْ إِلَى « الْكُوفَةِ » فَقَدْ وَلَيْتُكَ قَضَاءَهَا .

\* \* \*

لَمْ يَكُنْ سُرَيْحُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ وَلَاءِ عُمَرُ الْقَضَاءَ ، رَجُلًا مَجْهُولَ الْمَقَامِ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمَدَنِيِّ ، أَوْ امْرَأًا مَغْمُورًا<sup>(٢)</sup> الْمُنْتَرِلَةَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ مِنْ جِلَّةِ<sup>(٣)</sup> الصَّحَابَةِ وَكِبَارِ الثَّابِعِينَ .

فَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ الْفَضْلِ وَأَهْلُ السَّابِقَةِ<sup>(٤)</sup> يُقَدِّرُونَ لِسُرَيْحٍ فِطْنَتَهُ الْحَادَّةَ وَدَكَاءَهُ الْقَدْ ، وَخُلُقَهُ الرَّفِيعَ ، وَطُولَ تَجَرِبَتِهِ فِي الْحَيَاةِ وَعُمْقَهَا ...

فَهَوَّ رَجُلٌ « يَمَنِيٌّ » الْمَوْطِنِ ، « كِنْدِيُّ »<sup>(٥)</sup> الْقَشِيرَةِ ، قَضَى شَطْرًا غَيْرَ يَمِينٍ مِنْ حَيَاتِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

فَلَمَّا أَسْرَقَتِ الْجَزِيرَةُ الْعَرَبِيَّةُ بِثُورِ الْهِدَايَةِ ، وَنَفَذَتْ أَشْعَةُ الْإِسْلَامِ إِلَى أَرْضِ « الْيَمَنِ » ، كَانَ سُرَيْحٌ مِنْ أَوَائِلِ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، الْمُسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَةِ الْهُدَى وَالْحَقِّ .

(١) قولُ فَضْلٍ : قولُ حقٍّ لا باطلَ فيه .

(٢) المغمور : المجهول الخافيل الذكر .

(٣) جِلَّةُ الصَّحَابَةِ : سادة الصَّحَابَةِ وَعِظَمَاؤُهُمْ .

(٤) أهلُ السَّابِقَةِ : أصحابُ التَّقَدُّمِ .

(٥) كِنْدِيُّ الْقَشِيرَةِ : منسوبٌ إِلَى كِنْدَةَ [ بكسر الكاف وسكون النون ] وهي قبيلة عربية عظيمة ظهر منها كثير من المحدثين والعلماء .



وَكَانَ عَارِفُو فَضْلِهِ وَمُقَدِّرُو شَمَائِلِهِ <sup>(١)</sup> وَمَزَائِيهِ ؛ يَأْسُونَ عَلَيْهِ أَشَدَّ الْأَسَى ،  
وَيَحْتَمُونَ أَنْ لَوْ أُتِيحَ <sup>(٢)</sup> لَهُ أَنْ يَفْدَ عَلَى الْمَدِينَةِ مُبَكَّرًا لِيَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ  
أَنْ يَلْحَقَ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، وَلِيَتَهَلَّ مِنْ مَوَارِدِهِ <sup>(٣)</sup> الصَّافِيَةِ الْمُصَفَّاءِ مُبَاشَرَةً  
لَا بِالْوَسَاطَةِ ...

وَلَكِنِّي تَحْظِي بِشَرَفِ الصُّحْبَةِ بَعْدَ أَنْ حَظِي بِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ ...  
وَبِذَلِكَ يَجْمَعُ الْخَيْرَ مِنْ أَطْرَافِهِ ...  
وَلَكِنْ مَا قُدِّرَ كَانَ ...

\* \* \*

وَلَمْ يَكُنِ الْفَارُوقُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، مُتَعَجِّلًا حِينَ عَهْدَ بِمَنْصِبٍ مِنْ  
مَنَاصِبِ الْقَضَاءِ الْكُبْرَى لِرَجُلٍ مِنَ التَّابِعِينَ ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّ سَمَاءَ الْإِسْلَامِ  
كَانَتْ تَوْعِدُهُ مَا تَزَالُ تَتَأَلَّقُ بِالنُّجُومِ الزُّهْرِيَّةِ <sup>(٤)</sup> مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... فَقَدْ  
أَثْبَتَ الْأَيَّامُ صِدْقَ فِرَاسَةِ <sup>(٥)</sup> عُمرَ ، وَصَوَابَ تَدْيِيرِهِ ...

إِذْ ظَلَّ شَرِيحُ بَقِيضِي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ نَحْوًا مِنْ سِتِينَ عَامًا مُتَتَابِعَةً مِنْ غَيْرِ  
انْقِطَاعٍ ...

وَقَدْ تَعَاقَبَ عَلَى إِقْرَارِهِ فِي مَنْصِبِهِ كُلِّ مِنْ عُمرَ ، وَعُثْمَانُ <sup>(٦)</sup> ، وَعَلِيٌّ ،  
وَمُعَاوِيَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ...

(١) شمائله : أفعاله ومزايده .

(٢) أُتِيحَ لَهُ : قُدِّرَ لَهُ .

(٣) ينهل من موارده : يزكو من ينابيعه .

(٤) النجوم الزُّهْرِيَّة : النجوم المضيئة للطلاقة .

(٥) الفراسة : وَهْمُ التَّرَوُّعِ .

(٦) عثمان بن عفان : انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة  
المشروعة .

كَمَا أَقْرَهُ عَلَى ذَلِكَ مَنْ جَاءَ بَعْدَ مُعَاوِيَةَ مِنْ خُلَفَاءِ نَبِيِّ «أُمِّيَّة» ، حَتَّى  
طَلَبَ الرَّجُلُ إِغْفَاءَهُ مِنْ مَنْصِبِهِ إِثْبَانَ<sup>(١)</sup> وَلَايَةِ الْحُجَّاجِ .

وَكَانَ قَدْ بَلَغَ السَّابِعَةَ بَعْدَ الْجَائَةِ مِنْ حَيَاتِهِ الْمَدِيدَةِ الرَّشِيدَةِ الْحَافِلَةِ  
بِالْحَفَاجِرِ وَالْمَأْيَرِ<sup>(٢)</sup> .

وَلَقَدْ اِزْدَانَ تَارِيخُ الْقَضَاءِ فِي الْإِسْلَامِ بِبَدَائِعِ مِنْ مَوَاقِفِ شُرَيْح ، وَزَهَا  
يُرَوِّعِ مِنْ انْصِبَاعِ<sup>(٣)</sup> خَاصَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامِّيهِمْ لِشُرْعِ اللَّهِ الَّذِي يُعْتَلُّهُ شُرَيْح ،  
وَتُرْوِلُهُمْ عِنْدَ أَحْكَامِهِ ...

وَأَمَّا لَآتِ يُطْلُونَ الْكُتُبِ بِعَرَائِفِ هَذَا الرَّجُلِ الْفَذِّ وَأَخْبَارِهِ ، وَأَقْوَالِهِ  
وَأَفْعَالِهِ .

\* \* \*

مِنْ ذَلِكَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اتَّفَقَ دُوعًا لَهُ كَانَتْ  
أُمِيرَةً<sup>(٤)</sup> عِنْدَهُ غَالِيَةً عَلَيْهِ ...

ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ وَجَدَهَا فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الدُّمَةِ<sup>(٥)</sup> يَبِيْهَهَا فِي سُوقِ  
« الْكُوفَةِ » ...

فَلَمَّا رَأَاهَا عَرَفَهَا وَقَالَ :

هَلِيْوِ دِزْعِي سَقَطْتُ عَنْ جَمَلٍ لِي فِي لَيْلَةٍ كَذَا ... وَفِي مَكَانٍ كَذَا ...  
فَقَالَ الدُّمِيُّ : بَلْ هِيَ دِزْعِي وَفِي يَدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ...

(١) إِبْثَانٌ : حِينُ .

(٢) الْمَأْيَرُ : الْأَسَالُ الْحَمِيدَةُ ذَوَاتُ الْأَثَرِ الْحَلِيلَةِ .

(٣) الْانْصِبَاعُ : الْإِبْهَاجُ .

(٤) أُمِيرَةٌ حَمْدٌ : حُرُورٌ عَلَيْهِ .

(٥) أَهْلُ الدُّمَةِ : مَنْ يَعْشَوْنَ فِي دِيَارِ الْإِسْلَامِ مِنَ النَّصْرَانِيِّ وَالْيَهُودِ .

فَقَالَ عَلِيٌّ : إِنَّمَا هِيَ دِرْعِي لَمْ أَبْعَثْ مِنْ أَحَدٍ ، وَلَمْ أَهْبِهَا لِأَحَدٍ حَتَّى  
تَصِيرَ إِلَيْكَ ...

فَقَالَ الذُّمِّيُّ : بَتِّي وَبِتْنِكَ قَاضِي الْمُسْلِمِينَ ...

فَقَالَ عَلِيٌّ : أَنْصَفْتُ ، فَهَلُمْ إِلَيْهِ (١) ...

ثُمَّ إِنَّهُمَا ذَهَبَا إِلَى سُرْنَجِ الْقَاضِي ، فَلَمَّا صَارَا عِندَهُ فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ ،  
قَالَ سُرْنَجٌ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَا تَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ .

فَقَالَ : لَقَدْ وَجَدْتُ دِرْعِي هَذِهِ مَعَ هَذَا الرَّجُلِ ، وَقَدْ سَقَطَتْ مِنِّي فِي لَيْلَةٍ  
كَذًا وَفِي مَكَانٍ كَذًا ، وَهِيَ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ لَا يَبِيعُ وَلَا هَبَّةً .

فَقَالَ سُرْنَجٌ لِلذُّمِّيِّ : وَمَا تَقُولُ أَنْتَ أَهْبِهَا الرَّجُلُ ؟ .

فَقَالَ : الذُّرْعُ دِرْعِي وَهِيَ فِي يَدَي ...

وَلَا أَتَاهُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْكَذِبِ ...

فَالْتَفَتَ سُرْنَجٌ إِلَى عَلِيٍّ وَقَالَ :

لَا رَيْبَ (٢) عِنْدِي فِي أَنَّكَ صَادِقٌ فِيمَا تَقُولُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَّ الذُّرْعَ  
دِرْعُكَ ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ شَاهِدَيْنِ يَشْهَدَانِ عَلَيَّ صِحَّةَ مَا ادَّعَيْتَ .

فَقَالَ عَلِيٌّ : نَعَمْ ...

مَوْلَايَ (٣) « قَتْبَر » ، وَوَلَدِي الْحَسَنُ يَشْهَدَانِ لِي ...

فَقَالَ سُرْنَجٌ :

(١) مولاي : محبي .

(٢) لا ريب : لا شك .

(٣) لهلم إليه : هاتر إليه .

وَلَكِنْ شَهَادَةُ الْإِبْنِ لِأَبِيهِ لَا تَجُوزُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ عَلِيٌّ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ !! ...

رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَا تَجُوزُ شَهَادَتُهُ !! ...

أَمَّا سَمِعْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

( الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ) .

فَقَالَ شُرَيْحٌ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ...

غَيْرَ أَنِّي لَا أُجِيزُ شَهَادَةَ الْوَلَدِ لِوَالِدِهِ .

عِنْدَ ذَلِكَ التَّقَفَ عَلِيٌّ إِلَى الذُّمِّيِّ وَقَالَ :

خُذْهَا ، فَلَيْسَ عِنْدِي شَاهِدٌ غَيْرُهُمَا ...

فَقَالَ الذُّمِّيُّ :

وَلَكِنِّي أَشْهَدُ بِأَنَّ الدَّرْعَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ...

ثُمَّ أَرَدَفَ (١) قَائِلًا : يَا اللَّهُ ...

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُقَاضِي أَمَامَ قَاضِيهِ !! ...

وَقَاضِيهِ يَقْضِي لِي عَلَيْهِ !! ...

أَشْهَدُ أَنَّ الدِّينَ الَّذِي يَأْمُرُ بِهِذَا لَحَقٌّ ...

وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ...

اعْلَمْ أَيُّهَا الْقَاضِي أَنَّ الدَّرْعَ دَرْعُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْتَ أَتَيْتَ الْجَيْشَ

---

(١) لردف : أضاف .

وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إِلَى « صِيفِينَ »<sup>(١)</sup>، فَسَقَطَتِ الدُّرُوعُ عَنْ جَمَلِهِ الْأَوْزُقِ<sup>(٢)</sup> فَأَخَذَتْهَا .  
فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

أَمَّا وَإِنَّكَ قَدْ أَشَلَمْتَ فَإِنِّي وَهَبْتُكَ لَكَ ...  
وَوَهَبْتُ لَكَ مَعَهَا هَذَا الْفَرَسَ أَيْضاً .

وَلَمْ يَمُضِ عَلَى هَذَا الْحَادِثِ زَمَنٌ طَوِيلٌ ، حَتَّى شُوهِدَ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ  
الْحَوَارِجَ<sup>(٣)</sup> تَحْتَ رَايَةِ عَلِيٍّ فِي يَوْمِ « النَّهْرَوَانِ »<sup>(٤)</sup> ، وَيُمِصُّ فِي الْقِتَالِ حَتَّى  
كُيِّبَتْ لَهُ الشَّهَادَةُ .

\* \* \*

وَمِنْ رَوَائِعِ شُرَيْحٍ أَيْضاً أَنَّ ابْنَهُ قَالَ لَهُ يَوْمًا :  
يَا أَبَتِ إِنِّي بَنَيْتُ وَبَيْنَ قَوْمٍ خُصُومَةً ، فَأَنْظُرْ فِيهَا ... فَإِنْ كَانَ الْحَقُّ لِي  
قَاضِيئُهُمْ<sup>(٥)</sup> ، وَإِنْ كَانَ لَهُمْ صَالِحَتُهُمْ ... ثُمَّ قَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ .  
فَقَالَ لَهُ : انْطَلِقْ فَقَاضِيهِمْ ...

فَمَضَى إِلَى خُصُومِهِ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْمَقَاصَاةِ ، فَاسْتَجَابُوا لَهُ .  
وَلَمَّا مَثَلُوا<sup>(٦)</sup> بَيْنَ يَدَيْ شُرَيْحٍ ، قَضَى لَهُمْ عَلَى وَلَدِهِ ...  
فَلَمَّا رَجَعَ شُرَيْحٌ وَابْنُهُ إِلَى الْبَيْتِ قَالَ الْوَلَدُ لِأَبِيهِ :  
فَقَضَيْتَنِي يَا أَبَتِ ...

(١) صِيفِينَ : موضع بالقرب الرُّقَّة من سورية وقعت فيه وقعة كبيرة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما .

(٢) الْأَوْزُق : الذي لونه لون الزماد .

(٣) الْحَوَارِج : كانوا من أتباع علي بن أبي طالب ، وخرجوا عليه لخلاف في الآراء ، وتطلق علي من خرج على الخلفاء ، ونحوهم .

(٤) يوم النهروان : واقعة جرت بين الإمام علي رضي الله عنه وبين الحوارج .

(٥) قَاضِيئُهُمْ : وقعت أمرهم إلى القضاء .

(٦) مَثَلُوا : يقال مثَّل فلان بين يدي فلان أي قام مُتَّعِباً بين يديه .

وَاللَّهُ لَوْ لَمْ أَسْتَشِيرَكَ مِنْ قَبْلِ لَمَّا لَعَنْتُكَ .

فَقَالَ سُرْنَجُ :

يَا بَنِيَّ ، وَاللَّهُ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِلَّةِ الْأَرْضِ مِنْ أُمَّتَالِهِمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ  
وَجَلَّ أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ ...

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَخْبِرَكَ بِأَنَّ الْحَقَّ لَهُمْ ؛ فَخَصَّ إِلَهُهُمْ صَلَاحاً يُفَوِّتُ عَلَيْهِمْ  
بَغْضَ حَقِّهِمْ ، فَقُلْتُ لَكَ مَا قُلْتُ .

\* \* \*

وَقَدْ كَفَيْلٌ وَلَدٌ لِسُرْنَجٍ رَجُلًا قَبِيلَ كَفَالَتَهُ ، فَمَا كَانَ مِنَ الرَّجُلِ إِلَّا أَنْ قَرَّ  
هَارِباً مِنْ يَدِ الْقَضَاءِ .

فَسَجَنَ سُرْنَجٌ وَلَدَهُ بِالرَّجُلِ الْفَارِّ ...

وَكَانَ يَتَّقِلُ لَهُ مَلْعَامَهُ يَبْدُوهُ كُلُّ يَوْمٍ إِلَى السَّجْنِ .

\* \* \*

وَكَانَتِ الشُّكُوكُ تُسَاوِرُ<sup>(١)</sup> سُرْنَجاً - أَخِيَاناً - فِي بَغْضِ الشُّهُودِ ...

عَمَرُ أَنَّهُ لَا يَجِدُ سَبِيلًا لِيُدْفَعَ شَهَادَتُهُمْ ؛ لِمَا تَوَافَرَ لَهُمْ مِنْ شُرُوطِ الْعَدَالَةِ ،  
فَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْلُوا<sup>(٢)</sup> بِشَهَادَتِهِمْ :

اسْتَمْعُوا مِنِّي هَذَا كُمْ اللَّهُ .

إِنَّمَا يَقْضِي عَلَى هَذَا الرَّجُلِ أَنْتُمْ ...

وَأُنِّي لَأَقْبِي النَّازِ بِكُمْ ، وَأَنْتُمْ بِأَتَقَالِهَا أَوْلَى ...

وَأَنْ فِي وَشِعْكُمْ الْآنَ أَنْ تَدْعُوا الشَّهَادَةَ وَتَعْصُوا .

(١) تُسَاوِرُ سُرْنَجاً : يَلْمُ بِمَرَحٍ وَتَشْتَبِي عَلَى ذِكْرِهِ . (٢) يَدْلُو بِشَهَادَتِهِمْ : يَحْضِرُونَ شَهَادَتَهُمْ وَيَقْلُبُونَهَا .

فَإِذَا أَصْرُوا عَلَى الشَّهَادَةِ ، انْتَفَتَ إِلَى الَّذِي يَشْهَدُونَ لَهُ وَقَالَ :  
 اَعْلَمَ مَا هَذَا أَنَّنِي أَقْضِي لَكَ بِشَهَادَتِهِمْ ...  
 وَإِنِّي لَأَرَى أَنَّكَ ظَالِمٌ ...  
 وَلَكِنِّي لَسْتُ أَقْضِي بِالظُّلْمِ ، وَإِنَّمَا أَقْضِي بِشَهَادَةِ الشُّهُودِ ...  
 وَإِنْ قَضَائِي مَا يُجِلُّ لَكَ شَيْئًا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ .

\* \* \*

وَكَانَ الشَّعَارُ<sup>(١)</sup> الَّذِي يُرَدُّهُ شُرَيْعٌ فِي مَجَالِسِ قَضَائِهِ قَوْلُهُ :  
 عَدَا سَيَعْلَمُ الظَّالِمُ مِنَ الْخَاسِرِ ؟ .  
 إِنَّ الظَّالِمَ يَنْتَظِرُ الْعِقَابَ ...  
 وَإِنَّ الْمَظْلُومَ يَنْتَظِرُ النَّصْفَةَ<sup>(٢)</sup> ...  
 وَإِنِّي أَخْلِفُ بِاللَّهِ ، أَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ أَحْسَنَ  
 بِفَقْدِهِ ...

\* \* \*

وَلَمْ يَكُنْ شُرَيْعٌ نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ فَحَسِبَ ، وَإِنَّمَا كَانَ نَاصِحًا  
 لِعَائِمَةِ الْمُشْلِكِينَ وَخَاصَّتِهِمْ أَنْصَأَ .  
 رَوَى أَحَدُهُمْ قَالَ :  
 سَمِعْتَنِي شُرَيْعٌ وَأَنَا اسْتَكْبَيْتُ بَعْضَ مَا عَنَّنِي لِصَدِيقِي ، فَأَخَذَنِي مِنْ يَدَي  
 وَأَتَكَّبَنِي<sup>(٣)</sup> بِي جَانِبًا ، وَقَالَ :

(١) الشَّعَارُ : كلمة مخصصةٌ يمر بها المرء من يكره واحفظه .

(٢) النصفه : الإنصاف والعدل .

(٣) اتكبن بي : مال بي .

يَا بَنَ أَخِي ... إِلَيْكَ وَالشُّكْرُ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ...  
 فَإِنْ مَنْ تَشْكُرُ إِلَيْهِ لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ صَدِيقاً أَوْ عَدُوّاً ...  
 فَأَمَّا الصَّدِيقُ فَتَحْزِنُهُ ...  
 وَأَمَّا الْعَدُوُّ فَيَشْمَتُ بِكَ ...  
 ثُمَّ قَالَ :

انْظُرْ إِلَى عَيْنِي هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَى إِحْدَى عَيْنَيْهِ - قَوْلَهُ مَا أَبْصَرْتُ بِهَا  
 شَخْصاً وَلَا طَرِيقاً مُنْذُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً ...  
 وَلَكِنِّي مَا أَخْبِرْتُ أَحداً بِذَلِكَ إِلَّا أَنْتَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ...  
 أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ <sup>(١)</sup> :  
 ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
 فَأَجْعَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَشْكَالَكَ <sup>(٣)</sup> وَمَحْزَنَكَ عِنْدَ كُلِّ نَائِبَةٍ <sup>(٤)</sup> تَتَوَلَّكَ ...  
 فَإِنَّهُ أَكْرَمُ مَسْئُولٍ وَأَقْرَبُ مَدْعُوٍّ ...

\* \* \*

وَقَدْ رَأَى ذَاتَ يَوْمٍ رَجُلًا يَسْأَلُ آخَرَ شَيْئًا فَقَالَ لَهُ :  
 يَا بَنَ أَخِي مَنْ سَأَلَ إِنْسَانًا حَاجَةً فَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الرِّقِّ .  
 فَإِنْ قَضَاهَا لَهُ الْمَسْئُولُ فَقَدْ اسْتَعْبَدَهُ بِهَا ...  
 وَإِنْ رَدَّهَا عَنْهَا رَجَعَ كِلَاهُمَا ذَلِيلًا ...

(١) الْعَبْدُ الصَّالِحُ : هُوَ يَحُوبُ أَبُو يُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

(٢) سُورَةُ ثَوْرٍ : ٨٦ . (٣) مَشْكَالَكَ وَمَحْزَنَكَ : مَنْ تَشْكُرُ إِلَيْهِ وَتَحُونَ لَدَيْهِ . (٤) نَائِبَةٌ : مَصِيبَةٌ .



هَذَا يَذُلُّ الْبُخْلِي ...

وَذَلِكَ يَذُلُّ الرُّودَ ...

فَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ .

وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ وَلَا عَوْنَ إِلَّا بِاللَّهِ .

\* \* \*

وَقَدْ وَقَعَ « بِالْكُوفَةِ » طَاعُونٌ <sup>(١)</sup> فَخَرَجَ صَدِيقِي لِشُرَيْحٍ مِنْهَا إِلَى  
« النَّجَفِ » <sup>(٢)</sup> يَتَتَبَعِي الْمَهْرَبَ مِنَ الْوَبَاءِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ شُرَيْحٌ :

أَمَّا بَعْدُ ... فَإِنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي تَرَكْتَهُ لَا يُقَرَّبُ جِمَامَكَ <sup>(٣)</sup> ؛ وَلَا يَسْلُبُ  
مِنْكَ أَمَامَكَ ...

وَإِنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي صِرْتُ إِلَيْهِ فِي قَبْضَةٍ مِنْ لَا يُعْجِزُهُ طَلَبٌ ، وَلَا يَقْوَاهُ  
هَرَبٌ ...

وَإِنَّا وَإِنَّا لَعَلَى بِسَاطِ مَلِكٍ وَاحِدٍ ...

وَإِن « النَّجَفَ » مِنْ ذِي قُدْرَةٍ لَقَرِيبٌ ...

\* \* \*

وَكَانَ شُرَيْحٌ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ شَاعِراً قَرِيبَ الْمَأْخِذِ حُلُوَ الْأَدَاءِ طَرِيفِ  
الْمَوْضُوعَاتِ .

رَوَيْ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ لَهُ صَبِيٌّ فِي نَحْوِ الْعَاشِرَةِ مِنْ عُمْرِهِ ؛ وَكَانَ الصَّبِيُّ  
مُؤَثِّراً لِلْهُوْ ، مُوَلَعاً بِاللَّعِبِ .

(١) الطاعون : نزوع من الوباء . (٢) النجف : من أعمال العراق . (٣) جمامك : موتك وميتك .

فَأَفْتَقَدَهُ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ تَرَكَ الْكُتَابَ وَمَضَى بِتَفَرُّجٍ عَلَى الْكِلَابِ .  
فَلَمَّا عَادَ إِلَى الْمَنَزْلِ سَأَلَهُ : أَصَلَّيْتَ ؟  
فَقَالَ : لَا .

فَدَعَا بِقِرطاسٍ <sup>(١)</sup> وَقَلَمٍ ، وَكَتَبَ إِلَى مُؤَدِّيهِ يَقُولُ :  
تَرَكَ الصَّلَاةَ لِأَكْلِ <sup>(٢)</sup> تَسْعَى لَهَا      يَتَمَنَّى الْهَرَّاشَ <sup>(٣)</sup> مَعَ الْغَوَاةِ الرَّجْسِ <sup>(٤)</sup>  
فَلَيْأَيَّتِكَ عُذْوَةٌ بِصَحِيفَةٍ      كُتِبَتْ لَهُ كَصَحِيفَةِ الْمُتَلَمِّسِ <sup>(٥)</sup>  
فَإِذَا أَتَاكَ فِدَاؤُهُ بِمَلَامَةٍ      أَوْ عِظُهُ مُوعِظَةُ الْأَدِيبِ الْكَيْسِ <sup>(٦)</sup>  
وَإِذَا هَمَمْتَ بِضَرْبِهِ فَبِيدِرَةٍ <sup>(٧)</sup>      وَإِذَا بَلَغْتَ ثَلَاثَةً لَكَ فَاخْبِسِ  
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ - مَا أَتَيْتَ - فَتَنَفُسُهُ      - مَعَ مَا يُجْعِرُنِي - أَعَزُّ الْأَنْفُسِ

\* \* \*

رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْفَارُوقِ ، فَقَدْ زَانَ مَفْرُقَ <sup>(٨)</sup> الْقَضَاءِ فِي الْإِسْلَامِ بِلَوْلُوَّةِ  
كَرِيمَةِ الْأَعْرَاقِ <sup>(٩)</sup> ...

صَافِيَةِ الْجَوْهَرِ ...

زَالِمَةِ الْمُجْتَلَى ...

(١) دُعا بِقِرطاسٍ : طَبَقٌ وَرَقًا .

(٢) الْأَكْلِ : الْكِلَابِ .

(٣) الْهَرَّاشُ : مَهَارِشَةُ بَعْضِ الْكِلَابِ عَلَى بَعْضٍ .

(٤) الرَّجْسُ : عَمَلُ الْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ .

(٥) صَحِيفَةُ الْمُتَلَمِّسِ : يَضْرِبُ بِهَا الْخَلَّ فِي الشُّومِ وَكَانَ مَكْرُوبًا فِيهَا : « إِذَا جَاعَكَ حَامِلُ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ فَاقْتُلْهُ » .

(٦) الْكَيْسُ : الذَّكَاةُ الْبَقِيَّةُ .

(٧) الدَّرَّةُ : مَا يُضْرَبُ بِهِ .

(٨) الْمَفْرُقُ : مُفْرَدٌ وَجْمَعُهُ مَفَارِقُ ... وَمَفَارِقُ الْقَضَاءِ : وَجْهُهُ الْوَاضِحَةُ .

(٩) الْأَعْرَاقُ : الْأَصُولُ .

وَحَبَا<sup>(١)</sup> الْمُسْلِمِينَ مُضْبَحاً مُنْبِئاً، مَا زَالُوا حَتَّى الْيَوْمِ يَمْتَضِيضُونَ بِسَنَا  
فَقْهِهِ لِشَرْعِ اللَّهِ ...

وَيَهْتَدُونَ بِنُورِ فَهْمِهِ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ...

وَيُبَاهُونَ بِهِ الْأَمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَرَجِمَ اللَّهُ شُرْئِخاً الْقَاضِي ...

فَقَدْ أَقَامَ الْعَدْلَ بَيْنَ النَّاسِ سِتِّينَ عَاماً .

فَمَا خَافَ<sup>(٢)</sup> عَلَى أَحَدٍ .

وَلَا حَادَ<sup>(٣)</sup> عَنْ حَقٍّ .

وَلَا مَيَّرَ بَيْنَ مَلِكٍ وَشَوْفَةٍ<sup>(٤)</sup> (٥) ...

(١) حبا للمسلمين : منح للمسلمين .

(٢) خاف : جاز وظلم .

(٣) حاد : مال .

(٤) الشوفة : عاقلة الناس .

(٥) للاستفادة من أخبار شُرَيْخ القاضي انظر :

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد : ١١/٦ ، ٣٤ ، ٩٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٧٠ ، ٢٠٦ ، ٢٦٨ و ١٠١/٧ ، ١٩٤ ، ٤٥٣ و ٤٩٤/٨ .

٢ - صفة الصفوة لابن الجوزي (طبعة حلب) : ٣٨/٣ .

٣ - حلية الأولياء للأصفهاني : ٢٥٦/٤ - ٢٥٨ .

٤ - تاريخ الطبري لابن جرير الطبري : الأجزاء الرابع والخامس والسادس (انظر الفهارس في الجزء العاشر) .

٥ - تاريخ خليفة بن خياط : ١٢٩ ، ١٥٨ ، ١٨٤ ، ٢١٧ ، ٢٥١ ، ٢٦٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ .

٦ - شذرات الذهب : ٨٥/١ - ٨٦ .

٧ - فرائد الوفيات : ١٦٧/٢ - ١٦٩ .

٨ - كتاب الوفيات لأحمد بن حسن بن علي بن الخطيب : ٨٠ - ٨١ .

٩ - المهر محمد بن حبيب : ٣٠٥ ، ٣٨٧ .

١٠ - دائرة المعارف لفرید وَجْهِي : ٣٧٣/٥ ، ٤٧٣ .

# مَحْمَدُ بْنُ سِيرِينَ

« مَا زَأَيْتُ رَجُلًا أَفْقَهَ فِي وَزْعِهِ ، وَلَا أَوْزَعَ فِي فَهْمِهِ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ »  
[مُورِقُ الْجَبَلِيِّ]

عَزَمَ « سِيرِينُ » عَلَى أَنْ يَسْتَكْمِلَ شَطْرَ دِينِهِ <sup>(١)</sup> بَعْدَ أَنْ حَزَرَ أَنْتُسُ بْنُ  
مَالِكٍ <sup>(٢)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَقَبَتَهُ ، وَبَعْدَ أَنْ عَدَّتْ حِرْقَتُهُ ثُدْرَهُ <sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ الرِّيحُ الْوَفِيرُ  
وَالْحَيَزُ الْكَثِيرُ ... فَقَدْ كَانَ نَحَاسًا مَاهِرًا يَتَّقُنُ صِنَاعَةَ الْقُدُورِ .  
وَقَدْ وَقَعَ اخْتِيَارُهُ عَلَى مَوْلَاهُ <sup>(٤)</sup> لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ تُدْعَى « صَفِيَّةٌ » لِتَكُونَ زَوْجَةً لَهُ .

\* \* \*

كَانَتْ « صَفِيَّةٌ » جَارِيَةً فِي بَوَاكِرِ <sup>(٥)</sup> الشَّبَابِ ، وَصِفَةُ الْوَجْهِ ، ذَكِيَّةُ  
الْفُؤَادِ ، كَرِيمَةُ السَّمَائِلِ ، نَيْلَةُ الْخَصَائِلِ ، مُحِبَّةٌ إِلَى كُلِّ مَنْ عَرَفَهَا مِنْ نِسَاءِ  
الْمَدِينَةِ .

لَا فَوْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الشُّوَابِ <sup>(٦)</sup> اللَّوَاتِي تَرْبِطُهُنَّ بِهَا وَشَايِحِ الْيَفَاعَةِ <sup>(٧)</sup> ،  
وَبَيْنَ الْمُسِنَّاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يَرْتِنُّهَا صِنَاؤُ <sup>(٨)</sup> لَهُنَّ فِي رَجَاحَةِ الْعَقْلِ ، وَرَصَانَةِ  
السُّلُوكِ .

وَكَانَتْ أَشَدَّ التَّسَاءِ حُبًّا لَهَا زَوْجَاتُ الرُّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ،  
وَلَا يَبِينَا الشَّيْئَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

\* \* \*

(١) يستكمل شطر دينه : يتزوج .

(٢) انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشروعة .

(٣) ثُدْرُهُ عليه : تفيض عليه .

(٤) مَوْلَاهُ : تلميذه .

(٥) الشُّوَابُ : جمع شابة وهي المرأة في مقتبل العمر .

(٦) وشايح اليفاعة : روابط الفتوة .

(٧) صِنَاؤُ : منبأ .

(٨) البواكير : جمع باكورة ، وهي أول الشيء .

تَقْدَمُ «سِيرِي» إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَخَطَبَ مِنْهُ مَوْلَاتُهُ «صَفِيَّة» .  
فَبَادَرَ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْبَحْثِ عَنْ دِينِ الْخَاطِبِ وَخُلُقِهِ ، كَمَا  
يُبَادِرُ الْأَبُ الشَّفِيقُ الْخَاصِي لِلْبَحْثِ عَنْ حَالِ خَاطِبِ بَنِيهِ ...  
وَلَا غَرَوَ<sup>(١)</sup> ، فَقَدْ كَانَتْ «صَفِيَّة» تَخْتَلُ مِنْ نَفْسِ أَبِي بَكْرٍ مَثَرَةَ الْوَلَدِ مِنْ  
أَبِيهِ ... ثُمَّ إِنَّهَا بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَمَانَةً أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِي غُنْفِهِ .  
فَمَضَى يَسْتَقْصِي أَحْوَالَ «سِيرِي» أَشَدَّ الْإِسْتِقْصَاءِ ، وَيَسْتَسْمِعُ سِيرَتَهُ أَذَقُ  
التَّسْمِيعِ .

وَكَانَ فِي طَلِيعَةِ مَنْ سَأَلَهُمْ عَنْهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ  
أَنَسُ :

رَوَّجَهَا مِنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَحْشَ عَلَيْهَا بَأْسًا ، فَمَا عَرَفْتُهُ إِلَّا صَاحِبِ  
الدِّينِ رَضِيَ الْخُلُقِ ، مَوْفُورَ الْمَرْوَةِ<sup>(٢)</sup> ...

وَلَقَدْ ازْتَبَطْتُ أَشْبَابَهُ بِأَسْبَابِي مُنْذُ سَبَاهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي مَعْرَكَةِ «عَيْنِ  
الْتَمْرِ»<sup>(٣)</sup> مَعَ أَرْبَعِينَ غُلَامًا ، وَجَاءَ بِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ ...

فَكَانَ «سِيرِي» مِنْ نَصِيبِي ، وَكُنْتُ مَحْظُوظًا بِهِ ...

\* \* \*

وَأَفَقَّ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى تَرْوِيجِ «صَفِيَّة» مِنْ «سِيرِي» .  
وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَبْرَهَا كَمَا يَبْرُ الْأَبُ الشَّفِيقُ ابْنَتَهُ الْأَيُّرَةَ<sup>(٤)</sup> فَأَقَامَ  
لِإِمْلَاكِهَا<sup>(٥)</sup> حَفْلًا قَلَمًا ظَفِرَتْ بِمِثْلِهِ قَتَاةٌ مِنْ فَتَيَاتِ الْمَدِينَةِ ...

(١) وَلَا غَرَوَ : وَلَا حُجُبَ .

(٢) مَوْفُورَ الْمَرْوَةِ : تَامَ النُّخْرَةَ كَامِلَ الرَّجُولَةِ .

(٣) عَيْنُ التَّمْرِ : بَلَدٌ غَرْبِي الْكُوفَةِ ، اخْتَصَمَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي خِلَافَةِ الصَّدِيقِ .

(٤) الْأَيُّرَةُ : الْمُنْفَعَةُ الْمَحْبُوبَةُ .

(٥) إِمْلَاكِهَا : تَرْوِيجُهَا .

فَقَدْ شَهِدَ إِتْلَاقَهَا طَائِفَةً كَبِيرَةً مِنْ كِرَامِ الصَّحَابَةِ .

وَكَانَ فِيهِمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ بَلَدِيًّا<sup>(١)</sup>...

وَدَعَا لَهَا كَاتِبٌ وَخِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي بِنُ كَفَيْتُ ...

وَأَمَّنَ عَلَى دُعَائِهِ الْحَاضِرُونَ ...

وَطَلَبَتْهَا وَزَيَّنَتْهَا ثَلَاثٌ مِنْ أُمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ رُفِّتَ  
إِلَى زَوْجِهَا ...

وَقَدْ كَانَ مِنْ فَعْرَاتِ هَذَا الزَّوْجِ الْمُبَارَكِ أَنْ رُزِقَ الْأَهْوَانُ عِلْمًا ، عَدَا بَعْدَ  
عِفْدَنِ<sup>(٢)</sup> مِنَ الزَّمَانِ عِلْمًا مِنْ أَعْلَامِ التَّابِعِينَ ، وَرَجُلًا مِنْ أَفْدَاذِ الْمُسْلِمِينَ هُوَ  
« مُحَمَّدٌ بْنُ سِيرِينَ » .

فَتَعَالَوْا نَبْدَأْ قِصَّةَ حَيَاةِ هَذَا التَّابِعِيِّ الْجَلِيلِ مِنْ أَوَّلِهَا ...

\* \* \*

وُلِدَ « مُحَمَّدٌ بْنُ سِيرِينَ » لِسِتْنَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُفْمَانَ بْنِ  
عُقْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وُزِّيَ فِي بَيْتِ بَصْطُوعٍ<sup>(٣)</sup> الْوَرَعِ وَالْثَقَلَى مِنْ كُلِّ رُحْنٍ مِنْ أَرْكَانِهِ ...

وَلَمَّا أَتَمَعَ<sup>(٤)</sup> الْعِلَامُ الْأَرَبُ اللَّيْبُ ، وَجَدَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

بِزَخْرِ<sup>(٥)</sup> بِالْبَيْتَةِ الْبَاقِيَةِ مِنْ كِرَامِ الصَّحَابَةِ وَكِبَارِ التَّابِعِينَ مِنْ أَمْثَالِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ،  
وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَعُمَرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ ...

وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ .

(١) البديري : من شهد تِلَاقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

(٢) العقد : عشر سنوات .

(٣) بصطوع : بعشر انتشار للسك .

(٤) أتمع : تفرغ وقلرب البلوغ .

(٥) بزخر : بظن .

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمَ الطَّامِي عَلَى الْمَزِيدِ الْعَذْبِ ...

وَنَهَلَ مِنْ عِلْمِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَفَقَّهَهُمْ بِدِينِ اللَّهِ ، وَرَوَّاجَتَهُمْ لِجَدِيدِ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَفْعَمَ (١) عَقْلُهُ حِكْمَةً وَعِلْماً ، وَأَتَرَعَ نَفْسَهُ صَلَاحاً وَهَذَا ...  
ثُمَّ انْتَقَلَبَ الْأَمْرُ مَعَ فَتَاهَا الْفَذُّ (٢) إِلَى «البصرة» وَاتَّخَذْتُهَا لَهَا  
مَوْطِئاً ...

\* \* \*

كَانَتْ «البصرة» يَوْمَئِذٍ مَدِينَةً شَاهَةً بِكراً ...

فَقَدِ اخْتَطَطَهَا الْمُسْلِمُونَ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ الْفَارُوقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .  
وَكَانَتْ تُعْتَلُّ بِجُلٍّ (٣) خَصَائِصِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ .  
فَهِبَتْ قَاعِدَةً عَشْكَرِيَّةً لِجُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ الْغَازِيَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...  
وَهِيَ مَوْكُزٌ مِنْ مَوَازِكِرِ التَّغْلِيمِ وَالتَّوْجِيهِ لِلدَّخَالِينِ فِي دِينِ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ  
«العراق» وَ«فارس» ...

وَهِيَ صُورَةٌ لِلْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ الْجَادِّ الَّذِي يَعْمَلُ لِذُنْيَاهُ كَأَنَّهُ يَعِيشُ  
أَهْلاً ، وَيَعْمَلُ لِأَخْرَآءِهِ كَأَنَّهُ يَمُوتُ غَداً ...

\* \* \*

سَلَكَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ فِي حَيَاتِهِ الْجَدِيدَةِ فِي «البصرة» طَرِيقَيْنِ  
مُتَوَازِيَيْنِ مُتَوَازَيْنَيْنِ :

فَجَعَلَ شَطْراً مِنْ تَوْجِيهِهِ لِلْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ ...  
وَشَطْراً آخَرَ لِلْكَسْبِ وَالتَّجَارَةِ .

(٣) مجل: آخر .

(٢) الفذ: الفرد المتميز .

(١) أفعم: ملأ .

فَكَانَ إِذَا انْتَبَجَ الْفَجْرُ وَأَشْرَقَتِ الدُّنْيَا يَتَوَرَّ رَبُّهَا ؛ عَدَا إِلَى مَسْجِدِ  
« الْبَصْرَةِ » يُعَلِّمُ وَيَتَعَلَّمُ .

حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ النَّهَارُ مَضَى مِنَ الْمَسْجِدِ إِلَى السُّوقِ يَبِيعُ وَيَشْتَرِي ...  
فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ وَأَزْحَى عَلَى الْكَوْنِ سُدُولُهُ <sup>(١)</sup> صَفٌّ فِي مِخْرَابٍ يَتَبَيَّنُ ،  
وَانْحَنَى عَلَى أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يَصْلِيهِ ، وَبَكَى مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بِدُمُوعِ عَيْنَيْهِ  
وَقَلْبِهِ ...

حَتَّى يُشْفِقَ عَلَيْهِ أَهْلُهُ وَجِيرَانُهُ الْأَذْنُونَ <sup>(٢)</sup> لَمَّا يَسْمَعُونَهُ مِنْ نَحِيهِ الَّذِي  
يُقَطِّعُ نِيَاطَ الْقُلُوبِ <sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

وَكَانَ - وَهُوَ يَطْلُوفُ بِالسُّوقِ فِي النَّهَارِ لِلْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ - لَا يَفْتَأُ يَذْكُرُ النَّاسَ  
بِالْآخِرَةِ ... وَيُبْصُرُهُمْ بِالدُّنْيَا ...

وَيُزِيدُهُمْ إِلَى مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ ...

وَيُفَصِّلُ فِيمَا يَشْجُرُ <sup>(٤)</sup> بَيْنَهُمْ مِنْ خِلَافٍ .

وَكَانَ يُطَرِّفُهُمْ <sup>(٥)</sup> بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيَيْنِ بِالْمُلْحَةِ <sup>(٦)</sup> الَّتِي تَمْسَحُ أَلْهَمَ عَنْ  
نُفُوسِهِمُ الْمَكْدُودَةِ ؛ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُتِمَّصَ ذَلِكَ مِنْ هَيْبَتِهِ وَوَقَارِهِ عِنْدَهُمْ شَيْئًا .  
فَقَدْ وَهَبَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ هَذِيحًا وَسَمْتًا <sup>(٧)</sup> ، وَمَنْعَهُ قَبُولًا وَتَأْيِيرًا ...

(١) سُدُولُهُ : أَسْتَارُهُ .

(٢) جِيرَانُهُ الْأَذْنُونَ : جِيرَانُهُ الْأَعْمَىونَ الْمَلَاصِقُونَ .

(٣) النِّيَاطُ : جَمْعُ مَرْدَةٍ نَوَاطٍ ، وَهُوَ عَرَقٌ مَطْلُوقٌ إِذَا انْقَطَعَ مَاتَ الْإِنْسَانُ .

(٤) فِيمَا يَشْجُرُ بَيْنَهُمْ : فِيمَا يَتَنَازَعُونَ فِيهِ .

(٥) يُطَرِّفُهُمْ : يَأْتِيهِمْ بِالْخَبَرِ الْمُسْتَعْمَلِ .

(٦) الْمُلْحَةُ : مَا لُذَّ مِنَ الْأَحَادِيثِ .

(٧) السَّمْتُ : هَيْبَةُ أَهْلِ الْحَيِّ .



فَكَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْهُ فِي الشُّوقِ - وَهُمْ غَارِقُونَ غَافِلُونَ - انْتَبَهُوا ؛ فَذَكَرُوا  
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهَلَّلُوا وَكَبَّرُوا ...

\* \* \*

وَكَانَتْ سِيرَتُهُ الْعَتِيقَةُ خَيْرَ مُرْشِدٍ لِلنَّاسِ ... فَمَا عَرَضَ لَهُ أَمْرَانِ فِي  
تَجَارِيهِهِ إِلَّا أَحَدَهُمَا بِأَوْثَمِهِمَا فِي دِينِهِ ...

وَلَوْ كَانَتْ فِيهِ خَسَارَةٌ تُصِيبُ دُنْيَاهُ ...

\* \* \*

وَكَانَتْ دِقَّةُ فَهْمِهِ لِأَسْرَارِ الدِّينِ ، وَصِحَّةُ نَظَرِيهِ إِلَى مَا يَحِلُّ وَمَا لَا يَحِلُّ  
تَدْفَعُهُ أَخْيَانًا إِلَى بَعْضِ الْمَوَاقِفِ الَّتِي تَبْدُو غَرِيبَةً لِلْعَامِينَ النَّاسِ ...

مِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا ادَّعَى عَلَيْهِ - كَذِبًا - أَنَّ لَهُ فِي ذِمَّتِهِ دِرْهَمَيْنِ ...  
فَأَتَى أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهُمَا .

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَتُخْلِفُ ؟ ...

وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ لَا يُخْلِفُ مِنْ أَجْلِ دِرْهَمَيْنِ .

فَقَالَ : نَعَمْ ، وَخَلَفَ لَهُ .

فَقَالَ لَهُ النَّاسُ : يَا أَبَا بَكْرٍ أَتُخْلِفُ مِنْ أَجْلِ دِرْهَمَيْنِ ؟ ...

وَأَنْتَ ، الَّذِي تَزُكُّ أَمْسِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فِي شَيْءٍ زَاهِكٍ <sup>(١)</sup>  
مَعًا لَا يَزِنَانِ فِيهِ أَحَدٌ غَيْرُكَ ...

فَقَالَ : نَعَمْ أَخْلِفْتُ ...

فَإِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أُطِيعَهُ حَرَامًا ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ حَرَامٌ .

\* \* \*

---

(١) زاهك : شككت فيه .

وَكَانَ مَجْلِسُ ابْنِ سِيرِينَ ؛ مَجْلِسَ خَيْرٍ وَبَرٍّ وَمَوْعِظَةٍ ...  
 فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ رَجُلٌ بِسَيِّئَةٍ ، بَادَرَ فَذَكَرَهُ بِأَحْسَنِ مَا يَعْلَمُ مِنْ أَمْرِهِ .  
 بَلْ إِنَّهُ سَمِعَ أَحَدَهُمْ يَسُبُّ الْحِجَابَ <sup>(١)</sup> بَعْدَ وَقَاتِهِ ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ :  
 صَبْ ، يَا بَنَ أَخِي ...

فَإِنَّ الْحِجَابَ مَضَى إِلَى رَبِّهِ ...  
 وَإِنَّكَ حِينَ تَقْدُمُ عَلَى اللَّهِ جَلًّا وَعَزًّا ؛ سَتَجِدُ أَنَّ أَحَقَّ ذَنْبٍ اِزْتَكَبْتَهُ فِي  
 الدُّنْيَا أَشَدُّ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ أَعْظَمِ ذَنْبٍ اجْتَرَحَهُ الْحِجَابُ ...  
 فَلِكُلِّ مِنْكُمَا يَوْمٌ شَأْنٌ يُغْنِيهِ .

وَاعْلَمْ يَا بَنَ أَخِي أَنَّ اللَّهَ جَلٌّ وَعَزٌّ سَوْفَ يَفْتَضُّ مِنَ الْحِجَابِ لِمَنْ ظَلَمَهُمْ  
 كَمَا سَيَفْتَضُّ لِلْحِجَابِ مِمَّنْ يَظْلِمُونَهُ ...  
 فَلَا تَشْفَلَنَّ نَفْسُكَ بَعْدَ الْيَوْمِ بِسَبِّ أَحَدٍ ...  
 وَكَانَ إِذَا جَاءَهُ رَجُلٌ مُودِعًا فِي سَفَرٍ لِيَجَاوِزَهُ قَالَ لَهُ :  
 يَا بَنَ أَخِي ، اتَّقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ...  
 وَاطْلُبْ مَا قُدِّرَ لَكَ مِنْ طَرِيقٍ حَلَالٍ ... وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ تَطْلُبُهُ مِنْ غَيْرِ حِلٍّ  
 لَمْ تُصِيبْ <sup>(٢)</sup> . أَتَحْتَزُّ مِنَّا قُدْرَ لَكَ .

\* \* \*

وَلَقَدْ كَانَتْ لِمُحَمَّدٍ بْنِ سِيرِينَ مَعَ وَلَاةٍ بَنِي «أُمِّيَّة» مَوَاقِفُ مَشْهُودَةٌ  
 صَدَعَ <sup>(٣)</sup> فِيهَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ ، وَأَخْلَصَ التَّصْبِيحَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ .

(١) الحجاج : هو الحجاج بن يوسف الثقفي أحد ولاة بني أمية الثلاثة الأشداء ، أفاض المورخون في ذكر بطشه  
 وقسوته وهكذا .

(٢) لم تصب : لم تفلح .

(٣) صَدَعَ : جَهَّزَ .

مِنْ ذَلِكَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ رَجُلَ بَنِي « أُمَيَّة » الْكَبِيرِ وَوَالِيَهُمْ عَلَى  
« الْعِرَاقَيْنِ » بَعَثَ إِلَيْهِ يَدْعُوهُ إِلَى زِيَارَتِهِ ، فَمَضَى إِلَيْهِ وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ .

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ ، رَحَّبَ بِهِ الْوَالِي وَأَكْرَمَ وَفَادَتْهُ وَرَفَعَ مَجْلِسَهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ  
كَثِيرٍ مِنْ سُقُوفِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

كَيْفَ تَرَكْتَ أَهْلَ مِصْرِكَ <sup>(١)</sup> يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ .

فَقَالَ : تَرَكْتُهُمْ وَالظُّلْمَ فِيهِمْ فَاشِ <sup>(٢)</sup> وَأَنْتَ عَنْهُمْ لَاؤِ ...

فَعَمَّرَهُ ابْنُ أَخِيهِ بِمَنْكِبِهِ ... فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ :

إِنَّكَ لَسَمْتَ الَّذِي تُسْأَلُ عَنْهُمْ وَإِنَّمَا أَنَا الَّذِي أُسْأَلُ ...

وَإِنَّهَا لَشَهَادَةٌ ... ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتَمَ قَلْبُهُ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وَلَمَّا انْقَضَ الْمَجْلِسُ ، وَدَعَا عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ بِمِثْلِ مَا اسْتَقْبَلَهُ بِهِ مِنْ حِفَاوَةٍ  
وَإِجْلَالٍ ...

وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِكَيْسٍ فِيهِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ دِينَارٍ ، فَلَمْ يَأْخُذْهَا .

فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَخِيهِ : مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَقْبَلَ هِبَةَ الْأَمِيرِ ۱۹ .

فَقَالَ : إِنَّمَا أَعْطَانِي لِخَيْرِ ظَنَّةٍ بِي ...

فَإِنْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ كَمَا ظَنُّ ، فَمَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقْبَلَ ...

وَإِنْ لَمْ أَكُنْ كَمَا ظَنُّ ، فَأُخْرِجِي <sup>(٤)</sup> بِي أَلَّا أَسْتَيْعِجَ قَبُولَ ذَلِكَ ...

\* \* \*

(١) أهل مصرك : أهل بلدك .

(٢) فاشي : منتشر .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٨٣ .

(٤) أخرجي بي : أخرجيني .

وَلَقَدْ شَاءَ اللَّهُ جُلَّ وَعَزُّ أَنْ يَمْلُؤَ صِدْقَ مُحَمَّدٍ بْنِ سِيرِينَ وَصَبْرُهُ ،  
فَعَرَضَهُ<sup>(١)</sup> لِمَا يَتَعَرَّضُ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْمَحَنِّ ...

مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ اشْتَرَى ذَاتَ مَرَّةٍ زَيْتًا بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا مُوَجَّلَةً<sup>(٢)</sup> ...

فَلَمَّا فَتَحَ أَحَدَ زِقَاقِ<sup>(٣)</sup> الزَّيْتِ ؛ وَجَدَ فِيهِ قَارًا مَيِّتًا مُتَفَسِّحًا .

فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنَّ الزَّيْتَ كُلَّهُ كَانَ فِي الْمَعْصِرَةِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ ، وَإِنَّ  
التَّجَاسَةَ لَيْسَتْ خَاصَّةً بِهَذَا الزُّقِّ دُونَ سِوَاهُ ...

وَإِنِّي إِنْ رَدَدْتُهُ لِلْبَّائِعِ بِالْعَيْبِ<sup>(٤)</sup> فَرُبَّمَا بَاعَهُ لِلنَّاسِ ...

ثُمَّ أَرَأَاهُ كُلَّهُ ...

وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فِي وَقْتٍ كَانَ يَشْكُو فِيهِ مِنْ خَسَارَةِ كَبِيرَةٍ حَلَّتْ بِهِ .

فَرَكِبَهُ الدُّنْيُ ، وَطَالَبْتُهُ صَاحِبَ الزَّيْتِ بِمَالِهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ سَدَادُهُ ...

فَرَفَعَ أَمْرَهُ إِلَى الْوَالِي ، فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ حَتَّى يُسَدَّدَ مَا عَلَيْهِ .

فَلَمَّا صَارَ فِي السَّجَنِ وَطَالَ مَكُونُهُ<sup>(٥)</sup> فِيهِ ، أَشْفَقَ عَلَيْهِ السَّجَّانُ لِمَا عَلِمَ

مِنْ أَمْرِ دِينِهِ ، وَمَا رَأَى مِنْ شِدَّةِ وَرَعِهِ وَطُولِ عِبَادَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ :

أَيُّهَا الشَّيْخُ ، إِذَا كَانَ اللَّيْلُ فَأَذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ وَبِثْ مَعَهُمْ ...

فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَعُدْ إِلَيَّ ...

وَاسْتَمِرَّ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يُطْلَقَ سَرَاحَكَ .

(١) عَرَضَهُ لِلْبَيْعَةِ : بَعَلَهُ هَدَفًا لَهَا .

(٢) مُوَجَّلَةٌ : مَوْجَعَةٌ الْعَيْنِ .

(٣) الزِقَاقُ : جَمْعُ زَقٍ ، وَهُوَ رِجْلٌ مِنْ جِلْدٍ يُوضَعُ فِيهِ الْمَاءُ وَتَحْرَهُ مِنَ السَّوَالِ .

(٤) بِالْعَيْبِ : بِسَبَبِ الْعَيْبِ ، وَالرُّدُّ بِسَبَبِ الْعَيْبِ مِنْ حَقْرِكَ لِلشَّعْرِ .

(٥) مَكُونُهُ : إِقَامَتُهُ .

فَقَالَ لَهُ : لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ...

فَقَالَ السَّجَّانُ : وَلَمْ ، هَذَاكَ اللَّهُ ١٢ .

فَقَالَ لَهُ : حَتَّى لَا أَعَاوَنَكَ عَلَى خِيَانَةِ وَلِيِّ الْأَمْرِ ...

\* \* \*

وَلَمَّا اخْتَضِرَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَوْصَى بِأَنْ يُغَيِّلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ وَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ مَا نَزَالَ سَجِينًا .

فَلَمَّا تَوَفَّى بَجَاءِ النَّاسِ إِلَى الْوَالِي وَأَخْبَرُوهُ بِوَصِيَّةِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ وَخَادِمِهِ ، وَاسْتَأْذَنُوهُ فِي أَنْ يُخْلِيَ سَبِيلَ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ لِإِنْفَاقِ الْوَصِيَّةِ فَأَذِنَ لَهُ .

فَقَالَ لَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ : لَا أَخْرُجُ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا صَاحِبَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّمَا حُبِسْتُ بِمَا لَهُ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ ...  
فَأَذِنَ لَهُ الدَّائِنُ أَيْضًا .

عِنْدَ ذَلِكَ خَرَجَ مِنْ سِجْنِهِ فَغَسَلَ أَنَسًا ، وَكَفَّنَهُ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ...  
ثُمَّ رَجَعَ إِلَى السَّجَّانِ كَمَا هُوَ ...  
وَلَمْ يَذْهَبْ لِزُورِيَةِ أَهْلِهِ ...

\* \* \*

عَمَّو مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ حَتَّى بَلَغَ السَّابِعَةَ وَالسَّبْعِينَ ...  
فَلَمَّا أَتَاهُ الْيَقِينُ<sup>(١)</sup> وَجَدَهُ خَفِيفَ الْجُمْلِ مِنْ أَغْبَاءِ الدُّنْيَا ... كَثِيرَ الزَّادِ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ...

---

(١) اليقين : الموت .

حَدَّثْتُ « حَفْصَةَ بِنْتُ رَاشِدٍ » ، وَكَانَتْ مِنَ الْعَابِدَاتِ فَقَالَتْ :  
 كَانَ « مَرْوَانَ الْمُحَلِّمِي » لَنَا جَاراً ، وَكَانَ نَاصِباً<sup>(١)</sup> فِي الْعِبَادَةِ مُجْتَهِداً  
 فِي الطَّاعَةِ ...

فَلَمَّا مَاتَ ؛ حَزِنَّا عَلَيْهِ حُزْناً شَدِيداً ، فَرَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ ... فَقُلْتُ :

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ ؟ .

فَقَالَ : أَذْخَلَنِي الْجَنَّةَ .

قُلْتُ : ثُمَّ مَاذَا ؟ .

فَقَالَ : ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى أَصْحَابِ الْيَمِينِ .

قُلْتُ : ثُمَّ مَاذَا ؟ .

قَالَ : ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى الْمُقَرَّبِينَ<sup>(٢)</sup> .

قُلْتُ : فَمَنْ رَأَيْتَ هُنَاكَ ؟ .

قَالَ : الْحَسَنَ الْبَصْرِيُّ<sup>(٣)</sup> ، وَمُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ<sup>(\*)</sup> ...

(١) ناصباً في العبادة : جاكاً في العبادة .

(٢) المقربون : السابقون .

(٣) الحسن البصري : انظره ص ٩٥ .

(\*) للاستزادة من أخبار محمد بن سيرين انظر :

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد : ١٩٣/٧ و ( انظر المجلد الخاص بالفهارس ) .

٢ - صفة الصفوة لابن الجوزي : ٢٤١/٣ - ٢٤٨ .

٣ - حلية الأولياء للأصفهاني : ٢٦٣/٢ - ٢٨٢ .

٤ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : ١٣١/٥ .

٥ - شذرات الذهب : ١٣٨/١ - ١٣٩ .

٦ - وفيات الأعيان لابن خلكان : ١٨١/٤ .

٧ - تهذيب التهذيب : ٢١٤/٩ .

٨ - الوافي بالوفيات للصفدي : ١٤٦/٣ .

٩ - طبقات الحفاظ : ٩/٣ .

# رَبِيعَةُ الرَّأْيِ

« مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْفَظَ لِلشَّيْءِ مِنْ رَبِيعَةٍ »

[ اتُّنِ الْمَاجْشُونِ ]

« أ »

هَذَا نَحْنُ أَوْلَاءُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ لِلْهِجْرَةِ .  
وَهَذَا هِيَ ذِي سَنَائِبِ<sup>(١)</sup> الْمُسْلِمِينَ تَضْرِبُ فِي فِجَاجِ<sup>(٢)</sup> الْأَرْضِ مُشْرِقَةً  
مُغْرِبَةً .

تَحْمِيلُ لِلْبَشَرِيَّةِ الْعَقِيدَةِ الْبَانِيَّةِ ...  
وَتَعْمُدُ إِلَيْهَا الْيَدُ الْمُصْلِحَةُ الْحَائِنَةُ ...  
وَتَنْشُرُ فِي رُبُوعِهَا الشُّرْعَةَ الَّتِي تُحَرِّزُ الْإِنْسَانَ مِنْ عُيُودِيَّةِ الْإِنْسَانِ ...  
وَتَجْعَلُ وَلَاعَهُ لِلَّهِ وَخَذَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ...  
وَهَذَا الصُّحَايِي الْجَلِيلُ « الرَّبِيعُ بْنُ زَيْدِ الْحَارِثِيِّ »<sup>(٣)</sup> أَمِيرُ « خُرَاسَانَ » ،  
وَفَاتِيحُ « سِجِسْتَانَ » ، وَالْقَائِدُ الْمُظَفَّرُ ؛ يَمْنُضِي عَلَى رَأْسِ جَيْشِهِ الْغَازِي فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ .

وَمَعَهُ عَلَامَةُ الشُّجَاعِ « قُرُوعُ » .  
فَلَقَدْ عَزَمَ بَعْدَ أَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ يَفْتَحُ « سِجِسْتَانَ » وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَصْقَاعِ<sup>(٤)</sup>

(١) الكتاب : جمع كنية ، وهي القطعة من الجيش .

(٢) فجاج الأرض : مسالك الأرض الوعرة بين الجبال .

(٣) الربيع بن زياد الحارثي : انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشروعة .

(٤) الأصقاع : جمع شقع بضم الصاد ، الناحية من الأرض .

عَلَى أَنْ يَخْتِمَ حَيَاتَهُ الْخَافِلَةَ بِمُتَوَرِّدِ نَهْرِ «سِيحُون»<sup>(١)</sup>، وَرَفَعَ رَايَاتِ التَّوْحِيدِ  
فَوْقَ دُرَى<sup>(٢)</sup> تِلْكَ الْأَصْفَاعِ الَّتِي كَانَتْ تُدْعَى بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ .

\* \* \*

أَعَدَّ الرِّبِيعُ بُنْ زِيَادٍ لِلْمَعْرَكَةِ الْمُوعُودَةِ عُدَّتْهَا، وَاتَّخَذَ لَهَا أَهْبَتَهَا ...  
وَفَرَضَ عَلَى عَدُوِّ اللَّهِ زَمَانَهَا وَمَكَانَهَا فَرَضاً ...

وَلَمَّا نَيْسَبَ<sup>(٣)</sup> الْقِتَالَ أَبْلَى فِيهِ الرِّبِيعُ وَجَنْدُهُ الْمَعَاوِيَةَ بَلَاءً مَا يَزَالُ يَذْكُرُهُ  
التَّارِيخُ بِلِسَانِ نَيْدِي بِالْحَمْدِ ، رَطِيبٍ بِالْإِكْبَارِ .

وَأَظْهَرَ غُلَامُهُ «فَرْوَحُ» فِي سَاحَاتِ الْوَعَى<sup>(٤)</sup> مِنْ صُرُوبِ الْبَسَالَةِ  
وَصُنُوفِ الْإِقْدَامِ مَا زَادَ الرِّبِيعَ إِعْجَاباً بِهِ ، وَلِإِكْبَاراً لَهُ ، وَتَقْدِيراً لِمَزَاتِيهِ .  
وَانْجَلَّتِ الْمَعْرَكَةُ عَنْ نَصْرِ مُؤَزَّرٍ<sup>(٥)</sup> لِلْمُسْلِمِينَ .

فَزَلْزَلُوا أَقْدَامَ عَدُوِّهِمْ ، وَمَزَقُوا صُفُوفَهُ ، وَفَرَقُوا جُمُوعَهُ ...  
ثُمَّ عَبَّروا النَّهْرَ الَّذِي كَانَ يَحُولُ دُونَهُمْ وَدُونَ الْإِنْسِيَاكِ<sup>(٦)</sup> فِي بِلَادِ  
«التُّزُكِ» ...

وَيَمْنَعُهُمْ مِنَ الْإِنْدِفَاعِ نَعْوَى أَرْضِ «الصَّبِينِ» ، وَالْإِيْقَالِ<sup>(٧)</sup> فِي مَمْلَكَةِ  
«الصُّغْدِ»<sup>(٨)</sup> ...

وَمَا إِنَّ عَبْرَ الْقَائِدِ الْعَظِيمِ النَّهْرَ ، وَاسْتَقَرَّتْ قَدَمَاهُ عَلَى صَفْتِيهِ الثَّانِيَةِ حَتَّى  
بَادَرَ فَتَوْضاً هُوَ وَجُنُودُهُ مِنْ مَائِهِ ؛ فَأَخْسَتُوا الرُّشُوءَ ...

(١) نهر سيحون : نهر كبير بعد سمرقند في حدود تركستان .

(٢) الدرئى : القسم ، وفردة كل شيء : أحلاه .

(٣) نَيْسَبَ القتال : ثار القتال .

(٤) سَاحَاتِ الْوَعَى : ساحات الحرب .

(٦) الْإِنْسِيَاكِ فِي الْأَرْضِ : الذهاب فيها في كل اتجاه .

(٧) الْإِيْقَالِ : الذهاب بعيداً .

(٨) الصُّغْدِ : منطقة في أواسط آسيا .

(٥) نصر مؤزَّر : نصر قوي شديد .



وَاسْتَقْبَلُوا الْقِبْلَةَ ، وَصَلُّوا رُكْعَتَيْنِ شُكْرًا لِلَّهِ وَاهِبِ النَّصْرِ ...  
 ثُمَّ كَافَأَ الْقَائِدُ الْكَبِيرُ عُلَامَتَهُ «فُرُوحًا» عَلَى حُسْنِ بَلَايِهِ (١):  
 فَأَعْتَقَ رَقَبَتَهُ ...

وَقَسَمَ لَهُ نَصِيبَهُ مِنَ الْغَنَائِمِ الْكَثِيرَةِ الْوَفِيرَةِ .  
 ثُمَّ زَادَهُ مِنْ عِنْدِهِ شَيْئًا كَثِيرًا ...

\* \* \*

لَمْ تَطُلِ الْحَيَاةُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْأَبْلَجِ (٢) الْأَغْرَ (٣) بِالرَّيْبِ بْنِ زَيْنَادِ  
 الْحَارِثِيِّ ...

حَيْثُ وَافَاهُ الْأَجَلَ الْمَحْتَمُومَ بَعْدَ سِتِّينَ اثْنَتَيْنِ مِنْ تَحْقِيقِ حُلْمِهِ الْكَبِيرِ ...  
 فَمَضَى إِلَى رَبِّهِ رَاضِيًا مَرْضِيًّا .

أَمَّا الْفَتَى الْبَاسِلُ الشُّجَاعُ «فُرُوح» فَقَدْ عَادَ إِلَى «الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ»  
 يَحْمِلُ مَعَهُ سَهْمَهُ الْكَبِيرَ مِنَ الْغَنَائِمِ ...

وَالِهَيْبَةَ السَّخِيَّةِ الَّتِي وَهَبَهَا لَهُ قَائِدُهُ الْعَظِيمُ ...

وَيَحْمِلُ فَوْقَ ذَلِكَ حُرْمَتَهُ الْعَالِيَةَ ...

وَذِكْرَيَاتِهِ الْعَنِيَّةِ بِرَوَائِعِ الْبَطُولَاتِ ...

الْمُكَلَّلَةِ (٤) بِغُبَارِ الْوَقَائِعِ ...

\* \* \*

(١) حُسْنُ بَلَايِهِ : حُسْنُ بَقَايِهِ فِي الْقِتَالِ .

(٢) الْأَبْلَجُ : النَّاصِحُ الْوَاضِحُ الْمُنَاقِي .

(٣) الْأَغْرُ : الْأَبْيَضُ .

(٤) الْمُكَلَّلَةُ : الْمُنَوَّرَةُ .

كَانَ «فُرُوح» حِينَ هَبَطَ مَدِينَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَابًا مُؤَفَّرَ الشُّبَابِ ،  
دَفَاقَ الْحَيَوِيَّةِ ، مُثْنِلًا قُوَّةَ وَفُرُوسِيَّةَ ...

وَكَانَ يَخْطُو نَحْوَ الثَّلَاثِينَ مِنْ عُمرِهِ ...

وَقَدْ عَزَمَ «فُرُوح» عَلَى أَنْ يَتَّخِذَ لِنَفْسِهِ مَنَزِلًا يَسْتَقِرُّ فِيهِ ، وَزَوْجَةً يَسْكُنُ  
إِلَيْهَا ...

فَانْتَبَهَ دَارًا مِنْ أَوْسَطِ دُورِ الْمَدِينَةِ ...

وَاخْتَارَ امْرَأَةً رَاجِحَةَ الْعَقْلِ ، كَامِلَةَ الْفَضْلِ ، صَحِيحَةَ الدِّينِ ، ثَقَارِبُهُ فِي  
السَّنِّ ... وَاقْتَرَنَ بِهَا .

\* \* \*

نَعِمَ «فُرُوح» بِدَارِهِ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهَا .

وَلَقِيَ فِي صُحْبَةِ زَوْجَتِهِ مِنْ هَنَاعَةِ الْعَيْشِ وَطِيبِ الْعِشْرَةِ وَنَضَارَةِ الْحَيَاةِ  
فَوْقَ مَا كَانَ يَرْجُو وَيَأْمَلُ .

لَكِنَّ تِلْكَ الدَّارَ الْعَامِرَةَ عَلَى كُلِّ مَا تَوَافَرَ لَهَا مِنَ الْمَزَايَا ...

وَتِلْكَ الزَّوْجَةَ الصَّالِحَةَ عَلَى كُلِّ مَا حَبَاهَا (١) اللَّهُ مِنْ كَرِيمِ السَّمَائِيلِ (٢)  
وَجَلِيلِ الْخَصَائِلِ ، لَمْ يَسْتَطِيعَا أَنْ يَتَغَلَّبَا عَلَى حَيَيْنِ الْفَارِسِ الْمُؤْمِنِ إِلَى خَوْضِ  
الْمَعَارِكِ ...

وَسَوَّاهُ إِلَى سَمَاعٍ وَفَعِ النَّصَالِ عَلَى النَّصَالِ (٣) ...

وَوَلَّاهُ بِاسْتِيفَتَانِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...

---

(١) حَبَاهَا اللَّهُ : مَنَحَهَا اللَّهُ .

(٢) السَّمَائِلُ : الصِّفَاتُ الطَّيِّبَةُ .

(٣) النَّصَالُ : جَمْعُ نَصْلٍ ، وَنَصْلُ السَّيْفِ : حَلِيدَتُهُ .

فَكَانَ كُلَّمَا تَرَدَّدَتْ فِي الْمَدِينَةِ أَخْبَارُ انْتِصَارَاتِ الْجُيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
الْعَازِيَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَأْجِجَتْ<sup>(١)</sup> أَشْوَاقُهُ إِلَى الْجِهَادِ ، وَاسْتَدَّ حَنِينُهُ إِلَى  
الْإِسْتِشْهَادِ .

\* \* \*

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْجُمُعِ سَمِعَ « قُرُوح » خَطِيبَ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ  
يُذَكِّرُ<sup>(٢)</sup> لِلْمُسْلِمِينَ بُشْرَى انْتِصَارَاتِ الْجُيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مِئْدَانٍ .  
وَيُخَصُّ<sup>(٣)</sup> النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...

وَيُرْعَبُهُمْ فِي الْإِسْتِشْهَادِ بِإِعْزَازِ لِدِينِهِ ، وَاتِّعَافِ<sup>(٤)</sup> لِمَرْضَاتِهِ ، فَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ  
وَقَدْ عَقَدَ الْعَزَمَ عَلَى الْإِنْصَوَاءِ تَحْتَ رَاتِيَةٍ مِنْ رَاتِيَاتِ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَنَشِّرَةِ تَحْتَ  
كُلِّ نَجْمٍ .  
وَأَعْلَنَ عَزَمَهُ هَذَا لِزَوْجَتِهِ .

فَقَالَتْ لَهُ :

يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، لِمَنْ تَتْرُكُنِي وَتَتْرُكُ هَذَا الْجَنِينَ<sup>(٥)</sup> الَّذِي أَحْمِلُهُ يَنْ  
بِحُزَانِي ۱٩ ...

فَأَنْتَ رَجُلٌ غَرِيبٌ عَنِ الْمَدِينَةِ ، لَا أَهْلَ لَكَ فِيهَا وَلَا عَشِيرَةَ .

فَقَالَ : أَتُوتُكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ...

ثُمَّ إِنِّي خَلَقْتُ لَكَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ جَمَعْتُهَا مِنْ غَنَائِمِ الْحَرْبِ ...  
فَصُونِيهَا ، وَتَمَرِيهَا<sup>(٦)</sup> ، وَأَنْفِقِي مِنْهَا عَلَى نَفْسِكَ وَوَلَدَيْكَ بِالْمَعْرُوفِ حَتَّى أَعُودَ  
إِلَيْكَ سَالِحاً غَانِماً ...

(٥) الجنين : الولد ما دام في رحم أمه .

(٦) تَمَرِيهَا : كَثَرِيهَا بِالتَّجَارَةِ وَنَحْوِهَا .

(١) تَأْجِجَتْ : انْقَلَبَتْ وَاسْتَعْلَتْ .

(٢) يَذَكِّرُ : يَحْضُرُ : يَحْثُ .

(٣) يَخَصُّ : يُوَفِّقُهَا وَيَهْدِيهَا .

(٤) اتِّعَافٌ : طَلَبٌ .

أَوْ يَزُوقُنِي اللَّهُ الشَّهَادَةَ الَّتِي أَتَمَنَّاهَا ...

ثُمَّ وَدَّعَهَا وَمَضَى إِلَى غَايَتِهِ ...

\* \* \*

وَضَعَبَتِ السَّيِّدَةُ الرَّزَانَ<sup>(١)</sup> حَمْلَهَا بَعْدَ رَجِيلِ زَوْجِهَا بِبَضْعَةِ أَشْهُرٍ ، فَإِذَا هُوَ غُلَامٌ مُشْرِقُ الْوَجْهِ ، حُلُوُ الْقَسَمَاتِ ، رَائِعُ الْمُجْتَلَى<sup>(٢)</sup> ...

فَفَرَحَتْ بِهِ فَرَحًا عَظِيمًا كَأَدَى يُنْسِيهَا فِرَاقَ أَبِيهِ ...  
وَأُطْلِقَتْ عَلَيْهِ اسْمُ « رَيْعَةَ » .

\* \* \*

بَدَتْ عَلَى الْغُلَامِ الصَّغِيرِ عَلَامَاتُ النُّجَابَةِ مُنْذُ نُعُومَةِ أَطْفَالِهِ ...  
وَوَهَّزَتْ أَمَارَاتُ<sup>(٣)</sup> الذِّكَايِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ .

فَأَسْلَمَتْهُ أُمُّهُ إِلَى الْمُعَلِّمِينَ ، وَأَوْصَتْهُمْ بِأَنْ يُحَسِّنُوا تَغْلِيلَهُ ...  
وَاسْتَدْعَتْ لَهُ الْمُؤَدِّينَ وَحَضَّتْهُمْ عَلَى أَنْ يُحْكِمُوا تَأْدِيَتَهُ .

فَمَا لَيْتَ كَثِيرًا حَتَّى أَتَقَنَّ الْكِتَابَةَ وَالْقِرَاءَةَ ...

ثُمَّ حَفِظَ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَجَعَلَ يُرَتِّلُهُ نَدْبًا طَرِبًا كَمَا أَنْزَلَ عَلَى فُؤَادِ  
مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ...

وَوَعَى مَا تَبَيَّنَ لَهُ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ...

وَاسْتَظْهَرَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ مَا يَحْسُنُ بِحِثْلِهِ أَنْ يَسْتَظْهِرَ ...

وَعَرَفَ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفَ .

\* \* \*

(١) المرأة الرزانة : المرأة الوسيطة الزينة .

(٢) رائع المجتلى : مروع عين راحه .

(٣) الأمارات : الدلائل والعلامات .

وَقَدْ أَغْدَقْتُ (١) أُمَّ رَيْعَةَ عَلَى مُعَلِّمِي وَلَدِهَا وَمُؤَدِّيهِ الْعَالَ وَالْجَوَائِزِ  
إِغْدَاقًا .

فَكَانَتْ كُلَّمَا رَأَتْهُ يُزَادُ عِلْمًا ؛ تَرِيدُهُمْ يَرًا وَلِكِرَامًا ...  
وَكَانَتْ تَتَرَقَّبُ عَوْدَةَ أَبِيهِ الْعَائِبِ ، وَتَجْتَهِدُ فِي أَنْ تَجْعَلَهُ قُوَّةَ (٢) عَيْنِ لَهَا  
وَلَهُ .

لَكِنْ «فُرُوحًا» طَالَتْ غَيْبُهُ .  
ثُمَّ تَضَارَبَتِ الْأَقْوَالُ فِيهِ .  
فَقَالَ بَغْضُهُمْ : إِنَّهُ وَقَعَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَعْدَاءِ .  
وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّهُ مَا زَالَ طَلِيقًا يُوَاصِلُ الْجِهَادَ .  
وَقَالَ فَرِيقٌ ثَالِثٌ غَائِثٌ مِنْ سَاخَاتِ الْقِتَالِ : إِنَّهُ نَالَ الشَّهَادَةَ الَّتِي تَمَنَّاهَا .  
فَتَرْجِعُ هَذَا الْقَوْلُ الْأَخِيرُ عِنْدَ أُمِّ رَيْعَةَ لِانْقِطَاعِ أَحْبَابِهِ ، فَحَزِنَتْ عَلَيْهِ  
حُزْنًا أَمَّضَ (٣) قُوَادِمَهَا .  
ثُمَّ احْتَسَبَتْهُ عِنْدَ اللَّهِ (٤) .

\* \* \*

كَانَ رَيْعَةُ يُؤَمِّدُ قَدْ أَتَمَعَ (٥) وَكَادَ يَدْخُلُ فِي مَدَائِلِ الشُّبَابِ .  
فَقَالَ النَّاصِحُونَ لِأُمِّهِ :  
هَا هُوَ ذَا رَيْعَةُ قَدْ اسْتَكْمَلَ مَا يَنْبَغِي لِفَتَى مِثْلِهِ أَنْ يَشْتَكَمِلَهُ مِنَ الْقِرَاءَةِ  
وَالْكِتَابَةِ ...

(١) أغدقت : أكثرت وأجزلت .

(٢) قرّة عين : مبعث فرح وسرور .

(٣) أمّض قوادِمها : أحزنه وأوجسه .

(٤) احتسبه عند الله : طلبت أجرا عليه من الله .

(٥) أتَمَعَ : ألهع : قارب البلوغ .

وَرَزَاةً عَلَى أَقْرَانِهِ<sup>(١)</sup> فَحَفِظَ الْقُرْآنَ وَرَوَى الْحَدِيثَ .  
 فَلَوْ تَخَيَّرْتَ لَهُ حِرْفَةً<sup>(٢)</sup> مِنَ الْحِرَفِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَلْبِثُ أَنْ يُثَقِّنَهَا ، وَيُنْفِقَ  
 عَلَيْكَ وَعَلَى نَفْسِهِ مِمَّا تُدْرُهُ مِنْ خَيْرٍ ، فَقَالَتْ :  
 أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَخِيرَ<sup>(٣)</sup> لَهُ مَا فِيهِ صَلَاحٌ مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ<sup>(٤)</sup> ...  
 إِنَّ رَبِيعَةَ قَدْ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ الْعِلْمَ ...  
 وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَعِيشَ مُتَعَلِّمًا وَمُتَعَلِّمًا مَا امْتَدَّتْ بِهِ الْحَيَاةُ .

\* \* \*

مَضَى رَبِيعَةُ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي اخْتَرَهَا لِنَفْسِهِ غَيْرَ وَإِنْ وَلَا مُقْصِرٍ .  
 وَأَقْبَلَ عَلَى حَلَقَاتِ الْعِلْمِ الَّتِي كَانَ يَرْجُو<sup>(٥)</sup> بِهَا مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ كَمَا يُقْبَلُ  
 الظُّمَاءُ<sup>(٦)</sup> عَلَى الْمَوَارِدِ الْعَذَابِ<sup>(٧)</sup> .  
 وَلَزِمَ الْبَقِيَّةَ الْبَاقِيَةَ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ<sup>(٨)</sup>  
 نَحَاذِمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ...  
 وَأَخَذَ عَنِ الرَّجِيزِ الْأَوَّلِ<sup>(٩)</sup> مِنَ التَّابِعِينَ وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ :  
 سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ<sup>(١٠)</sup> ، وَمَكْحُولُ الشَّامِيُّ ، وَسَلَمَةُ بْنُ دِينَارٍ<sup>(١١)</sup> ...

(١) أقرانه : نظرائه وأمثاله .

(٢) الحرفة : الصنعة .

(٣) يخير له : يختار له .

(٤) معاشه ومعاده : أي معاشه في الدنيا ، ومعاده في الآخرة .

(٥) يرجو بها : يروج بها .

(٦) الظُّمَاءُ : العطاش .

(٧) اليلباب : المذبة الحلوة .

(٨) أنس بن مالك الأنصاري : انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشرقة .

(٩) الرجيز الأول : الفريق المتقدم .

(١٠) سعيد بن المسيب : انظره ص ١٩٧ . (١١) سلمة بن دينار : انظره ص ١٨٥ .

وَوَاصِلَ كَلَالٍ<sup>(١)</sup> لَيْلِهِ بِكَلَالٍ نَهَارِهِ حَتَّى أَنْتَهَكَ الْجُهْدُ .  
فَإِذَا كَلَّمَهُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ وَدَعَاهُ إِلَى الرِّفْقِ بِنَفْسِهِ ، قَالَ :  
سَمِعْنَا أَشْيَاخَنَا يَقُولُونَ :

« إِنَّ الْعِلْمَ لَا يُعْطِيكَ بَعْضُهُ إِلَّا إِذَا أُعْطِيَتْهُ نَفْسُكَ كُلُّهَا » ...  
ثُمَّ مَا لَيْتَ<sup>(٢)</sup> كَثِيرًا حَتَّى ارْتَفَعَ ذِكْرُهُ ، وَبَزَرَ نَجْمُهُ ، وَكَثُرَ إِخْوَانُهُ .  
وَأَوَّلَعَ بِهِ تَلَامِيذَهُ ، وَسَوَّدَهُ<sup>(٣)</sup> قَوْمُهُ .  
وَلَقَدْ سَارَتْ حَيَاةُ عَالِمِ الْمَدِينَةِ هَادِئَةً وَادِعَةً ...  
فَسَطَرَتْ مِنْ يَوْمِهِ فِي دَارِهِ لِأَهْلِيهِ وَإِخْوَانِهِ ...  
وَأَخْرَجَتْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَجَالِسِ الْعِلْمِ وَحَلَقَاتِهِ ...  
وَلَقَدْ مَضَتْ حَيَاتُهُ مُتَشَابِهَةً حَتَّى وَقَعَ فِيهَا مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُسْبَانِ ...

---

(١) الكلال : التعب والنعصب .

(٢) ما لَيْتَ : ما أَبْطَأَ .

(٣) سَوَّدَهُ قَوْمُهُ : جَعَلُوهُ سَيِّئاً عَلَيْهِمْ .

# رَبِيعَةُ الرَّأْيِ

## « ب »

فِي ذَاتِ عَشِيَّةٍ مِنْ عَشِيَّاتِ الصَّيْفِ الْمُقْمِرَةِ ؛ بَلَغَ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ فَارِسَ  
فِي أَوَاخِرِ الْعَقْدِ السَّادِسِ مِنْ عُمْرِهِ .

وَمَضَى فِي أَرْقِيَّتِهَا رَاكِباً جَوَادَهُ قَاصِداً دَارَهُ .

وَهُوَ لَا يَذْهَبُ إِلَّا كَأَنَّهُ دَارَهُ مَا تَرَاوَلُ قَالِمَةُ عَلَى عَهْدِهِ بِهَا ، أَمْ أَنَّ الْأَيَّامَ قَدْ  
فَعَلَتْ بِهَا فِعْلَهَا ...

فَلَقَدْ مَضَى عَلَى غِيَابِهِ عَنْهَا ثَلَاثُونَ عَاماً أَوْ نَحْوَهَا<sup>(١)</sup> مِنْ ذَلِكَ .

وَكَانَ يُسَائِلُ نَفْسَهُ عَنْ زَوْجَتِهِ الشَّابَّةِ الَّتِي خَلَفَهَا فِي تِلْكَ الدَّارِ  
مَا فَعَلَتْ ؟ ...

وَعَنْ بَجِينِهَا الَّذِي كَانَتْ تَحْمِلُهُ بَيْنَ جَوَانِحِهَا :

أَوْضَعْتَهُ ذِكْراً أَمْ أُنْثَى ؟ ... أَحْيَى هُوَ أَمْ مَيِّتٌ ؟ .

وَإِذَا كَانَ حَيّاً ، فَمَا شَأْنُهُ ؟ .

وَعَنْ ذَلِكَ الْمَبْلَغِ الْكَبِيرِ الَّذِي جَمَعَهُ مِنْ غَنَائِمِ الْجِهَادِ ، وَتَرَكَهُ وَدِيعَةً  
عِنْدَهَا حِينَ مَضَى مُجَاهِداً فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ الْجُيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُتَوَجِّهَةِ لِفَتْحِ  
« بُخَارَى » وَ« سَمَرْقَنْدَ » وَمَا جَاوَزَهُمَا ...

---

(١) نَحْواً مِنْ ذَلِكَ : قَرِيباً مِنْ ذَلِكَ .



وَلَقَدْ كَانَتْ أَرْقُفَةُ الْعَدِينَةِ وَشَوَارِعُهَا مَا تَزَالُ غَامِرَةً بِالْغَادِينَ وَالرَّائِحِينَ ...  
فَالنَّاسُ لَمْ يَفْرَعُوا مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَّا وَشِيكاً<sup>(١)</sup>، لَكِنْ أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ  
النَّاسِ الَّذِينَ مَرَّ بِهِمْ لَمْ يَعْرِفْهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ<sup>(٢)</sup> لَهُ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى جَوَادِهِ الْمُطْهِمِ،  
وَلَا إِلَى سَيْفِهِ الْمُتَدَلِّي مِنْ عَاتِقِهِ ...

فَشَكَانُ الْمُدُنِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَانُوا قَدْ أَلْفُوا مُنْظَرَ الْمُجَاهِدِينَ الْغَادِينَ إِلَى  
الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْعَائِدِينَ مِنْهُ.

لَكِنْ ذَلِكَ كَانَ سَبَبًا فِي إِثَارَةِ حُزْنِ الْفَارِسِ وَازْدِيَادِ وَسَاوِسِهِ .  
وَفِيمَا كَانَ الْفَارِسُ سَابِحًا فِي أَفْكَارِهِ هَذِهِ، مَاضِيًا يَتَلَمَّسُ طَرِيقَهُ فِي تِلْكَ  
الْأَرْقَةِ الَّتِي عَرَاهَا<sup>(٣)</sup> التَّغْيِيرُ ... وَجَدَ نَفْسَهُ فَجَاءَهُ أَمَامَ دَارِهِ ...

وَأَلْفَى<sup>(٤)</sup> بَابَهَا مَشْقُوقًا، فَأَعْجَلَتْهُ الْفَرَحَةُ عَنِ الْإِسْتِفْدَانِ عَلَى أَهْلِهَا ...  
وَوَلَّجَ مِنَ الْبَابِ، وَأَوْغَلَ فِي صُغْنِ الدَّارِ ...

\* \* \*

سَمِعَ رَبُّ الدَّارِ صَرِيرَ الْبَابِ، فَأَطْلُ مِنْ عُثْيَتِهِ<sup>(٥)</sup> قَرَأَى فِي صَوْنِ الْقَمَرِ  
رَجُلًا مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ مُتَقَلِّدًا رُمَحَهُ، يَفْتَحِمُ عَلَيْهِ فِي اللَّيْلِ دَارَهُ .

وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ الشَّابَّةُ تَقِفُ غَيْرَ بَعِيدٍ عَنْ مُرْمَى بَصَرِ الرَّجُلِ الْغَرِيبِ .  
فَهَبَ مُغْضَبًا، وَنَزَلَ إِلَيْهِ خَافِيًا وَهُوَ يَقُولُ :

أَتَسْتَشِيرُ بِجُنْحِ اللَّيْلِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، وَتَفْتَحِمُ مِنِّي، وَتَهْجِمُ عَلَى حَرِيمِي ۱٩ .  
وَأَنْدَفَعُ نَحْوَهُ كَمَا يَنْدَفِعُ الْأَسَدُ الصَّارِي إِذَا أُرِيدَ غَرِيمُهُ<sup>(٦)</sup> بِسَوْءِ ...

(٤) أَلْفَى : وجد .

(٥) الْعُثْيَةُ : بيت في الطبقة الثانية من الدار .

(٦) العرين : بيت الأسد .

(١) وشيكاً : قريباً .

(٢) لم يأت له : لم يهجم ٤ .

(٣) عراها : أصابها .

وَلَمْ يَدْعُ لَهُ فُرُوسَهُ لِلْكَلامِ ...

وَتَوَاتَبَ كُلُّ مِنَ الرُّجُلَيْنِ عَلَى صَاحِبِهِ ؛ وَعَلَتْ جَلْبَتُهُمَا<sup>(١)</sup> ، وَازْتَفَعَ  
ضَجِيجُهُمَا ، وَتَدَفَّقَ الْحِيرَانُ عَلَى الْبَيْتِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ .

فَأَحَاطُوا بِالرُّجُلِ الْغَرِيبِ إِحَاطَةً الْقُلُوبِ<sup>(٢)</sup> بِالْعُنُقِ ، وَأَعَانُوا جَارَهُمْ عَلَيْهِ ...

فَأَمْسَكَ بِهِ صَاحِبُ الدَّارِ وَأَحْكَمَ قَبِضَتَهُ عَلَى خِنَاقِهِ<sup>(٣)</sup> وَقَالَ :

وَاللَّهِ لَا أَطْلُقُكَ - يَا عَدُوَّ اللَّهِ - إِلَّا عِنْدَ الْوَالِي .

فَقَالَ الرُّجُلُ : مَا أَنَا بِعَدُوِّ اللَّهِ ... وَلَمْ ارْتَكِبْ ذَنْبًا ...

وَلِنَّمَا هُوَ يَتَنِي ، وَمِلْكُكَ يَمِينِي ، وَجَدْتُ بَابَهُ مَفْتُوحًا فَدَخَلْتُهُ ...

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ :

يَا قَوْمُ ... اسْمَعُوا مِنِّي ...

هَذَا الْبَيْتُ يَتَنِي ... سَرِيتُهُ بِمَالِي ...

يَا قَوْمُ ... أَنَا « فُرُوحٌ » .

أَلَمْ يَتَّقَ فِي الْحِيرَانِ أَحَدٌ يَفْرُقُ « فُرُوحًا » الَّذِي عَدَا<sup>(٤)</sup> مُنْذُ ثَلَاثِينَ عَامًا  
مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟

وَكَانَتْ وَالِدَةُ صَاحِبِ الدَّارِ نَائِمَةً ، فَاسْتَيْقَظَتْ عَلَى الضَّجِيجِ ، وَأَطْلَتْ  
مِنْ نَافِذَةِ عُلْيَتَيْهَا ؛ فَرَأَتْ زَوْجَهَا يَشْخِمُهُ وَلَحْمِيهِ .

(١) جَلْبَتُهُمَا : ضوؤاهما .

(٢) الْقُلُوبُ : طوق من حديد يجعل في العنق أو اليد ، وجمعه أغلال .

(٣) خِنَاقُهُ : رقبته .

(٤) عَدَا : غَضِبَ وَغَضِبَ .

فَكَادَتْ تَغْفِدُ الدَّهْشَةَ لِسَانَهَا ...

لَكَيْنَهَا مَا لَيْبَتْ أَنْ قَالَتْ :

دَعُوهُ ...

دَعُهُ يَا رَبِيعَةُ ...

دَعُهُ يَا وَلَدِي ... إِنَّهُ أَبُوكَ ...

انصبرُوا عَنْهُ يَا قَوْمُ ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ .

حَذَارِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ...

إِنَّ هَذَا الَّذِي تَتَصَدَّقُ لَهُ وَلَدَكَ وَفَلَذَهُ كَبِيدُكَ (١) .

فَمَا كَادَتْ كَيْلَمَاتُهَا ثَلَاثِينَ الْآدَانَ حَتَّى أَقْبَلَ « فَرُوحٌ » عَلَى رَبِيعَةَ ،  
وَجَعَلَ يَضُمُّهُ وَيُعَانِقُهُ ..

وَأَقْبَلَ رَبِيعَةُ عَلَى « فَرُوحٍ » ، وَطَفِقَ يُقَبِّلُ يَدَيْهِ وَعُنُقَهُ وَرَأْسَهُ ...

وَانْفَضَّ عَنْهُمَا النَّاسُ ...

وَنَزَلَتْ أُمُّ رَبِيعَةَ تُسَلِّمُ عَلَى زَوْجِهَا الَّذِي مَا كَانَتْ تَنْظُرُ طَنًّا أَنَّهَا سَتَلْقَاهُ  
عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ انْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُ مُدَّةً تُقَارِبُ ثَلَاثَ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ .

\* \* \*

جَلَسَ « فَرُوحٌ » إِلَى زَوْجِيهِ ، وَطَفِقَ يُحَدِّثُهَا عَنْ أَحْوَالِهِ ...

وَيَكْشِفُ لَهَا عَنْ أَسْتَبَابِ انْقِطَاعِ أَخْبَارِهِ ...

وَلَكَيْنَهَا كَانَتْ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَقُولُ ، فَلَقَدْ نَعَصَ (٢) عَنْهَا

(١) فَلَذَةُ كَبِيدِكَ : قَلْبَةُ كَبِيدِكَ .

(٢) نَعَصَ : كَثُرَ .

فَرَوَحَتْهَا بِلِقَائِهِ وَاجْتِمَاعِ سَخْلِهِ بِوَلَدِهِ ؛ خَوْفُهَا مِنْ غَضَبِهِ عَلَى إِصَاعَةِ كُلِّ  
مَا أَوْدَعَهُ لَدَيْهَا مِنْ مَالٍ ...

كَانَتْ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا :

مَاذَا لَوْ سَأَلَنِي الْآنَ عَنْ ذَلِكَ الْمَبْلَغِ الْكَبِيرِ الَّذِي تَرَكَهُ أَمَانَةٌ عِنْدِي ،  
وَأَوْصَانِي أَنْ أَتَّقَى مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ ١٩ ...

مَاذَا سَيَكُونُ مِنْهُ لَوْ أَخْبَرْتُهُ أَنَّهُ لَمْ يَتَّقِ مِنْهُ شَيْءٌ ١٩ ...  
أَيُّفِيغُهُ قَوْلِي لَهُ :

إِنِّي أَنْفَقْتُ مَا تَرَكَهُ عِنْدِي عَلَى تَرْبِيَةِ ابْنِي وَتَعْلِيمِهِ ٢ ...  
وَهَلْ تَبْلُغُ نَفَقَةُ وَلَدٍ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ١٩ .

أَيُّصَدِّقُ أَنَّ يَدَ ابْنِي أَتَدْنَى مِنَ السُّحَابِ (١) ، وَأَنَّهُ لَا يُبْقِي عَلَى دِينَارٍ  
وَلَا دِرْهَمٍ ، وَأَنَّ الْمَدِينَةَ كُلَّهَا تَعْلَمُ أَنَّهُ أَنْفَقَ عَلَى إِخْوَانِهِ الْآلَافَ الْمُؤَلَّفَةَ ٢ .  
وَفِيمَا كَانَتْ أُمُّ رَبِيعَةَ عَارِقَةً فِي هَوَاجِسِهَا (٢) هَذِهِ ، التَّفَتَّ إِلَيْهَا رُوحُهَا  
وَقَالَ :

لَقَدْ جِئْتُكَ - يَا أُمُّ رَبِيعَةَ - بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِينَارٍ ...

فَأَخْرَجَنِي الْمَالُ الَّذِي أَوْدَعْتُهُ عِنْدَكَ لِتَضُمَّ هَذَا إِلَيْهِ ، وَتَشْتَرِيَ بِالْمَالِ كُلَّهُ  
بُشْتَانًا أَوْ عَقَارًا (٣) نَعِيشُ مِنْ غَلِّيهِ مَا امْتَدَّتْ بِنَا الْحَيَاةُ .

فَتَشَاغَلَتْ عَنْهُ ، وَلَمْ تُجِبْهُ بِشَيْءٍ .

فَأَعَادَ عَلَيْهَا الطَّلَبَ وَقَالَ :

(١) أَتَدْنَى مِنَ السُّحَابِ : أَكْرَمَ مِنَ النِّعَمِ لِلْمَطَرِ .

(٢) هَوَاجِسُهَا : خَوَاطِرُهَا .

(٣) عَقَارًا : خَوَاطِرُهَا .

هَيَّا ... أَتَيْنَ الْمَالَ حَتَّى أَصْنَمَ إِلَيْهِ مَا مَعِيَ ؟ .

فَقَالَتْ : لَقَدْ وَضَعْتُهُ حَيْثُ يَجِبُ أَنْ يُوَضَعَ ...

وَسَأَخْرِجُهُ لَكَ بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَقَطَعَ صَوْتُ الْمُؤَذِّنِ عَلَيْهِمَا الْحَدِيثَ ... فَهَبَ « فَرُوخٌ » إِلَى إِبْرَيْقِهِ  
فَقَوَّضاً .

ثُمَّ مَضَى مُسْرِعاً نَحْوَ الْبَابِ وَهُوَ يَقُولُ : أَتَيْنَ رَبِيعَةً ؟ .

فَقَالُوا : سَبَقَكَ إِلَى الْمَسْجِدِ مُنْذُ النَّدَاءِ الْأَوَّلِ .

وَلَا نَحْسَبُ أَنَّكَ تُذَرِّكُ الْجَمَاعَةَ .

\* \* \*

بَلَغَ « فَرُوخٌ » الْمَسْجِدَ ، فَوَجَدَ أَنَّ الْإِمَامَ قَدْ فَرَغَ وَشَيْكَا مِنَ الصَّلَاةِ ،  
فَأَدَّى الْمَكْتُوبَةَ .

ثُمَّ مَضَى نَحْوَ الضَّرِيحِ الشَّرِيفِ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

ثُمَّ انْتَقَلَ نَحْوَ الرُّوَضَةِ (١) الْمُطَهَّرَةِ ، فَقَدْ كَانَتْ فِي قَوَائِدِهِ أَشْوَاقٌ إِلَيْهَا ،  
وَحِينٌ إِلَى الصَّلَاةِ فِيهَا .

فَتَحَيَّرَ لِنَفْسِهِ مَكَاناً فِي رَحَابِهَا النُّصْرَةِ .

ثُمَّ جَعَلَ يَتَنَقَّلُ (٢) ، فَصَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُصَلِّيَ ، ثُمَّ دَعَا بِمَا أَلْهِمَ أَنْ  
يَدْعُو .

(١) الرُّوَضَةُ : مَا بَيْنَ قَبْرِ الرَّسُولِ ﷺ وَمِنْهُ .

(٢) يَتَنَقَّلُ : يَمْشِي نَفْلاً ، وَالنَّفْلُ : مَا زَادَ عَلَى الْفَرَاغِ .

وَلَمَّا هَمَّ بِمَغَادَرَةِ الْمَسْجِدِ ؛ وَجَدَ بَاخْتَهُ قَدْ غُصَّتْ عَلَى رَحِيهَا بِمَجْلِسٍ  
مِنْ مَجَالِسِ الْعِلْمِ لَمْ يَشْهَدْ لَهُ نَظِيراً مِنْ قَبْلُ .

وَرَأَى النَّاسَ قَدْ تَحَلَّفُوا حَوْلَ شَيْخِ الْمَجْلِسِ حَلَقَةً إِثْرَ حَلَقَةٍ ، حَتَّى لَمْ  
يَتْرُكُوا فِي السَّاحَةِ مَوْطِئاً لِقَدَمٍ .

وَأَجَالَ بَصَرَهُ فِي النَّاسِ ؛ فَإِذَا فِيهِمْ شُبُوحٌ مُعَمَّمُونَ ذَوُو أَسْتَانٍ<sup>(١)</sup> ...

وَرِجَالٌ مُتَوَقَّرُونَ<sup>(٢)</sup> تَذُلُّ هَيْئَتُهُمْ عَلَى أَنْهَمُ ذَوُو أَقْدَارٍ<sup>(٣)</sup> ...

وَشُبَّانٌ كَثِيرُونَ قَدْ جَنَّزُوا عَلَى رُكَبِهِمْ ، وَأَخَذُوا أَقْلَامَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ، وَجَعَلُوا  
يَلْتَقِطُونَ مَا يَقُولُهُ الشَّيْخُ كَمَا تُلْتَقِطُ الدُّرُرُ ...

وَيَحْفَظُونَهُ فِي دِفَاطِرِهِمْ كَمَا تُحْفَظُ الْأَعْلَاقُ<sup>(٤)</sup> النَّفِيسَةُ .

وَكَانَ النَّاسُ مُتَّجِهِينَ بِأَبْصَارِهِمْ إِلَى حَيْثُ يَجْلِسُ الشَّيْخُ ، مُنْصِتِينَ إِلَى  
كُلِّ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ حَتَّى لَكَانَ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّمَرُ<sup>(٥)</sup> ...

وَكَانَ الْمُتَلَفُّونَ يَنْقُلُونَ مَا يَقُولُهُ الشَّيْخُ فِقْرَةً فِقْرَةً ، فَلَا يَقُوتُ أَحَدٌ شَيْءَ  
مِنْ كَلَامِهِ مَهْمَا كَانَ بَعِيداً .

وَاحْوَالَ « فَرُوحٌ » أَنْ يَتَّبِعَ صُورَةَ الشَّيْخِ ... فَلَمْ يُفْلِحْ لِمَوْقِعِهِ مِنْهُ ، وَيُعْبِدِهِ  
عَنْهُ .

لَقَدْ رَاعَهُ مِنْهُ بَيَانُهُ الْمُشْرِقُ ، وَعِلْمُهُ الْمُتَدَقِّقُ ، وَحَافِظَتُهُ الْعَجِيبَةُ .

وَأَذْهَبَتْهُ خُضُوعُ النَّاسِ بَيْنَ يَدَيْهِ .

(١) ذُو أَسْتَان : ذُو أَعْمَار ، [أي كبار السن] .

(٢) مَعْرُقُونَ : مُظْهِرُونَ الْوَقْلَ .

(٣) ذُو أَقْدَار : لَهُمْ مَنَزِلَةٌ وَشَأْنٌ .

(٤) الْأَعْلَاق : النِّفَالِسُ الَّتِي تُلْتَقِطُ .

(٥) كَانَ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّمَرُ : كِتَابَةٌ عَنْ سُكُونِهِمْ ، وَصَمْتِهِمْ .

وَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى خَتَمَ الشَّيْخُ مَجْلِسَهُ وَنَهَضَ وَاقِفًا ...  
فَهَبَ النَّاسُ مُتَجِهِينَ نَحْوَهُ ، وَتَرَاخَمُوا عَلَيْهِ ، وَأَحَاطُوا بِهِ ، وَانْدَفَعُوا وَرَاءَهُ  
يُسَيِّمُونَهُ<sup>(١)</sup> إِلَى خَارِجِ الْمَسْجِدِ .

وَهُنَا انْفَقَتْ « فَرُوحٌ » إِلَى رَجُلٍ كَانَ يَجْلِسُ بِجَانِبِهِ وَقَالَ :  
قُلْ لِي - يَرْثُكَ - مِنَ الشَّيْخِ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ بِاسْتِعْرَابٍ : أَوْ لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ؟  
فَقَالَ « فَرُوحٌ » : بَلَى .

فَقَالَ الرَّجُلُ : وَهَلْ فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ وَاحِدٌ لَا يَعْرِفُ الشَّيْخَ ؟  
فَقَالَ « فَرُوحٌ » : اغْذُرْنِي إِذَا كُنْتُ لَا أَعْرِفُهُ .

فَالْقَدْ أَمْضَيْتُ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ عَامًا بَعِيدًا عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَلَمْ أَغْدُ إِلَيْهَا  
إِلَّا أَمْسٍ ... فَقَالَ الرَّجُلُ :

لَا تَأْسَ ... اجْلِسْ إِلَيَّ قَلِيلًا أُحَدِّثُكَ عَنِ الشَّيْخِ .  
ثُمَّ قَالَ :

إِنَّ الشَّيْخَ الَّذِي اسْتَمَعْتَ إِلَيْهِ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ التَّابِعِينَ ، وَعَلِمَ مِنْ أَعْلَامِ  
الْمُسْلِمِينَ .

وَهُوَ مُحَدِّثُ الْمَدِينَةِ ، وَفَقِيهٌ هَاشِمِيٌّ ، وَإِمَامُهَا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ حَدَاثَةِ سِنِّهِ .  
فَقَالَ « فَرُوحٌ » : مَا شَاءَ اللَّهُ ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ...

فَاتَّبَعَ الرَّجُلُ يَقُولُ :

---

(١) يسمونه : يودعونه .

وَلِإِنْ مَجْلِسُهُ يَضُمُّ - كَمَا رَأَيْتَ - مَالِكَ بْنِ أَنَسٍ <sup>(١)</sup>، وَأَبَا حَنِيفَةَ النُّعْمَانَ ،  
وَيَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيَّ، وَشُعْبَانَ الثَّوْرِيَّ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَمْرِو  
الْأَوْزَاعِيِّ، وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ، وَغَيْرَهُمْ وَغَيْرَهُمْ .

فَقَالَ « فَرُوخُ » :

غَيْرَ أَنَّكَ ...

فَلَمْ يُبَيِّحْ لَهُ الرَّجُلُ فُرْصَةً لِإِتِّمَامِ كَلَامِهِ ، وَأُزْدَفَ <sup>(٢)</sup> يَقُولُ :  
وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ سَيِّدُ كَرِيمِ السَّمَائِلِ ، مُوطَأُ الْأَكْتَانِ <sup>(٣)</sup> ، سَخِيحِ  
الْيَدِ ...

فَمَا عَرَفَ أَهْلُ الْعِدِينَةِ أَحَدًا أَوْفَرَ مِنْهُ جُودًا لِصَدِيقِي وَابْنِ صَدِيقِي ...  
وَلَا أَزْهَدَ مِنْهُ فِي مَتَاعِ الدُّنْيَا ، وَلَا أَرْعَبَ مِنْهُ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ .

فَقَالَ « فَرُوخُ » : وَلَكِنَّكَ لَمْ تَذْكُرْ لِي اسْمَهُ .

فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنَّهُ رَبِيعَةُ الرَّأْيِي .

فَقَالَ « فَرُوخُ » : رَبِيعَةُ الرَّأْيِي !! .

نَعَمْ ، إِنَّ اسْمَهُ رَبِيعَةُ ...

لَكِنَّ عُلَمَاءَ الْعِدِينَةِ وَشُيُوخَهَا دَعَوْهُ رَبِيعَةَ الرَّأْيِي لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا لَمْ يَجِدُوا  
لِقَضِيَّةٍ نَصًّا فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَجَأُوا إِلَيْهِ ...  
فَيَجْتَهِدُ فِي الْأَمْرِ ...

وَيَقِيسُ مَا لَمْ يَرِدْ فِيهِ نَصٌّ عَلَى مَا وَرَدَ فِيهِ نَصٌّ ...

(١) مالك بن أنس : صاحب المذهب المعروف وكذلك أبو حنيفة النعمان ... انظره ص ٤٨٤ ، ٤٩٤ .  
(٢) أُرْدَفَ : أُنْبِغ .  
(٣) موطأ الأكتاف : متراضع زبني الخلق .



وَيَأْتِيهِمْ بِالْحُكْمِ فِيمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ عَلَى وَجْهِ تَوَكُّنٍ <sup>(١)</sup> إِلَيْهِ الثُّقُوسُ  
وَتَطْمَئِنُّ لَهُ الْقُلُوبُ .

فَقَالَ « فَرُوحٌ » فِي لَهْفَةٍ : وَلَكِنَّكَ لَمْ تَنْسِبْهُ لِي ...

فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنَّهُ « رَبِيعَةُ بْنُ فَرُوحٍ » الْمُكَنَّى بِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ...  
لَقَدْ وُلِدَ بَعْدَ أَنْ غَادَرَ أَبُوهُ الْمَدِينَةَ مُجَاهِداً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... فَتَوَلَّتْ أُمُّهُ  
تَرْبِيَّتَهُ وَتَنْشِئَتَهُ ...

وَلَقَدْ سَمِعْتُ النَّاسَ قُبِيلَ الصَّلَاةِ يَقُولُونَ :

إِنَّ أَبَاهُ عَادَ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ .

عِنْدَ ذَلِكَ تَحَدَّثْتُ مِنْ عَنِّي « فَرُوحٌ » دُمَعَتَانِ كَبِيرَتَانِ لَمْ يَعْرِفْ لهُمَا  
الرَّجُلُ سَبَباً ...

وَمَضَى يَحْكُ <sup>(٢)</sup> الْخُطْبَى نَحْوَ بَيْتِهِ ...

فَلَمَّا رَأَتْهُ أُمُّ رَبِيعَةَ وَالْدُّمُوعُ تَفْلاً عَيْنِيهِ قَالَتْ :

مَا يَكُ يَا أَبَا رَبِيعَةَ ؟

فَقَالَ : مَا بِي إِلَّا الْخَيْرُ ...

لَقَدْ رَأَيْتُ وَلَدَنَا رَبِيعَةَ فِي مَقَامٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالشَّرَفِ وَالْمَجْدِ مَا رَأَيْتُهُ لِأَحَدٍ  
مِنْ قَبْلُ .

فَاعْتَمَتِ أُمُّ رَبِيعَةَ الْفُرْصَةَ وَقَالَتْ : أَهْمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ ...

ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ أَمْ هَذَا الَّذِي بَلَغَهُ وَلَدُكَ مِنَ الْعِلْمِ وَالشَّرَفِ ؟

(٢) بحث الخطب : يشرح الخطب .

(١) تركن إليه : تراجح إليه وتطمعن .

فَقَالَ : بَلْ - وَاللَّهِ - هَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ ، وَأَتَرُ<sup>(١)</sup> عِنْدِي مِنْ مَالِ الدُّنْيَا كُلِّهِ .

فَقَالَتْ : لَقَدْ انْتَقَمْتُ مَا تَرَكْتُهُ عِنْدِي عَلَيْهِ ...

فَهَلْ طَابَتْ نَفْسُكَ بِمَا فَعَلْتُ ۱۹ .

فَقَالَ : نَعَمْ ...

وَجَزَيْتُ عَنِّي وَعَنْهُ وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ... (٥) .

---

(١) أَتَرُ : أَفْضَلُ وَأَحَبُّ .

(٥) للاستزادة من أخبار ربيعة الواسطي انظر :

- ١ - تذكرة الحفّاط : ١٤٨ / ١ .
- ٢ - حلية الأولياء : ٢٥٩ / ٣ .
- ٣ - صفة الصفوة : ٨٣ / ٢ .
- ٤ - ذيل الذيل : ١٠١ .
- ٥ - تاريخ بغداد : ٤٢٠ / ٨ .
- ٦ - ميزان الاعتدال : ١٣٦ / ١ .
- ٧ - التاج : ١٤١ / ١٠ .
- ٨ - وفيات الأعيان : ٢٨٨ / ٢ .
- ٩ - تاريخ الطبري : ( انظر الفهارس في العاشر ) .

# رَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ

« إِنَّ فِي كِتْدَةِ ثَلَاثَةِ رِجَالٍ يُنْزِلُ اللَّهُ بِهِمُ الْغَيْثَ ...  
وَيَنْصُرُ بِهِمُ عَلَى الْأَعْدَاءِ ... أَخَذَهُمْ رَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ،

[مُسْلِمَةُ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ:]

كَانَ فِي قَوْمٍ (١) الثَّالِثِينَ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ مَا عَرَفَ أَهْلُ زَمَانِهِمْ لَهُمْ مِثِيلًا،  
وَلَا رَأَوْا لَهُمْ ضَرِيًّا.

كَانَهُمْ التَّقْوَا عَلَى مِيعَادٍ؛ فَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ ...  
وَتَعَاهَدُوا عَلَى الْخَيْرِ وَالْبِرِّ.

وَوَقَّفُوا حَيَاتَهُمْ عَلَى التَّقَى وَالْعِلْمِ.

وَجَعَلُوا أَنْفُسَهُمْ فِي خِدْمَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ  
وِخَاصَّتِهِمْ، هُمْ:

مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ (٢) بِالْعِرَاقِ.

وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ (٣) بِالْحِجَازِ.

وَرَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ بِالشَّامِ.

فَتَعَالَوْا نَقُصِّ هَذِهِ اللَّحَظَاتِ الْمُبَارَكَاتِ فِي رِحَابِ ثَالِثِ هَؤُلَاءِ الْأَخْيَارِ  
الْأَمْزَارِ رَجَاءِ بْنِ حَيَوَةَ.

\* \* \*

وُلِدَ رَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ فِي «يَسَنَانَ» مِنْ أَرْضِ «فِلَسْطِينَ» ...

(١) القرن: مدة من الزمان قدرها مائة سنة، والمراد هنا جيل الثاقبين.

(٢) القاسم بن محمد بن أبي بكر: انظره ص ٣٠٠.

(٣) محمد بن سيرين: انظره ص ١٢٤.

وَكَاثَتْ وَلَادَتُهُ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ «عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ» (١) أَوْ نَعْوِي مِنْ ذَلِكَ ...

وَكَانَ يَتَنَحَّى إِلَى قَبِيلَةِ «كِنْدَةَ» الْعَرَبِيَّةِ .  
وَعَلَى هَذَا فَرَجَاءُ «فِلَسْطِينِي» الْوَطْنِ ...  
عَرَبِي الْأُرُومَةِ (٢) ...  
«كِنْدِي» الْعَشِيرَةِ .

\* \* \*

وَقَدْ نَشَأَ الْفَتَى الْكِنْدِيُّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ مُنْذُ حَدَاثَةِ سِنِّهِ ؛ فَأَحْبَبَهُ اللَّهُ وَحُبِّبَهُ إِلَيْهِ خَلْقِهِ .

وَأَقْبَلَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ مِنْ نُعُومَةِ أَطْفَارِهِ (٣) فَوَجَدَ الْعِلْمَ قُوَادَةً غَضًّا طَرِيًّا خَالِيًّا ، فَتَمَكَّنَ مِنْهُ ، وَاسْتَقَرَّ فِيهِ .

وَجَعَلَ هَمُّهُ الْأَكْبَرَ التَّضَلُّعَ (٤) مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، وَالتَّزَوُّدَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فَاسْتَضَاءَ فِكْرُهُ يَنْوْرِ الْقُرْآنَ ...

وَاسْتَنَارَتْ بِصِيرَتِهِ يَهْدِي النُّجُومَ ...

وَامْتَلَأَ صَدْرُهُ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْحِكْمَةِ ... وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ...

---

(١) عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ : انظره في كتاب «صور من حياة الصحابة» للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشروعة .

(٢) الْأُرُومَةُ : الْأَصْل .

(٣) نُعُومَةُ أَطْفَارِهِ : كِتَابَةٌ مِنْ صِبْرِ بَيْتِهِ .

(٤) التَّضَلُّعُ : يُقَالُ تَضَلَّعَ مِنَ الْعِلْمِ أَيُّ شَيْعَ مِنْهُ وَزَوَّي .

وَقَدْ أُتِيحَ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ عَنْ طَائِفَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ جَلَّةِ الصَّحَابَةِ مِنْ أَمْثَالِ : أَبِي  
سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، وَأَبِي الدُّرْدَاءِ <sup>(١)</sup> ، وَأَبِي أُمَامَةَ ، وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ...  
وَمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، وَالثَّوَالِسِ بْنِ  
سَمْعَانَ ، وَغَيْرِهِمْ .

فَكَانُوا لَهُ مَصَابِيحَ هِدَايَةٍ ، وَمَشَاعِلَ عِزْفَانٍ .

\* \* \*

وَقَدْ وَضَعَ الثَّقَلَى الْمَحْظُوطَ لِنَفْسِهِ دُشُورًا ظَلٌّ يَلْتَرِمُ بِهِ وَيُرْدُّدُهُ مَا امْتَدَّتْ  
بِهِ الْحَيَاةُ ، حَيْثُ كَانَ يَقُولُ :

مَا أَحْسَنَ الْإِسْلَامَ يَرِيئُهُ الْإِيمَانُ ...

وَمَا أَحْسَنَ الْإِيمَانَ يَرِيئُهُ الثَّقَى ...

وَمَا أَحْسَنَ الثَّقَى يَرِيئُهُ الْعِلْمُ ...

وَمَا أَحْسَنَ الْعِلْمَ يَرِيئُهُ الْعَمَلُ ...

وَمَا أَحْسَنَ الْعَمَلَ يَرِيئُهُ الرَّفْقُ ...

\* \* \*

وَقَدْ وَزَرَ <sup>(٢)</sup> رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ لَطَائِفَةَ مِنْ خُلَفَاءِ نَبِيِّ «أُمِّيَّة» ابْنِ عَبْدِ  
الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَابْنَيْهَا يَعْمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ <sup>(٣)</sup> .

لَكِنْ صَلَّاهُ بِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَعُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَأَقْبَتْ صِلَاتِهِ  
بِمَنْ سَبَقَهُمَا مِنَ الْخُلَفَاءِ .

\* \* \*

(١) أبو الدرداء : انظره في كتاب «صور من حياة الصحابة» للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة  
المشروعة .

(٢) عمر بن عبد العزيز : انظره ص ٨٠ ، ٢٥٥ ، ٣٢٦ .

(٣) وَزَرَ : صار وزيراً .

وَقَدْ أَذْنَاهُ مِنْ قُلُوبِ خُلَفَاءِ بَنِي «أُمَيَّة» رَجَاحَةً فِي رَأْيِهِ ...

وَصِدْقٌ فِي لَهْجَتِهِ ...

وَلِإِخْلَاصٍ فِي نِيَّتِهِ ...

وَحِكْمَةٌ فِي مُعَالَجَتِهِ الْأُمُورَ ...

ثُمَّ تَوَجَّحَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِزُهْدِهِ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا مِمَّا كَانَ يَتَرَاخَمُ عَلَيْهِ الْمُتَرَاخِمُونَ .

\* \* \*

وَقَدْ كَانَ اتِّصَالُهُ بِخُلَفَاءِ بَنِي «أُمَيَّة» مِنْ عَظِيمِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِهِمْ ، وَجَزِيلِ إِكْرَامِهِ لَهُمْ .

فَلَقَدْ دَعَاهُمْ إِلَى الْخَيْرِ ، وَذَلَّلَهُمْ عَلَى طَرِيقِهِ ...

وَنَتَّاهُمْ <sup>(١)</sup> عَنِ الشَّرِّ ، وَأَوْصَدَ دُونَهُمْ أَثْوَابَهُ ...

وَأَرَاهُمُ الْحَقَّ وَزَيَّنَ لَهُمْ اتِّبَاعَهُ ...

وَبَصَّرَهُمْ بِالْبَاطِلِ وَكَرَّهَ إِلَيْهِمْ إِتْيَانَهُ ...

فَتَصَحَّحَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ .

وَلَقَدْ وَقَعَتْ لِرَجَاءِ قِصَّةِ أَنْارَتْ لَهُ طَرِيقُهُ فِي مُحَالَطَةِ الْخُلَفَاءِ ، وَحَدَّثَتْ

لَهُ مُهِمَّتُهُ مَعَهُمْ رَوَاهَا بِنَفْسِهِ فَقَالَ :

إِنِّي لَوَاقِفٌ مَعَ سُلَيْمَانَ <sup>(٢)</sup> بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي جُمُوعٍ مِنَ النَّاسِ ، إِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا يَسْجُدُ نَحْوَنَا وَسَطَ الرِّحَامِ ...

(١) شاهم عن الشر: صَوَّغَهُم مِنَ الشَّرِّ.

(٢) سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : من أكارب خلفاء بني أمية ، أسس مدينة «الرملة» بفلسطين ، حارب البيزنطيين وحاصر «القسطنطينية» .

وَكَانَ حَسَنَ الصُّورَةِ جَلِيلَ الْهَيْئَةِ ، فَمَا زَالَ يَشُقُّ الصُّفُوفَ وَأَنَا مَا أَشْكُ  
أَنَّهُ يَزُومُ<sup>(١)</sup> الْخَلِيفَةَ حَتَّى حَاذَانِي<sup>(٢)</sup> ، وَوَقَفَ إِلَيَّ جَانِبِي ، ثُمَّ حَيَّانِي وَقَالَ :  
يَا رَجَاءُ ...

إِنَّكَ قَدْ اثْبَلَيْتَ بِهِذَا الرَّجُلِ .  
وَأَشَارَ إِلَيَّ الْخَلِيفَةَ .

وَأَنَّ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ ، أَوِ الشَّرَّ الْكَثِيرَ ...  
فَأَجْعَلَ قُرْبَكَ مِنْهُ خَيْرًا لَكَ وَلَهُ وَلِلنَّاسِ ...

وَاعْلَمْ يَا رَجَاءُ أَنَّهُ مَنْ كَانَتْ لَهُ مَثَرَةٌ مِنَ السُّلْطَانِ ؛ فَرَفَعَ إِلَيْهِ حَاجَةً أَمْرِي  
ضَعِيفٍ لَا يَسْتَطِيعُ رَفْعَهَا ؛ لَقِيَ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَقَدْ ثَبَّتَ قَدَمَيْهِ  
لِلْحِسَابِ<sup>(٣)</sup> ...

وَأَذْكُرُ يَا رَجَاءُ أَنَّ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ .  
وَاعْلَمْ يَا رَجَاءُ أَنَّ مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ؛ إِذْ خَالَ الْفَرْحَ عَلَى  
قَلْبِ إِمْرِي مُسْلِمٍ .

وَفِيمَا كُنْتُ أَتَأَمَّلُ كَلَامَهُ وَاتَّرَقَّبْتُ أَنْ يَرِيدَنِي مِنْهُ ، نَادَى الْخَلِيفَةُ قَائِلًا :  
أَيْنَ رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ ؟

فَانْعَطَفْتُ<sup>(٤)</sup> نَحْوَهُ وَقُلْتُ :

هَآنَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) يزوم الخليفة : يهرده الخليفة .

(٢) حاذاني : صار إلي .

(٣) ثبت قدميه للحساب : أذنته من الحساب ويهزئه له .

(٤) انعطفت : يلمت .

فَسَأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ ؛ فَمَا كَذْتُ أَفْرَغُ مِنْ جَوَابِهِ حَتَّى التَّفْتُ إِلَى صَاحِبِي  
فَلَمْ أَجِدْهُ ...

فَتَقَضَّضْتُ الْمَكَانَ عَنْهُ نَقْضاً<sup>(١)</sup> ؛ فَلَمْ أَقَعْ لَهُ عَلَى أَثَرٍ يَتَرَى النَّاسُ ...

\* \* \*

وَلَقَدْ كَانَتْ لِرَجَاءِ بْنِ حَيَّوَةَ مَعَ خُلَفَاءِ بَنِي «أُمَيَّة» مَوَاقِفُ صِدْقٍ مَا زَالَ  
يُكَيِّمُهَا<sup>(٢)</sup> الثَّارِيعُ فِي أَزْهَى صَفَحَاتِهِ ، وَيَزْوِيهَا الْحَلْفُ عَنِ السَّلَفِ .

مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَجْلِسِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ قُوصِفَ  
لِلْخَلِيفَةِ رَجُلٌ بِشَوْءٍ طَوِيلِهِ<sup>(٣)</sup> عَلَى بَنِي «أُمَيَّة» ، وَقِيلَ لَهُ :

إِنَّهُ يُشَايِعُ ابْنَ الزُّبَيْرِ<sup>(٤)</sup> ، وَيَنْتَصِرُ لَهُ ... وَذَكَرَ الْوَاسِي لَهُ مِنْ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ  
مَا أَثَارَ حَفِيفَتَهُ<sup>(٥)</sup> فَقَالَ :

وَاللَّهِ لَئِنْ أَمَكَّنَنِي اللَّهُ مِنْهُ لَأَفْعَلَنَّ ، وَلَأَفْعَلَنَّ ...

وَلَأَضَعَنَّ السَّيْفَ فِي عُنُقِهِ .

وَلَمْ يَمُضِ طَوِيلٌ وَقَبَ حَتَّى أَمَكَّنَهُ اللَّهُ مِنَ الرَّجُلِ ، وَسَبَقَ إِلَيْهِ سَوْقاً ...

فَلَمَّا وَقَعَتْ عَيْنَاهُ عَلَيْهِ ، كَادَ يَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ، وَهَمَّ بِأَنْ يُنْقِذَ وَعِيدَهُ بِهِ ...

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ وَقَالَ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ...

إِنَّ اللَّهَ جَلُّ وَعَزُّ قَدْ صَنَعَ لَكَ مَا تُحِبُّهُ مِنَ الْقُدْرَةِ ، فَاصْنَعْ لِلَّهِ مَا يُحِبُّهُ مِنْ

الْعَقْرِ ...

(١) نقضت المكان عنه : تخرت المكان بهجاً عنه .

(٢) يَكْنِيهَا : يحفظها .

(٣) طَوِيلُهُ : ما يطويه في صدره من نية .

(٤) ابن الزبير : هو عبدُ الله بن الزبير منافس عبد الملك بن مروان على الخلافة . (٥) الحفيفة : النكسب .



فَسَكَتَتْ نَفْسُ الْخَلِيفَةِ ، وَسَكَتَ عَنْهُ غَضَبُهُ ...  
وَعَفَا عَنِ الرَّجُلِ ، وَأَطْلَقَ سَرَاحَهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ...

\* \* \*

وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ حَجَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَلِيقِ وَبِصُحْبَتِهِ رَجَاءُ بْنُ  
حَيَوَةَ .

فَلَمَّا بَلَغَا الْمَدِينَةَ زَارَا مَسْجِدَهَا النَّبَوِيَّ الشَّرِيفَ مُرَافِقَهُمَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

وَقَدْ رَغِبَ الْخَلِيفَةُ فِي أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْحَرَمِ النَّبَوِيِّ نَظْرَةً آتَاةٍ وَرَوِيَّةٍ .

إِذْ كَانَ قَدْ عَقَدَ الْعَزَمَ عَلَى تَوْسِيعِهِ حَتَّى يَكُونَ بِمِثْقَلِ ذِرَاعٍ .

فَأُخْرِجَ النَّاسُ مِنَ الْمَسْجِدِ لِيَتِمَّ كُنْ الْخَلِيفَةُ مِنْ تَأْمِيلِهِ .

وَلَمْ يَتَّقَ فِيهِ غَيْرُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ <sup>(١)</sup> ، إِذْ لَمْ يَجْزُوا الْحَرَسَ عَلَى  
إِخْرَاجِهِ .

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - وَكَانَ يُؤْمِنُ بِالْيَأْ عَلَى الْمَدِينَةِ - رَسُولًا  
يَقُولُ لَهُ :

لَوْ خَرَجْتَ مِنَ الْمَسْجِدِ كَمَا خَرَجَ النَّاسُ .

فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : لَا أَغَادِرُ الْمَسْجِدَ إِلَّا فِي الْوَقْتِ الَّذِي اغْتَدْتُ  
أَنْ أَغَادِرَهُ فِيهِ كُلُّ نَوْمٍ .

فَقِيلَ لَهُ : لَوْ قُمْتَ فَسَلَّمْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ : إِنَّمَا جِئْتُ إِلَى هُنَا لِأَتُؤَمَّ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

---

(١) سعيد بن المسيب : انظره ص ١٩٧ .

فَلَمَّا عَرَفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا دَارَ بَيْنَ رَسُولِهِ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ،  
جَعَلَ يَغْدِلُ<sup>(١)</sup> بِالْخَلِيفَةِ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ سَعِيدٌ ...

وَأَخَذَ رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ يُشَاغِلُهُ بِالْكَلامِ ، لِمَا كَانَا يَتْلَمَعَانِ مِنْ شِدَّةِ  
عُتُقُونِ<sup>(٢)</sup> الْخَلِيفَةِ .

فَقَالَ لَهُمَا الْوَلِيدُ :

مَنْ ذَلِكَ الشَّيْخُ ؟ ...

أَلَيْسَ هُوَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ؟ .

فَقَالَا : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَطَفِيقًا يَصِفَانِ مِنْ دِينِهِ وَعِلْمِهِ ، وَفَضْلِهِ وَتَقْوَاهُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ .

ثُمَّ قَالَا :

وَلَوْ عَلِمَ الشَّيْخُ بِمَكَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَقَامَ إِلَيْهِ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنَّهُ ضَعِيفُ

الْبَصَرِ .

فَقَالَ الْوَلِيدُ : إِنِّي لَأَعْلَمُ مِنْ حَالِهِ مِثْلَمَا تَذْكُرَانِ ...

وَهُوَ أَحَقُّ أَنْ نَأْتِيَهُ وَنُسَلِّمَ عَلَيْهِ .

ثُمَّ دَارَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى أَتَاهُ ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ ، وَحَيَّاهُ وَقَالَ :

كَيْفَ الشَّيْخُ ؟ .

فَلَمْ يَنْهَضْ مِنْ مَكَانِهِ ، وَقَالَ :

بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ ...

---

(١) جعل يغدل بالخليفة : أخذ يميل بالخليفة ويحمده . (٢) العتقون : الشدة .

فَكَفَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَفَقَهُ اللَّهُ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ...

فَانْصَرَفَ الْوَلِيدُ وَهُوَ يَقُولُ :

هَذَا بَقِيَّةُ النَّاسِ ...

هَذَا بَقِيَّةُ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ...

\* \* \*

وَلَمَّا أَفْضَتْ<sup>(١)</sup> الْخِلَافَةُ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ لِرَجَاءِ بْنِ حَيَّوَةَ عِنْدَهُ شَأْنٌ<sup>(٢)</sup> يَتَفَوَّقُ شَأْنَهُ عِنْدَ سَابِقِيهِ .

فَقَدْ كَانَ سُلَيْمَانُ عَظِيمَ الثَّقَةِ بِهِ ، شَدِيدَ الْإِعْتِمَادِ عَلَيْهِ ، حَرِيصاً عَلَى أَنْ يَأْخُذَ بِرَأْيِهِ فِي صَغِيرِ الْأُمُورِ وَكَبِيرِهَا ...

وَمَوَاقِفَ رَجَاءِ بْنِ حَيَّوَةَ مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَثِيرَةٌ مُثِيرَةٌ .

يَبْدُ<sup>(٣)</sup> أَنَّ أَكْبَرَهَا شَأْنًا وَأَعْظَمَهَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَطَرًا ، مَوْقِفُهُ مِنْ أَمْرِ وَلَايَةِ الْعَهْدِ ، وَآثَرُهُ فِي الْبَيْعَةِ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

\* \* \*

حَدَّثَ رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ قَالَ :

لَمَّا كَانَ أَوَّلُ يَوْمٍ جُمُعَةٍ مِنْ شَهْرِ صَفَرِ سَنَةِ يَسَعِ وَتَسْعِينَ كُنَّا مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ « بِدَايِقِ »<sup>(٤)</sup> .

وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَ جَيْشًا لَجِبَا<sup>(٥)</sup> إِلَى « الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ » بِقِيَادَةِ أَخِيهِ مَسْلَمَةَ

(١) أَفْضَتْ الْخِلَافَةَ إِلَى فُلَانٍ : كَلَّتْ إِلَيْهِ وَصَارَتْ لَهُ .

(٢) الشَّأْنُ : مَا عَظُمَ مِنَ الْأُمُورِ وَالْأَعْوَالِ .

(٣) يَبْدُ أَنْ : خَبِرَ أَنَّ .

(٤) دَايِقٌ : قَرْيَةٌ قَرِبَ حَلَبَ فِي سُورِيَةِ كَانَ يَنْزِلُهَا بَنُو أُمَيَّةَ إِذَا غَزَوْا بِلَادَ الرُّومِ ، وَبِهَا قَبْرُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

(٥) جَيْشًا لَجِبَا : جَيْشًا كَبِيرًا ذَا عِلَاقَةٍ .

ابن عبد الملك، ومعه ابنه داود، وطائفة كبيرة من آل بيته .  
وقد آلى<sup>(١)</sup> على ألا يترج «موج دابق» حتى يفتتح الله عليه  
«المسطبينية» أو يموت .

فلما اقترب موعد صلاة الجمعة؛ توضأ الخليفة فأحسن الوضوء،  
ثم لبس حلة خضراء، واغتم بعمامة خضراء .

ونظر في المرأة نظرة متعجب بنفسه، مرهقاً يشبّاه .

وكان في نحو الأربعين من عمره ...

ثم خرج ليصلي بالناس الجمعة؛ فلم ترجع من المسجد إلا وهو  
مؤغوك<sup>(٢)</sup> ...

ثم أخذ يثقل عليه المرض يوماً بعد يوم .

وقد سألني أن أظّل قريباً منه ...

فدخلت عليه ذات مرة فوجدته يكتب كتاباً .

فقلت: ما تصنع يا أمير المؤمنين؟

فقال: أكتب كتاباً أعهد<sup>(٣)</sup> به إلي انبي أئوب .

فقلت: يا أمير المؤمنين ...

إن مما يحفظ الخليفة في قبره، ويبرئ ذمته عند ربه؛ أن يستخلف على  
الناس الرجل الصالح .

(١) آلى: حلف .

(٢) المؤغوك: من أصابه المرض .

(٣) أعهد به لاني: أي أعهد له بالخلافة .

وَإِنَّ ابْنَكَ أَيُّوبَ عَلَّامٌ لَمْ يَلْغِ الْحُلُمُ بَعْدُ ، وَلَمْ يَحْيَيْنَنَّ لَكَ صَلاَحُهُ مِنْ  
طَلَّاجِهِ (١) ...

فَتَرَجَعَ وَقَالَ : إِنَّهُ كِتَابٌ كَتَبْتُهُ ...

وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْتَحْيِرَ اللَّهَ فِيهِ ...

وَلَمْ أُعْزِمَ عَلَيْهِ ...

ثُمَّ مَرَّقَ الْكِتَابَ ...

وَمَكَثَ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ دَعَانِي وَقَالَ :

مَا رَأَيْتُكَ فِي وَلَدِي دَاوُدَ يَا أَبَا الْمَقْدَامِ ؟ .

فَقُلْتُ : هُوَ غَائِبٌ مَعَ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ فِي « الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ » ...

وَأَنْتَ لَا تَذَرِي الْآنَ أَحْيَى هُوَ أَمْ مَيِّتٌ ؟ .

فَقَالَ : فَمَنْ تَرَى إِذَنْ يَا رَجَاءُ ؟ .

فَقُلْتُ : الرَّأْيَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ...

وَكُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَنْظُرَ فَيَمُنَ بِذِكْرِهِمْ لِكَيْ أَسْتَعِيذَهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا ، حَتَّى  
أَصِلَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؟ .

فَقُلْتُ : مَا عَلِمْتُهُ - وَاللَّهِ - إِلَّا فَاضِلًا ، كَامِلًا ، عَاقِلًا ، ذَهْنًا ...

فَقَالَ : صَدَقْتُ ...

إِنَّهُ - وَاللَّهِ - لَكَذَلِكَ ...

---

(١) الطَّلَاحُ : ضَبْدُ الصَّلَاحِ .

وَلَكِنِّي إِنْ وَلِيْتُهُ وَأَعْفَلْتُ أَوْلَادَ عَبْدِ الْمَلِكِ <sup>(١)</sup> لَتَكُونُنَّ بَيْتَهُ ، وَلَا يَتْرُكُونَهُ  
يَلِي عَلَيْهِمْ أَبَدًا ...

فَقُلْتُ : أَشْرِكُ وَاحِدًا مِنْهُمْ وَاجْعَلُهُ بَعْدَهُ .

فَقَالَ : أَصَبْتُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُسَكِّنُهُمْ ، وَيَجْعَلُهُمْ تَرَضُّونَهُ ...  
ثُمَّ أَخَذَ الْكِتَابَ وَكَتَبَ بِيَدِهِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِعُمَرَ بْنِ  
عَبْدِ الْعَزِيزِ ، إِنِّي وَلِيْتُهُ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي ، وَجَعَلْتُهَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَزِيدَ بْنِ عَبْدِ  
الْمَلِكِ .

فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَلَا تَخْلِفُوا فَيَطْمَعَ الطَّامِعُونَ فِيكُمْ ...  
ثُمَّ خَتَمَ الْكِتَابَ ، وَنَاوَلَنِي إِثْبَاهُ ...

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيَّ كَعْبُ بْنُ حَامِرٍ ، صَاحِبُ الشُّرْطَةِ <sup>(٢)</sup> وَقَالَ لَهُ :

ادْعُ آلَ بَيْتِي فَلْيَجْتَمِعُوا ...

وَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي فِي يَدِ رَجَاءِ بْنِ حَيَوَةَ هُوَ كِتَابِي ... وَمُرْهُمْ  
بِأَنْ يُبَايَعُوا لِمَنْ فِيهِ .

قَالَ رَجَاءُ :

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قُلْتُ لَهُمْ : هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَهَدَ فِيهِ لِلْخَلِيفَةِ  
مِنْ بَعْدِهِ ، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَخَذَ مِنْكُمْ الْبَيْعَةَ لِمَنْ وَلَّاهُ ، فَقَالُوا :

(١) أولاد عبد الملك : يعني إسماعيل .

(٢) صاحب الشُّرْطَةِ : مدير الشُّرْطَةِ .

سَمْعاً لِأَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَطَاعَةً لِخَلِيفَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ ...  
وَطَلَبُوا أَنْ أَسْتَأْذِنَ لَهُمْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ .  
فَقُلْتُ : نَعَمْ .

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ :

إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي فِي يَدِ رَجَاءِ بْنِ حَيَّوَةَ هُوَ كِتَابِي ، وَفِيهِ عَهْدِي  
لِلْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِي ، فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا لِمَنْ وَلَّيْتُ ، وَتَابِعُوا لِمَنْ سَمَّيْتُ فِي هَذَا  
الْكِتَابِ .

فَطَلَفُوا يُتَابِعُونَ رَجُلًا وَرَجُلًا ...

ثُمَّ خَرَجْتُ بِالْكِتَابِ مَحْتُمًا ... لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَفَاءِ مَا فِيهِ غَيْرِي  
وَعَفِيرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ ، جَاءَنِي عُمرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ :  
يَا أَبَا الْجَعْدِ ...

إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلٌ حَسَنُ الظَّنِّ بِي ، وَكَانَ يُؤَلِّمُنِي <sup>(١)</sup> مِنْ كَرِيمِ بَرٍّ  
وَصَافِي وَدَادِهِ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ ...

وَأَنَا أَخْشَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَسْتَدَّ إِلَيَّ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ شَيْئًا ، فَأَتَشُدُّكَ اللَّهُ <sup>(٢)</sup>  
وَأَسْأَلُكَ بِحُرْمَتِي وَمَوَدَّتِي أَنْ تُغْلِبَنِي إِنْ كَانَ فِي كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْءٌ  
يُخْصِنُنِي حَتَّى أَسْتَفْتِيَهُ مِنْ ذَلِكَ قَبْلَ قَوَاتِ الْفُرْصَةِ .

فَقُلْتُ لَهُ :

لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا بِمُخْبِرِكَ خَوْفًا وَاجِدًا مِمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ ...

(٢) أَسْأَلُكَ اللَّهُ : أَسْتَعِيْظُكَ بِاللَّهِ .

(١) يُؤَلِّمُنِي : يَهْدِي .

فَتَوَلَّى عَنِّي وَهُوَ غَضَبَانُ .

ثُمَّ مَا لَيْتَ أَنْ جَاءَنِي هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَالَ :

يَا أَبَا الْيَقْدَامِ ، إِنَّ لِي عِنْدَكَ حُرْمَةً وَمَوَدَّةً قَدِيمَةً ، وَإِنَّ لَكَ عِنْدِي شُكْرًا  
جَزِيلًا ؛ فَأَعْلِمْنِي بِمَا فِي كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

فَإِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ <sup>(١)</sup> إِلَيَّ سَكَتٌ ...

وَإِنْ كَانَ لِيُغَيِّرِي تَكَلَّمْتُ ... فَلَيْسَ مِنِّي مَنْ يُنْحَى عَنْ هَذَا الْأَمْرِ .

وَلَكَ عَهْدُ اللَّهِ أَلَّا أَذْكُرَ اشْمَكَ أَبَدًا .

فَقُلْتُ لَهُ :

لَا وَاللَّهِ لَا أُخْبِرُكَ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ مِمَّا أَسْرَوْهُ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

فَانْصَرَفَ وَهُوَ يَضْرِبُ كَفًّا بِكَفٍّ وَيَقُولُ :

لِمَنْ يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ إِذَا أَنَا تُحِيْتُ عَنْهُ ١٩ ...

أَتُخْرِجُ الْخِلَافَةَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ ١٩ ...

وَاللَّهِ إِنِّي لَعَيْنُ <sup>(٢)</sup> أَوْلَادِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَإِذَا هُوَ يَجُودُ بِرُوحِهِ ، فَجَعَلْتُ

إِذَا أَخَذْتُهُ السَّكْرَةَ مِنْ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ أَخْرِفُهُ نَحْوَ الْقَبِيلَةِ ، فَكَانَ يَقُولُ لِي وَهُوَ  
يَشْهَقُ :

لَمْ يَأْنِ <sup>(٣)</sup> ذَلِكَ بَعْدُ يَا رَجَاءُ .

حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ ؛ فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةُ قَالَ :

(١) هذا الأمر : أي الخلافة .

(٢) عين أولاد عبد الملك : شهيد أولاد عبد الملك وأفضلهم .

(٣) لم يَأْنِ : لم يحسن .



الآن يا رجاء... إن كنت تريد أن تفعل شيئاً فافعله...  
 أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.  
 فحرقته نحو القبلة، فما لبث أن أسلم روحه.

\* \* \*

عند ذلك أغمضت عينيه، وسجّيته<sup>(١)</sup> بقطيفة خضراء، وأغلقت الباب  
 عليه، وخرجت.

فأرسلت إلي زوجته تسألني عنه، وتطلب أن تنظر إليه.  
 فشقق عتبه الباب وقُلت لرسولها:

انظر إليه، لقد نام الساعة بعد سهر طويل، فدعوه.  
 فرجع فأخبرها، فقيلت ذلك، وأيقنت أنه نائم.

ثم أحكمت إغلاق الباب، وأجلست عنده حارساً أثق به، وأوصيته  
 ألا يخرج عن مكانه حتى أعود، وألا يدخل على الخليفة أحداً أبداً كائناً من  
 كان...

ومضيت، فلقيت الناس وقالوا: كيف أمير المؤمنين؟  
 قُلت: لم يكن منذ مرض أسكن منه الآن ولا أهداً.  
 فقالوا: الحمد لله.

ثم أرسلت إلى «كعب بن خازم» صاحب الشرطة، فجمع أهل بيت  
 أمير المؤمنين جميعاً في مسجد «دايق».  
 قُلت: يا أيها لعن في كتاب أمير المؤمنين.

(١) سجّيته: غطيته.

فَقَالُوا : قَدْ بَايَعْنَا مَرَّةً وَنُبَايَعُ أُخْرَىٰ ۚ ۱۲ .

فَقُلْتُ : هَذَا أَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ...

بَايَعُوا عَلَىٰ مَا أَمَرَ بِهِ ...

وَلَمَنْ سَأَلَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْمَحْتُومِ .

فَبَايَعُوا رَجُلًا رَجُلًا .

فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ أَحْكَمْتُ الْأَمْرَ ... قُلْتُ :

إِنِّ صَاحِبُكُمْ قَدْ مَاتَ ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

وَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى ذِكْرِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، نَادَىٰ  
هَيْشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ :

لَا نُبَايِعُهُ أَبَدًا ... فَقُلْتُ :

إِذَنْ - وَاللَّهِ - أَضْرِبْ عُنُقَكَ ...

فَمَنْ فَبَايَعُ .

فَقَامَ يَجْزِي رِجْلَيْهِ ... فَلَمَّا انْتَهَىٰ إِلَى عُمَرَ قَالَ :

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [ وَهُوَ يَسْتَرْجِعُ <sup>(١)</sup> لِمَصْبِيرِ الْخِلَافَةِ إِلَى عُمَرَ دُونَهُ  
وَدُونَ إِخْوَتِهِ مِنْ أَوْلَادِ عَبْدِ الْمَلِكِ ] .

وَقَالَ عُمَرُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [ وَكَانَ يَسْتَرْجِعُ لِمَصْبِيرِ الْخِلَافَةِ إِلَيْهِ  
عَلَى كُرْهِ مِثْنِ ] .

---

(١) يسترجع : يقول إنا لله وإنا إليه راجعون .

فَكَانَتْ بَيْعَةٌ جَدَّدَ اللَّهُ فِيهَا لِلْإِسْلَامِ شَبَابَهُ ، وَرَفَعَ لِلَّذِينَ مَنَازَهُ .

\* \* \*

فَطُوْنِي<sup>(١)</sup> لِخَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ...

فَقَدْ أَثْبَرَأْ ذِمَّتُهُ أَمَامَ اللَّهِ بِتَوَلِّيَّتِهِ الرَّجُلَ الصَّالِحَ ....

وَهَنِيئًا لِوَزِيرِ الصُّدُقِ رَجَاءِ بْنِ حَيَّوَةَ ...

فَقَدْ نَصَحَ لِلَّهِ وَلِرُسُولِهِ وَلِأَيُّمَةِ الْمُسْلِمِينَ .

وَجَزَى اللَّهُ الْبَطَانَةَ<sup>(٢)</sup> الصَّالِحَةَ الْحَيَّةَ ...

وَلَقَّاهَا الْأَجَزُ ...

فَبَسَّتَا<sup>(٣)</sup> رَأْيَهَا يَهْتَدِي الْأَخْيَارُ الْمَحْظُوطُونَ الْمُؤَقَّفُونَ مِنْ ذُرَى

السُّلْطَانِ (٥) .

---

(١) طوْنِي : الحُتَّة والسَّعَادَة .

(٢) بطانة الرجل : غاشته ومستشروه .

(٣) بسَّتا رأيا : بنور رأيا .

(٥) للاستزادة من أخبار رَجَاءِ بْنِ حَيَّوَةَ انظر :

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد : ٣٣٥/٥ ، ٣٣٩ ، ٣٩٥ ، ٤٠٧ .

٢ - صفة الصفوة لابن الجوزي : ٤/٢١٣ .

٣ - حلية الأولياء للأصفهاني : ٥/١٧٠ .

٤ - البيان والتبيين للجاحظ : ١/٣٩٧ و ٢/١٠٧ ، ٣٢٢ .

٥ - تهذيب التهذيب لابن حجر : ٣/٢٦٥ .

٦ - تاريخ الطبري لابن جرير الطبري : ٦/٣٦٥ - ٣٧٠ .

٧ - وفیات الأعيان لابن خلكان : ١/٤٣٠ و ٢/٣٠١ و ٣/٣٠٣ و ٧/٣١٦ .

٨ - تاريخ خليفة بن خَلَّاط : ٣٥٧ .

٩ - اليقظة الفريد لابن عبد ربه : ٢/٥٠ ، ٨٢ ، ٢٣٥ و ٣/٨٦ ، ١٠٥ ، ٣٠٦ و ٤/١٥٦ ، ٢١٩ و ٥/١٣٩ ،

١٦٦ و ٧/٩٦ .

١٠ - تهذيب التهذيب : ٣/٢٦٥ .

# عامر بن شراحيل

المعروف بالشُعبي

«كَانَ الشُّعْبِيُّ وَاسِعَ الْعِلْمِ ، عَظِيمَ الْجِلْمِ ...  
وَلِلَّهِ مِنَ الْإِسْلَامِ يَمَكَّانٌ ...»

[الحسن البصري]

لَيْسَتْ سَنَوَاتٌ خَلَّتْ مِنْ خِلَافَةِ الْفَارُوقِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَلِدَ لِلْمُسْلِمِينَ  
مَوْلُودٌ نَجِيلُ الْجِسْمِ ، ضَعِيلُ الْجَزْمِ<sup>(١)</sup>.

ذَلِكَ لِأَنَّ أَخَاهُ زَاحِمَهُ عَلَى رَجِمِ أُمِّهِ ؛ فَلَمْ يَدْعَ لَهُ مَجَالاً لِلثُمُو ...  
لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُزَاجِعَهُ لَا هُوَ وَلَا غَيْرُهُ فِي مَجَالَاتِ الْعِلْمِ ،  
وَالْجِلْمِ ، وَالْحِفْظِ ، وَالْفَهْمِ ، وَالْعَبْقَرِيَّةِ<sup>(٢)</sup>.

ذَلِكُمْ هُوَ عَامِرُ بْنُ شُرَاحِيلَ الْجَنْثَرِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالشُّعْبِيِّ ...  
نَابِغَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي عَصْرِهِ .

\* \* \*

وُلِدَ الشُّعْبِيُّ فِي «الْكُوفَةِ» وَفِيهَا نَشَأَ .

لَكِنَّ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ كَانَتْ مَهْوًى<sup>(٣)</sup> قُودِهِ وَمَطْمَعِ نَفْسِهِ ، فَكَانَ  
يُؤْمِنُهَا<sup>(٤)</sup> مِنْ جَيْنٍ لِأَخَرٍ لِيَتَلَقَّى مَصْحَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلِيَأْخُذَ عَنْهُمْ ، كَمَا  
كَانَ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ يُؤْمِنُونَ «الْكُوفَةَ» لِيَتَّخِذُوهَا مُنْطَلَقاً لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،  
أَوْ دَاراً لِإِقَامَتِهِمْ .

(٣) مَهْوًى قُودِهِ : مُشْتَغَلٌ نَفْسَهُ .

(٤) يَأْخُذُهَا : يَقْصِدُهَا وَيُعْطِي إِلَيْهَا .

(١) ضَعِيلُ الْجَرَمِ : صَغِيرُ الْجَسَدِ .

(٢) الْعَبْقَرِيَّةُ : قُوَّةُ الْإِبْدَاعِ .

فَأُتِيحَ<sup>(١)</sup> لَهُ أَنْ يَلْقَى نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ ، وَأَنْ يُرَوِيَ  
عَنْ عَدِيدٍ كَبِيرٍ مِنْ جَلِيلِهِمْ مِنْ أَمْثَالِ : عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ،  
وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ...

وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ...  
وَالنُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، وَعَبِيدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَعَبِيدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ...  
وَعَدِيَّ بْنِ حَاتِمٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعَائِشَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَغَيْرِهِمْ وَغَيْرِهِمْ .

\* \* \*

وَقَدْ كَانَ الشَّعْبِيُّ قَتَى مَتَوَقَّدَ الذِّكَا<sup>(٢)</sup> ، يَقِظَ الْفَوَادِ<sup>(٣)</sup> ، مُرْهَفَ  
الذَّهْنِ<sup>(٤)</sup> ، ذَقِيقَ الْقَهْمِ ، آتَةً فِي قُوَّةِ الْحَافِظَةِ وَالذَّاكِرَةِ ...  
فَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ :

مَا كَتَبْتُ سُودَاءَ فِي بَيْضَاءَ<sup>(٥)</sup> قَطُّ ، وَلَا حَدَّثَنِي رَجُلٌ بِحَدِيثٍ  
إِلَّا حَفِظْتُهُ ، وَلَا سَمِعْتُ مِنْ أَمْرٍ كَلَامًا ثُمَّ أَحْبَبْتُ أَنْ يُعِيدَهُ عَلَيَّ .  
وَقَدْ كَانَ الْفَتَى مُوَلِّعًا بِالْعِلْمِ ، مَشْغُوفًا<sup>(٦)</sup> بِالْمَعْرِفَةِ ، يَتَذَلُّ فِي سَبِيلِهِمَا  
النَّفْسَ وَالنَّفِيسَ ، وَيَسْتَسْهِلُ مِنْ أَجْلِهِمَا الْمَصَاعِبَ ... إِذْ كَانَ يَقُولُ :  
لَوْ أَنَّ رَجُلًا سَافَرَ مِنْ أَقْصَى الشَّامِ إِلَى أَقْصَى الْيَمَنِ ؛ فَحَفِظَ كَلِمَةً وَاحِدَةً  
نَفَعْتُهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ مِنْ عُمُرِهِ ، لَرَأَيْتُ أَنْ سَفَرَهُ لَمْ يَضِغْ .  
وَقَدْ بَلَغَ مِنْ عِلْمِهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ :  
أَقْلُ شَيْءٍ تَعَلَّعْتُهُ الشُّعْرُ ...

(١) أُتِيحَ لَهُ : يُهَيَّزُ لَهُ .

(٢) مَرَهْفَ الذَّهْنِ : دَقِيقَ الذَّهْنِ .

(٣) مَا كَتَبْتُ سُودَاءَ فِي بَيْضَاءَ : مَا سَجَلْتُ كَلَامًا فِي وَرَقٍ .

(٤) مَشْغُوفًا بِالْمَعْرِفَةِ : مَحْبًا لِلْمَعْرِفَةِ مُوَلِّعًا بِهَا .

(٥) مَتَوَقَّدَ الذِّكَا : مُشْتَمِلُ الذِّكَا .

(٦) يَقِظَ الْفَوَادِ : مُتَبِّهِ الْفَوَادِ ، فَيُطِنُ الْقُلُوبَ .

وَلَوْ شِئْتُ لَأْتَشَدُّكُمْ مِنْهُ شَهْرًا دُونَ أَنْ أُعِيدَ شَيْئًا مِمَّا أَتَشَدُّهُ .

\* \* \*

وَكَانَتْ تُعَقَّدُ لَهُ حَلَقَةٌ فِي جَامِعِ «الْكُوفَةِ» ، فَيَلْتَفُ النَّاسُ حَوْلَهُ زُمَرًا زُمَرًا ، وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْيَاءٌ يَزُوحُونَ وَيَعْدُونَ بَيْنَ أَظْهَرِ النَّاسِ .

بَلْ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَهُ ذَاتَ مَرَّةٍ يَقْعُصُ عَلَى النَّاسِ أَخْبَارَ الْمُغَازِي (١) بِخَفَايَاهَا وَدَقَائِقِهَا ، فَأَزْهَفَ إِلَيْهِ سَمْعُهُ وَقَالَ :

لَقَدْ شَهِدْتُ بَقْضَ مَا يَقْعُصُهُ بِعَيْتِي وَسَمِعْتُهُ بِأَذُنِي ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ أَرْوَى (٢) لَهُ مِنِّي .

وَسَوَاءُ سَعَةِ عِلْمِ الشُّعْبِيِّ وَخُصُورِ ذَهَبِهِ ، غَزِيرَةِ وَفِيرَةٍ .

مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ عَنْ نَفْسِهِ قَالَ :

أَتَانِي رَجُلَانِ يَتَفَاحَرَانِ ، أَحَدُهُمَا مِنْ بَنِي «عَامِرٍ» ، وَالْآخَرُ مِنْ بَنِي «أَسَدٍ» ، وَقَدْ غَلَبَ الْعَامِرِيُّ صَاحِبَهُ وَعَلَا عَلَيْهِ ... وَأَخَذَهُ مِنْ ثَوْبِهِ وَجَعَلَ يَجْرُهُ نَحْوِي جَرًّا ، وَالْأَسَدِيُّ مَخْذُولٌ أَمَامَهُ يَقُولُ لَهُ :

دَغْنِي دَغْنِي .

وَالْعَامِرِيُّ يَقُولُ لَهُ :

وَاللَّهِ لَا أَدْعُكَ حَتَّى يَحْكُمَ الشُّعْبِيُّ لِي عَلَيْكَ ...

فَالْتَفَتَ إِلَى الْعَامِرِيِّ وَقُلْتُ لَهُ :

دَعْ صَاحِبَكَ حَتَّى أَحْكُمَ بَيْنَكُمَا .

ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى الْأَسَدِيِّ وَقُلْتُ :

(٢) لَرَوَى مِنْهُ : أَحْمَدُ رَوَاهُ مِنْهُ .

(١) الْمُغَازِي : الْغَزَاوَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ .

مَا لِي أَرَاكَ تَتَحَادَّلُ لَهُ (١) ؟

وَلَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ مَفَاجِئُ مِثَّ لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ :

أُولَئِكَ : أَنَّهُ كَانَتْ مِنْكُمْ امْرَأَةٌ خَطَبَتْهَا سَيِّدُ الْخَلْقِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ  
فَزَوَّجَهُ اللَّهُ إِثَابًا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ ...

وَكَانَ السَّيْفِيُّ يَنْتَهَمَا « جَبْرِيلُ » عَلَيْهِ السَّلَامُ ...

إِنَّهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ .

فَكَانَتْ هَذِهِ الْمَأْتَرَةُ (٢) يَقُولُكَ ، وَلَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ غَيْرُكُمْ .

وَالثَّانِيَةُ : أَنَّهُ كَانَ مِنْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَمُشِي عَلَى الْأَرْضِ ، هُوَ  
« عَكَاشَةُ بْنُ مَعْصَنِ » (٣) .

وَكَانَتْ هَذِهِ لَكُمْ يَا بَنِي « أَسَدٍ » وَلَمْ تَكُنْ لِسِوَاكُمْ مِنَ النَّاسِ .

وَالثَّلَاثَةُ : أَنَّ أَوَّلَ لِيَاؤٍ عُقِدَ فِي الْإِسْلَامِ كَانَ لِوَجَلٍ مِنْكُمْ ، هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ  
جَحْشٍ (٤) .

وَالرَّابِعَةُ : أَنَّ أَوَّلَ مَغْنَمٍ قُسِمَ فِي الْإِسْلَامِ كَانَ مَغْنَمُهُ .

وَالْخَامِسَةُ : أَنَّ أَوَّلَ مَنْ تَابَعَ بَيْعَةَ الرُّضْوَانِ (٥) كَانَ مِنْكُمْ ؛ فَقَدْ جَاءَ  
صَاحِبُكُمْ أَبُو سَيَّانٍ بِنِ وَهَبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ :  
يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، ابْشُرْ بِذَلِكَ أَبَايُغَكَ .

(١) تتخاذل له : تتصلف أثنائه وتقتل .

(٢) المأتره : للكرامة المواراة ، والفعل الحميد .

(٣) عكاشة بن محصن : صحابي شهد المشاهد كلها ، واستشهد في حرب الردة .

(٤) عبد الله بن جحش : صحابي من أمراء السرايا ، وهو صهر رسول الله ﷺ ... انظره في كتاب « صور من

حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة للمشروعة .

(٥) بيعة الرضوان : كانت في آخر سنة مِثَّ للهجرة .

قَالَ ﷺ: (عَلَى مَاذَا ؟) .

قَالَ : عَلَى مَا فِي نَفْسِكَ .

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (وَمَا فِي نَفْسِي ؟) .

قَالَ : فَتَح ، أَوْ شَهَادَةٌ ؟ .

قَالَ : (نَعَمْ) ، فَتَايَعُهُ ...

فَجَعَلَ النَّاسُ يُبَايِعُونَ عَلَى بَيْعَةِ أَبِي سَيَّانٍ .

وَالسَّادِسَةُ : أَنْ قَوْمَكَ بَنِي «أَسَدٍ» كَانُوا شُبَّعَ الْمُهَاجِرِينَ يَوْمَ «بَذْرِ» .

فَبُهِتَ الْعَامِرِيُّ وَسَكَتَ .

وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ الشُّعْبِيَّ أَرَادَ أَنْ يَنْصُرَ الضَّعِيفَ الْمَغْلُوبَ عَلَى الْقَوِيِّ  
الْغَالِبِ .

وَلَوْ كَانَ الْعَامِرِيُّ هُوَ الْمَخْذُولُ ؛ لَذَكَرَ لَهُ مِنْ مَآثِرِ قَوْمِهِ مَا لَمْ يُحِطْ بِهِ  
خُبْرًا .

\* \* \*

وَلَمَّا آتَتْ (١) الْخِلَافَةُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، كَتَبَ إِلَى الْحُجَّاجِ  
عَامِلِهِ (٢) عَلَى «الْمُرَاقِي» :

أَنْ ابْتَغِ إِلَيَّ رَجُلًا يَضْلُحُ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا ؛ أَتَّخِذْهُ سَمِيرًا وَجَلِيسًا ...

فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالشُّعْبِيِّ ، فَجَعَلَهُ مِنْ خَاصَّتِهِ (٣) ، وَأَخَذَ يَفْرُغُ إِلَيْهِ عِلْمِهِ فِي

(١) كُتِبَ الْخِلَافَةُ إِلَى فُلَانٍ : صَارَتْ إِلَيْهِ .

(٢) عَامِلُهُ : وَالِيهِ .

(٣) خَاصَّةُ الْخَلِيفَةِ : الْمُتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ .



المُعْضَلَاتِ<sup>(١)</sup>، وَيَقُولُ عَلَى رَأْيِهِ<sup>(٢)</sup> فِي الْمِلَكَاتِ، وَيَتَعَثُّ سَفِيرًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
الْمُلُوكِ.

\* \* \*

أَرْسَلَهُ مَرَّةً فِي مُهِمَّةٍ إِلَى «جَسْتِنْيَان» مَلِكِ «الرُّومِ» ... فَلَمَّا وَقَدَّ عَلَيْهِ  
وَأَسْتَمَعَ إِلَيْهِ، أَخَذَ بِذِكَايِهِ<sup>(٣)</sup>، وَدُهِشَ مِنْ ذَهَائِهِ، وَأُعْجِبَ بِسَعَةِ أَطْلَاعِهِ وَقُوَّةِ  
عَارِضَتِهِ<sup>(٤)</sup>.

فَاسْتَبْقَاهُ عِنْدَهُ أَيَّامًا كَثِيرَةً عَلَى غَيْرِ عَادَتِهِ مَعَ الشُّعْرَاءِ.  
فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِ بِأَنْ يَأْذَنَ لَهُ بِالْعَوْدَةِ إِلَى «دِمَشْق» سَأَلَهُ الْمَلِكُ الرُّومِيُّ:  
أَمِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَلِكِ أَنْتَ ؟  
فَقَالَ : لَا ، وَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْ جُمْلَةِ الْمُسْلِمِينَ.  
فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ بِالرَّجِيلِ قَالَ لَهُ :

إِذَا رَجَعْتَ إِلَى صَاحِبِكَ [ يَغْنِي عَبْدَ الْمَلِكِ بَنَ مَرْوَانَ ] وَأَبْلَغْتَهُ جَمِيعَ  
مَا يُرِيدُ مَغْرِقَتَهُ ، فَأَذْفَعْ إِلَيْهِ هَذِهِ الرَّقْعَةَ<sup>(٥)</sup>.

فَلَمَّا عَادَ الشُّعْبِيُّ إِلَى «دِمَشْق» بَادَرَ إِلَى لِقَاءِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَأَفْضَى إِلَيْهِ  
بِكُلِّ مَا رَأَاهُ وَسَمِعَهُ ، وَأَجَابَهُ عَنْ جَمِيعِ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ .  
وَلَمَّا نَهَضَ لِيَتَصَرَّفَ قَالَ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ مَلِكَ «الرُّومِ» حَمَلَنِي لَكَ هَذِهِ الرَّقْعَةَ ... وَدَفَعَهَا  
إِلَيْهِ وَأَنْصَرَفَ .

(١) يَفْرَعُ إِلَى عَلَيْهِ فِي الْمَضَلَّاتِ : يُلْجَأُ إِلَى عَلَيْهِ فِي الْأُمُورِ الصَّعِيبَةِ .

(٢) يَقُولُ عَلَى رَأْيِهِ : بِحَسَبِ حَالِهِ ذَكَرَهُ .

(٤) قُوَّةُ عَارِضَتِهِ : قُوَّةُ بَيَازِيهِ وَشُرُوعِهِ بِدِيَارِهِ .

(٥) الرَّقْعَةُ : الْحَطَابُ وَالرَّسَالَةُ .

(٣) أَخَذَ بِذِكَايِهِ : شَجَرَ بِفُطَيْتِيهِ وَتَوَلَّى ذَهَبَهُ .

فَقَامَا قَرَأَمَا عَبْدُ الْمَلِكِ قَالَ لِغُلَامَيْهِ : رُدُّوهُ عَلَيَّ ، فَرَدُّوهُ .

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِلشَّعْبِيِّ :

أَعْلِمْتُ مَا فِي هَذِهِ الرَّقْعَةِ ؟

فَقَالَ : لَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَقَدْ كَتَبَ إِلَيَّ مَلِكُ « الرُّومِ » يَقُولُ :

عَجِبْتُ لِلْعَرَبِ كَيْفَ مَلَكَتْ عَلَيْهَا رَجُلًا غَيْرَ هَذَا الْغَلِيِّ ؟

فَبَادَرَهُ<sup>(١)</sup> الشَّعْبِيُّ قَائِلًا :

إِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّهُ لَمْ يَرَكَ ، وَلَوْ رَأَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَا قَالَهُ .

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَتُكْذِرِي لِمَ كَتَبَ إِلَيَّ مَلِكُ « الرُّومِ » بِهَذَا ؟

فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : لَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ :

إِنَّمَا كَتَبَ إِلَيَّ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ حَسَدَنِي عَلَيْكَ ، فَأَرَادَ أَنْ يُغْرِيقَنِي<sup>(٢)</sup> بِقَتْلِكَ  
وَالْتَحُلُّصِ مِنْكَ .

فَبَلَغَ ذَلِكَ مَلِكُ « الرُّومِ » ، فَقَالَ : لِلَّهِ أَثْبُوهُ ...

وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ غَيْرَ ذَلِكَ ...

\* \* \*

وَلَقَدْ بَلَغَ الشَّعْبِيُّ فِي الْعِلْمِ مَثْرَلَةً جَعَلَتْهُ رَابِعَ ثَلَاثَةِ فِي عَصْرِهِ .

فَقَدْ كَانَ الزُّهْرِيُّ يَقُولُ : الْعُلَمَاءُ أَرْبَعَةٌ ...

(٢) يَغْرِيقُنِي : يَهْلِكُنِي .

(١) بَادَرَهُ : عَاجَلَهُ وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ .

مَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ<sup>(١)</sup> فِي الْمَدِينَةِ .

وَعَامِرُ الشَّعْبِيِّ فِي الْكُوفَةِ .

وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ<sup>(٢)</sup> فِي الْبَصْرَةِ .

وَمَكْحُولٌ فِي الشَّامِ .

لَكِنَّ الشَّعْبِيَّ كَانَ - لِتَوَاضُعِهِ - يَخْجَلُ إِذَا خَلَعَ<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ أَحَدٌ لَقَبَ  
« الْعَالِمِ » ... فَقَدْ خَاطَبَهُ أَحَدُهُمْ قَائِلًا :

أَجِئْتَنِي أَنِّي الْفَقِيهُ الْعَالِمُ .

فَقَالَ : وَيَحْكُ<sup>(٤)</sup> ...

لَا تُطْرِنَا<sup>(٥)</sup> بِمَا لَيْسَ فِينَا ...

الْفَقِيهُ مِنْ تَوَرُّعٍ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ ، وَالْعَالِمُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَأَنْتَ نَعْنُ مِنْ  
ذَلِكَ ١٩ .

وَلَقَدْ سَأَلَهُ آخَرُ عَنْ مَسْأَلَةٍ ، فَأَجَابَ :

قَالَ فِيهَا عَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ كَذًا ...

وَقَالَ فِيهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَذًا ...

فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ : وَأَنْتَ مَاذَا تَقُولُ يَا أَبَا عَمْرٍو ؟

فَاجْتَسَمَ - فِي اسْتِخْيَاءٍ - وَقَالَ :

(١) مَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : انظره ص ١٩٧ .

(٢) الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : انظره ص ٩٥ .

(٣) خَلَعَ عَلَيْهِ : أَلْقَى عَلَيْهِ .

(٤) وَيَحْكُ : كَلِمَةٌ تَرْحَمُ وَتُجْمَعُ ، وَالْمَعْنَى : أَنْتَ حَمِيدٌ وَأَنْتَ جَمْعُ لَكَ .

(٥) لَا تُطْرِنَا : لَا تَبَالِغْ فِي مَدْحِنَا وَإِكْبَارِنَا .

وَمَا تَضْنَعُ بِقَوْلِي بَعْدَ أَنْ سَمِعْتَ مَقَالَهَ عُمَرَ وَعَلِيٍّ .

\* \* \*

وَقَدْ كَانَ الشُّعْبِيُّ يَتَحَلَّى بِكَرِيمِ الشَّمَائِلِ <sup>(١)</sup> وَجَلِيلِ الْخَصَائِلِ <sup>(٢)</sup> ...  
مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ الْجِرَاءَ <sup>(٣)</sup> وَيَتَصَاوَنُ <sup>(٤)</sup> مِنَ الْخَوَاضِ فِيمَا لَا يَغْنِيهِ .  
فَلَقَدْ كَلَّمَهُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ :

يَا أَبَا عَمْرٍو ...

فَقَالَ : لَبَيْكَ .

فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِيمَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ النَّاسُ مِنْ أَمْرِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ؟

فَقَالَ الشُّعْبِيُّ : أَيُّ رَجُلَيْنِ تَغْنِي ؟

فَقَالَ : عُثْمَانُ وَعَلِيٌّ .

فَقَالَ الشُّعْبِيُّ : إِنِّي - وَاللَّهِ - لَفِي غِنَى عَنْ أَنْ أَجِيءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَصِيماً <sup>(٥)</sup>  
لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَوْ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

\* \* \*

وَلَقَدْ جَمَعَ الشُّعْبِيُّ إِلَى الْعِلْمِ الْجُلْمَ .

فَقَدْ رَوَى أَنَّ رَجُلًا سَمِعَهُ أَتْبَعَ الشُّنَمَ ، وَأَسْمَعَهُ أَقْدَعَ <sup>(٦)</sup> الْكَلَامَ ، فَلَمْ يَرِدْ  
عَلَى أَنْ قَالَ لَهُ :

إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تَزْمِنِي بِهِ عَفَرَ اللَّهُ لِي ...

(١) تَصَاوَنَ مِنَ الْأَمْرِ : حَفِظَ نَفْسَهُ مِنْهُ .

(٢) خَصِيماً : مُخَافِئاً .

(٣) الْكَلَامَ : أَمْسَحَ الْكَلَامَ .

(١) كَرِيمِ الشَّمَائِلِ : سَامِي الطَّبَاعِ .

(٢) جَلِيلِ الْخَصَائِلِ : عَالِي الصِّفَاتِ .

(٣) الْجِرَاءُ : الْجَدَلُ .

وَلِنْ كُنْتُ كَاذِبًا غَفَرَ اللَّهُ لَكَ .

\* \* \*

وَلَمْ يَكُنِ الشَّعْبِيُّ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَجَزَالَةِ<sup>(١)</sup> فَضْلِهِ يَأْتِفُ أَنْ يَأْخُذَ  
الْمَعْرِفَةَ ، أَوْ يَتَلَقَّى الْحِكْمَةَ عَنْ أَهْوَنِ النَّاسِ شَأْنًا ...

فَلَقَدْ ذَابَ أَغْرَابِي عَلَى حُضُورِ مَجَالِسِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يَلُودُ<sup>(٢)</sup> بِالصُّمُتِ  
دَائِمًا ، فَقَالَ لَهُ الشَّعْبِيُّ :  
أَلَا تَتَكَلَّمُ ۚ .

فَقَالَ : أَشَكْتُ فَأَسْلَمَ ، وَأَسْمَعُ فَأَعْلَمُ ...

وَلِنْ حَظُّ الْمَرْءِ مِنْ أَذْنِهِ يَعُودُ عَلَيْهِ ...

أَمَّا حَظُّهُ مِنْ لِسَانِهِ فَيَعُودُ عَلَى غَيْرِهِ ...

فَظَلَّ الشَّعْبِيُّ يُرَدِّدُ كَلِمَةَ الْأَغْرَابِيِّ مَا امْتَدَّتْ بِهِ الْحَيَاةُ .

\* \* \*

وَلَقَدْ أُوتِيَ الشَّعْبِيُّ مِنْ بَلَاغَةِ الْكَلَامِ ، وَحُسْنِ التَّصَوُّفِ قِبَةَ مَا لَمْ يُؤْتَهُ  
إِلَّا الْقِلَّةُ النَّادِرَةُ مِنَ الْفُصَحَاءِ الْأَيْتَاءِ<sup>(٣)</sup> ...

مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَلَّمَ أَمِيرَ « الْعِرَاقَيْنِ » عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ الْفَرَازِي فِي جَمَاعَةٍ  
حَبَسَهُمْ فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ...

إِنْ كُنْتُ حَبَسْتَهُمْ بِالْبَاطِلِ ؛ فَالْحَقُّ يُخْرِجُهُمْ ...

وَلِنْ كُنْتُ حَبَسْتَهُمْ بِالْحَقِّ ؛ فَالْعَفْوُ يَسْعُهُمْ .

---

(١) جزالة فضله : سمو فضله ، وعظمة مقامة .

(٢) يلود بالصُّمُتِ : يفتصم به .

(٣) الأيتاء : الذين يبينون ما يقولون بأوضح ما يكون .

فَأَعْجَبَ بِقَوْلِهِ ، وَأَطْلَقَهُمْ كَرَامَةً لَهُ .

\* \* \*

وَعَلَى الرُّغْمِ مِنْ كَمَالِ مُرُوءَةِ الشُّعْبِيِّ وَعُلُوِّ مَنَزَلَتِهِ فِي الدِّينِ وَالْعِلْمِ ، فَقَدْ كَانَ عَذَبَ الرُّوحِ حُلُوَ الْمُفَاكَهَةِ ، لَا يُفَوِّتُ الثُّكَنَةَ إِذَا لَاحَتْ لَهُ .

فَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ امْرَأَتِهِ ، فَقَالَ :

أَيُّكُمَا الشُّعْبِيُّ ؟ .

فَقَالَ : هَلِيهِ ، وَأَشَارَ إِلَى امْرَأَتِهِ .

وَسَأَلَهُ آخَرُ :

مَاذَا كَانَتْ تُسَمِّي زَوْجَتَهُ إِذْ لَيْسَ ؟ .

فَقَالَ : ذَلِكَ غُرْسٌ لَمْ نَشْهَدْهُ .

وَأَعْلَى خَيْرَ مَا يُصَوِّرُ خِلَالَ الشُّعْبِيِّ مَا حَكَاهُ عَنْ نَفْسِهِ حَيْثُ قَالَ :

مَا حَلَلْتُ حَبْنَتِي <sup>(١)</sup> إِلَى شَيْءٍ مِمَّا يُنْظَرُ إِلَيْهِ النَّاسُ ...

وَلَا صَرَبْتُ غُلَامًا لِي قَطُّ ...

وَمَا مَاتَ ذُو قَرَابَةٍ لِي وَعَلَيْهِ دَنْنٌ ، إِلَّا قَضَيْتُهُ عَنْهُ .

\* \* \*

وَبَعْدُ ، فَقَدْ عُمِّرَ الشُّعْبِيُّ حَتَّى تَبِفَ <sup>(٢)</sup> عَلَى الثَّمَانِينَ .

فَلَمَّا لَبَّى نِدَاءَ رَبِّهِ ، وَنُعِيَ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَالَ :

« تَرَوُّهُمُ اللَّهُ فَلَقَدْ كَانَ وَاسِعَ الْعِلْمِ ... »

(١) مَا حَلَلْتُ حَبْنَتِي : مَا قَعْتُ مِنْ مَكَانِي .

(٢) تَبِفَ : زَادَ .

عَظِيمُ الْجَلْمِ ...  
وَأَنَّهُ مِنَ الْإِسْلَامِ يُمْكِنُ ٥ (٥).

- 
- (٥) للاستزادة من أخبار الشَّعْبِ انظر:
- ١ - الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٤٧/٦.
  - ٢ - تاريخ بغداد: ٢٢٧/١٢.
  - ٣ - تهذيب التهذيب: ٦٥/٥.
  - ٤ - حلية الأولياء: ٣١٠/٤.
  - ٥ - صفة الصفوة: ٧٥/٣.
  - ٦ - وفيات الأعيان: ١٢/٣.
  - ٧ - شرح المقامات للشريشي: ٢٤٥/٢.
  - ٨ - المعارف لابن قتيبة: ٤٤٩.
  - ٩ - التهذيب لابن عساکر: ١٣٨/٧.
  - ١٠ - سبط الكري: ٧٥١.





# سَلَامَةُ بْنُ دِينَارٍ

المغزوف بأبي حازم الأغرَج

« مَا رَأَيْتُ أَحَدًا الْجَحْكُمَةَ أَقْرَبَ إِلَى قَبِيهِ مِنْ أَبِي حَازِمٍ »

[عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَافِلٍ]

فِي الشَّيْءِ السَّابِغَةِ وَالتَّشْعِينَ لِلْهَجْرَةِ ، شَدَّ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ سَلَامَةُ بْنُ  
عَبْدِ الْمَلِكِ الرَّحَالِ إِلَى الدِّيَارِ الْمُقَدَّسَةِ ؛ مُلَبِّيًا نِدَاءَ أَبِي الْأَنْبِيَاءِ إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ ... وَمَضَتْ رَكَائِبُهُ<sup>(١)</sup> تَحْتَ الْحُطِيِّ<sup>(٢)</sup> مِنْ « دِمَشْق » عَاصِمَةِ  
« الْأُمَوِيِّينَ » إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ .

فَقَدْ كَانَ فِي نَفْسِهِ شَوْقٌ إِلَى الصَّلَاةِ فِي الرُّوَضَةِ الْمُطَهَّرَةِ ...  
وَتَوَقَّ<sup>(٣)</sup> إِلَى السَّلَامِ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .  
وَقَدْ خَفَلَ مَوْكِبَ الْخَلِيفَةِ بِالْقُرَاءِ ، وَالْمُحَدِّثِينَ ، وَالْفُقَهَاءِ ، وَالْعُلَمَاءِ ،  
وَالْأُمَرَاءِ ، وَالْقَادَةِ .

فَلَمَّا بَلَغَ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ ، وَحَطَّ رِحَالُهُ فِيهَا ، أَقْبَلَ وَجْهُهُ النَّاسَ وَذَوُرُ  
الْأَقْدَارِ<sup>(٤)</sup> لِلْسَّلَامِ عَلَيْهِ وَالتَّرْجِيْبِ بِهِ .

لَكِنْ سَلَّمَ نَبِيٌّ دِينَارٍ قَاضِي الْمَدِينَةِ وَعَالِمُهَا الْحُجَّةُ<sup>(٥)</sup> ، وَإِمَامُهَا  
الثَّقَّةُ<sup>(٦)</sup> ؛ لَمْ يَكُنْ فِي عِدَادِ مَنْ رَأَوْا الْخَلِيفَةَ مُرْجِيَيْنَ مُسْلِمِينَ .

\* \* \*

(٤) ذَوُرُ الْأَقْدَارِ : أَصْحَابُ الْحَرَمَةِ وَالْمَكَانَةِ .

(٥) الْحُجَّةُ : الْعَالِمُ الَّذِي يُخَيِّجُ بَعْلَهُ .

(٦) الثَّقَّةُ : الَّذِي يَتَّقِي النَّاسَ بِرَأْيِهِ وَفِكَرِهِ .

(١) رَكَائِبُهُ : إِلَهُهُ .

(٢) تَحْتَ الْحُطِيِّ : تَحْضِي سُرْعَةً .

(٣) تَوَقَّ : تَوَقَّعَ .

وَلَمَّا فَرَغَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنَ اسْتِيقْبَالِ الْمُرَحِّبِينَ بِهِ ، قَالَ لِيَنْغُصَ  
مَجْلَسَاتِهِ :

إِنَّ التُّنُوسَ لَتَصْدَأُ كَمَا تَصْدَأُ الْمَعَادِنُ إِذَا لَمْ تَجِدْ مَنْ يُذَكِّرُهَا الْفَيْئَةَ بَعْدَ  
الْفَيْئَةِ<sup>(١)</sup> ، وَيَجْلُو عَنْهَا صَدَأُهَا .

فَقَالُوا : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ : أَمَا فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ أَذْرَكَ طَائِفَةً مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
يُذَكِّرُنَا<sup>(٢)</sup> ؟

فَقَالُوا : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ...

هَا هُنَا أَبُو حَارِثٍ الْأَعْرَجُ .

فَقَالَ : وَمَنْ أَبُو حَارِثٍ الْأَعْرَجُ ؟

فَقَالُوا : سَلِمَةُ بْنُ دِينَارٍ عَالِمِ الْمَدِينَةِ وَإِمَامُهَا ، وَأَحَدُ التَّابِعِينَ الَّذِينَ أَذْرَكُوا  
عَدَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ .

فَقَالَ : اذْعُوهُ لَنَا ، وَتَلَطَّفُوا فِي دَعْوَتِهِ .

فَدَهَبُوا إِلَيْهِ وَدَعَوْهُ .

فَلَمَّا آتَاهُ ... رَحَّبَ بِهِ وَأَذْنَى مَجْلِسَهُ<sup>(٣)</sup> وَقَالَ لَهُ مُعَاتِبًا :

مَا هَذَا الْجَفَاءُ<sup>(٤)</sup> يَا أَبَا حَارِثٍ ؟

فَقَالَ : وَأَيُّ جَفَاءٍ رَأَيْتَ مِنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

فَقَالَ : زَارَنِي وَجُوهُ النَّاسِ وَلَمْ تَرْزُقْنِي ۱۱ .

(٣) أَذْنَى مَجْلِسُهُ : قَرَّبَ مَجْلِسَهُ .

(٤) الْجَفَاءُ : الْإِعْرَاضُ .

(١) الْفَيْئَةُ بَعْدَ الْفَيْئَةِ : مِنْ حَبْنٍ إِلَى آخَرٍ .

(٢) يُذَكِّرُنَا : يَمُنُّنَا .

فَقَالَ : إِنَّمَا يَكُونُ الْجَفَاءُ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ ...  
وَأَنْتَ مَا عَرَفْتَنِي قَبْلَ الْيَوْمِ ، وَلَا أَنَا رَأَيْتُكَ ، فَأَيُّ جَفَاءٍ وَقَعَ مِنِّي ؟ .  
فَقَالَ الْخَلِيفَةُ لِجُلَسَائِهِ : أَصَابَ الشَّيْخُ فِي اعْتِدَارِهِ ، وَأَخْطَأَ الْخَلِيفَةُ فِي عَقْبِهِ عَلَيْهِ .

ثُمَّ انْتَقَتْ إِلَى أَبِي حَارِيزٍ وَقَالَ :  
إِنَّ فِي النَّاسِ شُفُونًا<sup>(١)</sup> أَحَبِّتُ أَنْ أَفْضِي<sup>(٢)</sup> بِهَا إِلَيْكَ يَا أَبَا حَارِيزٍ .  
فَقَالَ : هَاتِيهَا - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ .  
فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : يَا أَبَا حَارِيزٍ ، مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ ؟  
فَقَالَ : لِأَنَّا عَمَرْنَا دُنْيَانَا ، وَخَرَبْنَا آخِرَتَنَا ...  
فَتَكْرَهُ الْخُرُوجَ مِنَ الْعَمَارِ إِلَى الْخَرَابِ .  
فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : صَدَقْتَ ... ثُمَّ أَرَدَفَ قَائِلًا :  
يَا أَبَا حَارِيزٍ - لَيْتَ شِعْرِي<sup>(٣)</sup> - مَا لَنَا عِنْدَ اللَّهِ غَدًا ؟  
فَقَالَ : اغْرِضْ عَمَلَكَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ تَجِدْ ذَلِكَ .  
قَالَ : وَأَيْنَ أَجِدُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ؟  
قَالَ : تَجِدُهُ فِي قَوْلِهِ - عَلَتْ كَلِمَتُهُ - :  
﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ • وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾<sup>(٤)</sup> .  
فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : إِذَنْ قَائِلٌ رَحْمَةُ اللَّهِ ؟

(٣) ليت شعري : ليتني أعلم .  
(٤) سورة الانفطار : ١٣ - ١٤ .

(١) شفونا : أموراً هائلة .  
(٢) أفضي بها : أخلصها .

فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : ﴿إِنْ رَحِمَتِ اللَّهُ قَرِيبَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١).

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : لَيْتَ شِغْرِي ، كَيْفَ الْقُدُومُ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ عَدَا ؟ .

فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : أَمَّا الْمُحْسِنُ ؛ فَكَالْعَائِبِ يَقْدَمُ عَلَى أَهْلِهِ ...

وَأَمَّا الْمُسِيءُ ؛ فَكَالْعَبْدِ الْآبِقِ (٢) يُسَاقُ إِلَى مَوْلَاهُ سَوْقًا .

فَبَكَى الْخَلِيفَةُ حَتَّى عَلَا نَحِيئُهُ ، وَاشْتَدَّ بُكَاءُهُ .

ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا حَازِمٍ ، كَيْفَ لَنَا أَنْ نَضْلَعَ ؟ .

فَقَالَ : تَدْعُونَ عَنْكُمْ الصَّلَاةَ (٣) ، وَتَتَحَلَوْنَ بِالْمُرُوءَةِ .

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : وَهَذَا الْمَالُ ، مَا السَّبِيلُ إِلَى تَقْوَى اللَّهِ فِيهِ ؟ .

فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ :

إِذَا أَخَذْتُمُوهُ بِحَقِّهِ ...

وَوَضَعْتُمُوهُ فِي أَهْلِهِ ...

وَقَسَمْتُمُوهُ بِالصَّوِيَّةِ ...

وَعَدَلْتُمْ فِيهِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ .

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : يَا أَبَا حَازِمٍ ، أَخْبِرْنِي مَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ ؟ .

فَقَالَ : أَوْلُو الْمُرُوءَةِ (٤) وَالتَّقَى .

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : وَمَا أَغْدَلُ الْقَوْلُ يَا أَبَا حَازِمٍ ؟ .

فَقَالَ : كَلِمَةٌ حَقٌّ يَقُولُهَا الْمَرْءُ عِنْدَ مَنْ يَخَافُهُ ، وَعِنْدَ مَنْ يَرْجُوهُ .

(١) سورة الأعراف : ٥٦ .

(٢) الآبق : الهلرب .

(٣) الصلابة : التكبر .

(٤) المرورة : العفة والاعتزام .

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: فَمَا أَسْرَعَ الدُّعَاءِ لِجَابَةِ يَا أَبَا حَارِثٍ ؟ .

فَقَالَ: دُعَاءُ الْمُحْسِنِ لِلْمُحْسِنِينَ .

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: وَمَا أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ ؟ .

فَقَالَ: جُهْدُ الْمُقِلِّ<sup>(١)</sup> يَضَعُهُ فِي يَدِ الْبَائِسِ الْفَقِيرِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْبَعَثَ مَنْ  
وَلَا أَدَى .

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: مَنْ أَكْبَسَ النَّاسَ<sup>(٢)</sup> يَا أَبَا حَارِثٍ ؟ .

فَقَالَ: رَجُلٌ ظَفِرَ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَعَمِلَ بِهَا ، ثُمَّ ذَلَّ النَّاسَ عَلَيْهَا .

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: فَتَمَّ أَحَقُّ النَّاسِ<sup>(٣)</sup> ؟ .

فَقَالَ: رَجُلٌ انْسَأَقَ مَعَ هَوَى صَاحِبِهِ ، وَصَاحِبُهُ ظَالِمٌ ، فَبَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا  
غَيْرِهِ .

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: هَلْ لَكَ أَنْ تَصْبَحَتَا - يَا أَبَا حَارِثٍ - فَتُصِيبَ مِنَّا وَتُصِيبَ  
مِنْكَ<sup>(٤)</sup> ؟ .

فَقَالَ: كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: وَلِمَ ۚ .

فَقَالَ: أَخْشَى أَنْ أَوْكَنَ<sup>(٥)</sup> إِلَيْكُمْ قَلِيلًا ، فَيَذِيقَنِي اللَّهُ ضِعْفَ الْحَيَاةِ  
وَضِعْفَ الْمَمَاتِ<sup>(٦)</sup> .

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: ارْزُقْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ يَا أَبَا حَارِثٍ .

(١) المقل: التقليل المال .

(٢) أكبس الناس: أكثر الناس فطنة وتفلاً .

(٣) أحقق الناس: أفسد الناس فكرياً وعقلاً .

(٤) تصيب منا وتصيب منك: تأخذ منا وتعطينا .

(٥) أوكن إليكم: أحسد إليكم .

(٦) ضعف الحياة و ضعف الممات: عناء الدنيا ،

وعذاب الآخرة .

فَسَكَتَ وَلَمْ يُجِبْ ...

فَأَعَادَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ : اِرْقَعْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ يَا أَبَا حَازِمٍ نَقْضِهَا لَكَ مَهْمَا كَانَتْ .

فَقَالَ : حَاجَتِي أَنْ تُنْفِذَنِي مِنَ النَّارِ ، وَتُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ ...

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِي <sup>(١)</sup> يَا أَبَا حَازِمٍ .

فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : مَالِي مِنْ حَاجَةٍ سِوَاهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : اذْءُ لِي يَا أَبَا حَازِمٍ .

فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ سَلِيمًا مِنْ أَوْلِيَائِكَ ، فَيَسِّرْهُ إِلَيَّ خَيْرِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ ...

وَإِنْ كَانَ مِنْ أَغْدَائِكَ ، فَأَصْلِحْهُ وَاهْدِهِ إِلَيَّ مَا تُحِبُّ وَتَرْضَى .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ :

يَسْ <sup>(٢)</sup> مَا قُلْتَ مُنْذُ دَخَلْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ...

فَلَقَدْ جَعَلْتَ خَلِيفَةَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَغْدَاءِ اللَّهِ وَآدِئِهِ .

فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : بَلْ يَسْ مَا قُلْتَ أَنْتَ ، فَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ

الْيَمِينَةَ <sup>(٣)</sup> بِأَنْ يَقُولُوا كَلِمَةَ الْحَقِّ ، فَقَالَ تَعَالَى :

﴿ لَتَبِيتُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْثُرُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَقَالَ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَنَا مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ ظَلُّوا فِي خَيْرٍ

وَعَافِيَةٍ مَا دَامَ أَمْرَاؤُهُمْ يَأْتُونَ عُلَمَاءَهُمْ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَهُمْ ...

(١) الميثاق : العهد .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٧ .

(٣) من شأني : من فعلي .

(٤) يس ما قلت : ما أسوأ ما قلت .

ثُمَّ وَجَدَ قَوْمٌ مِنْ أَرَاذِلِ<sup>(١)</sup> النَّاسِ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَاتَّوَا بِهِ الْأُمَرَاءَ ؛ يُرِيدُونَ أَنْ  
يَتَّالُوا بِهِ شَيْفًا مِنْ غَرَضِ الدُّنْيَا ...

فَاسْتَعْنَتِ الْأُمَرَاءُ عَنِ الْعُلَمَاءِ ...

فَتَعَمَّسُوا وَتُكَّسُوا<sup>(٢)</sup> ، وَسَقَطُوا مِنْ عَيْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَلَوْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ زَهَّدُوا فِيمَا عِنْدَ الْأُمَرَاءِ ؛ لَرَغِبَ الْأُمَرَاءُ فِي عِلْمِهِمْ ...

وَلَكِنَّهُمْ رَغِبُوا فِيمَا عِنْدَ الْأُمَرَاءِ ؛ فَزَهَّدُوا فِيهِمْ ...

وَهَانُوا عَلَيْهِمْ<sup>(٣)</sup> .

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : صَدَقْتَ ...

زِدْنِي مِنْ مَوْعِظَتِكَ يَا أَبَا حَارِثٍ ؛ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا الْحِكْمَةَ أَقْرَبَ إِلَيَّ فَمِجِهَ  
مِثْلَكَ .

فَقَالَ : إِنْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْتِجَابَةِ<sup>(٤)</sup> ؛ فَقَدْ قُلْتُ لَكَ مَا فِيهِ الْكِفَايَةُ ...

وَأِنْ لَمْ تُكُنْ مِنْ أَهْلِهَا ؛ فَمَا يُنْبِئُنِي لِي أَنْ أَرْمِي عَنْ قَوْسٍ لَيْسَ لَهَا  
وَتَرٌ<sup>(٥)</sup> ...

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : عَزَمْتُ<sup>(٦)</sup> عَلَيْكَ أَنْ تُوصِيَتَنِي يَا أَبَا حَارِثٍ .

فَقَالَ : نَعَمْ ... سَوْفَ أُوصِيكَ وَأُوجِزُ ...

عَظُمَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ وَنَزَّهَهُ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ ...

وَأَنْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ .

---

(١) أَرَاذِلُ النَّاسِ : سَفَاهَةُ النَّاسِ .

(٢) تُكَّسُوا : عَجَبُوا .

(٣) هَانُوا عَلَيْهِمْ : اسْتَقْفَرَهُمْ .

(٤) الْإِسْتِجَابَةُ : قَبُولُ الطَّلَبِ وَتَنْفِيذُهُ .

(٥) الْوَتَرُ : شَوْقَةُ الْقَوْسِ .

(٦) عَزَمْتُ عَلَيْكَ : أَسَمْتُ عَلَيْكَ .

ثُمَّ سَلَّمَ وَأَنْصَرَفَ .

فَقَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ عَالِمٍ نَاصِحٍ .

\* \* \*

مَا كَادَ أَبُو حَازِمٍ يَبْلُغُ نِيَّتَهُ ، حَتَّى وَجَدَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ بِصُرُوفٍ  
مِثْلَتْ دَنَانِيرَ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ :

أَتَيْفُهَا ، وَلَكَ مِثْلُهَا كَثِيرٌ عِنْدِي .

فَرَدَّهَا وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَغُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَكُونَ سُؤْأَلُكَ  
إِبْطَايَ هَزْلاً ، وَرَدِّي عَلَيْكَ بِإِطْلَافٍ .

فَوَاللَّهِ مَا أَرْضَى ذَلِكَ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - لَكَ ...

فَكَتَبَ أَرْضَاءَهُ لِيَتَقَسَّى ١٢ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الدَّنَانِيرُ لِقَاءَ حَدِيثِي الَّذِي حَدَّثْتُكَ بِهِ ،  
فَالْمِيتَةُ وَلَحْمُ الْجَنْتَرِيِّ فِي حَالِ الاضْطِرَارِّ أَحَلُّ مِنْهَا ...

وَأِنْ كَانَتْ حَقًّا لِي فِي يَدَيْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَهَلْ سَوَّيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ  
جَمِيعًا فِي هَذَا الْحَقِّ ١٣ .

\* \* \*

وَلَقَدْ كَانَ مَثَرُ سَلْعَةٍ بَيْنَ دِيْنَارٍ مُؤَرِّدًا عَذَابًا<sup>(١)</sup> لِبُطْلَانِ الْعِلْمِ ، وَرُغَابِ  
الصَّلَاحِ ...

لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ إِخْوَانِهِ وَطُلَّابِهِ ...

فَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ ذَاتَ مَرَّةٍ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَرِيرٍ» وَمَعَهُ ابْنُهُ ، وَأَخَذَا  
مَجْلِسَيْهِمَا عِنْدَهُ ، وَسَلَّمَا عَلَيْهِ وَدَعَرَا لَهُ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

---

(١) مُؤَرِّدًا عَذَابًا : يَهْرَعًا حَلَوَ الْمَاءِ .



قَرَدُ التَّجِيعَةِ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ، وَرَحِبَ بِهِمَا ، ثُمَّ دَارَ بَيْنَهُمُ الْحَدِيثُ ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَرِيرٍ :

كَيْفَ نَحْطَلِي بِالْفُتُوحِ <sup>(١)</sup> يَا أَبَا حَازِمٍ ؟ .

فَقَالَ : عِنْدَ تَصْحِيحِ الضَّمَائِرِ تُغْفَرُ الْكَبَائِرُ ...

وَإِذَا عَزَمَ الْعَبْدُ عَلَى تَرْكِ الْأَتَامِ أَمَّهُ <sup>(٢)</sup> الْفُتُوحُ ...

وَلَا تَنْسَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَنَّ يَسِيرَ الدُّنْيَا يَشْغَلُنَا عَنْ كَثِيرِ الْآخِرَةِ ...

وَكُلُّ نِعْمَةٍ لَا تُقَرَّبُكَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهِيَ نِعْمَةٌ .

فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : إِنْ أَشْيَاخَنَا <sup>(٣)</sup> كَثِيرُونَ ؛ فَبِمَنْ نَقْتَدِي مِنْهُمْ ؟ .

فَقَالَ : يَا بَنِي ، اتَّقِ بِمَنْ يَخَافُ اللَّهَ فِي ظَهْرِ الْغَيْبِ ، وَيَعِفُّ عَنِ الثَّلَبِ

بِالْغَيْبِ ...

وَيُصْلِحُ نَفْسَهُ فِي أَوَانِ الصَّبَا ، وَلَا يُزْجِي ذَلِكَ إِلَى عَهْدِ الشَّيْبِ .

وَأَعْلَمْ يَا بَنِي أَنَّهُ مَا مِنْ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ إِلَّا وَيُقْبَلُ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ

هَوَاهُ <sup>(٤)</sup> وَعِلْمُهُ ، ثُمَّ يَتَغَالَبَانِ <sup>(٥)</sup> فِي صَدْرِهِ تَغَالِبَ الْمُتَحَاصِمِينَ .

فَإِذَا غَلَبَ عِلْمُهُ هَوَاهُ كَانَ يَوْمُهُ يَوْمَ غُنْمٍ لَهُ ...

وَإِذَا غَلَبَ هَوَاهُ عِلْمُهُ كَانَ يَوْمُهُ يَوْمَ حُشْرَانٍ عَلَيْهِ .

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَرِيرٍ : كَثِيرًا مَا حَضَضْتَنَا عَلَى الشُّكْرِ

يَا أَبَا حَازِمٍ ، فَمَا حَقِيقَةُ الشُّكْرِ ؟ .

فَقَالَ لِكُلِّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِنَا حَقٌّ عَلَيْنَا مِنَ الشُّكْرِ .

(١) الفتح : بفتح الفاء .

(٢) أشياخنا : شيوخنا ونوجهنا .

(٣) أشياخنا : شيوخنا .

(٤) هواه : شهواته .

(٥) يتغالبان : يُحِبُّ عَلَيْهِ .

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : مَا شُكِرَ الْعَيْنَيْنِ ؟ .

فَقَالَ : إِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا خَيْرًا أَعْلَنْتُهُ ، وَإِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا شَرًّا سَتَرْتُهُ .

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَمَا شُكِرَ الْأَذْنَيْنِ ؟ .

فَقَالَ : إِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا خَيْرًا وَعَيْتُهُ ، وَإِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا شَرًّا دَفَنْتُهُ .

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَمَا شُكِرَ الْيَدَيْنِ ؟ .

فَقَالَ : أَنْ لَا تَأْخُذَ بِهِمَا مَا لَيْسَ لَكَ ...

وَأَنْ لَا تَمْنَعَ بِهِمَا حَقًّا مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ ...

وَلَا يَفُتِكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَنْ مَنْ يَقْصِرَ شُكْرَهُ عَلَى لِسَانِهِ ، وَلَا يُشْرِكْ مَعَهُ  
جَمِيعَ أَعْضَائِهِ وَجَنَائِهِ <sup>(١)</sup> ... فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ كِسَاءٌ غَيْرُ أَنَّهُ أَخَذَ بِطَرَفِهِ ،  
وَلَمْ يَلْبِسْهُ ...

فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْقِيهِ مِنَ الْحَرِّ وَلَا يَصُونُهُ مِنَ الْبَرْدِ .

\* \* \*

وَفِي ذَاتِ سَنَةٍ نَفَرَ <sup>(٢)</sup> سَلَمَةُ بْنُ دِينَارٍ مَعَ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَّجِهَةِ إِلَى  
بِلَادِ « الرُّومِ » يَتَتَبَعِي الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ ...

فَلَمَّا بَلَغَ الْجَيْشُ آجِرَ مَرْحَلَةٍ مِنْ مَرَاجِلِ السَّفَرِ ، آثَرَ <sup>(٣)</sup> الرِّاحَةَ  
وَالِاسْتِجْمَامَ <sup>(٤)</sup> قَبْلَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ ، وَخَوَّضَ الْمَقَارِكَ .

وَقَدْ كَانَ فِي الْجَيْشِ أَمِيرٌ مِنْ أُمَرَاءِ بَنِي « أُمَيَّة » .

فَأَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى أَبِي حَارِثٍ يَقُولُ لَهُ :

(١) جنائنه : قلبه .

(٢) نفر : مضى وذهب .

(٣) آثر : اختار وقبّل .

(٤) الاستجمام : الاستراحة .

إِنَّ الْأَمِيرَ يَدْعُوكَ إِلَيْهِ لِتُحَدِّثَهُ وَتُفَقِّهَهُ .

فَكَتَبَ إِلَى الْأَمِيرِ يَقُولُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، لَقَدْ أَذْرَكْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَهُمْ لَا يَحْمِلُونَ الدِّينَ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا .

وَلَا أَحْسَبُكَ تُرِيدُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ ...

فَإِنْ كَانَتْ لَكَ بِنَا حَاجَةٌ فَأَتِنَا ...

وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى مَنْ مَعَكَ .

فَلَمَّا قَرَأَ الْأَمِيرُ رِسَالَتَهُ مَضَى إِلَيْهِ ، وَحِيَاةً وَبَيَّاهُ<sup>(١)</sup> وَقَالَ :

يَا أَيُّهَا حَازِمُ ، لَقَدْ وَقَفْنَا عَلَى مَا كَتَبْتَهُ لَنَا ؛ فَازْدَدْتُ بِهِ كِرَامَةً<sup>(٢)</sup> عِنْدَنَا ، وَعِزَّةً لَدُنَّا ...

فَلَذَّكَرْنَا وَعِظْنَا ، مُجِزِينَ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ .

فَطَلِقَ أَبُو حَازِمٍ يَعْطَلُهُ وَيَذْكُرُهُ ، وَكَانَ فِي مَجْلَمَةٍ مَا قَالَهُ لَهُ :

انْظُرْ مَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ فِي الْآخِرَةِ ؛ فَاحْرِصْ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا ...

وَانْظُرْ مَا تُكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ هُنَاكَ ؛ فَارْهَدْ فِيهِ هُنَا ...

وَاعْلَمْ - أَيُّهَا الْأَمِيرُ - أَنَّهُ إِنْ نَفَقَ<sup>(٣)</sup> الْبَاطِلُ عِنْدَكَ وَزَاجَ ؛ أَقْبَلَ عَلَيْكَ

الْمُبْطِلُونَ الْمُنَافِقُونَ ، وَالتَّقُوا حَوْلَكَ ...

وَإِنْ نَفَقَ عِنْدَكَ الْحَقُّ وَزَاجَ ؛ التَّفَّ حَوْلَكَ أَهْلُ الْخَيْرِ ، وَأَعَانُوكَ عَلَيْهِ ...

فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ مَا يَخْلُو .

\* \* \*

(١) بَيَّاه : رُغِبَ فِيهِ .

(٢) كِرَامَةٌ : عِزًّا وَمَكَانَةً .

(٣) نَفَقَ : دَعَا لَهُ بِرُفْعَةِ الْمَقَامِ .

وَلَمَّا أَقْبَلَ الْمَوْتُ عَلَى أَبِي حَازِمٍ الْأَعْرَجِ ، قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ :  
كَيْفَ تَجِدُكَ<sup>(١)</sup> يَا أَبَا حَازِمٍ ؟ .

فَقَالَ :

لَيْسَ نَحْنُ مِنْ شَرِّ مَا أَصَبْنَا مِنْ الدُّنْيَا ؛ فَمَا يَصُرُّنَا مَا رَوَى عَنْهُ<sup>(٢)</sup> مِنْهَا .  
ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ  
وُدًّا<sup>(٣)</sup>﴾<sup>(٤)</sup> ...

وَمَا زَالَ يُكْرِّمُهَا حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ<sup>(٥)</sup> .

(١) كيف تجدك : كيف تَرَى نفسك .

(٢) رَوَى عَنْهُ : شَرَفَ عَنْهُ وَطَرَى .

(٣) وُدًّا : حُبًّا ومودة .

(٤) سورة مريم : ٩٦ .

(٥) للاستزادة من أخبار سَلَمَةَ بْنِ دِينَارٍ انظر :

١ - طبقات خليفة : ٢٦٤ .

٢ - تاريخ البخاري : ٧٨/٢ .

٣ - التاريخ الصغير : ٤٧/٢ .

٤ - الجرح والتعديل : ١٥٩/٤ .

٥ - حلية الأولياء : ٢٢٩/٣ .

٦ - تهذيب التهذيب : ١٤٣/٤ .

٧ - تهذيب ابن عساكر : ٢١٦/٦ ، ٢٢٨ .

٨ - خلاصة تهذيب الكمال : ١٤٧ .

# سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ

«كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ يُفَتِّي الصَّحَابَةَ أَحْيَاءَ»

[المؤدِّخُونَ]

عَقَّدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْعَزَمَ عَلَى حُجِّ بَيْتِ اللَّهِ  
الْحَرَامِ ...

وَزِيَارَةِ ثَانِي الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ .

وَالسَّلَامَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا أَقْبَلَ شَهْرُ ذِي الْقَعْدَةِ ، زَمَّ الْخَلِيفَةُ الْعَظِيمُ رَكَائِيهِ<sup>(١)</sup> ، وَتَوَجَّهَ إِلَى  
أَرْضِ الْحِجَازِ يَصْحَبُهُ السَّادَةُ الْأَمَاجِدُ مِنْ أَمْرَاءِ بَنِي « أُمَيَّة » ...  
وَنَفَرٌ مِنْ كِبَارِ رِجَالِ دَوْلَتِهِ ... وَبَعْضُ أَوْلَادِهِ ...

وَمَصَّي الرُّكْبَ فِي طَرِيقِهِ مِنْ « دِمَشْق » إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ مِنْ غَيْرِ  
رَيْثٍ<sup>(٢)</sup> وَلَا عَجَلٍ ...

فَكَانُوا كُلُّمَا نَزَلُوا مَثَرًا نُصِبَتْ لَهُمُ الْخِيَامُ ، وَفُرِشَتْ لَهُمُ الْفُرُشُ ،  
وَعُقِدَتْ لَهُمُ مَجَالِسُ الْعِلْمِ وَالتَّذْكِرَةِ ؛ لِيُرَدَّادُوا نَفَقَتَهَا فِي الدِّينِ .  
وَيَتَعَهَّدُوا قُلُوبَهُمْ وَتُقَوِّسَهُمْ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ .

\* \* \*

وَلَمَّا بَلَغَ الْخَلِيفَةُ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ ، أَمَّ حَرَمَهَا الشَّرِيفَ ...  
وَتَشَرَّفَ بِالسَّلَامِ عَلَى سَاكِنِيهَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى

(٢) ريث : بطة .

(١) زم ركائبه : أعد نوقه للرحيل .

التَّسْلِيمَ ، وَسَعِدَ بِالصَّلَاةِ فِي الرُّوْضَةِ الْمُطَهَّرَةِ الْغَوَايِ .

فَذَاقَ مِنْ بَرْدِ الرَّاحَةِ<sup>(١)</sup> ، وَسَلَامِ النَّفْسِ مَا لَمْ يَذُقْ بِمِثْلِهِمَا مِنْ قَبْلُ ...  
وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُطِيلَ إِقَامَتَهُ فِي مَدِينَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا وَجَدَ  
إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا .

\* \* \*

وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مَا اسْتَأَثَرَ<sup>(٢)</sup> بِإِهْتِمَامِهِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ حَلَقَاتِ الْعِلْمِ  
الَّتِي كَانَتْ تَعْمُرُ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ الشَّرِيفَ .

وَيَتَأَلَّقُ فِيهَا الْعُلَمَاءُ الْأَفْذَادُ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ كَمَا تَتَأَلَّقُ الشُّجُومُ الزُّهُرُ<sup>(٣)</sup>  
فِي كَيْدِ السَّمَاءِ ... فَهَذِهِ حَلَقَةُ عَزْوَةِ بْنِ الزُّبَيْرِ<sup>(٤)</sup> ...

وَتِلْكَ حَلَقَةُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ...

وَهُنَاكَ حَلَقَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثَيْبَةَ<sup>(٥)</sup> ...

\* \* \*

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ صَحَا الْخَلِيفَةُ مِنْ قَبْلُولَتِهِ<sup>(٦)</sup> فِي وَقْتٍ كَانَ لَا يَضْحَكُ فِيهِ  
عَادَةً ، فَتَادَى حَاجِبَهُ وَقَالَ : يَا مَيْسَرَةَ .

قَالَ : لَبَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ : امْضِ إِلَى مَسْجِدِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَادْعُ لَنَا أَحَدَ  
الْعُلَمَاءِ لِيُحَدِّثَنَا ...

\* \* \*

مَضَى مَيْسَرَةُ إِلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ، وَأَجَالَ نَظْرَهُ فِيهِ فَلَمْ يَرَ غَيْرَ

(١) بَرْدُ الرَّاحَةِ : سَعَادَةُ الطَّمَانِينَةِ .

(٢) اسْتَأَثَرَ : سَهَّرَ وَاسْتَبَدَّ .

(٣) الزُّهُرُ : لِلْعُلَمَاءِ .

(٤) عَزْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ : انظُرْهُ ص ٣٨ .

(٥) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثَيْبَةَ : أَحَدُ كِبَارِ التَّابِعِينَ .

(٦) الْقَبُولَةُ : نَوْمَةُ الْعَصِيِّ .

خَلْقَةٍ وَاحِدَةٍ تَوْسِطُهَا شَيْخٌ نَكِفٌ<sup>(١)</sup> عَلَى السُّنَنِ مِنْ عُمُرِهِ فِيهِ بَسَاطَةُ الْعُلَمَاءِ ...

وَعَلَيْهِ هَيْئَتُهُمْ وَوَقَارُهُمْ ...

فَوَقَفَ غَيْرَ بَعِيدٍ مِنَ الْخَلْقَةِ ، وَأَشَارَ لِلشَّيْخِ بِإِصْبَعِهِ ...

فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ الشَّيْخُ ، وَلَمْ يَأْنِهِ لَهُ<sup>(٢)</sup> .

فَأَقْتَرَبَ مِنْهُ وَقَالَ : أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَشِيرُ إِلَيْكَ ۱۹ .

قَالَ : إِلَيَّ أَنَا ۱۹ .

قَالَ : نَعَمْ ...

قَالَ : وَمَا حَاجَتُكَ ؟

قَالَ : اسْتَيْقِظَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَ : ائْمِضْ إِلَى الْمَسْجِدِ وَانْظُرْ هَلْ تَرَى  
أَحَدًا مِنْ حُدَاتِي<sup>(٣)</sup> ، فَأَتَنِي بِهِ .

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : مَا أَنَا مِنْ حُدَاتِهِ .

فَقَالَ لَهُ مَيْسَرَةُ : وَلَكِنَّهُ يَتَّبِعِي مُحَدَّثًا يُحَدِّثُهُ .

فَقَالَ الشَّيْخُ : إِنْ مَنْ يَتَّبِعِي شَيْقًا يَأْتِي إِلَيْهِ ...

وَأَنْ فِي خَلْقَةِ الْمَسْجِدِ مُتَسَعًا لَهُ إِذَا كَانَ رَاجِعًا فِي ذَلِكَ .

وَالْحَدِيثُ يُؤْتَى إِلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَأْتِي ...

فَعَادَ الْحَاجِبُ أَذْرَاجَهُ وَقَالَ لِلْخَلِيفَةِ : مَا وَجَدْتُ أَحَدًا فِي الْمَسْجِدِ غَيْرَ  
شَيْخٍ أَشْرَفَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَقُمْ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ : إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَيْقِظَ فِي هَذَا  
الْوَقْتِ وَقَالَ لِي : انْظُرْ هَلْ تَرَى أَحَدًا مِنْ حُدَاتِي فِي الْمَسْجِدِ فَأَدْعُهُ لِي ...

(١) نَكِفٌ : زَادَ . (٢) لَمْ يَأْنِهِ لَهُ : لَمْ يَلْفِظْ إِلَيْهِ وَلَمْ يَهْتَمْ بِهِ . (٣) حُدَاتِي : الَّذِينَ يَحْدِثُونَنِي .

فَقَالَ لِي فِي هُدُوءٍ وَخَزَمٍ : إِنِّي لَمُسْتُ مِنْ حُدَائِهِ ...  
وَأِنْ فِي حَلَقَةِ الْمَسْجِدِ مُتَسَعًا لَهُ إِذَا كَانَ رَاغِبًا فِي الْحَدِيثِ .  
فَتَنَهَّدَ<sup>(١)</sup> عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ...  
وَهَبَّ قَائِمًا ، وَاتَّجَهَ إِلَى دَاخِلِ الْمَنْزِلِ وَهُوَ يَقُولُ :  
ذَلِكَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ...  
لَيْتَكَ لَمْ تَأْتِهِ ، وَلَمْ تُكَلِّمَهُ ...  
فَلَمَّا ابْتَعَدَ عَنِ الْمَجْلِسِ وَصَارَ فِي الدَّخْلِ ، انْتَفَتَّ أَصْغَرُ أَوْلَادِ عَبْدِ  
الْمَلِكِ إِلَى أَخٍ لَهُ أَكْبَرَ مِنْهُ وَقَالَ :  
مَنْ هَذَا الَّذِي يَمْتَنِعُ<sup>(٢)</sup> عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَسْتَكْبِرُ عَلَى الْمُثُولِ<sup>(٣)</sup> يَنْ  
يَدَّيْهِ ، وَخُضُورِ مَجْلِسِهِ ...  
وَقَدْ دَانَتْ<sup>(٤)</sup> لَهُ الدُّنْيَا ، وَخَضَعَتْ لِهَيْبَتِهِ ، مُلُوكُ « الرُّومِ » .  
فَقَالَ الْأَخُ الْأَكْبَرُ : ذَاكَ الَّذِي خُطِبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِنَتْنِهِ لِأَخِيكَ الْوَلِيدِ ؛  
فَأَتَى أَنْ يُزَوِّجَهَا مِنْهُ .  
فَقَالَ الْأَخُ الْأَصْغَرُ : أَتَى أَنْ يُزَوِّجَهَا مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ١١٩ .  
وَهَلْ كَانَ يُزَوِّمُ لَهَا بَعْلًا<sup>(٥)</sup> أَسْمَى<sup>(٦)</sup> مِنْ وَلِيِّ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ١٢ ...  
وَخَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ .  
فَسَكَتِ الْأَخُ الْأَكْبَرُ وَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ ...

(١) تَنَهَّدَ : أَمْرَجَ نَفْسَهُ بَعْدَ مَدَّةٍ حَزَنًا وَالْمَاءَ .  
(٢) يَمْتَنِعُ : يَصَالِحُ .  
(٣) الْمُثُولُ : الْوَقُوفُ .  
(٤) دَانَتْ : خَضَعَتْ .  
(٥) بَعْلًا : زَوْجًا .  
(٦) أَسْمَى : أَحْمَرُ وَأَكْرَمُ .



فَقَالَ الْأَخْ الْأَصْغَرُ: إِذَا كَانَ قَدْ صَنَّ بِابْنَيْهِ عَلَى وَلِيِّ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ،  
فَهَلْ وَجَدَ لَهَا الْكُفَّاءُ<sup>(١)</sup> الَّذِي يَلِيقُ بِهَا؟ ...

أَمَ إِنَّهُ خَالَ دُونَهَا وَدُونَ الزَّوْاجِ كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ النَّاسِ ...  
وَتَرَكَهَا قَعِيدَةً يَتِيمَ<sup>(٢)</sup>.

فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ الْأَكْبَرُ:

الْحَقُّ أَنِّي لَا أَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ خَبَرِهَا، وَخَبَرَهُ مَعَهَا ...

فَالْتَقَتَ إِلَيْهِمَا أَحَدُ الْجُلَاسِ مِنْ أَهْبَاءِ الْمَدِينَةِ وَقَالَ:

إِذَا أَذِنَ لِي الْأَمِيرُ فَصَصْتُ عَلَيْهِ خَبَرَهَا كُلَّهُ ...

فَقَدْ تَزَوَّجَتْ فَتًى مِنْ فُتَيَانٍ حِينَمَا يُقَالُ لَهُ: «أَبُو وَدَاعَةَ».

وَهُوَ جَارُنَا يَتِيمَ يَتِيمَ<sup>(٣)</sup> ...

وَلَزَّوْاجِهِ مِنْهَا قِصَّةٌ طَرِيفَةٌ زَوَّاهَا لِي بِنْتِغِيهِ.

فَقَالَ لَهُ الْأَخَوَانِ: هَاتِبَهَا ...

فَقَالَ الرَّجُلُ: حَدِّثْنِي أَبُو وَدَاعَةَ قَالَ:

كُنْتُ - كَمَا تَعْلَمُ - الْأَزِمُّ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَلَبًا لِلْعِلْمِ.

وَكُنْتُ أَذْأَوِمُّ عَلَى حَلَقَةِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَأَزَاجِمُ النَّاسَ عَلَيْهَا

بِالْمَتَاكِيبِ ... فَتَقَيَّبْتُ عَنْ حَلَقَةِ الشَّيْخِ أَثَامًا، فَتَفَقَّدَنِي، وَظَنُّ أَنَّ بِي مَرَضًا،

أَوْ عَرَضَ لِي عَارِضٌ ...

فَسَأَلَ عَنِّي مِنْ حَوْلِهِ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ خَبْرًا.

(١) الكفء: الخليل والنظير.

(٢) قعيدة: يتيم: ملازمة لليتم.

(٣) جارونا يتيم يتيم: ملاصق لنا.

فَلَمَّا عُدْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ أَيَّامٍ حَيَّانِي ، وَرَحَّبَ بِي وَقَالَ :  
أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا وَدَاعَةَ ؟

فَقُلْتُ : تُوَفِّيتَ زَوْجَتِي ، فَاسْتَعَلْتُ بِأَمْرِهَا .  
فَقَالَ : هَلَّا أَخْبَرْتَنَا يَا أَبَا وَدَاعَةَ فَنُؤَايِسِيكَ <sup>(١)</sup> ، وَنَشْهَدَ جَنَازَتَهَا مَعَكَ ،  
وَنُعِينَكَ عَلَى مَا أَنْتَ فِيهِ .

فَقُلْتُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ... وَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ ...  
فَاسْتَبْقَانِي حَتَّى انْتَصَرَفَ جَمِيعُ مَنْ كَانَ فِي الْمَجْلِسِ ، ثُمَّ قَالَ لِي :  
أَمَا فَكَّرْتَ فِي اسْتِخْدَاتِ زَوْجَةٍ <sup>(٢)</sup> لَكَ يَا أَبَا وَدَاعَةَ ؟  
فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ...

وَمَنْ يُرَوِّجُنِي ابْنَتُهُ وَأَنَا شَابٌّ نَشَأَ يَتِيمًا ، وَعَاشَ فَقِيرًا ...  
فَأَنَا لَا أُمْلِكُ غَيْرَ دِرْهَمَيْنِ ، أَوْ ثَلَاثَةِ دِرَاهِمٍ .  
فَقَالَ : أَنَا أَزْوَجُكَ ابْنَتِي .

فَانْعَقَدَ <sup>(٣)</sup> لِسَانِي وَقُلْتُ : أَنْتَ ۱٩ ...  
أَتَزْوَجُنِي ابْنَتَكَ بَعْدَ أَنْ عَرَفْتُ مِنْ أَمْرِي مَا عَرَفْتُ ۱٩ .  
فَقَالَ : نَعَمْ ...

فَنَحْنُ إِذَا جَاءَنَا مَنْ نَوْصِلُ دِينَهُ وَخُلُقَهُ زَوْجَتَاهُ ، وَأَنْتَ عِنْدَنَا مَرُوضِي الدِّينِ  
وَالْخُلُقِ ...

---

(١) نوايسك : نعاونك .

(٢) استحداث زوجة لك : تجهيد زواجك . (٣) انمقد لساني : ارتبط لساني وعجزت عن الإنصاح .

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى مَنْ كَانَ قَرِيباً مِنَّا ، وَنَادَاهُمْ ...  
فَلَمَّا أَتَبُوا عَلَيْهِ ، وَصَّاهُوا عَنْهُ ؛ حَمِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى  
عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

وَعَقَّدَ لِي عَلَى ابْنَتِهِ ...

وَجَعَلَ مَهْرَهَا دِرْهَمَيْنِ اثْنَيْنِ ...

فَقُمْتُ وَأَنَا لَا أَذْرِي مَا أَقُولُ مِنَ الدُّهَشَةِ وَالْفَرَحِ ...

ثُمَّ قَصَدْتُ بَيْتِي ، وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ صَائِماً ؛ فَتَسَيَّتُ صَوْمِي وَجَعَلْتُ أَقُولُ :  
وَيَحْكُ<sup>(١)</sup> يَا أَبَا وَدَاعَةَ ...

مَا الَّذِي صَنَعْتَ بِنَفْسِكَ ؟ ! ...

مِمَّنْ تَسْتَبْدِينَ ؟ ! ...

وَمِمَّنْ تَطْلُبُ الْمَالَ ؟ ! ...

وَوَضَعْتُ عَلَى خَالِي هَذِهِ حَتَّى أَذِنَ لِلْمَغْرِبِ ...

فَأَذِنَتْ الْمَكْثُوبَةُ<sup>(٢)</sup> ، وَجَلَسْتُ إِلَى فُطُورِي ، وَكَانَ خُبْراً ، وَزَيْناً ...

فَمَا أَن تَنَاولْتُ مِنْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ حَتَّى سَمِعْتُ الْبَابَ يُفْرَعُ .

فَقُلْتُ : مَنْ الطَّارِقُ ؟ .

فَقَالَ : سَعِيدٌ ...

فَوَاللَّهِ لَقَدْ مَرَّ بِخَاطِرِي كُلِّ إِنْسَانٍ اسْمُهُ سَعِيدٌ أَعْرِفُهُ إِلَّا سَعِيدَ بْنِ

الْمُسَيَّبِ ...

(١) للكسوة : المفروضة .

(٢) وَاح : كلمة تُرْجِمُ وتُوجَع .

ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا بَيْنَ يَتِيهِ وَالْمَسْجِدِ .

فَفَتَحَتْ البابَ ، فَإِذَا بِي أَمَامَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ ...

فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لَهُ<sup>(١)</sup> فِي أَمْرِ زَوَاجِي مِنْ ابْنَتِهِ شَيْءٌ ...

وَقُلْتُ لَهُ : أَبَا مُحَمَّدٍ !؟ ... هَلَا أُرْسَلْتُ إِلَيْكَ قَاتِيكَ .

فَقَالَ : بَلْ أَنْتَ أَحَقُّ بِأَنْ آتِيَ إِلَيْكَ الْيَوْمَ .

فَقُلْتُ : تَفْضُلُ عَلَيَّ ...

فَقَالَ : كَلَّا ، وَإِنَّمَا جِئْتُ لِأَمْرِ ...

فَقُلْتُ : وَمَا هُوَ يَوْحِمُكَ اللَّهُ ؟ ...

فَقَالَ : إِنَّ ابْنَتِي أَصْبَحَتْ زَوْجَةً لَكَ بِشَرْعِ اللَّهِ مُنْذُ الْعَدَاةِ<sup>(٢)</sup> ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَكَ أَحَدٌ يُؤْنِسُ وَخَشَتَكَ ، فَكِرِهْتُ أَنْ تَبِيتَ أَنْتَ فِي مَكَانٍ وَزَوْجَتُكَ فِي مَكَانٍ آخَرَ ؛ فَجِئْتُكَ بِهَا .

فَقُلْتُ : وَيَجِي ... جِئْتَنِي بِهَا !؟ .

فَقَالَ : نَعَمْ ...

فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ بِطُولِهَا .

فَالْتَمَسْتُ إِلَيْهَا وَقَالَ : أَذْخُلِي إِلَى بَيْتِ زَوْجِكَ يَا بِنْتِي عَلَى اسْمِ اللَّهِ ، وَبَرَكَاتِهِ ...

فَلَمَّا أَرَادَتْ أَنْ تَخْطُو ؛ تَعَثَّرَتْ<sup>(٣)</sup> بِمَلَاعَتِهَا<sup>(٤)</sup> مِنَ الْحَيَاءِ حَتَّى كَادَتْ تَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ .

(٣) تعثرت : كَبَتْ حَتَّى كَادَتْ تَقَعُ .

(٤) بملاعته : بِشَوْبِهَا .

(١) بدا له شيء : ظهر له ما غير رأيه .

(٢) العداة : الضُّغْنَى .

أَمَّا أَنَا فَقَدْ وَفَّقْتَ أَمَامَهَا مَشْدُوهَا<sup>(١)</sup> لَا أَذْرِي مَا أَقُولُ ...  
 ثُمَّ إِنِّي بَادَرْتُ فَسَبَّغْتُهَا إِلَى الْقَصْعَةِ<sup>(٢)</sup> الَّتِي فِيهَا الْخُبْزُ وَالزَّيْتُ ؛ فَتَحَبَّبْتُهَا  
 مِنْ ضَوْءِ السَّرَاجِ حَتَّى لَا تَرَاهَا .  
 ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى السُّطْحِ وَنَادَيْتُ الْجِيرَانَ ، فَأَقْبَلُوا عَلَيَّ وَقَالُوا :  
 مَا شَأْنُكَ ؟ .

فَقُلْتُ : عَقَدَ لِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَلَى ابْنَتِهِ الْيَوْمَ فِي الْمَسْجِدِ ...  
 وَقَدْ جَاعَنِي بِهَا الْآنَ عَلَى غَفْلَةٍ ...  
 فَتَعَالَوْا آيِسُوها<sup>(٣)</sup> حَتَّى أَذْغُرَ أُمِّي ، فَهِيَ بَعِيدَةُ الدَّارِ .  
 فَقَالَتْ عَجُوزٌ مِنْهُمْ : وَيْحَكَ أَتَذْرِي مَا تَقُولُ ۱٩ ...  
 أَرْجُوكَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ابْنَتُهُ ...  
 وَحَمَلَهَا لَكَ إِلَى الْبَيْتِ بِنَفْسِهِ ۱٩ ...  
 وَهُوَ الَّذِي ضَنَّ بِهَا عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ۱۱ .  
 فَقُلْتُ : نَعَمْ ...

وَهَا هِيَ ذِي عِنْدِي فِي يَتَنِي ، فَهَلُمُّوا<sup>(٤)</sup> إِلَيْهَا ، وَانْظُرُوهَا .  
 فَتَوَجَّهَ الْجِيرَانُ إِلَى الْبَيْتِ ، وَهُمْ لَا يَكَادُونَ يُصَدِّقُونَنِي ، وَرَجَبُوا بِهَا ،  
 وَأَنَسُوا وَحَشَنَتَهَا ...

\* \* \*

وَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى جَاءَتْ أُمِّي ، فَلَمَّا رَأَتْهَا انْتَفَتَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ :

(٣) آنسوها : علَّوها وأزبلوها وحشنتها .

(٤) هلموا : بادروا .

(١) مشدوهاً : ذاهلاً حائراً .

(٢) القصعة : الصُّفْة التي يوضع فيها الطعام .

وَجِهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ<sup>(١)</sup> إِنْ لَمْ تَتْرُكْهَا لِي حَتَّى أَضْلِحَ شَأْنَهَا ...  
 ثُمَّ أَرْفَعُهَا<sup>(٢)</sup> إِلَيْكَ كَمَا تَرُفُّ كَرَائِمَ النِّسَاءِ .  
 فَقُلْتُ : أَنْتِ وَمَا تُرِيدِينَ ...  
 فَضَمَمْتُهَا<sup>(٣)</sup> إِلَيْهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ رَفَعْتُهَا إِلَيَّ .  
 فَإِذَا هِيَ مِنْ أَهْلِ نِسَاءِ الْمَدِينَةِ جَمَالاً ...  
 وَأَخْفِظُ النَّاسَ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ...  
 وَأَزْوَاجَهُمْ لِحَدِيثِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ...  
 وَأَعْرِفُ النِّسَاءَ بِحُقُوقِ الزَّوْجِ .  
 فَمَكَثْتُ مَعَهَا أَيَّاماً لَا تَزُورُنِي أَبُوهَا أَوْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا .  
 ثُمَّ إِنِّي أَتَيْتُ حَلَقَةَ الشَّيْخِ فِي الْمَسْجِدِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيَّ  
 السَّلَامَ ، وَلَمْ يُكَلِّمْنِي .  
 فَلَمَّا انْقَضَ<sup>(٤)</sup> الْمَجْلِسُ ، وَلَمْ يَبْقَ غَيْرِي قَالَ :  
 مَا حَالُ زَوْجِكَ يَا أَبَا وَدَاعَةَ ؟  
 فَقُلْتُ : هِيَ عَلَيَّ مَا يُحِبُّ الصَّدِيقُ وَيَكْرَهُ الْعَدُوُّ ...  
 فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ .  
 فَلَمَّا غُذْتُ إِلَى يَتِيمِي ، وَجَدْتُهُ قَدْ وَجَّهَ إِلَيْنَا مَبْلَغاً وَفيراً مِنَ الْمَالِ لِنَسْتَعِينَ  
 بِهِ عَلَى حَيَاتِنَا .

\* \* \*

(١) وجهي من وجهك حرام : أحاصمك ولا أنظر إليك .  
 (٢) أرفعها إليك : أهدبها لك . (٣) ضمتها إليها : استصحبها . (٤) انقض المجلس : غادر الحضور المجلس .

فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : عَجِبْتُ أَمْرَ هَذَا الرَّجُلِ ...  
 فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ : وَمَا وَجْهُ الْعَجَبِ فِيهِ أَتَيْهَا الْأَمِيرُ ؟ ...  
 إِنَّهُ امْرُؤٌ جَعَلَ دُنْيَاهُ مَطِيَّةً<sup>(١)</sup> لِأَخْرَاهُ ...  
 وَاشْتَرَى لِنَفْسِهِ وَلِأَهْلِهِ الْبَاقِيَةَ بِالْفَنَانِيَّةِ<sup>(٢)</sup> ...  
 فَوَاللَّهِ إِنَّهُ مَا ضَنَّ<sup>(٣)</sup> عَلَى ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِابْنَتِهِ ...  
 وَلَا رَأَاهُ غَيْرَ كُفٍّ لَهَا ، وَإِنَّمَا خَافَ عَلَيْهَا فِتْنَةَ الدُّنْيَا ...  
 وَلَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَتَرُدُّ خُطْبَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَزُوجُ ابْنَتَكَ  
 مِنْ رَجُلٍ مِنَ عَائِمَةِ الْمُسْلِمِينَ ؟<sup>(٤)</sup>  
 فَقَالَ : إِنْ ابْتَنَى أَمَانَةٌ فِي عُنُقِي ، وَقَدْ تَحَرَّوْتُ<sup>(٥)</sup> فِيمَا صَنَعْتُهُ لَهَا صَلَاحَ  
 أَمْرِهَا .

فَقِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ ؟  
 فَقَالَ : مَا ظَنُّكُمْ بِهَا إِذَا انْتَقَلَتْ إِلَى قُصُورِ بَنِي « أُمَيَّة » ...  
 وَتَقَلَّبَتْ بَيْنَ رِيَاسَتِهَا<sup>(٥)</sup> وَأَتَالِيهَا<sup>(٦)</sup> ...  
 وَقَامَ الْحَدْمُ وَالْحَشَمُ وَالْجَوَارِي بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَعَنْ يَمِينِهَا ، وَعَنْ  
 شِمَالِهَا ...  
 ثُمَّ وَجَدَتْ نَفْسَهَا بَعْدَ ذَلِكَ زَوْجَةً لِلْخَلِيفَةِ ؟  
 أَتَمَّنَ مُصْبِحَ دِينِهَا يَوْمَئِذٍ ؟

(٤) تهرمت : توجعت وبحت .  
 (٥) الزَّهَّاشُ : ما كان غائراً من اللباس ونحوه .  
 (٦) الأتاليت : فتاح البيت .

(١) مطية : مركباً ووسيلة .  
 (٢) الباقية بالفنانية : الآخرة بالعربية .  
 (٣) ما ضَنَّ : ما بخل .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ : يَتَدَوُّ أَنْ صَاحِبَكُمْ طِرَازٌ فَرِيدٌ<sup>(١)</sup> مِنْ النَّاسِ .

فَقَالَ الرَّجُلُ الْمَدَنِيُّ : وَاللَّهِ مَا عَدَوْتُ<sup>(٢)</sup> الْحَقَّ أَبَدًا ...

فَهُوَ صَوَامٌ نَهَارٍ ...

قَوَامٌ لَيْلٍ ...

حَجٌّ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ حِجَّةً ...

وَمَا فَاتَتْهُ التَّكْبِيرَةُ الْأُولَى فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُنْذُ  
أَرْبَعِينَ عَامًا ...

وَلَا عَرِفَ عَنْهُ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى قَفَا رَجُلٍ فِي الصَّلَاةِ خِلَالَ ذَلِكَ أَهْدَأْ،  
لِمُحَافَظَتِهِ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ .

وَقَدْ كَانَ فِي وَشْعِهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِمَنْ يَشَاءُ مِنْ نِسَاءِ قُرَيْشٍ ، فَأَثَرُ<sup>(٣)</sup> بِنْتِ  
أَبِي هُرَيْرَةَ<sup>(٤)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى سَائِرِ النِّسَاءِ .

وَذَلِكَ لِمَعْرِتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

وَسَعَةِ رِوَايَتِهِ لِحَدِيثِهِ ...

وَشِدَّةِ رَغْبَتِهِ فِي الْأَخْذِ عَنْهُ .

وَلَقَدْ تَذَرَّ نَفْسَهُ لِلْعِلْمِ مُنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهِ ...

فَدَخَلَ عَلَى أَرْوَاحِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَتَأَثَّرَ<sup>(٥)</sup> بِهِمْ ...

(١) طِرَازٌ فَرِيدٌ : تَوْجٌ نَادِرٌ .

(٢) مَا عَدَوْتُ الْحَقَّ : مَا تَمَنَّيْتُ عَنِ الْحَقِّ وَلَا خَرَجْتُ عَلَيْهِ .

(٣) أَثَرٌ : اخْتَارَ وَفَضَّلَ .

(٤) أُمُّ هُرَيْرَةَ : انظره في كتاب «صور من حياة الصحابة» للمؤلف، الناشر دار الأدب الإسلامي، الطبعة المشروعة .

(٥) تَأَثَّرَ بِهِمْ : انتفع منهم وُسِّلِكَ مَسْلُكُهُمْ .



وَتَتَلَمَّذَ عَلَى يَدَي زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ  
عُمَرَ<sup>(١)</sup>...

وَسَمِعَ مِنْ عُثْمَانَ ، وَعَلِيٍّ ، وَصُهَيْبٍ<sup>(٢)</sup> ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ  
الْكَرِيمِ ﷺ .

وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ ...

وَتَحَلَّى بِشَمَائِلِهِمْ<sup>(٣)</sup>...

وَلَقَدْ كَانَتْ لَهُ كَلِمَةٌ يُرَدُّدُهَا عَلَى الدَّوَامِ حَتَّى غَدَتْ وَكَانَتْهَا شِعَارًا لَهُ ،  
وَهِيَ قَوْلُهُ :

مَا أَغْرَبَ الْعِبَادُ نَفْسَهَا بِحَيْثُ طَاعَةِ اللَّهِ ...

وَلَا أَهَانَتْ نَفْسَهَا بِحَيْثُ مَعْصِيَتِهِ<sup>(٥)</sup> ...

- 
- (١) عبد الله بن عمر : هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن أبيه ... انظره في كتاب « صور من  
حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة للمشروعة .  
(٢) انظرهم في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة للمشروعة .  
(٣) تحلى بشمائلهم : استمسك بأخلاقهم وصفاتهم وازدان بها .

(٥) للاستزادة من أخبار شهيد بن الشَّيْبِ النظر :

- ١ - الطبقات الكبرى لابن سعد : ١١٩/٥ .
- ٢ - تاريخ البخاري .
- ٣ - المعارف : ٤٣٧ .
- ٤ - حلية الأولياء : ١٦١/٢ .
- ٥ - تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول ، الجزء الأول : ٢١٩ .
- ٦ - وفيات الأعيان لابن خلكان : ٣٧٥/٢ .
- ٧ - تذكرة الحفاظ : ٥١/١ .
- ٨ - المعبر : ١١٠/١ .
- ٩ - النجوم الزاهرة : ٢٢٨/١ .
- ١٠ - شذرات الذهب : ١٠٢/١ .

# سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ

وَلَقَدْ قِيلَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمَا عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ  
إِلَّا وَهُوَ مُخْتَاجٌ إِلَيْهِ عَلَيْهِ،

[أَتَمُّهُدُ بْنُ حَنْتَلٍ]

كَانَ قَتَّى وَثِيقٌ <sup>(١)</sup> الْجِسْمِ، مُكْتَمِلَ الْخَلْقِ، مُتَدَفِّقًا حَيَوِيَّةً وَنَشَاطًا.  
وَكَانَ إِلَى ذَلِكَ ذَكِيَّ الْفَوَازِ، حَادِثَ الْفِطْنَةِ، نَزَّاعًا <sup>(٢)</sup> إِلَى الْمَكَارِمِ،  
مُتَأَنِّمًا <sup>(٣)</sup> مِنَ الْمَحَارِمِ ...

وَلَمْ يَكُنْ سَوَادُ لَوْنِهِ، وَفَلْفَلَةٌ <sup>(٤)</sup> شَعْرِهِ، وَحَبِيبِيَّةُ أَصْلِهِ؛ لِيَتَّحَالَ مِنْ  
شَخْصِيَّتِهِ الْمُتَمَيِّزَةِ الْقَلْبَةِ، وَذَلِكَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ حَدَاثَةِ سِنِّهِ.

\* \* \*

وَلَقَدْ أَدْرَكَ الْقَتَّى الْحَبِيبِيَّ أَصْلًا، الْعَرَبِيَّ وَلَاءً <sup>(٥)</sup>، أَنَّ الْعِلْمَ إِنَّمَا هُوَ  
طَرِيقُهُ الْغَرِيبُ الَّذِي يُوصِلُهُ إِلَى اللَّهِ.

وَأَنَّ الثَّقْلَى إِنَّمَا هِيَ سَبِيلُهُ الْمُتَمَهِّدَةُ الَّتِي تَبْلُغُهُ بِهِ الْجَنَّةُ؛ فَجَعَلَ الثَّقْلَى فِي  
يَمِينِهِ ... وَالْعِلْمَ فِي شِمَالِهِ ...

وَشَدَّ عَلَيْهِمَا يَدَيْهِ كِلْتَابَهُمَا ...

وَانْطَلَقَ يَقْطَعُ بِهِمَا رِحْلَةَ الْحَيَاةِ غَيْرَ وَاِنٍ <sup>(٦)</sup>، وَلَا مُتَمَهِّلٍ.

فَمَتْنُذُ ثَعْمَوَةِ أَطْفَارِهِ كَانَ النَّاسُ يَرَوْنَهُ إِذَا عَاكِفًا عَلَى كِتَابِهِ يَتَعَلَّمُ ...  
أَوْ صَافًا فِي مِخْرَابِهِ يَتَعَبَّدُ ...

(١) وثيق الجسم: قوي الجسم محكمه.

(٢) نزاعاً: شديد الرغبة قوي الطلق.

(٣) متأنماً من المحارم: مهبطاً عما حرمه الله.

(٤) فلفلة شعره: تجعد شعره.

(٥) العربي ولأه: العربي تهماً لا نسباً.

(٦) وآن: فاطر مهمل.

ذَلِكُمْ هُوَ رَإِئِقَةُ الْمُتَسَلِّمِينَ فِي عَصْرِهِ ...

سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَرْضَاهُ .

\* \* \*

أَخَذَ الْفَتَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ الْعِلْمَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ جِلَّةِ الصَّحَابَةِ (١) مِنْ أَمْثَالِ  
أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، وَعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ الطَّائِي ...

وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ ...

وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ ، وَعَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

يَبْدُو أَنَّ أَسْنَادَهُ الْأَكْبَرُ ، وَمُعَلَّمُهُ الْأَعْظَمُ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، حَبِيزٌ (٢)  
أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ ، وَبَحَرٌ عِلْمِهَا الزَّاهِرُ ...

\* \* \*

لَزِمَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ لُزُومَ الظِّلِّ لِصَاحِبِهِ ... فَأَخَذَ عَنْهُ  
الْقُرْآنَ وَتَفْسِيرَهُ ، وَالْحَدِيثَ وَغَرِيبَهُ ...

وَتَفَقَّهَ عَلَى يَدَيْهِ فِي الدِّينِ ، وَتَعَلَّمَ مِنْهُ التَّأْوِيلَ (٣) ...

وَدَرَسَ عَلَيْهِ اللُّغَةَ ، فَتَمَكَّنَ مِنْهَا أَعْظَمَ التَّمَكُّنِ ...

حَتَّى غَدَا وَمَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ إِلَّا وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى  
عِلْمِهِ .

ثُمَّ طَوَّفَ (٤) فِي دِيَارِ الْمُتَسَلِّمِينَ بَحْثًا عَنِ الْمَعْرِفَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُطَوَّفَ .

فَلَمَّا اكْتَمَلَ لَهُ مَا أَرَادَ مِنَ الْعِلْمِ ، اتَّخَذَ « الْكُوفَةَ » دَارًا لَهُ وَمَقَامًا .

(٣) التأويل : التفسير .

(٤) طَوَّفَ : تَقَلَّ .

(١) جِلَّةُ الصَّحَابَةِ : كبار الصحابة .

(٢) الحمر : العالم الصالح .

وَعَدَا لِأَهْلِهَا مُعَلِّمًا وَإِمَامًا .

\* \* \*

كَانَ يَوْمُ النَّاسِ فِي رَمَضَانَ ؛ فَيَقْرَأُ لَيْلَةً بِقِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (١) ...

وَأُخْرَى بِقِرَاءَةِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ (٢) ...

وَتَالِثَةً بِقِرَاءَةِ غَيْرِهِمَا ، وَمَكَذَا ...

وَكَانَ إِذَا صَلَّى مُتَقَرِّبًا قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ... فَتَسْوَفُ يَفْلُمُونَ ﴾ . إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَغْنَائِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ . فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُنْجَرُونَ (٣) ﴿ (٤)

أَوْ مَرَّ بِنَحْوِهَا مِنْ آيَاتِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، أَقْشَعَرُ جِلْدُهُ ...

وَتَصَدَّعَ فُؤَادُهُ ... وَهَمَّتْ (٥) عَيْنَاهُ ...

ثُمَّ لَا يَزَالُ يَتَذَلُّ فِيهَا وَيُعِيدُ حَتَّى يُوشِكَ أَنْ يَقْضِيَ نَحْبَهُ (٦) .

\* \* \*

وَقَدْ ذَابَ عَلَى شِدِّ رِجَالِهِ (٧) إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ كُلِّ عَامٍ مَرَّتَيْنِ ...

مَرَّةً فِي رَجَبٍ مُحَرَّمًا بِغُمْزَةٍ ، وَأُخْرَى فِي ذِي الْقَعْدَةِ مُحَرَّمًا بِحَجٍّ .

وَقَدْ كَانَ طُلَّابُ الْعِلْمِ وَشُدَّاءُ (٨) الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَالنُّصْحِ ؛ يَتَوَافَدُونَ عَلَى

(١) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : صحابي عظيم الشأن عليه الصلاة والسلام ، وكان أول من جهر بالقرآن ، انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشروعة .

(٢) زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ : صحابي من كتاب الوحي كان متقدماً في القراءة والقضاء والفتوى ، انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشروعة .

(٣) يسجرون : يوقدون ويحرقون . (٦) يقضي نَحْبَهُ : يَمُوتُ .

(٤) سورة غافر : ٧٠ - ٧٢ . (٧) شِدِّ رِجَالِهِ : زَعَلٍ .

(٥) همت عيناه : سالت دموعه . (٨) شُدَّاءُ الْخَيْرِ : طُلَّابُ الصِّلَاحِ .

« الْكُوفَةُ » لِيَتَهَلَّلُوا مِنْ مَنَاهِلِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرِ الثَّوْرَةِ <sup>(١)</sup> الْعَذِيَّةِ ...

وَتَعْتَرِفُوا مِنْ هَذِيهِ الْقَوِيمِ ...

فَهَذَا يَسْأَلُهُ عَنِ الْحَشِيَّةِ <sup>(٢)</sup> مَا هِيَ ؟ .

فَيُجِيبُهُ بِقَوْلِهِ : الْحَشِيَّةُ أَنْ تَحْشَى اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ حَتَّى تَحُولَ حَشِيَّتُهُ يَتَنَلَّكَ وَيَزِنَ مَعَاصِيكَ .

وَذَاكَ يَسْأَلُهُ عَنِ الذُّكْرِ مَا هُوَ ؟ .

فَيَقُولُ : الذُّكْرُ هُوَ طَاعَةُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا ...

فَمَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ وَأَطَاعَهُ فَقَدْ ذَكَرَهُ ...

وَمَنْ أَغْرَضَ <sup>(٣)</sup> عَنْهُ وَلَمْ يُطِيعْهُ فَلَيْسَ بِذَاكِرٍ لَهُ وَلَوْ بَاتَ لَيْلَهُ يُسَبِّحُ وَيُتَلَوُّ .

\* \* \*

وَقَدْ كَانَتْ « الْكُوفَةُ » حِينَ اتَّخَذَهَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ دَارَ إِقَامَةٍ لَهُ ، خَاضِعَةً لِلْحُجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ ...

إِذْ كَانَ الْحُجَّاجُ يُؤَمِّدُ وَالْيَا عَلِيَّ « الْعِرَاقِي » ، وَالْمَشْرِيقِ ، وَبِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَكَانَ يَتَزَيَّعُ <sup>(٤)</sup> حِينَئِذٍ عَلَى دُرُوزَةٍ <sup>(٥)</sup> سَطَوْتِهِ وَسُلْطَانِهِ ...

وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ <sup>(٦)</sup> ، وَقَضَى عَلَى حَرَكَتِهِ ...

وَأَخْضَعَ « الْعِرَاقِي » لِسُلْطَانِ بَنِي « أُمَيَّة » ، وَأَخْمَدَ <sup>(٧)</sup> نِيرَانَ الثُّوَرَاتِ الْقَائِمَةِ هُنَا وَهُنَاكَ ... وَأَعْمَلَ السَّيْفَ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ ...

(١) الثَّوْرَةُ : الزَّهْرَةُ الْمُنْدَقَةُ .

(٢) الْحَشِيَّةُ : الْحُوفُ .

(٣) أَغْرَضَ عَنْهُ : أَهْمَدَ عَنْهُ .

(٤) يَتَزَيَّعُ فِي جُلُوسِهِ : يَتَنَزَّحُ قَدَمِهِ تَحْتَ فَخْذَيْهِ مَخَافًا لَهَا .

(٥) دُرُوزَةٌ : قِمَّةُ سُلْطَانِهِ .

(٦) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ : الْقَوَامُ بِوَيْحِ الْحُلَافَةِ ،

ثُمَّ قَتَلَ الْحُجَّاجُ عَلَيْهِ .

(٧) أَخْمَدَ : أَطْلَقَ النَّيْرَانَ .

وَأَشَاعَ الرَّعْبَ فِي أَرْجَاءِ<sup>(١)</sup> الْبِلَادِ ...

حَتَّى امْتَلَأَتِ الْقُلُوبُ رَهْبَةً مِنْهُ وَخَشْيَةً مِنْ بَطْشِهِ<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

ثُمَّ سَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتَّعَ صِدَامَ بَيْنَ الْحِجَابِ بَيْنَ يُوسُفَ التَّقْفِي وَبَيْنَ عَبْدِ  
الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ أَحَدِ كِبَارِ قَوَادِمِهِ .

وَأَنْ يَتَحَوَّلَ الصَّدَامُ إِلَى فِتْنَةِ أَكَلَتِ الْأَخْضَرَ وَالْيَاسَ ...

وَتَرَكَتْ فِي جِسْمِ الْمُسْلِمِينَ جَرَاحَاتٍ غَائِرَةً<sup>(٣)</sup>.

وَتَكَانَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الْفِتْنَةِ ، أَنَّ الْحِجَابَ سَيَّرَ ابْنَ الْأَشْعَثِ بِجَيْشٍ لِعَزْوِ  
« رَنْبِيل » مَلِكِ « التُّرْك » عَلَى الْمَنَاطِقِ الْوَاقِعَةِ وَرَاءَ « سِيحِسْتَان »<sup>(٤)</sup>.

فَعَزَا الْقَائِدُ الْبَاسِلُ الْمُظْفَرُ شَطْرًا كَبِيرًا مِنْ بِلَادِ « رَنْبِيل » ، وَاخْتَلَّ حُصُونًا  
مَنْيَعَةً<sup>(٥)</sup> مِنْ دِيَارِهِ ...

وَعَنِمَ مَغَانِمَ كَثِيرَةً مِنْ مُدْيِهِ وَقُرَاهُ ...

ثُمَّ هَمَّتْ إِلَى الْحِجَابِ رُسُلًا زَفُّوا<sup>(٦)</sup> لَهُ بَشَائِرَ النَّصْرِ الْكَبِيرِ ، وَحَمَلُوا مَعَهُمْ  
خُمْسَ الْغَنَائِمِ لِتَسْتَقِرَّ فِي خَزَائِنِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ .

وَكَتَبَ لَهُ بِكِتَابٍ اسْتَأْذَنَهُ فِيهِ بِالتَّوَقُّفِ عَنِ الْقِتَالِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ ؛ لِيُخْتَبِرَ  
مَذَاحِلَ الْبِلَادِ وَمَحَارِجَهَا ، وَيَقِفَ عَلَى طَبِيعَتِهَا وَأَحْوَالِهَا .

وَذَلِكَ قَبْلَ التَّوَعُّلِ<sup>(٧)</sup> فِي شِعَابِهَا<sup>(٨)</sup> الْقَاصِيَةِ الْمَجْهُولَةِ ...

وَتَغْرِيبِ الْجَيْشِ الظَّافِرِ لِلْمَخَاطِرِ .

(٥) الحصون المنيع : الحصون التي يتسلل الوصول إليها .

(٦) زَفُّوا البشائر : نقلوا الأخبار .

(٧) التوغل : البعد والتسقم .

(٨) الشعاب : الطرق بين الجبال .

(١) أرجاء البلاد : أنحاء البلاد .

(٢) بطشه : ضربه .

(٣) غائرة : عميقة .

(٤) سيجستان : بلاد واقعة بين إيران وأفغانستان .

فَاغْطَاظَ الْحِجَابُ مِنْهُ ...

وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ كِتَابًا يَصِفُهُ فِيهِ بِالْجُنِّ وَالْخُنُوعِ<sup>(١)</sup> ...

وَيُنْذِرُهُ بِالزَّوْجِلِ وَالْثُبُورِ<sup>(٢)</sup>، وَيُهْذِئُهُ بِالنَّجِيحَةِ عَنْ قِيَادَةِ الْجَيْشِ .

فَجَمَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَجُوهَ الْجُنْدِ، وَقَادَةَ الْكُتَّابِ ... وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ  
الْحِجَابِ، وَاسْتَشَارَهُمْ فِيهِ ...

فَدَعَا إِلَى الْخُرُوجِ عَلَيْهِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى نَبْدِ<sup>(٣)</sup> طَاعِيهِ .

فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ :

أَتَبَايَعُونَنِي عَلَى ذَلِكَ وَتَوَازَرُونَنِي<sup>(٤)</sup> عَلَى جِهَادِهِ حَتَّى يُطَهِّرَ اللَّهُ أَرْضَ  
«اليراق» مِنْ رِجْسِهِ<sup>(٥)</sup> ؟

فَبَايَعَهُ الْجُنْدُ عَلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ .

\* \* \*

هَبَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِنُ الْأَشْعَبِ بِجَيْشِهِ الْمُتَمَلِّئِ كَرَاهَةً لِلْحِجَابِ .

وَنَثَبَتْ بَيْتَهُ وَبَيْنَ جَيْشِ ابْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ مَعَارِكُ طَاحِنَةً انْتَصَرَ فِيهَا  
نَصْرًا مُؤَزَّرًا .

فَقَمَّ لَهُ الْاِسْتِيْلَاءُ عَلَى «سِجِسْتَانَ»، وَجُلَّ بِلَادِ «فَارِسَ» ...

ثُمَّ أَقْبَلَ يُرِيدُ انْتِزَاعَ «الْكُوفَةِ» وَ«البَصْرَةَ» مِنْ يَدَيِ الْحِجَابِ .

\* \* \*

وَفِيمَا كَانَتْ نِيرَانُ الْحَرْبِ مُشْتَغِلَةً بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ...

(١) المنبرع : الضعف والذل .

(٢) الزجل والثبور : الهلاك والدمار .

(٣) نبذ طاعه : خلع طاعه .

(٤) تَوَازَرُونَنِي : تصاونون معي .

(٥) رِجْسِهِ : قبحه وسوء فعله .

وَكَانَ ابْنُ الْأَشْعَثِ يَنْتَقِلُ مِنْ ظَفَرٍ إِلَى ظَفَرٍ ...

وَقَعَ لِلْحِجَابِ خَطْبٌ <sup>(١)</sup> زَادَ خَصْمَهُ قُوَّةً .

ذَلِكَ أَنَّ وِلَاةَ الْأَنْصَارِ كَتَبُوا إِلَى الْحِجَابِ كُتُبًا قَالُوا فِيهَا :

إِنَّ أَهْلَ الذِّمَّةِ <sup>(٢)</sup> قَدْ طَفِقُوا يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ لِيَتَخَلَّصُوا مِنْ دَفْعِ  
الْجَزْيَةِ <sup>(٣)</sup> ، وَقَدْ تَزَكُّوا الْقَرْيَ الَّتِي يَعْمَلُونَ فِيهَا وَاسْتَقَرُّوا فِي الْمُدُنِ ...

وَإِنَّ الْحَرَّاجَ <sup>(٤)</sup> قَدْ اِضْمَحَلَّ <sup>(٥)</sup> ...

وَإِنَّ الْجَبَانَاتِ قَدْ أَفْلَسَتْ .

فَكَتَبَ الْحِجَابُ إِلَى وُلَايَةِ فِي « الْبَصْرَةِ » وَغَيْرِهَا كُتُبًا يَأْمُرُهُمْ فِيهَا بِأَنْ  
يَجْمَعُوا كُلُّ مَنْ نَزَحَ <sup>(٦)</sup> إِلَى الْمُدُنِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ...

وَأَنْ يُعِيدُوهُمْ إِلَى الْقَرْيِ مِنْهُمَا طَالَ نُزُوحُهُمْ عَنْهَا .

فَصَدَعَ <sup>(٧)</sup> الْوَلَاةُ بِالْأَمْرِ ، وَأَجْلَوْا أَغْدَادًا كَبِيرَةً مِنْ هَؤُلَاءِ عَنْ دِيَارِهِمْ ...

وَأَبْعَدُوهُمْ عَنْ مَوَارِدِ أَرْزَاقِهِمْ ، وَحَشَدُوهُمْ <sup>(٨)</sup> فِي أَطْرَافِ الْمُدُنِ ...

وَأَخْرَجُوا مَعَهُمْ نِسَاءَهُمْ وَأَطْفَالَهُمْ ...

وَدَفَعُوهُمْ دَفْعًا إِلَى الرَّحِيلِ إِلَى الْقَرْيِ ...

بَعْدَ أَنْ مَضَى عَلَى فِرَاقِهِمْ لَهَا حِينَ مِنَ الدَّهْرِ .

---

(١) خطب : أمر مكروه .

(٢) أهل الذِّمَّة : هم اليهود والنصارى ، ممن يعيشون بين المسلمين في ذمة الله ورسوله .

(٣) الجزية : ما يدفعه أهل الذمة للمسلمين من ضريبة .

(٤) الحرَّاج : المال الذي يؤخذ عن الأرض .

(٥) اِضْمَحَلَّ : اتحل .

(٦) نزح : انتقل .

(٧) صدعوا بالأمر : جهروا بالأمر وأنفذوه .

(٨) حشدوهم : جمعوهم .



فَأَخَذَ النِّسَاءَ وَالْوِلْدَانَ وَالشُّيُوحَ يَتَكُونُ ، وَيَسْتَضْرِحُونَ ، وَيَسْتَفِيثُونَ ،  
وَيَمَادُونَ : وَأُمَحِّدَاهُ ...

وَأُمَحِّدَاهُ ...

وَحَارُوا فِيمَا يَفْعَلُونَ ، وَإِلَى أَنَّنْ يَذْهَبُونَ ؟ .

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فُقَهَاءُ « الْبَصْرَةِ » وَقَرَأُواهَا لِيُغِيثُوهُمْ ، وَيَشْفَعُوا لَهُمْ .  
فَلَمْ يَتِمَّ كُنُوتَا مِنْ ذَلِكَ .

فَطَفِثُوا يَتَكُونُ لِيَكَاثِبَهُم ، وَيَسْتَفِيثُونَ لِمُصَابِهِمْ .

\* \* \*

اَعْتَمَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَشْعَثِ هَذِهِ الْفُرْصَةَ ، وَدَعَا الْفُقَهَاءَ وَالْقُرَّاءَ <sup>(١)</sup> إِلَى  
مُؤَاوَزَتِهِ .

فَاسْتَجَابَتْ لَهُ كَوَكْبَةُ <sup>(٢)</sup> مِنْ جِلَّةِ <sup>(٣)</sup> التَّابِعِينَ وَأَيُّمَةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَلَى  
رَأْسِهِمْ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى <sup>(٤)</sup> ...

وَالشَّعْبِيُّ <sup>(٥)</sup> ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ <sup>(٦)</sup> ، وَغَيْرُهُمْ ، وَغَيْرُهُمْ .

وَدَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَكَانَ النَّصْرُ فِيهَا أَوَّلَ الْأَمْرِ لِابْنِ  
الْأَشْعَثِ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى الْحِجَابِ وَجُنُودِهِ .

ثُمَّ بَدَأَتْ كَفَّةُ الْحِجَابِ تَرْجِعُ سَيفًا فَسَيفًا ... حَتَّى هَزِمَ ابْنُ الْأَشْعَثِ  
هَزِيمَةً مُنْكَرَةً ... وَقَرَأَ نَاجِيًا يَنْقُصِيهِ ...

(١) القراء : المباد الزهاد حملة القرآن .

(٢) كوكبة : جماعة .

(٣) جِلَّةُ التَّابِعِينَ : فضلاء التابعين .

(٤) عبد الرحمن بن أبي ليلى : أحد فضلاء التابعين .

(٥) الشعبي : أحد فقهاء التابعين وشعرائهم وأذكيائهم النادرين ... انظره ص ١٧٢ .

(٦) أبو البختري : تابعي عابد زاهد .

وَاسْتَسْلَمَ جَيْشُهُ لِلْحِجَاجِ وَجُنُودِهِ .

\* \* \*

أَمَرَ الْحِجَاجُ مُنَادِيَهُ أَنْ يُنَادِيَ فِي الْمُقَاتِلِينَ الْمَهْزُومِينَ ، وَأَنْ يَدْعُوهُمْ  
لِتَجْدِيدِ بَيْعَتِهِ (١) .

فَاسْتَجَابَ أَكْثَرُهُمْ لَهُ ، وَتَوَارَى بَعْضُهُمْ عَنْهُ .

وَكَانَ بَيْنَ الْمُتَوَارِينَ سَمِيعٌ بْنُ جَبِيئِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

فَلَمَّا أَخَذَ الْمُسْتَسْلِمُونَ يَتَقَدَّمُونَ بَيْعاً لِبَيْعَتِهِ ، فُوجِئُوا بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي  
حُسْبَانِهِمْ ...

فَلَقَدْ جَعَلَ يَقُولُ لِلْوَاحِدِ مِنْهُمْ : أَتَشْهَدُ عَلَى نَفْسِكَ بِأَنَّكَ قَدْ كَفَرْتَ  
بِنَقِضِ بَيْعَتِكَ لِيُؤَالِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ ...

فَإِذَا قَالَ : نَعَمْ ... قِيلَ مِنْهُ تَجْدِيدُ بَيْعَتِهِ ، وَأُطْلِقَ سَرَاحُهُ .

وَإِذَا قَالَ : لَا ... قَتَلَهُ .

فَكَانَ بَعْضُهُمْ يَخْضَعُ لَهُ وَيَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْكَفْرِ ؛ لِيُنْقِذَ نَفْسَهُ مِنَ الْقَتْلِ .

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَمْتَكِرُ (٢) ذَلِكَ وَيَمْتَكِرُهُ (٣) ... فَيَدْفَعُ رَقَبَتَهُ ثَمَنًا لِإِبَائِهِ  
وَاسْتِنْكَارِهِ .

وَلَقَدْ ذَاعَتْ أَشْبَارُ تِلْكَ الْمَجْزَرَةِ (٤) الرُّهْبِيَّةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا بِضْعَةُ آلَافٍ مِنَ  
الرُّجَالِ ...

(١) بيعته : مبايعته بالولاية عليهم .

(٢) يمتكِر ذلك : يجده أمراً كبيراً على نفسه .

(٣) يمتكِرُهُ : يستغربه .

(٤) المجزرة : للدمية .

وَنَجَا مِنْهَا بِضَعَةِ آلَافٍ بَعْدَ أَنْ دَمَعُوا<sup>(١)</sup> أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ...

\* \* \*

مِنْ ذَلِكَ ... أَنَّ شَيْخاً مُعْتَرِلاً<sup>(٢)</sup> مِنْ قَبِيلَةِ (خَنْعَم) كَانَ مُعْتَرِلاً<sup>(٣)</sup> لِلْفَرِيقَيْنِ ... مُقِيماً وَزَاءَ الْفُرَاتِ<sup>(٤)</sup>.

فَسَبَقَ إِلَى الْحِجَابِ مَعَ مَنْ سَبَقُوا إِلَيْهِ ...

فَلَمَّا أُذْخِلَ عَلَيْهِ سَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ :

مَا زِلْتُ مُنْذُ شَبْتُ هَذِهِ الثَّأْرَ مُعْتَرِلاً وَزَاءَ هَذَا النَّهْرِ ...

مُتَنَظِّراً مَا يُسْفِرُ<sup>(٥)</sup> عَنْهُ الْقِتَالُ ...

فَلَمَّا ظَهَرَتْ وَظَفِرَتْ أَتَيْتُكَ مُبَايَعاً .

فَقَالَ لَهُ : تَبَا لَكَ<sup>(٦)</sup> ... أَتَقْعُدُ مُتَرَبِّصاً<sup>(٧)</sup> ...

وَلَا تُقَاتِلُ مَعَ أَمِيرِكَ ۱۹ .

ثُمَّ زَجَرَهُ قَائِلاً : أَتَشْهَدُ عَلَى نَفْسِكَ بِأَنَّكَ كَاذِبٌ ؟ .

فَقَالَ : يَهْشُمُ الرَّجُلُ أَنَا إِنْ كُنْتُ عَبْدُ اللَّهِ ثَمَانِينَ عَاماً ، ثُمَّ أَشْهَدُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ .

فَقَالَ لَهُ : إِذْنٌ أَقْتُلُكَ .

فَقَالَ : وَإِنْ قَتَلْتَنِي ... فَوَاللَّهِ مَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِي إِلَّا ظِلْمٌ جِمَارٍ<sup>(٨)</sup> ...

فَإِنَّهُ يَشْرَبُ عُذْوَةً ، وَيَمُوتُ عَشِيَّةً ...

(١) دمَعُوا أَنْفُسَهُمْ : أَلْعَنُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ .

(٢) مُعْتَرِلاً : مُتَعَمِّداً فِي السِّنِّ .

(٣) تَبَا لَكَ : هَلَاكَ لَكَ .

(٤) مُقِيماً : مُتَعَمِّداً فِي السِّنِّ .

(٥) مُتَرَبِّصاً : مُتَنَظِّراً .

(٦) تَبَا لَكَ : هَلَاكَ لَكَ .

(٧) مُتَرَبِّصاً : مُتَنَظِّراً .

(٨) ظِلْمٌ جِمَارٍ : مُدَّةٌ صَبَرُ الْحِمَارِ عَلَى الْقَطْعِ .

(٩) الْفُرَات : نَهْرٌ يَجْتَازُ سُورِيَةَ وَالْعِرَاقَ .

وَلِيَّيْ لَا تَنْظُرُ الْمَوْتَ صَبَاحَ مَسَاءٍ ، فَأَفْعَلْ مَا بَدَأَ لَكَ .

فَقَالَ الْحَجَّاجُ لَجَلَّادِهِ : اضْرِبْ عُقْقَهُ ...

فَضْرَبَ الْجَلَّادُ عُقْقَهُ ؛ فَلَمْ يَتَّقْ أَحَدٌ فِي الْمَجْلِسِ مِنْ شِيعَةِ<sup>(١)</sup> الْحَجَّاجِ  
أَوْ مِنْ عَدُوِّهِ إِلَّا أَكْبَرَ الشَّيْخَ الْمُعَمَّرَ ، وَرَوَّيَ لَهُ ... وَتَرَحَّمْ عَلَيْهِ ...

\* \* \*

ثُمَّ إِنَّهُ دَعَا بِكَمِيلِ بْنِ زَيْدِ الثُّخَيْمِيِّ<sup>(٢)</sup> وَقَالَ لَهُ :

أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِكَ بِالْكَفْرِ ١٩ .

فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَشْهَدُ .

فَقَالَ : إِذَنْ أَقْتُلُكَ .

فَقَالَ : إَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ<sup>(٣)</sup> ...

وَإِنَّ الْمَوْعِدَ فِيمَا بَيْنَنَا عِنْدَ اللَّهِ ... وَبَعْدَ الْقَتْلِ الْحِسَابُ .

فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : سَتَكُونُ الْحُجَّةَ يَوْمَئِذٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ .

فَقَالَ لَهُ :

ذَلِكَ إِذَا كُنْتُ أَنْتَ الْقَاضِي يَوْمَئِذٍ .

فَقَالَ الْحَجَّاجُ : أَقْتُلُوهُ ...

فَقُدِّمَ وَقُتِلَ ...

\* \* \*

---

(١) شِيعَةُ الْحَجَّاجِ : الْأَصْبَارُ الْحَجَّاجِ وَأَتْبَاعُهُ .

(٢) كَمِيلُ بْنُ زَيْدِ الثُّخَيْمِيِّ : تَابِعِي ثَقَفٌ ، مَطَاعٌ فِي قَوْمِهِ ، شَهِدَ صَفِينَ مَعَ عَلِيٍّ .

(٣) الْقَضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ : افْعَلْ مَا تَرِيدُ .

ثُمَّ قَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلًا آخَرَ كَانَ يَكْرَهُهُ وَيَسْتَهْيِي أَنْ يَنْظُرَ بِقَتْلِهِ ؛ لِمَا كَانَ يُنْقَلُ  
إِلَيْهِ مِنْ سُخْرِيَّتِهِ بِهِ ... فَبَادَرَهُ قَائِلًا :

إِنِّي أَرَى أَمَامِي رَجُلًا مَا أَظُنُّهُ يَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْكَفْرِ .

فَقَالَ الرَّجُلُ : لَا تُؤْزِطْنِي <sup>(١)</sup> وَتَخْذَعْنِي عَنْ نَفْسِي ، فَإِنَّا أَكْفَرُ أَهْلِي  
الْأَرْضِ ، وَأَكْفَرُ مِنْ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ .

فَحَلَّى سَبِيلَهُ ... وَهُوَ يَتَحَرَّقُ ظَمَأً لِقَتْلِهِ .

\* \* \*

ذَاعَتْ أَخْبَارُ تِلْكَ الْمَهْلَكَةِ <sup>(٢)</sup> الرَّهْبِيَّةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا بِضْعَةُ آلَافٍ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ الرَّاسِخِينَ <sup>(٣)</sup> ...

وَنَجَا مِنْهَا بِضْعَةُ آلَافٍ مِمَّنْ أُكْرِهُوا عَلَى دَمْعِ <sup>(٤)</sup> أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ ...

فَأَبْقَى سَعِيدٌ بَنٌ جَبِيْرٌ أَنَّهُ إِنْ وَقَعَ بَيْنَ يَدَيِ الْحِجَاجِ ؛ غَدَا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ لَا ثَالِثَةَ  
لَهُمَا :

فَإِذَا أَنْ تُدَقَّ <sup>(٥)</sup> عُنُقُهُ ...

وَإِذَا أَنْ يُقْرَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْكَفْرِ ...

وَهُمَا أَمْرَانِ أَخْلَاهُمَا مَرٌّ ... فَأَثَرُ <sup>(٦)</sup> أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بِلَادِ « الْعِرَاقِ » ...

وَأَنْ يَتَوَارَى عَنِ الْأَنْظَارِ .

وَوَظَلَّ يَضْرِبُ فِي أَرْضِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ مُسْتَخْفِيًا عَنِ الْحِجَاجِ وَغُيُوبِهِ <sup>(٧)</sup>  
حَتَّى لَجَأَ إِلَى قُوَّةٍ صَغِيرَةٍ فِي أَرْضِي مَكَّةَ .

(١) لَا تُؤْزِطْنِي : لَا تَوْعِظْنِي فِي الْهَلَاكِ . (٤) دَمَعُ أَنْفُسِهِمْ : وَشَمَ أَنْفُسِهِمْ .

(٢) الْمَهْلَكَةُ : مَكَانُ الْهَلَاكِ وَمَوْضِعُهُ . (٥) تَدَقَّ عُنُقُهُ : تَقَطَّعَ رَقَبَتُهُ .

(٣) الرَّاسِخُونَ : الْثَابِتِينَ الْمُتَعَمِّقِينَ . (٦) أَثَرُ : فَضْلٌ وَخِصَارٌ . (٧) عِيُونُهُ : جَوَاسِيِسُهُ .

وَبَقِيَ عَلَى خَالِهِ هَذِهِ عَشْرَ حَجَجٍ <sup>(١)</sup> كَامِلَاتٍ كَانَتْ كَافِيَةً لِأَنْ تُطْفِئَ نِيرَانَ الْحَجَّاجِ الْمُتَّقِدَةِ فِي قَلْبِهِ ، وَأَنْ تُزِيلَ مَا فِي نَفْسِهِ مِنْ ضِغْنٍ <sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ .

\* \* \*

يَبْدَأُ أَنَّهُ حَدَّثَ مَا لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهُ أَحَدٌ ... ذَلِكَ أَنَّهُ قَدِيمٌ عَلَى مَكَّةَ وَالِإِجْدِيدِ مِنْ وَلَاةِ بَنِي « أُمَيَّة » ... هُوَ « خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ » .

فَتَوَجَّسَ <sup>(٣)</sup> أَصْحَابُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ خِيفَةً مِنْهُ ؛ لِمَا كَانُوا يَعْرِفُونَ مِنْ شُوءِ سَيَرَتِهِ ، وَتَوَقَّعُوا الشَّرَّ عَلَى يَدَيْهِ .

فَجَاءَ بَعْضُهُمْ إِلَى سَعِيدٍ وَقَالُوا لَهُ :

إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدِيمٌ مَكَّةَ ، وَإِنَّا - وَاللَّهِ - لَا نَأْمَنُهُ عَلَيْكَ ...

فَاسْتَجَبَ لِطَلْبِنَا ؛ وَاخْرَجَ مِنْ هَذَا الْبَلَدِ .

فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ فَرَزْتُ حَتَّى صِرْتُ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ ...

وَلَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَتَقَى فِي مَكَانِي هَذَا ...

وَلْيَفْعَلِ اللَّهُ بِي مَا يَشَاءُ .

\* \* \*

لَمْ يُكَذِّبْ خَالِدٌ ظَنَّ الشُّعْرَاءِ الَّذِي ظَنُّهُ النَّاسُ بِهِ ، فَمَا أَنْ عَلِمَ بِمَكَانِ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْهِ سَرِيَّةً <sup>(٤)</sup> مِنْ جُنُودِهِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْوَقُوهُ مُقَيَّدًا إِلَى الْحَجَّاجِ فِي مَدِينَةِ « وَاسِطَ » <sup>(٥)</sup> .

فَأُطْبِقَ الْجُنْدُ عَلَى بَيْتِ الشَّيْخِ ...

(١) عشر حجج : عشر سنوات .

(٢) ضغن : حقد .

(٣) توجس خيفة : شعر بفرع وغور .

(٤) السرية : القطعة من الجيش .

(٥) واسط : مدينة واقعة بين البصرة والكوفة ، وقد

سميت بذلك لأنها تقع في وسطهما ، فبعد عن

كل منهما خمسين ميلاً .

وَأَلْقُوا الْقَيْدَ فِي يَدَيْهِ عَلَى مَرَأَى مِنْ بَغْضِ أَصْحَابِهِ ...  
وَأَذْنُوهُ<sup>(١)</sup> بِالرَّحِيلِ إِلَى الْحِجَابِ ، فَتَلَقَاهُمْ هَادِيَ النَّفْسِ مُطْمَئِنِّ الْقَلْبِ .  
ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ :  
مَا أَرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا عَلَى يَدَيِ ذَلِكَ الظَّالِمِ ...  
وَلَقَدْ كُنْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي فِي لَيْلَةِ عِبَادَةٍ ، فَاسْتَشْعَرْنَا حَلَاوَةَ الدُّعَاءِ  
فَدَعَوْنَا اللَّهَ بِمَا دَعَوْنَا ، وَتَضَرَّعْنَا<sup>(٢)</sup> إِلَيْهِ بِمَا شَاءَ أَنْ نَتَضَرَّعَ ...  
ثُمَّ سَأَلْنَا اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَنْ يُكْتَبَ لَنَا الشَّهَادَةُ ، وَقَدْ رَزَقَهَا اللَّهُ لِصَاحِبَيْهِ  
كَأَيِّهِمَا ، وَتَبَيَّثُ أَنَا أَنْتَظِرُهَا ...  
ثُمَّ إِنَّهُ مَا كَادَ يَنْتَهِي مِنْ كَلَامِهِ حَتَّى طَلَعَتْ عَلَيْهِ بُنْيَةٌ صَغِيرَةٌ لَهُ ، فَرَأَتْهُ  
مُعْتِيدًا وَالْجُنْدُ بِسُوقُوهُ ، فَتَشَبَّهَتْ<sup>(٣)</sup> بِهِ ، وَجَعَلَتْ تَبْكِي وَتَنْشِجُ<sup>(٤)</sup> ...  
فَتَحَاوَا عَنْهُ بِرَفْقِي ، وَقَالَ لَهَا :  
قُولِي لِأَمَلِكِ يَا بُنْيَّةَ : إِنَّ مُوْعِدَنَا الْجَنَّةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ...  
ثُمَّ مَضَى ...

\* \* \*

تَلَعَ الْجُنْدُ بِالْإِمَامِ الْخَبِيرِ<sup>(٥)</sup> الْعَابِدِ الرَّاهِدِ ؛ الثَّقِيِّ الثَّقِيِّ الْوَرِيعِ مَدِينَةَ  
« وَاسِطَ » ، وَأَذْخَلُوهُ عَلَى الْحِجَابِ .  
فَلَمَّا صَارَ عِثْدُهُ نَظَرَ إِلَيْهِ فِي حِفْدٍ وَقَالَ : مَا اِسْمُكَ ؟ .

(١) أذْنُوهُ : دَعَاهُ وَأَعْلَمُوهُ .

(٢) تَضَرَّعْنَا : اِهْجَلْنَا .

(٣) تَشَبَّهَتْ : تَعَلَّقَتْ .

(٤) تَنْشِجُ : تَنْصُ بِالْبَكَاءِ .

(٥) الْحَبَرُ : الْعَالِمُ الْعَامِلُ .

فَقَالَ : سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ .

فَقَالَ : بَلْ شَقِيحُ بْنُ كُسَيْبٍ<sup>(١)</sup> .

فَقَالَ : بَلْ كَانَتْ أُمِّي أَعْلَمَ بِأَسْمِي مِنْكَ .

فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ ؟

قَالَ : تَغْنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ۱۹ .

فَقَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ، النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى<sup>(٢)</sup> ...

خَيْرُ مَنْ بَقِيَ مِنَ الْبَشَرِ ، وَخَيْرُ مَنْ مَضَى ...

حَمَلُ الرِّسَالَةِ ، وَأَدْنَى الْأَمَانَةِ ...

وَنَصَحَ لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَخَاصَّتِهِمْ .

قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي أَبِي هَكْرٍ ؟

قَالَ : هُوَ الصَّدِيقُ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ذَهَبَ حَمِيداً ، وَغَاشَ

سَعِيداً ...

وَمَضَى عَلَى مِنْهَاجِ<sup>(٣)</sup> النَّبِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، لَمْ يُغَيِّرْ وَلَمْ

يُيَدَّلْ .

قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي عُتْرٍ ۱۹ .

قَالَ : هُوَ الْفَارُوقُ الَّذِي فَارَقَ<sup>(٤)</sup> اللَّهُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ...

(١) كسبر: سبذ جبير .

(٢) المصطفى: المختار .

(٣) المنهاج: المحطة والطريقة .

(٤) فرق: مفر .



وَنَجِيرُهُ<sup>(١)</sup> اللَّهُ وَخَيْرُهُ رَسُولُهُ، وَلَقَدْ مَضَى عَلَى مِنْهَاجٍ<sup>(٢)</sup> صَاحِبِيهِ ...

فَعَاشَ حَيِيداً، وَقُتِلَ شَهِيداً.

قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي عُثْمَانَ<sup>(٣)</sup>

قَالَ : هُوَ الْمُجْهَرُ لِجَيْشِ الْعُسْرَةِ<sup>(٤)</sup> ...

الْحَافِزُ بِفَرٍ<sup>(٥)</sup> رُومَةَ ...

الْمُسْتَرِي يَتَأْتِنُفِيهِ فِي الْجَنَّةِ ...

صَبَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ابْنَتَيْهِ.

وَلَقَدْ زَوَّجَهُ النَّبِيُّ بِوَحْيٍ مِنَ السَّمَاءِ، وَهُوَ الْمَقْتُولُ ظُلْماً.

قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ ١٩ .

قَالَ : ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْغُثَيَّانِ ...

وَهُوَ زَوْجُ فَاطِمَةَ الْبُتُولِ<sup>(٦)</sup> ...

وَأَبُو الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سَيِّدَيِ سَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

قَالَ : فَأَيُّ خُلَفَاءِ بَنِي « أُمَيَّة » أَعْجَبُ لَكَ ؟ .

قَالَ : أَرْضَاهُمْ لِخَالِقِهِمْ .

قَالَ : فَأَيُّهُمْ أَرْضَى لِلخَالِقِ ؟ .

---

(١) خيرة الله وَرَسُولُهُ : الذي اختار الله وَرَسُولُهُ .

(٢) منهج صاحبه : خطة الرسول ﷺ وأبي بكر .

(٣) عثمان بن عفان : انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشروعة .

(٤) جيش العسرة : جيش غزوة تبوك .

(٥) بئر رومة : بئر في عقيق المدينة المنورة اشترها عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بِمِائَةِ نَاقَةٍ ، وَتَصَدَّقَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

(٦) البتول : النقية الطاهرة .

قَالَ : عَلِمَ ذَلِكَ عِنْدَ الَّذِي يَعْلَمُ مِيرَاثَهُمْ وَنَجْوَاهُمْ .  
 قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي ؟ .  
 قَالَ : أَنْتَ أَغْلَمَ بِنَفْسِكَ .  
 قَالَ : بَلْ أُرِيدُ عِلْمَكَ أَنْتَ .  
 قَالَ : إِذَنْ يَسْأَلُكَ <sup>(١)</sup> وَلَا يَسْأَلُكَ .  
 قَالَ : لَا بُدَّ مِنْ أَنْ أَسْمَعَ مِنْكَ .  
 قَالَ : إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ مُخَالِفٌ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ...  
 تُقَدِّمُ عَلَى أُمُورٍ تُرِيدُ بِهَا الْهَيْبَةَ ، وَهِيَ تُفْجِئُكَ <sup>(٢)</sup> فِي الْهَلَكَةِ ...  
 وَتَدْفَعُكَ إِلَى النَّارِ دَفْعًا .  
 قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّكَ .  
 قَالَ : إِذَنْ تُفْسِدُ عَلَيَّ دُنْيَايَ ، وَأُقْسِدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ .  
 قَالَ : اخْتَرِ لِنَفْسِكَ أَيَّ قِتْلَةٍ شِئْتَ .  
 قَالَ : بَلْ اخْتَرْتُهَا أَنْتَ لِنَفْسِكَ يَا حُجَّاج ...  
 فَوَاللَّهِ مَا تَقْتُلُنِي قِتْلَةً إِلَّا قَتَلَكَ اللَّهُ مِثْلَهَا فِي الْآخِرَةِ .  
 قَالَ : أَتُرِيدُ أَنْ أَغْفُو عَنْكَ ؟ .  
 قَالَ : إِنْ كَانَ غَفْوُ قَوْمِ اللَّهِ تَعَالَى ...  
 أَمَا أَنْتَ فَلَا بَرَاءَةَ <sup>(٣)</sup> لَكَ وَلَا عُذْرَ .

(١) يسوع : يحزنك .

(٢) تُفْجِئُكَ : تدفعك وتدفعلك .

(٣) لَا بَرَاءَةَ لَكَ : لَا عَفْوَ مِنْ عِنْدِكَ .

فَاغْتَاظَ الْحِجَابُ وَقَالَ : السَّيْفُ وَالنُّطْعُ (١) يَا غَلَامُ .

فَتَبَسَّمَ سَعِيدٌ ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَابُ :

وَمَا تَبَسَّمُكَ ١٩ .

قَالَ : عَجِبْتُ مِنْ جِرَاعَتِكَ (٢) عَلَى اللَّهِ وَحِلْمِ اللَّهِ عَلَيْكَ .

فَقَالَ : أَكْثَلُهُ يَا غَلَامُ .

فَاسْتَقْبَلَ الْقَبِيلَةَ وَقَالَ :

﴿ وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ (٣) السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَيْفًا (٤) وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٥) .

فَقَالَ : احْرِفُوا (٦) وَجْهَهُ عَنِ الْقَبِيلَةِ .

فَقَالَ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا (٧) فَتَمَّ (٨) وَجْهُ اللَّهِ ﴾ (٩) .

فَقَالَ : كُتِبَ (١٠) عَلَى الْأَرْضِ .

فَقَالَ : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (١١) .

فَقَالَ : اذْبَحُوا عَذُوَّ اللَّهِ ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَذْعَى (١٢) مِنْهُ لِآيَاتِ الْقُرْآنِ ...

فَرَفَعَ سَعِيدٌ كَفَّيْهِ وَقَالَ :

(١) النُّطْعُ : بساط من الجلد يفرش تحت المحكوم عليه بالقتل .

(٢) جِرَاعَتُكَ : إقدامك .

(٣) فَطَرَ : خلق وأنشأ .

(٤) خَيْفًا : مائلًا إلى الدين القيم .

(٥) سورة الأنعام : ٧٩ .

(٦) احْرِفُوا وجهه : أميلوا وجهه .

(٧) تُولُوا : تصحبوا .

(٨) تَمَّ وَجْهُ اللَّهِ : هناك قبلة الله التي ترضاعها .

(٩) سورة البقرة : ١١٥ .

(١٠) كُتِبَ عَلَى الْأَرْضِ : اقبلوه عَلَى الْأَرْضِ .

(١١) سورة طه : ٥٥ .

(١٢) أَذْعَى مِنْهُ : أقوى استحضرًا منه .

اللَّهُمَّ : لَا تُسَلِّطِ الْحِجَابَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي .

\* \* \*

لَمْ يَمُضْ عَلَى مَضْرَعِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ غَيْرُ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا حَتَّى حُمَ (١)  
الْحِجَابُ ، وَاسْتَنْدَتْ عَلَيْهِ وَطَاءَ الْمَرَضِ .

فَكَانَ يَغْفُو (٢) سَاعَةً وَيَفِيْقُ أُخْرَى ...

فَإِذَا عَفَا غَفَوَةً صَغِيرَةً ؛ اسْتَيْقَظَ مَذْغُورًا (٣) وَهُوَ يَصْبِيحُ :

هَذَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ آخِذٌ بِخِنَاقِي (٤) ...

هَذَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ يَقُولُ : فِيمَ قَتَلْتَنِي ؟ !

ثُمَّ يَبْكِي وَيَقُولُ :

مَالِي وَلِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ١١٩ رُدُّوا عَنِّي سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ ...

فَلَمَّا قَضَى نَحْبَهُ (٥) وَوُورِيَ ثَرَاتُهُ ، رَأَاهُ بَعْضُهُمْ فِي الْحُلَمِ فَقَالَ لَهُ :

مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ فِي مَنْ قَتَلْتَهُمْ يَا حِجَابُ ؟ .

فَقَالَ : قَتَلَنِي اللَّهُ بِكُلِّ امْرِئٍ قَتَلَهُ وَاحِدَةً ...

وَقَتَلَنِي بِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ سَبْعِينَ قَتْلَةً (٥) .

(١) حُمَ : أَصَابَهُ الْحُمُّ . (٢) مَذْغُورًا : فَرَمًا عَاقِلًا .

(٣) يَغْفُو : يَرُدُّ رَفْدَةً خَفِيفَةً . (٤) بِخِنَاقِي : بِهَيْطِي . (٥) قَضَى نَحْبَهُ : هَلَكَ وَمَاتَ .

(٥) للاستزادة من أخبار سعيد بن جبيرة انظر :

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد : ٢٥٦/٦ .

٢ - الزهد للإمام أحمد بن حنبل : ٣٧٠ .

٣ - طبقات الفقهاء للشيرازي : ٨٢ . ٧ - تاريخ الإسلام : ٢/٤ . ١١ - العقد الثمين : ٥٤٩/٤ .

٤ - البداية والنهاية : ٩٦/٩ - ٩٨ . ٨ - تذكرة الحفاظ : ٧١/١ . ١٢ - النجوم الزاهرة : ٢٢٨/١ .

٥ - تاريخ البخاري : ٤٦١/٣ . ٩ - المعبر : ١١٢/١ . ١٣ - طبقات المفسرين : ١٨١/١ .

٦ - وفيات الأعيان : ٣٧١/٢ . ١٠ - أخبار القضاة : ٤١١/٢ . ١٤ - شذرات الذهب : ١٠٨/١ .

# مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ الْأَزْدِيُّ شَيْخُ الرَّاهِدِينَ فِي عَصَرِهِ

«لِلأَمْرَاءِ قُوَّةٌ وَلِلْأَعْيَانِ قُوَّةٌ، وَإِنْ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ لَمِنْ قُوَّةِ الرُّحَمَنِ»

[مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ]

نَحْنُ الْآنَ فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْمَانَ بْنِ عَبِيدِ الْحَلِيقِ ...  
وَهَذَا يَرِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، أَحَدَ سُيُوفِ الْإِسْلَامِ الْمَسْلُوكَةِ ...  
وَوَالِي «خُرَاسَانَ» الْعَتِيدُ<sup>(١)</sup> ...

يُنْهَدُ<sup>(٢)</sup> بِجَيْشِهِ الْبَالِغِ مِائَةَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، عَدَا الْمُتَطَوِّعِينَ مِنْ طُلَّابِ  
الشَّهَادَةِ، وَرُغَابِ الْمَثُورَةِ ...

وَقَدْ عَقَدَ الْقَزَمَ عَلَى قَنْجِ «مُزَاجَانَ»، «وَطَبْرِشْتَانَ»<sup>(٣)</sup> ... وَكَانَ فِي  
طَلِيقَةِ الْمُتَطَوِّعِينَ مَعَهُ الثَّابِئِيُّ الْجَلِيلُ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ الْأَزْدِيُّ الْبَصْرِيُّ ...  
الْمُلَقَّبُ بِزَيْنِ الْفُقَهَاءِ ...

الْمَعْرُوفُ بِعَايِدِ «الْبَصْرَةِ» ...

وَتَلْمِيزُ الصُّحَابِيِّ الْجَلِيلِ أَنَسِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ<sup>(٤)</sup>، خَادِمِ الرُّسُولِ  
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

\* \* \*

(١) العتيد: القوي المستعد.

(٢) ينهد: يسرع إلى العدو، ويهز له.

(٣) مُزَاجَانَ وطبرشَتان: فصحهما يُريدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ، وهما منطقتان من مناطق بلاد فارس.

(٤) أَنَسُ بْنُ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ: انظره في كتاب «صور من حياة الصحابة» للمؤلف، الناشر دار الأدب الإسلامي، الطبعة المشرقة.

نَزَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بِجَيْشِهِ عَلَى « دِهْشْتَانَ » .  
وَكَانَ يَقْطَعُهَا قَوْمٌ مِنَ « التُّرْكِ » ، شَدِيدٌ بِأَسْهُمٍ ...  
قَوِيٍّ يَرَأْسُهُمْ <sup>(١)</sup> ...  
مَنْيَعَةٌ مُحْصُونُهُمْ <sup>(٢)</sup> ...

فَكَانُوا يَخْرُجُونَ لِقَاتِلِ الْمُسْلِمِينَ كُلِّ يَوْمٍ ...  
فَإِذَا نَالَ مِنْهُمْ الْجُهْدُ أَوْ اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَأْسُ ، انْحَاذُوا <sup>(٣)</sup> إِلَى مَعَالِيهِمْ <sup>(٤)</sup>  
فِي شِعَابِ <sup>(٥)</sup> الْجِبَالِ ...  
وَتَحَصَّنُوا بِحُصُونِهَا الْمَنْيَعَةِ ، وَلَاذُوا بِذُرَاهَا <sup>(٦)</sup> الرَّفِيعَةِ ...

\* \* \*

وَقَدْ كَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعِ الْأَزْدِيِّ مَقَامٌ كَبِيرٌ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ ، عَلَى  
الرَّغْمِ مِنْ ضَعْفِ بَنِيَّتِهِ ، وَتَقَدُّمِ سِنِّهِ ...  
فَلَقَدْ كَانَ جُنْدُ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَرْوِحُونَ <sup>(٧)</sup> بِنُورِ الْإِيمَانِ الَّذِي يَهْتَلِلُ مِنْ  
وَجْهِهِ السَّمْعِ ...

وَيَنْشَطُونَ لِحَرَارَةِ الذِّكْرِ الَّتِي تَشِعُّ مِنْ لِسَانِهِ الْقَذْبِ ...  
وَيَطْلُمُونَ إِلَى دَعَوَاتِهِ الْمُسْتَجَابَةِ فِي لَحْظَاتِ الشَّدَّةِ وَالْكَرْبِ ...  
وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِ <sup>(٨)</sup> إِذَا أَنْشَبَ قَائِدُ الْجَيْشِ الْقِتَالَ ، أَنْ يُنَادِيَ :  
يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي ...

(٥) شعاب الجبال : التفجرات بين الجبال .

(٦) ذراها : مرتفعاتها .

(٧) يستروحون : يجدون الراحة ويطلبونها .

(٨) من شأني : من عطته وطريقته .

(١) مراسهم : بأسهم وقوتهم .

(٢) الحصون : الأماكن المنيعة المهمة .

(٣) انحازوا : لجأوا .

(٤) معاليهم : جبالهم المرتفعة .

يَا خَيْلَ اللَّهِ اُزْكَبِي ...

فَلَا يَكَادُ جُنْدُ الْمُسْلِمِينَ يَسْمَعُونَ نِدَاءَهُ ، حَتَّى يَهْبُوا إِلَى قِتَالِ عَدُوِّهِمْ  
كَمَا تَهْبُ الْأَسُودُ الْمُشْتَفَرَّةُ<sup>(١)</sup> ...

وَيَقْبِلُوا عَلَى سَاحَةِ الرِّعَى إِقْبَالَ الظَّمَاءِ عَلَى الْمَاءِ الْبَرُودِ<sup>(٢)</sup> فِي الْيَوْمِ  
الْقَاطِعِ ...

\* \* \*

وَفِي ذَاتِ مَعْرَكَةٍ مِنْ تِلْكَ الْمَعَارِكِ الطَّاحِنَةِ الصُّرُوسِ<sup>(٣)</sup> ، بَرَزَ مِنْ  
صُفُوفِ الْأَعْدَاءِ قَارِسٌ لَمْ تَقَعِ الْعَيْنُ عَلَى أَجْسَمٍ مِنْهُ جَسَامَةٌ<sup>(٤)</sup> ...

وَلَا أَشَدَّ مِنْهُ قُوَّةً ...

وَلَا أَوْفَى جُرَؤَةً ...

وَلَا أَمْضَى<sup>(٥)</sup> عَزْماً ...

وَطَلَفَقَ يَصُولُ<sup>(٦)</sup> بَيْنَ الصُّفُوفِ وَيَجُولُ ، حَتَّى نَحَى الْمُسْلِمِينَ عَنْ  
مَوَاقِعِهِمْ ...

وَبَقِيَ الْحَشِيَّةُ وَالْهَيْبَةُ فِي قُلُوبِهِمْ ...

ثُمَّ جَعَلَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْمُبَارَزَةِ مُتَحَدِّياً مُشْتَكِيراً ، وَيُلِحُّ<sup>(٧)</sup> فِي الدُّعَايِ .  
فَمَا كَانَ مِنْ مُحَمِّدٍ بِنِ وَاسِعٍ إِلَّا أَنْ هَمَّ بِأَنْ يَبْرَزَ لَهُ .  
عِنْدَ ذَلِكَ دَبَّتِ الْحَمِيَّةُ<sup>(٨)</sup> فِي نَفْسِ فُوسَانَ الْمُسْلِمِينَ ...

(٥) أمضى : انتهى .

(٦) طلق يصول : أخذ يجول في ساحة الحرب .

(٧) يلح : يُلحِبُّ ويكرِّز .

(٨) الحمية : الأنفة والإباء .

(١) المشتفرة : الهالكة المستارة .

(٢) البرود : البرد الصافي .

(٣) الصرُوس : الشديدة المهلكة .

(٤) أجسم جسامته : أمضى ضخامة وأشدَّ عظمة .

وَأَقْبَلَ عَلَى الشَّيْخِ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، وَأَقْسَمَ عَلَيْهِ بِالْأَنْ يَفْعَلَ ، وَسَأَلَهُ بِأَنْ يَشْرَكَ لَهُ ذَلِكَ ...

فَأَبْرَأَ<sup>(١)</sup> الشَّيْخُ قَسَمَهُ ، وَدَعَا لَهُ بِالنَّصْرِ والتَّأيِيدِ ...

\* \* \*

أَقْبَلَ كُلٌّ مِنَ الْفَارِسِينَ عَلَى عَدُوِّهِ إِقْبَالَ الْمَثُونِ ...

وَتَصَاوَلَا مُصَاوَلَةً أَسَدَيْنِ خَادِرَيْنِ<sup>(٢)</sup> ...

فَتَعَلَّقَتْ بِهِمَا عُيُونُ الْجُنْدِ وَقُلُوبُهُمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ .

وَاسْتَمَرَّ سَاعَةً يَتَصَاوَلَانِ وَيَتَجَاوَلَانِ ، حَتَّى أَخَذَ الْجُهْدُ مِنْهُمَا كُلٌّ مَاخِذًا .

ثُمَّ اخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ يَسْتَفِيهِمَا عَلَى رَأْسَيْهِمَا فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ ...

فَبَيَّتَ سَيْفُ « التُّرْكِيِّ » فِي حَدِيدِ بَيْضَةٍ<sup>(٣)</sup> الْفَارِسِ الْمُسْلِمِ ...

وَنَزَلَ سَيْفُ الْمُسْلِمِ عَلَى جَبِينِ الْفَارِسِ « التُّرْكِيِّ » ، فَشَطَرَ رَأْسَهُ شَطْرَيْنِ ...

وَقَلَقَ هَامَتَهُ<sup>(٤)</sup> فَلَقَّتَيْنِ ...

ثُمَّ عَادَ الْفَارِسُ الْمُتَنَصِّرُ إِلَى صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ ؛ فِي مَنْظَرٍ لَمْ تَشْهَدْ الْعَيْنُ مِثْلَهُ قَطُّ .

فَسَيْفٌ فِي يَدِهِ يَقْطُرُ دَمًا ...

وَسَيْفٌ مُبَيَّتٌ فِي خُوذَتِهِ<sup>(٥)</sup> يَلْتَمِيعُ تَحْتَ أَشْيَعَةِ الشَّمْسِ .

(١) أَمْرٌ قَسَمَهُ : أَمْسَلَ بَيْنَهُ وَتَقَلَّهَا .

(٢) خَادِرَيْنِ : شَدِيدَيْنِ ، قَوِيَّيْنِ .

(٤) هَامَتُهُ : هَامَةُ الْإِنْسَانِ رَأْسُهُ .

(٣) الْبَيْضَةُ : الْحَوْدَةُ الْمَصْنُوعَةُ مِنَ الْحَدِيدِ . (٥) الْحَوْدَةُ : مَا يَضَعُهُ الْمَحَارِبُ عَلَى رَأْسِهِ لِيَقِيَهُ ضَرْبَاتِ السِّيفِ .



فَاسْتَقْبَلَهُ الْمُؤْمِنُونَ بِالتَّهْلِيلِ ، وَالتَّكْبِيرِ ، وَالتَّحْمِيدِ .  
وَنَظَرَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى اثْنَيْلَاقٍ <sup>(١)</sup> السَّيْفَيْنِ ، وَالبَيْضَةِ ، وَالسَّلَاحِ عَلَى  
الرَّجُلِ ... فَقَالَ : لِيْلَهُ أَبَوُهُ مِنْ فَارِسٍ !! ...  
أَيُّ رَجُلٍ هَذَا ؟

فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ رَجُلٌ بَارَكَنَّهُ دَعْوَاتُ مُحَمَّدٍ بْنِ وَاسِعٍ الْأَزْدِيِّ ...

\* \* \*

انْقَلَبَ مِيزَانُ الْقُوَى بَعْدَ مَضَرَعِ الْفَارِسِ « التُّوَكِّي » ... فَسَرَى الْجَزَعُ  
وَالْهَلَعُ <sup>(٢)</sup> فِي نَفُوسِ الْمُشْرِكِينَ سَرَيَانِ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ <sup>(٣)</sup> ...  
وَاضْطَرَمَّتْ نِيزَانُ التَّخَوُّةِ وَالْعِزَّةِ فِي صُدُورِ الْمُسْلِمِينَ .  
فَأَقْبَلُوا عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ إِقْبَالَ السَّيْلِ ...  
وَأَحَاطُوا بِهِمْ إِحَاطَةً الثَّلِّ <sup>(٤)</sup> بِالْعُنَى ...  
وَقَطَعُوا عَنْهُمْ الْمَاءَ وَالْمِيرَةَ <sup>(٥)</sup> .  
فَلَمْ يَجِدْ مَلِكُهُمْ بُدًّا مِنَ الْمُصَالَحَةِ ...

فَبَعَثَ إِلَى يَزِيدَ يَغْرِضُ عَلَيْهِ الصَّلُوحَ ، وَيُعْلِنُ اسْتِعْدَادَهُ لِتَسْلِيمِهِ مَا فِي يَدِهِ  
مِنَ الْبِلَادِ بِكُلِّ مَا فِيهَا وَمَنْ فِيهَا ، عَلَى أَنْ يُؤَمِّنَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَنَالِهِ ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ .  
فَقَبِلَ يَزِيدُ مُصَالَحَتَهُ ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يُقَدِّمَ لَهُ سَبْعِمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ  
مُقَسَّمَةً <sup>(٦)</sup> ...

(١) الاثنان : اللعان .

(٢) الهلع : الخوف .

(٣) الهشيم : الكأ الباس .

(٤) الثَّلُّ : طوق من جلد أو حديد يجعل في اليد أو العنق .

(٥) الميرة : الطعام الذي يدخره الإنسان . (٦) مقسطة : مجزأة أجزاء محددة تُدْفَعُ فِي أَوْقَاتٍ مُعْلَنَةٍ .

وَأَنْ يَنْقُذَهُ أَرْبَعُمِائَةٍ أَلْفٍ مُعْجَلَةً ...

وَأَنْ يَتَقَدَّمَ لَهُ أَرْبَعُمِائَةٍ دَابَّةٍ مُحَمَّلَةٌ رَغْفَرَانًا<sup>(١)</sup> ...

وَأَنْ يَسُوقَ لَهُ أَرْبَعُمِائَةٍ رَجُلٍ؛ فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جَانٌ<sup>(٢)</sup> مِنْ  
الْفِصَّةِ ...

وَعَلَى رَأْسِهِ بُرُتُسٌ مِنَ الْخَزْ<sup>(٣)</sup> ...

وَعَلَى الْبُرُتُسِ طَلِيسَانٌ مِنَ الْقَطِيفَةِ<sup>(٤)</sup>، وَسَرْقَةٌ<sup>(٥)</sup> مِنَ الْحَرِيرِ لَتَلْبَسَهَا  
نِسَاءُ الْجُنْدِ ...

\* \* \*

وَلَمَّا وَضَعَتِ الْمَعَارِكُ أَوْزَارَهَا<sup>(٦)</sup> قَالَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ لِحَاظِيهِ<sup>(٧)</sup>:

أَخْبِصْ لَنَا الْغَنَائِمَ حَتَّى نُعْطِيَ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ...

فَحَاوَلِ الْخَايِزُ وَمَنْ مَعَهُ أَنْ يُخْصِصُوهَا؛ فَعَجِزُوا عَنْ ذَلِكَ ...

فَقُسِمَتِ الْغَنَائِمُ بَيْنَ الْجُنْدِ قِسْمَةً قَائِمَةً عَلَى التَّسَامُحِ ...

\* \* \*

وَقَدْ وَجَدَ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذِهِ الْغَنَائِمِ تَاجًا مَصُوعًا مِنْ خَالِصِ الذَّهَبِ ...

مُحَلًى بِالذَّرِّ وَالْجَوْهَرِ ...

مُرْخَرَفًا بِرَوَائِعِ الثَّقُوشِ .

فَقَطَّأَوَلَتْ<sup>(٨)</sup> نَعْوَهُ الرِّقَابَ ...

---

(١) الرغفران : نبات يستخدم لتطيب الطعام وتلوينه .

(٢) الجانم : الكأس .

(٣) البرتس : ثوب يكون غطاء الرأس جزئياً منه ، والخر : الحرير .

(٤) القطيفة : وثاء مخمل يلقبه الرجل غلّ نفسه .

(٥) سرقة من الحرير : شقة من حرير تلبسها النساء . (٧) الحازن : الذي يتولى حفظ المال وإنفاقه .

(٦) أوزارها : أثقالها . (٨) قطأولت : امتدت .

وَتَسْمَرْتُ<sup>(١)</sup> : نَلَى لَأَيِّهِ الْعُيُونُ .

فَأَخَذَهُ يَزِيدُ بِيَدِهِ ، وَرَفَعَهُ حَتَّى يَرَاهُ مَنْ لَمْ يَسْتَطِيعَ رُؤْيَاهُ مِنَ الْجُنْدِ ، ثُمَّ قَالَ :

أَتُرَوْنَ أَنَّ أَحَدًا يَزْهَدُ<sup>(٢)</sup> فِي هَذَا النَّجَاحِ ۚ ۱۹ .

فَقَالُوا : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ...

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَزْهَدُ بِهِ ۚ ۱۹ .

فَقَالَ :

سَتَرُونَ أَنَّهُ مَا زَالَ فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَنْ يَزْهَدُ بِهِ ...  
وَيَجِلُّ الْأَرْضُ مِنْ مِثْلِهِ .

ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى حَاجِبِهِ وَقَالَ :

التَّمِيسُ<sup>(٣)</sup> لَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ وَاسِعٍ الْأَزْدِيُّ .

فَانْطَلَقَ الْحَاجِبُ يَبْحَثُ عَنْهُ فِي كُلِّ جِهَةٍ ...

فَالْقَاءُ قَدِ انْتَحَى مَكَانًا قَصِيًّا<sup>(٤)</sup> عَنِ النَّاسِ ، وَانْتَصَبَ قَائِمًا يَنْتَقِلُ<sup>(٥)</sup>

وَيَذْغُو ، وَيَتَهَلَّلُ وَيَسْتَغْفِرُ ...

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ :

إِنَّ الْأَمِيرَ يَذْغُوكَ لِلْقَائِيهِ ، وَيَسْأَلُكَ أَنْ تَعْضِيَ إِلَيْهِ السَّاعَةَ ...

---

(١) تسمرت : تملقت .

(٢) يزهد : يتخلّى ويستعين .

(٣) التمس فلاناً : ابحث عن فلان واطلبه .

(٤) قصياً : بعيداً .

(٥) ينتقل : يصلي النوافل ، والنوافل : ما لم يفرض على المسلم .

فَمَضَى مَعَ الْحَاجِبِ ، حَتَّى إِذَا صَارَ عِنْدَ الْأَمِيرِ حَيًّا وَجَلَسَ قَرِيباً مِنْهُ ،  
فَرَدَّ الْأَمِيرُ التَّجِيَّةَ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ...

ثُمَّ رَفَعَ التَّاجَ بِيَدِهِ وَقَالَ :

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، إِنَّ جُنْدَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ ظَفِرُوا بِهَذَا التَّاجِ الثَّمِينِ ...  
وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُورِكَ<sup>(١)</sup> بِهِ ، وَأَنْ أَجْعَلَهُ مِنْ نَصِيكِ ، فَطَابَتْ نَفْسُ  
الْجُنْدِ بِذَلِكَ ...

فَقَالَ : تَجْعَلُهُ مِنْ نَصِيبي أَنَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ١٩ .

فَقَالَ : نَعَمْ مِنْ نَصِيكِ أَنْتَ .

فَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ...

وَجَزَيْتُ وَإِيَّاهُمْ عَنِّي خَيْرًا .

فَقَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ لَتَأْخُذَهُ .

فَلَمَّا وَقَعَ قَسَمُ الْأَمِيرِ أَخَذَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعِ التَّاجِ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ وَانْصَرَفَ .

فَقَالَ بَعْضُ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ الشَّيْخَ :

هَذَا هُوَ ذَا قَدْ اسْتَأْثَرَ<sup>(٢)</sup> بِالتَّاجِ ، وَمَضَى بِهِ .

فَأَمَرَ يَزِيدُ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِهِ أَنْ يَتَّبِعَهُ مُسْتَخْفِيًا<sup>(٣)</sup> عَنْهُ ...

وَأَنْ يَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ بِالتَّاجِ ...

وَأَنْ يَأْتِيَهُ بِخَبَرِهِ ...

---

(١) أُرِكَ بِهِ : أِكْرَمَكَ بِهِ .

(٢) اسْتَأْثَرَ بِالتَّاجِ : آثَرَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَاحْصَى بِهِ .

(٣) مُسْتَخْفِيًا : مُسْتَرًا عَنْهُ .

فَتَبِعَهُ الْعَلَامُ ، وَهُوَ لَا يَذْهَبُ بِهِ .

\* \* \*

مَضَى مُحَمَّدٌ بْنُ وَاسِعٍ فِي طَرِيقِهِ ، وَالتَّاجُ فِي يَدِهِ ...  
فَعَرَضَ لَهُ رَجُلٌ أَشْعَثُ أَغْبَرُ<sup>(١)</sup> زَرِيَّ الْهَيْئَةِ فَسَأَلَهُ قَائِلًا :  
مِنْ مَالِ اللَّهِ ...

فَنَظَرَ الشَّبِيحُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَعَنْ شِمَالِهِ ، وَمِنْ خَلْفِهِ ...  
فَلَمَّا اسْتَبَقَرَ أَنَّ أَحَدًا لَا يَرَاهُ ، دَفَعَ بِالتَّاجِ إِلَى السَّائِلِ ...  
ثُمَّ انْطَلَقَ فَرِحًا بَجِدْلَا<sup>(٢)</sup> ...

كَأَنَّمَا أَلْقَى عَنْ كَاهِلِهِ عَيْثًا كَانَ يُثْقِلُ ظَهْرَهُ ...  
فَأَمْسَكَ الْعَلَامُ بِيَدِ السَّائِلِ ، وَأَتَى بِهِ الْأَمِيرَ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ خَبْرَهُ ...  
فَأَخَذَ الْأَمِيرُ التَّاجَ مِنَ السَّائِلِ ، وَعَوَّضَ عَلَيْهِ بِمَالٍ وَفِيرٍ حَتَّى أَرْضَاهُ .  
ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْجُنْدِ وَقَالَ :

أَمَا قُلْتُ لَكُمْ : إِنَّهُ مَا زَالَ فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَنْ يَزْهَدُ  
بِهَذَا التَّاجِ ، وَأَمَثَالِ أَمْثَالِهِ .

\* \* \*

ظَلَّ مُحَمَّدٌ بْنُ وَاسِعٍ الْأَزْدِيُّ يُجَاهِدُ الْمُشْرِكِينَ تَحْتَ رَايَةِ يَزِيدَ بْنِ  
الْمُهَلَّبِ حَتَّى اقْتَرَبَ مَوْعِدُ الْحَجِّ .  
فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ أَمَانَةٌ غَيْرُ وَقْتٍ قَصِيرٍ دَخَلَ عَلَى يَزِيدَ ، وَاسْتَأْذَنَهُ فِي  
الْإِنْصِرَافِ إِلَى الْقِيَامِ بِالنُّسْكِ<sup>(٣)</sup> .

(١) أشعث أغير : مثقبت الشعر أغبره .

(٢) جديلاً : فرحاً .

(٣) النسك : الحج تلوّحاً وذلك بعد أداء الفريضة .

فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ :

إِذْنُكَ يَبْدِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَمَضِ مَتَى شِئْتَ ...  
وَقَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِمَبْلَغٍ مِنَ الْمَالِ يُعِينُكَ عَلَى حَاجِكَ .  
فَقَالَ لَهُ :

وَهَلْ سَتَأْتُرُونِي بِمِثْلِ هَذَا الْمَالِ لِكُلِّ جُنْدِيٍّ مِنْ جُنُودِكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ۱۹ .  
فَقَالَ : لَا ...

فَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِشَيْءٍ أُخْصِ بِهِ (١) مِنْ دُونِ جُنْدِ الْمُسْلِمِينَ .  
ثُمَّ وَدَّعَهُ وَانْصَرَفَ ...

\* \* \*

سَقَ (٢) سَفَرُ مُحَمَّدٍ بْنِ وَاسِعٍ الْأَزْدِيِّ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ كَمَا سَقَ  
عَلَى جُنْدِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ حَظُّوا بِصُحْبَتِهِ (٣) .

وَأَسَفُوا لِحِزْمَانِ جَنَيْهِمْ الظَّافِرِ مِنْ بَرَكَاتِهِ ، وَتَمَنَّوْا عَلَيْهِ أَنْ يَغُودَ إِلَيْهِمْ  
جِئْنَ يَفْرَغَ مِنْ قَضَائِهِ نُسْكِهِ .

وَلَا غَرَوْ (٤) فَقَدْ كَانَ قَوَادُ الْمُسْلِمِينَ الْمُنْتَشِرُونَ فِي أَرْجَاءِ الْمَغْمُورَةِ  
يَخْرِصُونَ أَشَدَّ الْحَرِصِ عَلَى أَنْ يَكُونَ عَابِدُ « الْبَصْرَةِ » مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ الْأَزْدِيِّ  
فِي عِدَادِ جَنَيْهِمْ ...

وَكَانُوا يَسْتَبْشِرُونَ بِوُجُودِهِ مَعَهُمْ خَيْرًا كَثِيرًا ...

وَيَخْرُجُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَهَبَهُمُ النَّصْرَ الْمُؤَزَّرَ بِصَالِحِ دَعَوَاتِهِ ...

(١) أَخْصَى : مَرَاتَعَهُ .

(٢) سَقَى : لَا غَرَوْ : لَا عَجَب .

(٣) أَخْصَى ٤ : أَمِيرٌ ٥ عَلَى الْآخَرِينَ .

(٤) سَقَى : مَتَّبَعَ .

وَجَزِيلٌ <sup>(١)</sup> بِرَّكَاتِهِ ...

\* \* \*

وَتَقْدُ ؛ فَمَا أَكْرَمَ هَذِهِ النَّفُوسَ الَّتِي كَانَتْ صَغِيرَةً فِي عُيُونِ أَنْفُسِهَا ...  
كَبِيرَةً عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ .  
وَمَا أَجَلُ هَذَا التَّارِيخِ الَّذِي ظَهَرَ بِهِؤَلَاءِ الْأَفْدَاذِ <sup>(٢)</sup> مِنْ رَوَائِعِ الرِّجَالِ .  
وَالْيَ لِقَاءِ آخَرٍ مَعَ عَابِدِ « البَصْرَةِ » مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعِ الْأَزْدِيِّ .

---

(١) جميل بركاته : والفرد تقاه وصلحه .  
(٢) الأفذاذ : النامرون الذين لا نظير لهم .

# مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ الْأَزْدِيُّ

عَايِدُ الْبَصْرِ وَزِينُ الْفَقَهاءِ

«إِنْ إِصْبَحَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ الْأَزْدِيُّ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَلْفِ سَيْفٍ شَهِيرٍ ...  
يَنْجِلُهَا أَلْفُ شَابٍ طَرِيرٍ ...»

[قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ]

نَحْنُ الْآنَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ لِلْهِجْرَةِ ...

وَهَذَا مَفْخَرَةُ الْمُسْلِمِينَ الْقَائِدِ الْفَاتِحِ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيِّ ، يَنْهَدُ<sup>(١)</sup>  
بِجَيْشِهِ اللَّجَبِ<sup>(٢)</sup> مِنْ مَدِينَةِ «مَرْو»<sup>(٣)</sup> مُتَوَجِّهًا إِلَى مِثْلَقَةِ «بُخَارَى»<sup>(٤)</sup>.

فَقَدْ عَقَدَ الْعَزَمَ عَلَى أَنْ يَفْتَحَ مَا تَبَقَّى مِنْ بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ<sup>(٥)</sup> ...

وَأَنْ يَغْزُو أَطْرَافَ «الصِّين» ...

وَأَنْ يَضْرِبَ عَلَى أَهْلِهَا الْجَزِيَّةَ<sup>(٦)</sup>.

لَكِنَّ قُتَيْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ مَا كَادَ يَغْبِرُّ نَهْرَ «سِيحُون»<sup>(٧)</sup> حَتَّى نَذَرَ<sup>(٨)</sup> بِهِ أَهْلُ  
«بُخَارَى» ، فَهَبُّوا يَذْقُونَ طُيُولَ الْحَرْبِ فِي كُلِّ مَكَانٍ .

وَطَفِقُوا يَسْتَضْرِحُونَ الْأَقْوَامَ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ مِنَ «الصُّغْد»<sup>(٩)</sup> ...

(١) يَنْهَدُ : يَخْرُجُ .

(٢) اللَّجَبُ : الْجَرَارُ ذُو الْجَبَابَةِ .

(٣) مَرْوُ : هِيَ «مَرْوُ الرُّود» إِحْدَى حَوَاضِرِ الْفَرَسِ ، مَاتَ فِيهَا الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ .

(٤) بُخَارَى : مَدِينَةٌ فِي أَوْرُكْسْتَانَ عَلَى مِلْقَافِ الطَّرِيقِ بَيْنَ فَارَسَ وَرُوسِيَا وَالْهِنْدَ وَالصِّينَ .

(٥) مَا وَرَاءَ النَّهْرِ : مَا وَرَاءَ نَهْرِ «سِيحُون» فِي خِرَاسَانَ .

(٦) الْجَزِيَّةُ : مَا يُؤْخَذُ مِنْ أَهْلِ الذُّلَّةِ .

(٧) نَهْرُ سِيحُون : نَهْرٌ شَهِيرٌ كَبِيرٌ وَاقِعٌ بَعْدَ سَمَرْقَنْدَ .

(٨) نَذَرَ بِهِ : عَلِمَ بِهِ وَاسْتَعَدَّ لَهُ .

(٩) الصُّغْدُ : أُمَّةٌ دَخَلَتْ فِي طَاعَةِ الْفَرَسِ .



وَالْتُرْكُ ...

وَالصِّينِ ...

وغيرهم ، وغيرهم ...

فَقَدْ قُتِلَ عَلَيْهِمْ جُمُوعُ الْمُقَاتِلِينَ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وَعِزٍّ ، وَلُغَةٍ وَدِينٍ ...  
حَتَّى بَلَغُوا أَضْعَافَ أَضْعَافِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ غَدَةً وَعَدَدًا .

ثُمَّ إِنَّهُمْ تَادَرَوْا فَسَدُّوا فِي وَجْهِهِ الْمُسْلِمِينَ أَقْوَاةَ الطَّرِيقِ ...  
وَأَغْلَقُوا دُونَهُمُ الثُّغُورَ وَالْمَسَالِكَ ...

حَتَّى إِنْ قُتِيَتْ بَنُ مُسْلِمٍ لَمْ يَسْتَطِيعْ أَنْ يُسَرِّبَ <sup>(١)</sup> إِلَيْهِمْ سَرِيَّةً صَغِيرَةً مِنْ  
سَرَاتِيهِ لِيَتَحَسَّسَ أَحْوَالَهُمْ ، وَتَأْتِيَهُ بِأَخْبَارِهِمْ ...  
كَمَا لَمْ يَسْتَطِيعْ أَحَدٌ مِنْ عُيُونِهِ الْمُتَبَيِّنِينَ يَنْتَهِدُوا إِلَيْهِ .

\* \* \*

عَسَكَرَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ بِجَيْشِهِ بِالْقُرْبِ مِنْ مَدِينَةِ « بِيكَنْد » <sup>(٢)</sup> ، وَتَسَكَّرَ فِي  
مَكَانِهِ لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ ...

فَأَخَذَ الْعَدُوُّ يَبْزُزُ لَهُ مَعَ إِشْرَاقِهِ كُلَّ صَبَاحٍ بِطَلِيقَةٍ مِنْ طَلَائِعِهِ ، فَتَنَاشَوْا  
جَيْشَهُ مَسْحَابَةَ النَّهَارِ كُلِّهِ ...

فَإِذَا جَرَّ <sup>(٣)</sup> عَلَيْهَا اللَّيْلُ عَادَتْ إِلَى قَوَاعِدِهَا الْحَصِينَةِ الْأَمِينَةِ .

وَقَدْ اسْتَمَرَّ الْأَمْرُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ...  
وَقُتِيَتْ فِي خَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ .

---

(١) يُسَرِّبُ : يُدْخِلُ خَفِيَةً .

(٢) بِيكَنْد : إِحْدَى مَدَنٍ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ .

(٣) جَرَّ : جَنَّ اللَّيْلُ : أَظْلَمَ .

فَهَرَّ لَا يَذْرِي أُيُحْجِمُ<sup>(١)</sup> أَمْ يُقْدِمُ ؟ .

ثُمَّ مَا لَيْتَ أَنْ بَلَغْتَ أَخْبَارَ قُتَيْبَةَ وَجُنْدِيهِ أَشْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ .

فَجَزَعَ النَّاسُ أَشَدَّ الْجَزَعِ عَلَى الْجَيْشِ الْكَبِيرِ الَّذِي لَمْ يُفْهَرِ ...

وَالْقَائِدِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَمْ يُغْلَبَ .

وَصَدَرَتْ التَّوْجِيهَاتُ إِلَى الْوَلَاةِ فِي الْأَمْصَارِ بِأَنْ يُدْعَى لِجُنْدِ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَرْبِّصِينَ<sup>(٢)</sup> فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ إِثْرَ كُلِّ صَلَاةٍ .

فَأَخَذَتْ مَسَاجِدُ الْمُسْلِمِينَ تَضِجُ<sup>(٣)</sup> مِنْ أَجْلِهِمْ بِالدُّعَاءِ ...

وَطَفِئَتْ مَاذَنْهُمْ تَعِجُ<sup>(٤)</sup> بِالصَّرَاعَةِ وَالْإِنْتِهَالِ ...

وَدَأَبَ الْأَيُّمَةُ يُقْتَتُونَ<sup>(٥)</sup> فِي كُلِّ صَلَاةٍ .

وَهَبَ لِنَجْدَةِ الْجَيْشِ الْعَتِيدِ<sup>(٦)</sup> خَلْقٌ كَثِيرٌ ...

وَكَانَ يَتَقَدَّمُهُمُ التَّابِعِيُّ الْجَلِيلُ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ الْأَزْدِيُّ .

\* \* \*

كَانَ لِقُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيِّ عَيْنُ<sup>(٧)</sup> مِنْ أَتْنَاءِ الْعَجَمِ ؛ مَشْهُودٌ لَهُ بِالْحُنُكَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالِدَهَاءٍ يُقَالُ لَهُ « تَيْذَرُ » ...

فَاسْتَمَالَهُ الْأَعْدَاءُ إِلَيْهِمْ ، وَتَذَلُّوا لَهُ الْمَالَ بِسَخَاءٍ ...

(١) أحجم عن الأمر : رجع عنه وتأخر عن فعله .

(٢) المتربصين : المتظرين حتى تكشف الأمور .

(٣) تضيح بالدعاء : ترفع أصواتها بالدعاء ، وتغلا به الأرض .

(٤) تعج بالصراعة : تصبح تذللًا لله .

(٥) يقتتون : يذعنون الله ويسألونه النصر .

(٦) العتيد : القوي .

(٧) عين : جاسوس .

وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ حِيلَتَهُ وَذَكَاءَهُ فِي تَوْهِينِ<sup>(١)</sup> قُوَى الْمُسْلِمِينَ ،  
وَحَمْلِهِمْ عَلَى مُعَادَرَةِ الْبِلَادِ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ ...

\* \* \*

دَخَلَ « تَيْذَرُ » عَلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيِّ .  
وَكَانَ مَجْلِسُهُ حَافِلًا بِكِبَارِ الْقَوَادِ وَوُجُوهِ الْجُنْدِ ، فَأَخَذَ مَكَانَهُ إِلَى  
جَانِبِهِ ، ثُمَّ مَالَ عَلَيْهِ وَهَمَسَ فِي أُذُنِهِ قَائِلًا :  
أَخْلِي<sup>(٢)</sup> مَجْلِسَكَ أَهْلَهَا الْأَمِيرُ إِذَا شِئْتَ .  
فَأَشَارَ قُتَيْبَةُ إِلَى مَنْ فِي الْمَجْلِسِ ، فَأَنْصَرَفُوا جَمِيعًا إِلَّا ضِرَارَ بْنَ الْحَصَنِ  
فَقَدِ اسْتَبَقَاهُ قُتَيْبَةُ .

عِنْدَ ذَلِكَ التَّمَتَّ « تَيْذَرُ » إِلَى قُتَيْبَةَ وَقَالَ :  
لَكَ عِنْدِي أَخْبَارٌ أَهْلَهَا الْأَمِيرُ ...  
فَقَالَ قُتَيْبَةُ - فِي لَهْفَةٍ - : هَاتِيهَا .  
فَقَالَ « تَيْذَرُ » : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - فِي دِمَشْقَ - قَدْ عَزَلَ الْحَبَّاجَ بْنَ  
يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ ...

وَعَزَلَ الْقَوَادِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُ ، وَأَنْتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ...  
وَوَلَّى عَلَى الْجُيُوشِ قَوَادًا جُدَدًا ، وَوَجَّهَهُمْ إِلَى أَعْمَالِهِمْ ...  
وَأَنْ خَلَقَكَ<sup>(٣)</sup> قَادِمٌ عَلَيْكَ بَيْنَ عَشِيرَةٍ وَضَحَاهَا .  
وَالرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تَتَصَرَّفَ بِحَيْثُ شِئْتَ عَنْ هَذِهِ الدِّيَارِ ...

(١) تَوْهِينُ الْقُوَى : إِسْحَافُ الشُّرَى وَضَحْضَحُهَا .

(٢) أَخْلَى مَجْلِسَكَ : فَرَّغَ مَجْلِسَكَ مِنَ النَّاسِ .

(٣) خَلَقَكَ : الْإِذِي سَيَخْلُقُكَ وَحَلَّ مَحَلَّكَ .

وَأَنْ تَعُوذَ إِلَى «مَرْو» لِتَتَذَكَّرَ أَمْرَكَ بَعِيداً عَنْ سَاحَابِ الْمَعَارِكِ .

\* \* \*

مَا كَادَ «تَيْذَرُ» يُبَيِّنُ كَلَامَهُ حَتَّى دَعَا قُتَيْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ عَلَامَهُ «سَيَّاهُ» ، فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ :

اضْرِبْ عَنْقَ هَذَا الْخَائِنِ يَا «سَيَّاهُ» ...

فَضْرَبَ «سَيَّاهُ» عَنْقَهُ ، وَعَادَ مِنْ حَيْثُ أَتَى ...

وَهُنَا التَّمَّتْ قُتَيْبَةُ إِلَى ضِرَارِ بْنِ الْحَصَنِ وَقَالَ :

لَيْسَ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ سَمِعَ هَذَا الْخَبَرَ غَيْرِي وَغَيْرِكَ ، وَإِنِّي أَقِيمُ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ لَئِنْ ظَهَرَ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ تَنْقُضِي حُرُوبَنَا هَذِهِ لِأَلْحِقَنَّكَ بِهَذَا الْغَادِرِ ...

فَإِذَا كَانَتْ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ ، فَاحْفَظْ<sup>(١)</sup> عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ ابْنِشَارَ هَذَا الْحَدِيثِ يَفُتُّ<sup>(٢)</sup> فِي عَصِيدِ الْجُنْدِ ...

وَيُنْزِلُ بِنَا هَزِيمَةً مُنْكَرَةً .

ثُمَّ أَذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ .

فَلَمَّا رَأَوْا «تَيْذَرَ» مُجْتَذِلًا<sup>(٣)</sup> عَلَى الْأَرْضِ ، غَارِقًا فِي دِمَائِهِ ... وَقَفُوا وَاجِمِينَ<sup>(٤)</sup> مُطْرِقِينَ<sup>(٥)</sup> مُؤْتَاعِينَ ...

فَقَالَ لَهُمْ قُتَيْبَةُ : مَا يَزُوعُكُمْ<sup>(٦)</sup> مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ غَادِرٍ خَائِنٍ ؟

فَقَالُوا : كُنَّا نَطْلُبُهُ نَاصِحاً لِلْمُسْلِمِينَ .

(١) احفظ لسانك : اكنم الأمر ولا تحدث به أحداً . (٤) واجمين : دهمين متحيرين .

(٢) يفت في عصيد الجند : يوهن قوة الجند . (٥) مطرقين : ساكنين .

(٣) مجتذلاً : صريعاً . (٦) ما يزوعكم : ما يزعركم .

فَقَالَ : بَلْ كَانَ عَاشًا لَهُمْ ، فَأَخَذَهُ اللَّهُ بِذَنْبِهِ .

ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ :

وَالآنَ انْصَرِفُوا إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ ... وَالْقُوَّةُ يَقْلُوبُ غَيْرِ الْقُلُوبِ الَّتِي كُنْتُمْ تَلْقَوْنَهُ بِهَا مِنْ قَبْلُ .

\* \* \*

صَدَعَ<sup>(١)</sup> الْجُنْدُ بِأَمْرِ قَائِدِهِمْ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ ، وَغَبَرُوا الثُّغُورَ لِلِقَاءِ الْعَدُوِّ ...

فَلَمَّا تَصَافَّ الْجَيْشَانِ<sup>(٢)</sup> رَأَى الْمُسْلِمُونَ مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ ، وَوَفَرَةِ عُدَّتِهِ وَعَتَادِهِ مَا مَلَأَ نُفُوسَهُمْ خَشْيَةً مِنْهُ ... وَهَيْبَةً لَهُ ...

وَأَحْسَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ بِمَا يَغْتَمِلُ<sup>(٣)</sup> فِي أَفْئِدَةِ جُنْدِهِ ، فَجَعَلَ يَطُوفُ بَيْنَ الْكُتَائِبِ وَيَشْحَذُ<sup>(٤)</sup> الْهِمَمَ ، وَيَشْدُ الْعَزَائِمَ ...

ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ وَقَالَ :

أَيُّنَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ الْأَزْدِيُّ ۱۹ .

فَقَالُوا : إِنَّهُ هُنَاكَ فِي السِّيمَةِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ .

فَقَالَ : وَمَا يَفْعَلُ ؟

فَقَالُوا : إِنَّهُ مُتَكَبِّرٌ عَلَى رُفْعِهِ ، شَاخِصٌ بِبَصَرِهِ ، يُحَرِّكُ لِصَبْعِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ ... أَفْتَنَادِيهِ لَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟

فَقَالَ : بَلْ دَعُوهُ ...

(٣) يحمل : يضطرب وينفعل .

(٤) يشد الهمم : يقوي الهمم ويثيرها .

(١) صدع الجند بالأمر : مضوا فيه ، وحققوه .

(٢) تصافف الجيشان : اجتمعا صفين .

ثُمَّ أَرَدَفَ يَقُولُ : وَاللَّهِ إِنْ تِلْكَ الْإِصْبَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَلْفِ سَيْفٍ شَهِيرٍ ؛  
يَجْعَلُهَا أَلْفُ شَابٍ طَيْرٍ (١) ...

اَثْرُكُوهُ يَدْعُو ...

فَمَا عَرَفْتَاهُ إِلَّا مُسْتَجَابَ الدُّعَاءِ ...

\* \* \*

تَرَاحَفَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ وَجَيْشُ عَدُوِّهِمْ كَمَا تَرَاحَفُ الْأَسُودُ  
الصُّوَارِي (٢) ...

والتَّقَى الْجَمْعَانِ كَمَا تَلْتَقِي أَمْوَاجُ الْبَحْرِ الْمُتَلَاطِمَةُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ...

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ السَّكِينَةَ ... وَأَمَدَّهُمْ بِرُوحٍ مِنْ عِنْدِهِ .

فَمَا زَالُوا يُجَالِدُونَ (٣) عَدُوَّهُمْ نَهَارَهُمْ كُلَّهُ حَتَّى إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ زَلَزَلُ (٤)  
اللَّهُ أَفْئَادَ الْمُشْرِكِينَ ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ...

فَمَتَحُوا (٥) ظُهُورَهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ ...

فَرَكِبَهُمُ الْمُجَاهِدُونَ قَتْلًا ، وَأَسْرًا ، وَتَشْرِيدًا .

عِنْدَ ذَلِكَ سَأَلُوا قُتَيْبَةَ الصُّلَحِ وَالْفِدْيَةَ (٦) ... فَصَالَحَهُمْ .

\* \* \*

كَانَ فِي جُمْلَةِ أَسْرَى الْأَعْدَاءِ رَجُلٌ خَبِثُ النَّفْسِ ، مُسْتَطِيرٌ (٧) الشَّرَّ ،  
شَدِيدُ الْأَثَرِ فِي تَأْلِيْبِ (٨) قَوْمِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ... فَقَالَ لِقُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ :  
أَنَا أَفِيدِي نَفْسِي أَهْلِهَا الْأَمِيرُ .

(١) طَيْرٌ : ذُو شَارِب .

(٢) الصُّوَارِي : الْبَنِي تَلْهَجَ بِالْعَبْدِ ، وَتَدْفَعُ إِلَيْهِ .

(٣) يُجَالِدُونَ : يُضَارِبُونَ بِالسُّيُوفِ .

(٤) زَلَزَلَ أَفْئَادَهُمْ : كَرَجَفَ أَفْئَادَهُمْ .

(٥) مَتَحُوا ظُهُورَهُمْ : وَلَّوْا هَارِبِينَ .

(٦) الْفِدْيَةُ : اسْتِغَاذَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمَالِ .

(٧) مُسْتَطِيرُ الشَّرِّ : شَدِيدُ الشَّرِّ قَوْمِهِ .

(٨) تَأْلِيْبُ قَوْمِهِ : إِثَارَةُ قَوْمِهِ .

فَقِيلَ لَهُ : وَكَمْ تَبْذُلُ ۱۹ .

فَقَالَ : خَمْسَةَ آلَافٍ حَرِيرَةٍ « صَبِيئَةٍ » (١) ثَمَنُهَا أَلْفُ أَلْفٍ .

فَالْتَفَتَ فَتَبَيَّنَتْ لَهُ إِلَى وَجْهِهِ الْجُنْدُ ، وَقَالَ : مَا تَرَوْنَ ؟

فَقَالُوا : نَرَى أَنَّ هَذَا الْمَالَ سَيَرِيدُ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ ...

ثُمَّ إِنَّا بَعْدَ أَنْ أَخْرَجْنَا هَذَا النُّصْرَ لَمْ نَعُدْ نَحْشَى بِأَسَى هَذَا الرَّجُلِ ،  
وَأَمْثَالِهِ ...

فَالْتَفَتَ فَتَبَيَّنَتْ لَهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ الْأَزْدِيِّ وَقَالَ :

وَمَا تَقُولُ أَنْتَ يَا أَبَا عُبَيْدٍ اللَّهُ ؟

فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ لِجَمْعِ الْعَنَائِمِ ،  
وَتَكْدِيسِ (٢) الْأَمْوَالِ ، وَإِنَّمَا خَرَجُوا مَرْضَاةَ (٣) لِلَّهِ ...

وَنَشْرَ لِيَدِيهِ فِي الْأَرْضِ ...

وَقَهْرًا لِأَعْدَائِهِ .

فَقَالَ فَتَبَيَّنَتْ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ...

وَاللَّهِ لَا أَدْعُهُ يُرَوِّعُ امْرَأَةً مُثْلِمَةً بَعْدَ الْمَاعَةِ ، وَلَوْ بَذَلَ مَالُ الدُّنْيَا فِدَاءً

لِنَفْسِهِ ...

ثُمَّ أَمَرَ بِقَتْلِهِ .

\* \* \*

(١) صبيئة : من صنع الصين .

(٢) تكديس الأموال : الاستكثار من الأموال ، وجعلها أكثافاً .

(٣) مرضاة لله : لإرضاء الله وتبليغ ثوابه .

لَمْ تَقْتَصِرْ صَلَٰةَ مُحَمَّدٍ بْنِ وَاسِعٍ الْأَزْدِيِّ بِأَمْرَائِي « أُمَيَّة » عَلَى يَزِيدَ بْنِ  
الْمُهَلَّبِ ، وَتَقِيَّةَ بْنِ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيِّ ...

وَأِنَّمَا امْتَنَدْتُ إِلَى غَيْرِهِمَا مِنَ الْوَلَاةِ وَالْأَمْرَاءِ .

وَكَانَ مِنْ أَتَرِكٍ مَنِ اتَّصَلَ بِهِمْ وَالِي « الْبَصْرَةِ » بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ .

وَلَقَدْ كَانَ لَهُ مَعَ هَذَا الْوَالِي مَوَاقِفٌ مُتَدَاوِلَةٌ<sup>(١)</sup> مَشْهُورَةٌ ، وَأَخْبَارٌ مَزُورَةٌ  
مَأْثُورَةٌ<sup>(٢)</sup> ...

مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَهُوَ لَا يَسُ مِذْرَعَةً<sup>(٣)</sup> خَشِينَةً مِنْ  
الصُّوفِ ، فَقَالَ لَهُ بِلَالُ :

مَا يَدْعُوكَ إِلَى لُبْسِ هَذَا الْكِسَاءِ الْخَشِينِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ۙ ۙ .

فَتَسَاوَلَ عَنْهُ الشَّيْخُ ، وَلَمْ يُجِبْهُ ...

فَتَنَظَّرَ إِلَيْهِ وَقَالَ : مَا لَكَ لَا تُجِيبُنِي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ۙ ۙ .

فَقَالَ :

أُكْرَهُ أَنْ أَقُولَ زُهْدًا ، فَأَزْكِي<sup>(٤)</sup> نَفْسِي ...

وَأُكْرَهُ أَنْ أَقُولَ فَقْرًا ، فَأَشْكُو رَبِّي ...

وَأَنَا لَا أُرِيدُ هَذَا وَلَا ذَاكَ .

فَقَالَ لَهُ : أَلَيْكَ مِنْ حَاجَةٍ فَتَقْضِيهَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ۙ ۙ .

فَقَالَ : أَمَّا أَنَا فَمَا لِي مِنْ حَاجَةٍ أَشَآلُهَا<sup>(٥)</sup> أَحَدًا مِنَ النَّاسِ ...

(١) متداولة : متعاقلة .

(٢) مأثورة : محفوظة متداولة بين الناس .

(٣) مِذْرَعَةٌ : جبة مشقولة الملقم ، وجمعها مِذْرَعٌ .

(٤) أَزْكِي نَفْسِي : أرفع من شأن نفسي .

(٥) أَشَآلُهَا أَحَدًا : أطلبها من أحد .



وَأِنَّمَا أَتَيْتُكَ فِي حَاجَةٍ لِأَخٍ مُسْلِمٍ ...  
فَإِنْ أَدِنَ اللَّهُ فِي قَضَائِهَا قَضِيَّتَهَا ، وَكُنْتُ مَحْمُوداً ...  
وَإِنْ لَمْ يَأْدِنْ فِي قَضَائِهَا لَمْ تَقْضِهَا ، وَكُنْتُ مَعْدُوراً .  
فَقَالَ : بَلْ تَقْضِيهَا بِإِذْنِ اللَّهِ .  
ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ الْوَالِي وَقَالَ :  
مَا تَقُولُ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ؟ .  
فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ...  
إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْأَلُ عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ ...  
وَأِنَّمَا يَسْأَلُهُمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ .  
فَاسْتَحْيَيْ مِنْهُ الْوَالِي وَلَدًا<sup>(١)</sup> بِالصُّمْتِ .  
وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عِنْدَهُ حَانَ مَوْعِدُ عِدَائِهِ ، فَدَعَاهُ الْوَالِي إِلَى طَعَامِهِ ، فَأَتَى  
ذَلِكَ ... فَأَلْعَ عَلَيْهِ ؛ فَجَعَلَ يَتَعَلَّلُ<sup>(٢)</sup> بِشَتَّى الْجِلَلِ ...  
فَقَضِبَ الْوَالِي وَقَالَ :  
أَرَأَيْكَ تَكْزُرُهُ أَنْ تُصِيبَ<sup>(٣)</sup> شَيْئًا مِنْ طَعَامِنَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ !!! .  
فَقَالَ لَهُ : لَا تَقُلْ ذَلِكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ...  
فَوَاللَّهِ إِنْ خِيَارَكُم - مَعْشَرَ الْأَمْرَاءِ - لِأَحَبِّ إِلَيْنَا مِنْ أَهْبَاتِنَا وَخَاصَّةِ<sup>(٤)</sup>  
أَهْلِينَا .

\* \* \*

(٣) تصيب من طعامنا : تناول شيئاً من طعامنا .

(٤) خَاصَّةُ أَهْلِينَا : أقرب ذوي قربانا .

(١) لَدَا بِالصُّمْتِ : التجأ إِلَى الصمت .

(٢) يَتَعَلَّلُ : يبدى العاذر ويظهر الحجج .

وَلَقَدْ دُعِيَ مُحَمَّدٌ بْنُ وَاسِعٍ الْأَزْدِيُّ لِتَوَلَّى مَنَاصِبَ الْقَضَاءِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ  
فَأَبَى (١) ذَلِكَ أَشَدَّ الْإِبَاءِ ...

وَعَرَضَ نَفْسَهُ بِسَبَبِ إِبَائِهِ لِلْإِبْدَاءِ ...  
مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُثَنِّيرِ صَاحِبَ شُرْطَةِ «الْبَصْرَةِ» دَعَاهُ إِلَيْهِ ،  
وَقَالَ :

إِنَّ أَمِيرَ «اليراق» طَلَبَ مِنِّي أَنْ أَدْعُوكَ لِتَوَلَّى الْقَضَاءِ ، فَقَالَ :  
اغْفُونِي مِنْ ذَلِكَ غَافَاكُمْ اللَّهُ .

فَعَاوَدَهُ (٢) مَتْنً وَثَلَاثَ ، فَأَصْرَّ عَلَى إِبَائِهِ .  
فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ لَتَتَوَلَّى الْقَضَاءَ ، أَوْ لَأَجْلِدَنَّكَ (٣) ثَلَاثِينَ جَلْدَةً ،  
وَلَأَعْدَرَنَّكَ (٤) .

فَقَالَ لَهُ : إِنْ تَفَعَّلَ فَإِنَّكَ مُسْلَطٌ (٥) ...  
وَإِنْ مُعَذِّبَ الدُّنْيَا خَيْرٌ مِنْ مُعَذِّبِ الْآخِرَةِ ...  
فَحَجَلَ مِنْهُ ، وَصَرَفَهُ بِالْحُسْنَى

\* \* \*

وَلَقَدْ كَانَ مَجْلِسُ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ فِي مَسْجِدِ «الْبَصْرَةِ» مَوْجِلًا (٦)  
لِطُلَّابِ الْعِلْمِ ... وَمَنْهَلًا (٧) لِشِدَاوِ (٨) الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ .  
وَلَقَدْ حِفَلْتُ كُتُبَ التَّارِيخِ وَالسِّيَرِ بِاخْتِبَارِ مَجَالِسِهِ هَذِهِ .

(١) أَبَى ذَلِكَ : امتنع من ذلك ورفضه .  
(٢) عَاوَدَهُ : طلب منه مرة بعد مرة .  
(٣) أَجْلَدَنَّكَ : أضربك .  
(٤) أَعْدَرَنَّكَ : أفضحك وأشقرَّكَ بك .  
(٥) مُسْلَطٌ : مطلق اليد .  
(٦) مَوْجِلًا : ملأًا ومرجعاً .  
(٧) مَنْهَلًا : مورداً .  
(٨) شِدَاوِ الْحِكْمَةِ : طلاب الحكمة ورغابها .

مِنْ ذَلِكَ أَنْ أَحَدَهُمْ قَالَ لَهُ :

أَوْصِنِي يَا أَبَا عَبِيدِ اللَّهِ .

فَقَالَ : أَوْصِيكَ أَنْ تَكُونَ مَلِكًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

فَدَهِشَ السَّائِلُ وَقَالَ :

وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ يَا أَبَا عَبِيدِ اللَّهِ ۚ .

فَقَالَ : ازْهَدْ بِعَرَضٍ <sup>(١)</sup> الدُّنْيَا تَكُنْ مَلِكًا هُنَا بِالْإِسْتِغْنَاءِ عَمَّا فِي أَيْدِي

النَّاسِ ...

وَمَلِكًا هُنَاكَ بِالْفَوْزِ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حُسْنِ الثَّوَابِ ...

وَقَالَ لَهُ آخَرُ :

إِنِّي لِأُحِبَّكَ فِي اللَّهِ يَا أَبَا عَبِيدِ اللَّهِ .

فَقَالَ : أَحْبَبَكَ اللَّهُ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي مِنْ أَجْلِهِ ...

ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَقُولُ :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُحِبَّ فِيكَ وَأَنْتَ لِي مَأْقَتٌ <sup>(٢)</sup> .

وَكَانَ كُلُّمَا سَمِعَ ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَيْهِ ، وَإِطْرَاءَهُمْ <sup>(٣)</sup> لِيَتَّقُوهُ وَعِبَادَتِيهِ ، يَقُولُ

لَهُمْ :

لَوْ كَانَ لِلذُّنُوبِ رَائِحَةٌ تَفُوحُ مَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنْ يَذْنُوَ مِنِّي لِمَا

يُصِيبُهُ مِنْ أَذَى رَائِحَتِي .

\* \* \*

(٢) مَأْقَتٌ : مدحهم .

(١) عرض الدنيا : الرزاق الذي لا يقاء له . (٢) مَأْقَتٌ : كاره .

وَقَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ وَاسِعٍ لَا يَفْتَأُ يَحُضُّ<sup>(١)</sup> طَلَّابَهُ عَلَى الزَّيَامِ كِتَابِ اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ وَالْعَيْشِ فِي أَكْتَافِهِ<sup>(٢)</sup> وَيَقُولُ :

الْقُرْآنُ بُشْتَانُ الْمُؤْمِنِ ... فَأَيْنَمَا حَلَّ مِنْهُ ؛ نَزَلَ فِي رَوْضَةٍ ...  
كَمَا كَانَ يُوصِيهِمْ بِقِلَّةِ الطَّعَامِ فَيَقُولُ :  
مَنْ قَلَّ طَعَامُهُ فَهِمَ ، وَأَفْهَمَ ...  
وَصَفَا وَرَقٌ ...

وَأَنَّ كَثْرَةَ الطَّعَامِ لَتُنْقِلُ<sup>(٣)</sup> الرَّجُلَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يُرِيدُ .

\* \* \*

وَقَدْ بَلَغَ مُحَمَّدٌ بْنُ وَاسِعٍ مِنَ الثَّقَلَى وَالْوَرَعِ مَبْلَغًا عَظِيمًا ... وَرُوِيَ لَهُ فِي  
ذَلِكَ أَحْبَابٌ كَثِيرَةٌ ...

مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ رُئِيَ فِي السُّوقِ ، وَهُوَ يَغْرِضُ لِلْبَيْعِ حِمَارًا لَهُ ؛ فَسَأَلَهُ رَجُلٌ :  
أَتَرْضَاهُ لِي أَبْهَا الشَّيْخِ ؟ .

فَقَالَ : لَوْ رَضِيئُهُ لِنَفْسِي مَا بَعْتُهُ .

\* \* \*

وَقَدْ عَاشَ مُحَمَّدٌ بْنُ وَاسِعٍ حَيَاتَهُ كُلَّهَا فِي وَجَلٍ<sup>(٤)</sup> مِنْ دُنُوبِهِ ...  
وَالِشَّقَاقِ<sup>(٥)</sup> مِنَ الْعَرَضِ عَلَى رَبِّهِ ...  
فَكَانَ إِذَا قِيلَ لَهُ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ؟ .  
أَجَابَ قَائِلًا :

(١) يحض طَلَّابَهُ : بحث تلاميذه .

(٢) أَكْتَافُهُ : رجاؤه .

(٣) لَتُنْقِلُ الرَّجُلَ : تعوق الرَّجُلَ .

(٤) الْوَجَلُ : الخوف والغلق .

(٥) الْإِشْقَاقُ : الحزن .

أَصْبَحْتُ قَرِيباً أَجْلِي ...

بَعِيداً أَمَلِي ...

سَيِّئاً عَمَلِي ...

فَإِذَا رَأَى سَيِّئاً مِنَ الدُّهْشَةِ يَتَدُو عَلَى مَلَامِحِ<sup>(١)</sup> سَائِلِيهِ قَالَ :

مَا ظَنُّكُمْ بِرَجُلٍ يَقْطَعُ إِلَى الْآخِرَةِ كُلَّ نَوْمٍ مَرْحَلَةً ١٩ .

\* \* \*

وَلَمَّا مَرَضَ مُحَمَّدٌ بْنُ وَاسِعٍ الْأَزْدِيُّ مَرَضَ الْمَوْتِ ؛ تَكَاثَرَ النَّاسُ عَلَى عِيَادَتِهِ حَتَّى غَصَّ مَنَزِلُهُ بِالْداخِلِينَ عَلَيْهِ وَالْخَارِجِينَ ...

وَالْقَائِمِينَ فِي مَنَزِلِهِ وَالْقَاعِدِينَ ...

فَعَالَ بِشِقِّهِ<sup>(٢)</sup> عَلَى أَحَدِ خَوَاصِّهِ وَقَالَ :

أَخْبِرْنِي مَا يُغْنِي عَنِّي هَؤُلَاءِ إِذَا أُخِذْنَا غَدًا بِالنَّوَاصِي<sup>(٣)</sup> وَالْأَقْدَامِ ١٩ ...

وَمَا يَنْقُصُونَنِي إِذَا أَلْقِيْتُ فِي النَّارِ ١٩ .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَبِّهِ وَجَعَلَ يَقُولُ :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ مَقَامٍ<sup>(٤)</sup> سُوِّ قُضِيَتْهُ ...

وَمِنْ كُلِّ مَقْعَدٍ سُوِّ قُعِدَتْهُ ...

وَمِنْ كُلِّ مَذْخَلٍ سُوِّ دَخَلَتْهُ ...

---

(١) اللامح : مظاهر الوجه وما يبدو عليه .

(٢) يشقه : يكرهه .

(٣) أخذنا غداً بالنواصي والأقدام : مجرؤنا يوم القيامة من رؤوسنا وأرجلنا .

(٤) مقام سوء قمته : موقف سوء وقفته .

وَمِنْ كُلِّ مَخْرَجٍ شَوْءٌ خَرَجْتُهُ ...  
وَمِنْ كُلِّ عَمَلٍ شَوْءٌ عَمِلْتُهُ ...  
وَمِنْ كُلِّ قَوْلٍ شَوْءٌ قُلْتُهُ ...  
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ؛ فَاعْفِرْهُ لِي ...  
وَأَتُوبُ لَكَ مِنْهُ ؛ فَتُبْ عَلَيَّ ...  
وَأُلْقِي إِلَيْكَ بِالسَّلَامِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ لِي زَمَانٌ<sup>(١)</sup> ...  
ثُمَّ فَاصَتْ رُوحُهُ (٥) ...

---

(١) قبل أن يكون لزماناً : قبل أن أحاسب وأعتل على ذلك حملاً .

(٥) للاستزادة من أخبار شُعَيْبِ بْنِ وَاسِعِ الْأَزْدِيِّ انظر :

- ١ - تاريخ البخاري : ٢٥٥ / ١ .
- ٢ - التاريخ الصغير : ٣١٨ / ١ - ٣١٩ .
- ٣ - المرح والتعديل : ١١٣ / ٨ .
- ٤ - حلية الأولياء : ٣٤٥ / ٢ - ٣٥٧ .
- ٥ - الوافي بالوفيات : ٢٧٢ / ٥ .
- ٦ - تهذيب التهذيب : ٤٩٩ / ٩ - ٥٠٠ .
- ٧ - شذرات الذهب : ١٦١ / ١ .
- ٨ - طبقات خليفة : ٢١٥ .
- ٩ - تهذيب الكمال : ١٢٨٣ .
- ١٠ - صفة الصفوة والطبقة الحلية : ٢٦٦ / ٣ .
- ١١ - تاريخ الإسلام للذهبي : ١٩٥ / ٥ .
- ١٢ - وفيات الأعيان : ٣٠٨ / ٦ .

# عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمَحَاتُ رَائِعَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ

«عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مُعَدُّودٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ  
وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ»

[النَّبِيُّ]

الْحَدِيثُ عَنِ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّادِ الرَّهْمَانِيِّ خَامِسِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ؛ حَدِيثٌ  
أَطْيَبُ مِنْ نَشْرِ (١) الْمِسْكِ ، وَأَزْهَى (٢) مِنْ قِطْعِ الرُّوضِ ...  
وَسِيرَتُهُ الْفَذَّةُ (٣) الْغَرَاءُ ؛ وَاحِدَةٌ (٤) مِعْطَارٌ ؛ أَيْتِمَا خَلَلَتْ مِنْهَا أَلْفَيْتَ نَبْتاً  
طَرِيقاً ...

وَزَهْرًا يَهْيَا ...

وَتَعْرًا جَنِيًّا (٥) ...

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي وَشْعِنَا أَنْ نَسْتَوْعِبَ الْآنَ يَلْكَ السَّيْرَةُ الَّتِي أَزْدَانُ يَهَا  
هَامٌ (٦) التَّارِيخِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَمْتَنِعُنَا مِنْ أَنْ نَقْطِفَ مِنْ رَوْضِهَا زَهْرَةً ...  
وَأَنْ نَقْبِسَ (٧) مِنْ نُورِهَا وَفَضَّةً (٨) ...  
ذَلِكَ لِأَنَّ مَا لَا يَذْرُكُ كُلَّهُ لَا يَثْرُكُ بَفَضَّةٍ .

فَالْيَاكُ ثَلَاثَ صُورٍ مِنْ حَيَاةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، تَتَّبِعُهَا صُورٌ أُخْرَى فِي  
كِتَابِ تَالِي إِذَا أَدِنَ اللَّهُ وَيَسَّرَ .

\* \* \*

(١) نشر المسك : ربح المسك . (٤) واحة مطلح : حديقة خصبة عطرة .

(٢) أزهى : أجمل . (٥) جنباً : مجنحاً يساعده . (٧) نقبس : تأخذ .

(٣) الفذة : الفريدة الرائعة . (٦) هام التاريخ : قمة التاريخ . (٨) وفضة : لمة .

أَمَّا أَوَّلَىٰ هَذِهِ الصُّورِ ؛ فَرَوَاهَا لَنَا سَلَمَةُ بْنُ دِينَارٍ <sup>(١)</sup> عَالِمُ الْمَدِينَةِ وَقَاضِيهَا  
وَشَيْخُهَا ، فَقَالَ :

قَدِمْتُ عَلَىٰ خَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ « بِخُتَاصِرَةٍ » مِنْ  
أَعْمَالِ « حَلَبَ » ، وَكَانَتْ قَدْ تَقَدَّمَتْ بِي السَّنُ ، وَبَعْدَ تِسْعِي وَتَيْنِ لِقَائِهِ الْعَهْدُ  
فَوَجَدْتُهُ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ ...

غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَعْرِفْهُ لِتَغْيِيرِ حَالِهِ عَمَّا عَهِدْتُهُ عَلَيْهِ يَوْمَ كَانَ وَالِيًا عَلَى الْمَدِينَةِ ؛  
فَرَحَّبَ بِي وَقَالَ :

أَذُنْ مِنِّي يَا أَبَا حَازِمٍ .

فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ قُلْتُ : أَلَسْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؟  
فَقَالَ : بَلَى ...

فَقُلْتُ : مَا الَّذِي حَلَّ بِكَ ۱۱؟ ... أَلَمْ يَكُنْ وَجْهَكَ بِهِمَا ...  
وَأَهَابَكَ <sup>(٢)</sup> طَرِيًّا ... وَعَيْشَكَ رَحِيًّا <sup>(٣)</sup> ...

فَقَالَ : بَلَى ...

فَقُلْتُ : فَمَا الَّذِي غَيَّرَ مَا بِكَ بَعْدَ أَنْ غَدَوْتَ تَغْلِيكَ الْأَصْفَرَ <sup>(٤)</sup>  
وَالْأَبْيَضَ ، وَأَصْبَحْتَ أَمِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ ؟

فَقَالَ : وَمَا الَّذِي تَغَيَّرَ بِي يَا أَبَا حَازِمٍ ۱؟

فَقُلْتُ : جِسْمُكَ الَّذِي نَحَلْ <sup>(٥)</sup> ...

وَجِلْدُكَ الَّذِي اخْشَوْسَنَ <sup>(٦)</sup> ...

(٤) الأصفر والأبيض : الذهب والفضة .

(٥) نحل : هزل .

(٦) اخْشَوْسَنَ : عَثَنَ .

(١) سَلَمَةُ بْنُ دِينَارٍ : انظره ص ١٨٥ .

(٢) إهَابَكَ : بشرتك وجلدك .

(٣) رَحِيًّا : ناعماً .



وَوَجْهَكَ الَّذِي اَضْفَرُوا ...

وَعَيْنَاكَ اللَّتَانِ خَبَا وَمَضُّهُمَا (١).

فَبَكَى وَقَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتَنِي فِي قَبْرِ بَعْدَ ثَلَاثِ ١٢ ...

وَقَدْ سَأَلْتَ حَدِّقَايَ (٢) عَلَى وَجْهَتِي ...

وَتَفَسَّحَ بَطْنِي وَتَشَقَّقَ ...

وَانْطَلَقَ الدَّودُ يَزْنَعُ (٣) فِي بَدْنِي .

إِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَنِي آنَذَاكَ - يَا أَبَا حَارِثٍ - لَكُنْتُ أَشَدَّ إِنْكَاراً (٤) لِي مِنْ يَوْمِكَ  
هَذَا ...

ثُمَّ رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ وَقَالَ :

أَمَّا تَذْكُرُ حَدِيثَنَا كُنْتُ حَدِّثُكَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ يَا أَبَا حَارِثٍ ؟

فَقُلْتُ : لَقَدْ حَدَّثْتُكَ بِأَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ...

فَأَيُّهَا تَقْصِدُ ؟

فَقَالَ : إِنَّهُ حَدِيثُ رِوَاةِ أَبِي هُرَيْرَةَ .

فَقُلْتُ : نَعَمْ ... أَذْكُرُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ : أَعِدْهُ عَلَيَّ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ .

فَقُلْتُ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :

(١) عينا وقضهما : عمد لهماهما .

(٢) حدقاي : عناي .

(٣) يزنع : يقطب ويجمع أكلاً وشرأ .

(٤) أشدَّ إنكاراً لي : أشدَّ جهلاً بي واستغراباً .

(إِنْ يَنْ أَيْدِيكُمْ عَقَبَةً كَوْوداً<sup>(١)</sup>، مُضْرَسَةً<sup>(٢)</sup>، لَنْ يَجُوزَهَا<sup>(٣)</sup> إِلَّا كُلُّ ضَامِرٍ<sup>(٤)</sup> مَهْزُولٍ).

فَبَكَى عَمْرُ بُكَاءَ شَدِيدٍ أَحْشِيَتْ مَعَهُ أَنْ تَنْشَقَّ مَرَارَتُهُ<sup>(٥)</sup>.

ثُمَّ كَفَكَفَ<sup>(٦)</sup> دُمُوعَهُ، وَالتَفَّتْ إِلَيْهِ وَقَالَ:

فَهَلْ تَلُومُنِي يَا أَبَا حَارِثٍ إِذَا أَنَا أَهْزَلْتُ نَفْسِي لَيْلِكَ الْعَقَبَةِ؛ رَجَاءً أَنْ أَلْجُو مِنْهَا ... وَمَا أَظُنُّنِي بِتَاجٍ ...

\* \* \*

أَمَّا الصُّورَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ صُورِ حَيَاةِ عَمْرٍ؛ فَيُزَوِّجُهَا لَنَا الطَّبِيرِيُّ عَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ مِرْدَاسٍ، فَيَقُولُ:

إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْغَزِيرِ حِينَ وَلِيَ الْخِلَافَةَ كَتَبَ إِلَيَّ سَلِيمَانُ ابْنِ أَبِي الشَّرِيِّ وَالِيهِ عَلَى الصُّغْدِ<sup>(٧)</sup> كِتَاباً قَالَ فِيهِ:

إِتَّخِذْ فِي بِلَادِكَ قَتَادِقَ لِاسْتِصْفَاةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِذَا مَرَّ بِهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ فَاسْتَصِفُوهُ يَوْمًا وَلَيْلَةً ... وَأَصْلِحُوا شَأْنَهُ<sup>(٨)</sup>، وَتَعَاهَدُوا ذَوَائِهِ.

فَإِذَا كَانَ يَشْكُرُو نَصَبًا<sup>(٩)</sup> فَاسْتَصِفُوهُ يَوْمَيْنِ وَلَيْلَتَيْنِ ... وَوَأَسُوهُ<sup>(١٠)</sup>.

فَإِذَا كَانَ مُنْقَطِعاً لَا مَوْثَنَ عِنْدَهُ وَلَا دَابَّةَ تَحْمِلُهُ؛ فَأَعْطُوهُ مَا يَشُدُّ حَاجَتَهُ، وَأَوْصِلُوهُ إِلَى بَلَدِهِ.

- |   |  |
|---|--|
| (١) كَوْوداً: شاقة المصعد، صعبة الارتفاع.     | (٦) كفكف دموعه: مسح دموعه مرة بعد مرة. |
| (٢) مُضْرَسَةً: شديدة مهلكة.                  | (٧) الصُّغْد: منطقة في أواسط آسيا.     |
| (٣) لَنْ يَجُوزَهَا: لَنْ يَخْطُهَا.          | (٨) شَأْنَهُ: حاله.                    |
| (٤) الضامِر: الهزيل الجسم من العبادة والجهاد. | (٩) نَصَباً: عناء.                     |
| (٥) مَرَارَتُهُ: جوف كبده.                    | (١٠) وَأَسُوهُ: أهنوه.                 |

فَصَدَعَ الرَّالِي بِأَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَقَامَ الْفَتَادِقَ الَّتِي أَمَرَهُ بِإِعْدَادِهَا  
فَسَرَتْ أَخْبَارُهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَطَفِقَ النَّاسُ فِي مَشَارِقِ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
وَمَغَارِبِهَا يَتَحَدَّثُونَ عَنْهَا ، وَيُشِيدُونَ بِعَدْلِ الْخَلِيفَةِ وَتَقْوَاهُ ...

فَمَا كَانَ مِنْ وَجْهِ أَهْلِ « سَمَرْقَنْدَ » <sup>(١)</sup> إِلَّا أَنْ وَقَدُوا عَلَى وَالِيهَا سُلَيْمَانَ  
ابْنِ أَبِي السَّرِيِّ وَقَالُوا :

إِنَّ سَلَفَكَ « قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيُّ » قَدْ دَهَمَ <sup>(٢)</sup> بِلَادَنَا مِنْ غَيْرِ إِذْ بَارٍ ، وَلَمْ  
يَسْلُكْ فِي حَرْبِنَا مَا تَسْلُكُونَهُ ، مَغَشَّرَ الْمُسْلِمِينَ ...

فَقَدْ عَرَفْنَا أَنَّكُمْ تَدْعُونَ أَغْدَاءَكُمْ إِلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ ...

فَإِنْ أَبَوْا ؛ دَعَوْهُمْ إِلَى دَفْعِ الْجُزْئَةِ <sup>(٣)</sup> ...

فَإِنْ أَبَوْا ؛ أَعْلَشْتُمْ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ ...

وَلِئِنْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ عَدْلِ خَلِيفَتِكُمْ وَتَقَاهُ مَا أَغْرَانَا <sup>(٤)</sup> بِشَكْوَى جَبِيحَتِكُمْ  
إِلَيْكُمْ ... وَالْإِسْتِئْصَارَ بِكُمْ عَلَى مَا أَنْزَلَهُ بِنَا قَائِدٌ مِنْ قَوَادِكُمْ .

فَأَذَّنَ - أَيُّهَا الْأَمِيرُ - يُوفِدُ مِنَّا بِأَنْ يَفِدَ <sup>(٥)</sup> عَلَى خَلِيفَتِكُمْ ، وَأَنْ يَرْفَعَ  
طَلَامَتَنَا <sup>(٦)</sup> إِلَيْهِ ...

فَإِنْ كَانَ لَنَا حَقٌّ أُعْطِينَاهُ ... وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ؛ عُذْنَا مِنْ حَيْثُ دَهَبْنَا .

فَإِذِنْ سُلَيْمَانُ يُوفِدُ مِنْهُمْ بِالْقُدُومِ عَلَى الْخَلِيفَةِ فِي « دِمَشْقَ » ، فَلَمَّا  
صَارُوا فِي دَارِ الْخِلَافَةِ رَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى خَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

(١) سَمَرْقَنْدَ : أصبحت اليوم إحدى مدن الجمهورية السوفياتية وذلك بعد أن احتلها روسيا .

(٢) دَهَمَ : غشى ولسحل .

(٣) الجزية : ما يؤخذ من أهل الذمة .

(٥) يَفِدُ : يلعب .

(٦) طَلَامَتُنَا : ما ليحق بنا من ظلم .

(٤) أَغْرَانَا : شجعنا .

فَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ كِتَابًا إِلَى وَالِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي السَّرِيِّ يَقُولُ فِيهِ :  
أَمَّا بَعْدُ ... فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَأَجْلِسْ إِلَى أَهْلِ « سَمَرْقَنْدَ » قَاضِيًا  
يَنْظُرُ فِي شَكْوَاهُمْ ...

فَإِنْ قَضَى لَهُمْ ؛ فَمُرْ بِجَيْشِ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْ يُعَادِرَ مَدِينَتَهُمْ ...  
وَأَدْعُ الْمُسْلِمِينَ الْمُقِيمِينَ بَيْنَهُمْ إِلَى التَّزْوِجِ <sup>(١)</sup> عَنْهُمْ ... وَعُودُوا كَمَا  
كُنْتُمْ وَكَانُوا ؛ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ دِيَارَهُمْ « قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيُّ » .  
فَلَمَّا قَدِمَ الْوَفْدُ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي السَّرِيِّ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابَ أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ ... بِأَدْرِ <sup>(٢)</sup> فَأَجْلَسَ لَهُمْ قَاضِي الْقَضَاةِ « جَمْعُ بْنُ حَاضِرٍ النَّاجِي » .

فَنَظَرَ فِي شَكْوَاهُمْ ، وَاسْتَفْصَى <sup>(٣)</sup> خَبَرَهُمْ ...  
وَاسْتَمَعَ إِلَى شَهَادَةِ طَائِفَةٍ مِنْ جُنْدِ الْمُسْلِمِينَ وَقَادَتِهِمْ ...  
فَاسْتَبَانَ لَهُ صِحَّةُ مُدْعَاهُمْ ...

وَقَضَى لَهُمْ ...  
عِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ الْوَالِي جُنْدَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْ يُخْلُوا لَهُمْ دِيَارَهُمْ ، وَأَنْ يَعُودُوا  
إِلَى مُقَسَّكَرَاتِهِمْ ، وَأَنْ يُتَابَذُوهُمْ <sup>(٤)</sup> كَرَّةً أُخْرَى ...  
فَإِذَا أَنْ يَدْخُلُوا بِلَادَهُمْ صَلَاحًا ...  
وَإِذَا أَنْ يَنْظَفِرُوا بِهَا حَرْبًا ...  
وَإِذَا أَلَّا يُكْتَبَ لَهُمُ الْفَتْخُ .

(١) التَّزْوِجُ عَنْهُمْ : مَقَادِرَةُ بِلَادِهِمْ .

(٢) بِأَدْرِ : أَسْرَعَ .

(٣) اسْتَفْصَى خَبَرَهُمْ : بَلَغَ الْعَايَةَ فِي الْبَحْثِ عَنْ عَمْرِهِمْ .

(٤) يُتَابَذُونَهُمْ : يَهَارُونَهُمْ .

فَلَمَّا سَمِعَ وَجْهَهُ<sup>(١)</sup> الْقَوْمَ حُكْمَ قَاضِي قَضَاةِ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ ، قَالَ  
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :

وَبِحُكْمِ<sup>(٢)</sup> ... لَقَدْ خَالَطْتُمْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ وَأَقَعْتُمْ مَعَهُمْ ، وَرَأَيْتُمْ مِنْ  
سِيرَتِهِمْ وَعَذْلِهِمْ وَصِدْقِهِمْ مَا رَأَيْتُمْ ...

فَاسْتَبْقَوْهُمْ عِنْدَكُمْ ...

وَطَيَّبُوا<sup>(٣)</sup> بِمُعَاشَرَتِهِمْ نَفْسًا ...

وَقَرُّوا<sup>(٤)</sup> بِصُحْبَتِهِمْ غَيًّا ...

\* \* \*

وَأَمَّا الصُّورَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ صُورِ حَيَاةِ عُمَرَ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ؛ فَيَزِيهِهَا لَنَا ابْنُ  
عَبِيدِ الْحَكَمِ فِي كِتَابِهِ التَّقْيِيسِ الْمُسَمَّى « سِيرَةُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ » فَيَقُولُ :

لَمَّا حَضَرَتْ عُمَرَ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ مَسْلَمَةُ<sup>(٥)</sup> بَنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَالَ :

إِنَّكَ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - قَدْ قَطَعْتَ<sup>(٦)</sup> أَفْوَاهَ أَوْلَادِكَ عَنْ هَذَا الْمَالِ .

فَحَبَّذَا لَوْ أَوْصَيْتَ بِهِمْ إِلَيَّ أَوْ إِلَى مَنْ تَفَضَّلُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ...

فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ كَلَامِهِ قَالَ عُمَرُ : أَجْلِسُونِي ...

فَاجْلَسُوهُ فَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ يَا مَسْلَمَةُ ، أَمَا قَوْلُكَ :

إِنِّي قَدْ قَطَعْتُ أَفْوَاهَ أَوْلَادِي عَنْ هَذَا الْمَالِ ...

---

(١) وجهه القوم : سادة القوم .

(٢) وبحكم : ما أعجب أفركم ؟ .

(٣) طيَّبوا نفساً : استريحوا .

(٤) قرُّوا غيًّا : اطعموا واسعدوا .

(٥) هو مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَحَدَ كِبَارِ أَمْرَاءِ بَنِي أُدَيٍّ وَعِفْلَاهُمْ وَقَادَةُ جِيوشِهِمْ .

(٦) قَطَعْتَ أَفْوَاهَ أَوْلَادِكَ : منَعْتَهُمْ مِنْ اخْتِطَامِ الْفَرَسِ ، وَامْتِلَاكِ الْأَمْوَالِ .

فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا مَنَعْتُهُمْ حَقًّا هُوَ لَهُمْ ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيَهُمْ شَيْئًا لَيْسَ لَهُمْ ...  
وَأَمَّا قَوْلُكَ : لَوْ أَوْصَيْتَ بِهِمْ إِلَيَّ أَوْ إِلَى مَنْ تُفَضِّلُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ...  
فَإِنَّمَا وَصَّيْتُ وَوَلَّيْتُ فِيهِمْ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ، وَهُوَ يَتَوَلَّى (١)  
الصَّالِحِينَ .

وَاعْلَمَ يَا مَسْلَعَةُ أَنْ أَتْبَأِي أَخَذَ رَجُلَيْنِ :  
إِمَّا رَجُلٌ صَالِحٌ مُتَّقٍ ، فَسَيُفِيهِ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ  
مَخْرَجًا (٢) ...

وَإِمَّا رَجُلٌ طَالِحٌ (٣) مُكِبٌّ عَلَى الْمَعَاصِي ، فَلَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يُعِينُهُ  
بِالْحَالِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

ثُمَّ قَالَ : اذْعُوا لِي نَبِيٍّ ...  
فَدَعَوْهُمْ ، وَهُمْ بِضِعَّةٍ (٤) عَشْرَ وَلَدًا .  
فَلَمَّا رَأَوْهُمْ تَرَفَّرَتْ (٥) عَيْنَاهُ وَقَالَ :  
بِنَفْسِي فَنِيَّةٌ تَرَكْتُهُمْ عَالَةً لَا شَيْءَ لَهُمْ ...  
وَبَكَى بِكَاءٍ صَامِتًا ... ثُمَّ التَفَّتْ إِلَيْهِمْ وَقَالَ : أَيُّ نَبِيٍّ (٦) ...  
إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ لَكُمْ خَيْرًا كَثِيرًا ...

فَإِنَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَ بِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ أَهْلِ دِينِهِمْ إِلَّا رَأَوْا أَنَّ لَكُمْ  
عَلَيْهِمْ حَقًّا .

(١) يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ : يَحْفَظُ الصَّالِحِينَ وَيُعِينُهُمْ .

(٢) مَخْرَجًا : سَبِيلًا يَسْلُكُهُ .

(٣) طَالِحٌ : الطَالِحُ ضِدُّ الصَّالِحِ ، هُوَ مَنْ عَصَى صَالِحَ وَذَاكَ شَرُّهُ طَالِحٌ .

(٤) بِضِعَّةٌ عَشْرٌ : نَحْوُ مِنْ تِسْعَةِ عَشَرَ . (٥) تَرَفَّرَتْ عَيْنَاهُ : دَمَعَتْ عَيْنَاهُ . (٦) أَيُّ نَبِيٍّ : يَا أَبَانِي .

يَا نَبِيَّ ، إِنَّ أَمَانَكُمْ خِيَاراً بَيْنَ أَمْرَيْنِ :  
فَإِذَا أَنْ تَسْتَعْتُوا ، وَتَدْخُلَ أَيْوَكُمُ النَّارُ ...  
وَإِذَا أَنْ تَفْتَقِرُوا ، وَتَدْخُلَ الْجَنَّةُ ...  
وَلَا أَحْسَبُ إِلَّا أَنَّكُمْ تُؤَيِّرُونَ<sup>(١)</sup> إِنْقَادَ أَبِيكُمْ مِنَ النَّارِ عَلَى الْغَنَى .  
ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِمْ فِي رَفْقٍ وَقَالَ : قُومُوا عَصَمَكُمْ اللَّهُ ...  
قُومُوا رَزَقَكُمْ اللَّهُ ...  
فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ مَسْلَمَةُ وَقَالَ :  
عِنْدِي مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .  
فَقَالَ : وَمَا هُوَ ؟؟  
قَالَ : لَدَيَّ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ ... وَإِنِّي أَهْبَاهَا لَكَ فَفَرَّقَهَا فِيهِمْ ...  
أَوْ تَصَدَّقُ بِهَا إِذَا شِئْتَ .  
فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَوْ خَيْرُ<sup>(٢)</sup> مِنْ ذَلِكَ يَا مَسْلَمَةُ ؟  
فَقَالَ : وَمَا هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟  
فَقَالَ : تَرُدُّهَا إِلَيَّ مَنْ أُحَدِّثُ مِنْهُ ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ لَكَ بِحَقٍّ ...  
فَفَرَّقَتْ عَيْنًا مَسْلَمَةَ وَقَالَ :  
رَحِمَكَ اللَّهُ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - حَيًّا وَمَيِّتًا ...  
فَقَدْ أَلَنْتَ مِنَّا قُلُوبًا قَاسِيَةً ...

(١) يُؤَيِّرُونَ : تَفْضِلُونَ .

(٢) أَوْ خَيْرُ مِنْ ذَلِكَ : بَلْ عِنْدِي مَا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا عِنْدَكَ .

وَذَكَّرْتَهَا ، وَقَدْ كَانَتْ نَائِيَةً ...

وَأَبْقَيْتَ لَنَا فِي الصَّالِحِينَ ذِكْرًا ...

\* \* \*

ثُمَّ تَتَّبِعِ النَّاسُ أَحْبَابَ أَهْنَاءِ عُمَرَ مِنْ بَعْدِهِ ...

فَرَأَوْا أَنَّهُ مَا أَحْتَاجَ أَحَدًا مِنْهُمْ وَلَا اقْتَمَرَ ...

وَصَدَّقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ إِذْ يَقُولُ :

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرْكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا

اللَّهُ ...

وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾<sup>(١)</sup> ... (٥) .

---

(١) سورة النساء : آية ٩ .

(٥) للاستزادة من أخبار عُتْرَ بْنِ عَقْدٍ التَّغْزِيذِ انظر :

١ - سيرة عُتْرَ بْنِ عَقْدٍ التَّغْزِيذِ لِابْنِ عَقْدٍ الْحَكَمِ .

٢ - سيرة عُتْرَ بْنِ عَقْدٍ التَّغْزِيذِ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ .

٣ - سيرة عُتْرَ بْنِ عَقْدٍ التَّغْزِيذِ لِلْأَجَرِيِّ .

٤ - الطبقات الكبرى لِابْنِ شَدَدٍ : ٥ / ٣٣٠ .

٥ - تاريخ خليفة : ٣٢١ - ٣٢٢ .

٦ - التاريخ الكبير : ١٧٤ / ٦ .

٧ - تاريخ الفسوي : ١ / ٥٦٨ ، ٦٢٠ .

٨ - الطبري : ٥٦٥ / ٦ - ٥٧٣ .

٩ - الجرح والتعديل : ١٢٢ / ٦ .

١٠ - الطبقات للشيرازي : ٦٤ .



# محمَّد بن الحنفية

محمَّد بن علي بن أبي طالب

« لَا أَهْلَمُ أَحَدًا أَحَدًا عَنْ عَلِيٍّ وَأَفَادَ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ »

[ابن الجنيدي]

وَقَعَتْ بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ وَأَخِيهِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ جَفْوَةٌ<sup>(١)</sup>، فَأَرْسَلَ  
ابنُ الْحَنْفِيَّةِ إِلَى الْحَسَنِ يَقُولُ :

إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكَ عَلَيَّ ...

فَأَمَّاكَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ .

وَأُمِّي امْرَأَةٌ مِنْ تَيْي « حَنِيفَةٌ » .

وَجَدُّكَ لِأَمِّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَصَفْوَةُ خَلْقِهِ ...

وَجَدِّي لِأُمِّي جُفَعَرُ بْنُ قَيْسٍ .

فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا ؛ فَتَعَالَ إِلَيَّ وَصَالِحِي ، حَتَّى يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ  
عَلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

فَمَا أَنْ بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ الْحَسَنَ ... حَتَّى يَأْذَرَ إِلَيَّ بَيْتَهُ وَصَالِحَهُ ...

فَعَرَنَ هَذَا الْأَدِيبُ الْأَرِيبُ<sup>(٢)</sup> اللَّيْقُ<sup>(٣)</sup> مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ ؟

تَعَالَ نَسْتَعْرِضُ قِصَّةَ حَيَاتِهِ مِنْ أَوَّلِهَا .

\* \* \*

(١) الجفوة: الإعراض، وجفا فلان فلاناً: أعرض عنه وثقل عليه .  
(٢) الأريب: الدكي المايز .  
(٣) الليق: ذو الأخلاق اللينة .

تَبْدَأُ هَذِهِ الْقِصَّةَ مِنْذُ أَوَاخِرِ حَيَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .  
فَفِي ذَاتِ يَوْمٍ كَانَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي جُلُوسَةٍ مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ...

أَرَأَيْتَ إِنْ وُلِدَ لِي وَلَدٌ مِنْ بَعْدِكَ أَقَامْتُمْنِي بِأَسْمِكَ ...  
وَأَكْتَنِيهِ بِكُنْيَتِكَ ؟

فَقَالَ : نَعَمْ .

ثُمَّ دَارَبَ الْأَيَّامُ دَوْرَتَهَا ...

فَلَحِقَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بِالرَّفِيقِ <sup>(١)</sup> الْأَعْلَى ...  
وَتَلَتْهُ بَعْدَ أَشْهُرٍ مَعْدُودَاتٍ ابْنَتُهُ وَزَيْحَانَتُهُ فَاطِمَةُ الْبَتُولُ <sup>(٢)</sup> أُمُّ الْحَسَنِ  
وَالْحُسَيْنِ .

فَأَضْمَرَ <sup>(٣)</sup> عَلِيٌّ إِلَى نَبِيِّ « حَنِيفَةً » .

وَتَزَوَّجَ خَوْلَةً ابْنَتَ جَعْفَرِ بْنِ قَيْسِ الْحَنْفِيَّةِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ مَوْلُودًا ذَكَرًا .  
فَدَعَاهُ مُحَمَّدًا .

وَكُنَّاهُ <sup>(٤)</sup> بِأَبِي الْقَاسِمِ بِإِذْنٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

غَيْرَ أَنَّ النَّاسَ طَافُوا بِمُتَادُونَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ ؛ تَفْرِيقًا لَهُ عَنْ أَخُوَيْهِ  
الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ <sup>(٥)</sup> .

(١) يُقَالُ لَحِقَ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى : أَيِ انْتَقَلَ إِلَى جَوَارِهِهِ .

(٢) الْبَتُولُ : الطَّهْلَةُ النُّعْمَةُ .

(٣) أَضْمَرَ إِلَى الْقَوْمِ : تَقَرَّبَ إِلَيْهِمْ وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ .

(٤) كُنَّاهُ : سَمَّاهُ بِأَبِي كُنَّا .

(٥) فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ : انظُرْهَا فِي كِتَابِ « صُورٌ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابِيَّاتِ » لِلْمُؤَلِّفِ ، النَّاظِرُ دَارَ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ .

ثُمَّ عُرِفَ فِي الثَّارِيخِ بِذَلِكَ .

\* \* \*

وُلِدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .  
وَنَشَأَ وَتَرَبَّى فِي كَتَفِ<sup>(١)</sup> أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَتَخَرَّجَ عَلَى يَدَيْهِ .  
فَأَخَذَ عَنْهُ عِبَادَتَهُ وَزَهَادَتَهُ ...  
وَوَرِثَ مِنْهُ قُوَّتَهُ وَشَجَاعَتَهُ ...  
وَتَلَقَّى مِنْهُ فَصَاحَتَهُ وَبَلَاعَتَهُ ...  
فَإِذَا هُوَ بِمَشْعَرِ<sup>(٢)</sup> حَرْبٍ فِي سَاحَاتِ الْقِتَالِ ...  
وَقَارِئُ مِثْبَرٍ فِي مَحَافِلِ الرِّجَالِ ...  
وَرَاهِبٌ مِنْ زُهْدَانِ اللَّيْلِ إِذَا أَسْدَلَ الظُّلَامُ سُدُولَهُ عَلَى الْكَوْنِ ، وَنَامَتْ  
الْعُيُونُ .

\* \* \*

وَلَقَدْ أَقْحَمَهُ<sup>(٣)</sup> أَبُوهُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي حُرُوبِهِ الَّتِي تَخَاضَهَا .  
وَحَمَلَهُ مِنْ أَعْبَائِهَا مَا لَمْ يُحْمَلْهُ لِأَخَوَيْهِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ .  
فَمَا لَأَنْتَ لَهُ قِتَاةٌ<sup>(٤)</sup> ، وَلَا وَهْنٌ<sup>(٥)</sup> لَهُ عَزَمٌ .  
وَلَقَدْ قِيلَ لَهُ ذَاتَ مَرَّةٍ :  
مَا لِأَيِّكَ يُقْحِمُكَ فِي الْمَهَالِكِ ، وَيُوَلِّجُكَ<sup>(٦)</sup> فِي الْمَضَائِقِ ؟ دُونَ  
أَخَوَيْكَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ؟

(١) الكتف : الرمح ، وما لأنت له قيتاة : ما عُلب .

(٢) مشعر : بطلها وموقد نارها .

(٣) أقحمه : رماه .

(٤) القيتاة : الرمح ، وما لأنت له قيتاة : ما عُلب .

(٥) وهن : بطلها وموقد نارها .

(٦) يولجك : يدخلك ويحملك ما لا يطاق .

فَقَالَ : ذَلِكَ لِأَنَّ أَخَوَيْ بَنِي لَاحِثٍ مِنْ أَبِي مَثَرَةَ عَيْنَيْهِ ...

وَأَنْزَلَ أَنَا مِنْهُ مَثَرَةَ يَدَيْهِ ...

فَهُوَ بَقِيَ <sup>(١)</sup> عَيْنَيْهِ يَدَيْهِ .

\* \* \*

وَفِي مَغْرَكَةِ « صِفَيْنَ » الَّتِي دَارَتْ رَحَاهَا بَيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمُتَاوِيَةِ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ يَحْمِلُ رَايَةَ أَبِيهِ .

وَفِيمَا كَانَتْ رَحَى الْحَرْبِ <sup>(٢)</sup> دَائِرَةً تَطْحَنُ النَّاسَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ طَحْنًا وَقَعَتْ لَهُ قِصَّةٌ رَوَاهَا بَنُفُسِيهِ فَقَالَ :

لَقَدْ رَأَيْتُنَا فِي « صِفَيْنَ » ، وَقَدْ التَقَيْنَا مَعَ أَصْحَابِ مُتَاوِيَةِ ، فَأَقْتَتَلْنَا حَتَّى طَلَسْتُ أَنَّهُ لَنْ يَبْقَى مِنَّا وَمِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَأَسْتَفْظَعْتُ الْأَمْرَ وَاسْتَكْبَرْتُهُ .

ثُمَّ مَا لَيْسْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَائِحًا مِنْ خَلْفِي يَصِيحُ :

يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُ اللَّهُ ، يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ...

مَنْ لِلنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ؟

مَنْ لِلدِّينِ وَالْأَعْرَاضِ ؟

مَنْ لِلرُّومِ وَالذِّئْلَمِ <sup>(٣)</sup> ؟

يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ...

اللَّهُ ، اللَّهُ وَالْبَقِيَّةُ <sup>(٤)</sup> ، يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ .

(١) بقي : بصره .

(٢) رحى الحرب : عزيمة الحرب .

(٣) الذئلم : شعب كبير شمالي قروين حاربه للمسلمون ثم احتق الإسلام .

(٤) الله الله والبقية : احذروا الله ، وأجروا على المسلمين .

فَعَاذْتُ نَفْسِي أَلَّا يُوقَعَ لِي سَيْفٌ فِي وَجْهِ مُسْلِمٍ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

\* \* \*

ثُمَّ اسْتَشْهَدَ عَلِيٌّ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ يَتِيذُ آيَمَةَ ظَالِمَةٍ (١) ...

وَأَلَّ الْأَمْرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَبَاتِعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ (٢) وَالْمَكْرَهِ ، رَغْبَةً فِي رَأْبِ (٣) الصُّدْعِ ...

وَجَمَعَ الشُّعْلَ ...

وَعِزَّةَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ...

وَلَقَدْ اسْتَشْعَرَ مُعَاوِيَةُ رِضَايَ اللَّهِ عَنْهُ صِدْقَ هَذِهِ الْبَيْعَةِ وَصَفَاءَهَا ، وَأَطْعَمَهُ إِلَى صَاحِبَيْهَا أَشَدَّ الْإِطْمِيقَانِ ؛ مِمَّا جَعَلَهُ يَشْتَرِي (٤) مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةِ .

فَوَازَهُ فِي « دِمَشْقَ » أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ ...

وَلَا أَكْثَرَ مِنْ سَبَبٍ ...

\* \* \*

مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَلِكَ « الرُّومِ » كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ يَقُولُ :

إِنَّ الْمُلُوكَ عِنْدَنَا تُرَايِلُ الْمُلُوكَ ، وَيُطْرِفُ (٥) بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِغَرَائِبِ مَا عِنْدَهُمْ ...

وَيَتَافَسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِعَجَائِبِ مَا فِي مَمَالِكِهِمْ .

فَقُلْ تَأْذَنُ لِي بِأَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَا يَكُونُ بَيْنَهُمْ ؟

فَأَجَابَهُ مُعَاوِيَةُ بِالْإِيجَابِ وَأَذِنَ لَهُ .

(١) هي تلك عهد الزعمان بن ملجم .

(٢) المنشط والمكره : ما تحبه النفس وما تكرهه .

(٤) يشتري فلاناً : يدهوه لزيارته .

(٣) رَأْب الصُّدْعِ : إصلاح الأمر وجمع الكلمة .

(٥) يطرف : يبيع ويشتري .

فَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَلِكُ «الرُّومِ» رَجُلَيْنِ مِنْ عَجَائِبِ الرُّجَالِ :  
أَحَدُهُمَا طَوِيلٌ مُفْرَطٌ فِي الطُّولِ ، جَمِيسٌ مُوْغِلٌ<sup>(١)</sup> فِي الْجَسَامَةِ .  
حَتَّى لَكَأَنَّهُ دَوْحَةٌ<sup>(٢)</sup> بَاسِقَةٌ فِي غَايَةِ ، أَوْ بِنَاءٌ مَبْنِيٌّ .  
وَالثَّانِي قَوِيٌّ غَايَةَ الْقُوَّةَ ، ضَلَبَ مَتِينٌ كَأَنَّهُ وَخَشٌ مُفْتَرَسٌ ...  
وَبَعَثَ إِلَيْهِ مَعَهُمَا رِسَالَةً يَقُولُ فِيهَا :  
أَفْنَى مَمْلَكَتِكَ مَنْ يُسَاوِي هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ طُولاً وَقُوَّةً ؟ .  
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ<sup>(٣)</sup> :  
أَمَّا الطَّوِيلُ فَقَدْ وَجَدْتُ مَنْ يُكَافِئُهُ<sup>(٤)</sup> وَتَزِيدُ عَلَيْهِ ...  
وَهُوَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بْنِ عُبَادَةَ .  
وَأَمَّا الْقَوِيُّ فَقَدْ اخْتَجَجْتُ إِلَى رَأِيكَ فِيهِ .  
فَقَالَ عَمْرُو : هُنَاكَ رَجُلَانِ لِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرُ أَنْ يَكْلِفِيهِمَا غَنَّاكَ بَعِيدٌ ...  
هُمَا : مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ .  
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ .  
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنَفِيَّةِ لَيْسَ عَنَّا بِبَعِيدٍ .  
فَقَالَ عَمْرُو : وَلَكِنْ ، أَنْظُرْ أَنَّهُ يَرْضَى عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ ، وَسُمُو مَنْزِلَتِهِ أَنْ  
يُقَاوِيَ<sup>(٥)</sup> رَجُلًا مِنْ «الرُّومِ» عَلَى مَرَأَى مِنَ النَّاسِ ؟ .

(١) موغِلٌ : عميقٌ مُبْجَدٌ .

(٢) دَوْحَةٌ بَاسِقَةٌ : شَجَرَةٌ مَفْرَطَةٌ فِي الطُّولِ .

(٣) عمرو بن العاص : انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة  
المشروعة .

(٤) يكافئه : يماثله .

(٥) يقاوي : يتغلب رجلًا بالقوة .

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ :

إِنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ؛ إِذَا وَجَدَ فِيهِ عِزًّا لِلْإِسْلَامِ .

\* \* \*

ثُمَّ إِنَّ مُعَاوِيَةَ دَعَا كُلًّا مِنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ .

فَلَمَّا انْعَقَدَ الْمَجْلِسُ قَامَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ فَتَنَزَّعَ سِرَازِيلَهُ وَرَمَى بِهَا إِلَى الْعِلْجِ (١) الرُّومِيِّ وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْبِسَهَا ، فَلَبِسَهَا ... فَقَطَّطَ إِلَى مَا فَوْقَ ثَدْيَيْهِ فَصَحَّحَ النَّاسُ مِنْهُ .

وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ فَقَالَ لِلتُّرُجَمَانِ : قُلْ لِلرُّومِيِّ ...

إِنْ شَاءَ أَنْ يَجْلِسَ وَأَكُونَ أَنَا قَائِمًا ثُمَّ يُعْطِنِي يَدَهُ .

فَإِذَا أَنْ أُقِيمَهُ وَإِنَّمَا أَنْ يُعْجِدَنِي ...

وَإِنْ شَاءَ فَلْيَكُنْ هُوَ الْقَائِمُ وَأَنَا الْقَاعِدُ ...

فَاخْتَارَ الرُّومِيُّ الْقُعُودَ .

فَأَخَذَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ بِيَدِهِ ، وَأَقَامَهُ ... وَعَجَزَ الرُّومِيُّ عَنْ إِقْعَادِهِ ...

فَدَبَّثَ الْحَيَّةُ (٢) فِي صَدْرِ الرُّومِيِّ ، وَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْقَائِمُ وَمُحَمَّدُ

الْقَاعِدَ ، فَأَخَذَ مُحَمَّدُ بِيَدِهِ وَجَدَّه (٣) جَذْبَةً كَادَتْ تَفْصِلُ سَاعِدَهُ عَنْ كَتِفِهِ ...

وَأَقْعَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ .

فَانْصَرَفَ الْعِلْجَانِ الرُّومِيَّانِ إِلَى مَلِكَيْهِمَا مَغْلُوبَيْنِ مَخْذُولَيْنِ .

\* \* \*

(١) العِلْج : الرجل التوري الضخم من كفار الصميم .

(٢) الحية : حذبه : حيد دمه .

(٣) الحية : الألفة .

فَمَ دَارَتْ الْأَيَّامُ دَوْرَهَا كَوْنَهُ أُخْرَى ...

وَلَحِقَ مُعَاوِيَةُ وَابْنُهُ يَزِيدُ ، وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِجَوَارِ رُيْهِم ... وَأَلَتْ  
رَعَامَةُ بَنِي « أُمَيَّة » إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَتَادَى بِتَفْسِيهِ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ ،  
فَبَائِعَهُ أَهْلُ الشَّامِ .

وَكَانَ أَهْلُ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ قَدْ بَائِعُوا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ <sup>(١)</sup> .

وَطَفِقَ كُلُّ مِنْهُمَا يَدْعُو مَنْ لَمْ يُبَائِعْهُ لِيُبْعِيَهُ ...

وَيَزْعُمُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ مِنْ صَاحِبِهِ ...

فَانْشَقَّ صَفُّ الْمُسْلِمِينَ كَوْنَهُ <sup>(٢)</sup> أُخْرَى ...

وَهَذَا طَلَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ أَنْ يُبَائِعَهُ كَمَا بَائِعَهُ  
أَهْلُ الْحِجَازِ .

غَيْرَ أَنَّ ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ لَمْ يَكُنْ يَخْفَى عَلَيْهِ أَنَّ الْبَيْعَةَ تَجْعَلُ فِي عُنُقِهِ لِمَنْ  
يُبَائِعُهُ حَقُوقًا كَثِيرَةً ...

مِنْهَا سَلُّ سَيْفِهِ دُونَهُ <sup>(٣)</sup> ، وَقِتَالُ مُحَالِفِيهِ .

وَمَا مُحَالِفُوهُ إِلَّا مُسْلِمِينَ قَدْ اجْتَنَهُدُوا ؛ فَبَائِعُوا لِيُغَيِّرَ مَنْ بَائِعَ ...

وَلَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ الْعَاقِلُ الْكَامِلُ قَدْ نَسِيَ تَذَمُّ « صِفَيْنِ » .

وَلَمْ تَكُنِ السَّنُونَ <sup>(٤)</sup> الطَّوِيلَةُ قَدْ مَحَتْ مِنْ مَسْمَعِيهِ ذَلِكَ الصَّوْتُ الْأَجَشُّ  
الرَّوْصِينَ الْحَزِينِ وَهُوَ يَتَادَى مِنْ خَلْفِهِ :

---

(١) هو ابن أسماء بنت الصديق ثم فتح إفريقيا على يده ، اقرأ طرفاً من أخباره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف .

(٢) كَوْنَهُ أُخْرَى : مرّة ثانية .

(٣) دُونَهُ : دفاعاً عنه وتأييداً له .

(٤) السَّنُونَ : السنوات .



يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ...

اللَّهُ ... اللَّهُ ... يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ .

مَنْ لِلنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ؟

مَنْ لِلدِّينِ وَالْأَعْرَاضِ ؟

مَنْ لِلرُّومِ وَالذَّنَلِمِ ؟

نَعَمْ لَمْ يَكُنْ قَدْ نَسِيَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ قَطُّ .

فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ :

إِنَّكَ لَتَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ لَيْسَ لِي فِي هَذَا الْأَمْرِ أَرْبٌ <sup>(١)</sup> وَلَا مَطْلَبٌ ...

وَأَنَا أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

فَإِذَا اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَيْكَ أَوْ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، بَاتَيْتُ مَنْ اجْتَمَعَتْ  
كَلِمَتُهُمْ عَلَيْهِ .

أَمَّا الْآنَ فَلَا أَتَابِعُكَ ...

وَلَا أَتَابِعُهُ .

فَجَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ يُعَاشِرُهُ وَيُلَاقِيهِ <sup>(٢)</sup> تَارَةً ، وَيُعْرِضُ <sup>(٣)</sup> عَنْهُ وَيُجَافِيهِ <sup>(٤)</sup> تَارَةً  
أُخْرَى .

\* \* \*

غَيْرَ أَنْ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنَفِيَّةِ مَا لَبِثَ أَنْ انْضَمَّ إِلَيْهِ رِجَالٌ كَثِيرُونَ رَأَوْا رَأْيَهُ ،  
وَأَسْلَمُوا قِيَادَتَهُمْ <sup>(٥)</sup> إِلَيْهِ .

(١) أرب : غرض وغاية .

(٢) يُلَاقِيهِ : يعامله باللين والحنو .

(٣) يُعْرِضُ عَنْهُ : يهتد عنه .

(٤) يُجَافِيهِ : يهتد عليه في العاشرة .

(٥) قِيَادَتَهُمْ : قيادتهم وزعامتهم .

حَتَّى بَلَغُوا سَبْعَةَ آلَافٍ رَجُلٍ مِمَّنْ أَتَوْا اغْتِرَالَ الْفِتْنَةِ .  
وَأَبَوْا أَنْ يَجْعَلُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ حَطْباً لِنَارِهَا الْمُتَّقِدَةِ .  
وَكَانَ كُلُّمَا أَرْدَادَ أَتْبَاعُ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ عَدْداً ، أَرْدَادَ ابْنِ الزُّبَيْرِ مِنْهُ غَيْظاً وَالْعُخْ  
عَلَيْهِ فِي طَلَبِ الْبَيْعَةِ .  
فَلَمَّا بَيَّسَ مِنْ ذَلِكَ أَمْرَهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي « هَاشِمٍ » وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَلْزُمُوا  
شِعْبَهُمْ <sup>(١)</sup> بِمَكَّةَ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمُ الرُّقَبَاءَ .  
ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :  
وَاللَّهِ لِنُبَايَعُ أَوْ لَأُخْرِقَنَّكُمْ بِالنَّارِ ...  
ثُمَّ حَبَسَهُمْ فِي بُيُوتِهِمْ ، وَجَمَعَ لَهُمُ الْحَطَبَ ، وَأَخَاطَ بِهِ الْمَنَازِلَ إِلَى أَنْ  
بَلَغَ رُؤُوسَ الْجُدْرَانِ .

حَتَّى إِنَّهُ لَوُ أَشْعَلَ مِنْهُ حَطْبَةً وَاحِدَةً لَأُخْرِقَهُمْ جَمِيعاً .  
عِنْدَ ذَلِكَ قَامَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَتْبَاعِهِ وَقَالُوا :  
دَعْنَا نَقْتُلَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَنُزِيحَ النَّاسِ مِنْهُ .  
فَقَالَ : أَتَفْرُقُدُ بِأَيْدِينَا نَارَ الْفِتْنَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا اغْتَرَلْنَا <sup>(٢)</sup> ...  
وَنَقْتُلُ رَجُلًا مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبْنَاءِ صَحَابَتِهِ ١٩ ...  
لَا ، وَاللَّهِ لَا نَفْعُ شَيْئًا يُغْضِبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

\* \* \*

وَلَمَّا بَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ مَا يُعَانِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ

(١) الشَّعْبُ : مَكَانٌ مَفْرُجٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ .

(٢) اغْتَرَلْنَا : تَضَمَّنَا .

بأس<sup>(١)</sup> عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، رَأَى الْفُرْصَةَ سَانِحَةً<sup>(٢)</sup> لَا سِتِمَاتِيهِمْ إِلَيْهِ .  
فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ كِتَابًا مَعَ رَسُولٍ مِنْ عِنْدِهِ لَوْ كَتَبَهُ لِأَخِيذِ أَبْنَائِهِ لَمَّا كَانَ أَرْقَى  
لَهْجَةً، وَلَا أَلْطَفَ خِطَابًا .

وَكَانَ يَمُتًا جَاءَ فِيهِ :

لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ قَدْ ضَيَّقَ عَلَيْكَ وَعَلَى مَنْ مَعَكَ الْخِثَاقَ<sup>(٣)</sup> ...  
وَقَطَعَ رَجَمَكَ ...

وَأَسْتَحَفَّ بِحَقِّكَ ...

وَهَذِهِ بِلَادُ الشَّامِ مَفْتُوحَةٌ أَمَانَتُكَ تَسْتَقْبِلُكَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الرُّوحِ  
وَالسَّعَةِ ... فَأَنْزِلْ فِيهَا حَيْثُ تَشَاءُ تَلْقَى بِالْأَهْلِ أَهْلًا، وَبِالْجِيرَانِ أَجْبَابًا .

وَسَتَجِدُنَا عَارِفِينَ لِحَقِّكَ ...

مُقَدِّرِينَ لِفَضْلِكَ ...

وَاصْبِرْ لِرِجْمِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ...

\* \* \*

سَارَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ وَمَنْ مَعَهُ مُتَمِّعِينَ<sup>(٤)</sup> وَجُوهَهُمْ شَطْرَ<sup>(٥)</sup> بِلَادِ  
الشَّامِ ... فَلَمَّا بَلَغُوا «أُبُلَّةَ»<sup>(٦)</sup>، اسْتَقَرُّوا فِيهَا .

فَأَنْزَلَهُمْ أَهْلُهَا أَكْرَمَ مَنَزِلٍ، وَجَاوَزُوهُمْ أَحْسَنَ جَوَارٍ .

(١) بأس عبد الله : قسوة عبد الله .

(٢) سَانِحَةٌ : مَوَالِيَةٌ .

(٣) الْخِثَاقُ : مَا يُخْنَقُ بِهِ كَالْجِلْدِ .

(٤) مِمْسُونٌ : مُتَوَجِّهُونَ وَقَاصِدِينَ .

(٥) شَطْرٌ : نَحْوٌ .

(٦) أُبُلَّةٌ : بَلَدَةٌ شَمَالِيَّةٌ الْعَبَّةُ وَهَذَا هُوَ اسْمُهَا الرُّومَانِي ، وَهِيَ الْآنَ إِيلَاتُ .

وَأَحْبَبُوا مُحَمَّدَ بْنَ الْحَقِيقَةِ وَعَظُمُوهُ ؛ لِمَا رَأَوْا مِنْ غُمَقِ عِبَادَتِهِ ، وَصِدْقِ زَهَادَتِهِ<sup>(١)</sup> .

فَطَفِقَ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ .

وَيُقِيمُ فِيهِمُ الشُّعَائِرَ ، وَيُصْلِحُ لَهُمْ ذَاتَ الْبَيْنِ<sup>(٢)</sup> .

وَلَا يَدْعُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يَظْلِمُ أَحَدًا .

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ شَقَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ ، وَاسْتَشَارَ خَاصَّتَهُ فَقَالُوا لَهُ :

مَا نَرَى أَنْ تَسْمَعَ لَهُ بِأَنْ يُقِيمَ فِي مُلْكِكَ ، وَسِيرَتُهُ كَمَا عَلِمْتَ ...

فَإِنَّمَا أَنْ يُتَابِعَ لَكَ ...

وَإِنَّمَا أَنْ يَعُودَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ يَقُولُ :

إِنَّكَ قَدِمْتَ بِلَادِي فَتَزَلَّتْ فِي طَرَفٍ مِنْهَا ، وَهَلِيزِ الْحَرْبُ قَائِمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ...

وَأَنْتَ رَجُلٌ لَكَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ذِكْرٌ وَمَكَانٌ<sup>(٣)</sup> ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَلَّا تُقِيمَ فِي أَرْضِي إِلَّا إِذَا بَايَعْتَنِي ...

فَإِنْ بَايَعْتَنِي ، فَلَكَ مِنِّي مِائَةُ سَفِينَةٍ قَدِمَتْ عَلَيَّ أُنْسٍ مِنْ « الْقَلْزَمِ »<sup>(٤)</sup> ، فَخُذْهَا بِمَا فِيهَا وَمَنْ فِيهَا .

(١) زَهَادَتِهِ : زُهده .

(٢) ذَاتَ الْبَيْنِ : الْفُرْقَةُ وَالْحَصُومَةُ .

(٣) مَكَانٌ : مَنْزِلَةٌ وَمَقَامٌ .

(٤) الْقَلْزَمُ : مِرْقًا قَدِيمٌ حَتَّى مَصَّبِ الْبَيْلِ وَرَمَحَهُ لُحْرُ بْنُ الْحَطَّابِ لِنَقْلِ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ النُّسَطَاطِ وَتَكَّةَ .

وَلَكَ مَعَهَا أَلْفَا أَلْفٍ دِرْهَمٍ مَعَ مَا تَفَرَّضُهُ مِنْ فَرِيضَةٍ لِنَفْسِكَ ، وَلَا وَلَدِكَ ،  
وَلِدَوِي قَرَابَتِكَ ، وَمَوَالِيكَ ، وَمَنْ مَعَكَ ...

وَإِنْ أَتَيْتَ فَتَحَوَّلْ عَنِّي إِلَى مَكَانٍ لَا سُلْطَانَ لِي عَلَيْهِ .

فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ يَقُولُ :

مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ؛ سَلَامٌ عَلَيْكَ .

وَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْكَ ، أَمَّا بَعْدُ ...

فَلَعَلَّكَ تَتَخَوَّفُ مِنِّي ، وَكُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّكَ عَارِفٌ بِحَقِيقَةِ مَوْقِفِي مِنْ  
هَذَا الْأَمْرِ .

وَوَاللَّهِ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَيَّ هَذِهِ الْأُمَّةُ كُلُّهَا ، إِلَّا أَهْلَ قَرْيَةٍ وَاحِدَةٍ مَا قَبِلْتُهُ ،  
وَلَا قَاتَلْتُهُمْ عَلَيْهِ .

وَلَقَدْ نَزَلْتُ بِمَكَّةَ فَأَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنْ أَتَابِعَهُ ، فَلَمَّا أَتَيْتُ أَسَاءَ  
جَوَارِي .

ثُمَّ كَتَبْتُ إِلَيْي تَدْعُونِي إِلَى الْإِقَامَةِ بِيَلَادِ الشَّامِ ، فَتَزَلْتُ يَبْلَدَةً فِي أَطْرَافِ  
أَرْضِكَ يُرْخِصُ أَشْعَارَهَا وَيُعْهِدُهَا عَنْ مَرْكَزِ سُلْطَانِكَ .

فَكَتَبْتُ إِلَيْي بِمَا كَتَبْتَ بِهِ ...

وَنَعْنُ مُنْصَرِفُونَ عَنْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

\* \* \*

انْصَرَفَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ بِرِجَالِهِ وَأَهْلِيهِ عَنْ يَلَادِ الشَّامِ ، وَطَفِقَ<sup>(١)</sup> كُلَّمَا  
نَزَلَ يَمْتَنِزِلُ يُزْعَجُ<sup>(٢)</sup> عَنْهُ ، وَيُدْعَى إِلَى الرَّحِيلِ مِنْهُ .

(٢) رُجِعَ عَنْهُ : نُخْرِجَ عَنْهُ .

(١) طَفِقَ : عَجَلَ .

وَكَاثَهُ لَمْ تَكْفِهِ هُمُومُهُ كُلُّهَا ، فَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَخْتَبِرَهُ بِهُمُومٍ أُخْرَى أَشَدَّ وَقَعًا  
وَأَثَقَلَ وَطْأَةً ...

ذَلِكَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَتْبَاعِهِ مِئْنٌ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ <sup>(١)</sup> ، وَآخَرُونَ مِئْنٌ فِي  
عُقُولِهِمْ غَفْلَةٌ جَعَلُوا يَقُولُونَ :

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْدَعَ صَدْرَ عَلِيٍّ وَآلِهِ كَثِيرًا مِنْ أَسْرَارِ  
الْعِلْمِ ، وَقَوَاعِدِ الدِّينِ ، وَكُنُوزِ الشَّرِيعَةِ .

وَأَنَّهُ خَصَّ آلَ الْبَيْتِ بِمَا لَمْ يُطْلِعْ غَيْرَهُمْ عَلَيْهِ ...

فَأَذْرَكَ الرَّجُلُ الْعَالِمُ الْعَامِلُ الْأَرِيبُ مَا يَحْمِلُهُ هَذَا الْكَلَامُ فِي طَيَّاتِهِ مِنْ  
الْإِجْرَافِ ، وَمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَجْرُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ مَخَاطِرٍ وَأَضْرَارٍ .

فَجَمَعَ النَّاسَ وَقَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا ... فَحَمِدَ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،  
وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ... ثُمَّ قَالَ :

يَزْعُمُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ عِنْدَنَا مَعْشَرَ آلِ الْبَيْتِ عِلْمًا خَصَصْنَا بِهِ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ ، وَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَدًا غَيْرَنَا ...

وَأَنَا - وَاللَّهِ - مَا وَرِثْنَا مِنْ رَسُولِ ﷺ إِلَّا مَا بَيْنَ هَذَيْنِ اللَّوْحَيْنِ ، وَأَشَارَ إِلَى  
الْمُصْحَفِ .

وَأَنَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ عِنْدَنَا شَيْعًا نَقَرُوهُ إِلَّا كِتَابَ اللَّهِ ؛ فَقَدْ كَذَبَ .

\* \* \*

وَكَانَ بَعْضُ أَتْبَاعِهِ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَهْدِي .

(١) في قلوبهم مرض : في دينهم ضعف وتقصير .

فَقُولُ : نَعَمْ أَنَا مُهْدِيٌّ إِلَى الْخَيْرِ ...

وَأَنْتُمْ مُهْدِيُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ...

وَلَكِنْ إِذَا سَلَّمَ عَلَيَّ أَحَدُكُمْ ، فَلْيَسَمِّنِي بِاسْمِي ، وَلْيَقُلْ :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ .

\* \* \*

لَمْ تَطُلْ حَيْرَةُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَسْتَقِرُّ فِيهِ هُوَ وَمَنْ  
مَعَهُ ... فَقَدْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ الْحُجَّاجُ<sup>(١)</sup> بِنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
الزُّبَيْرِ ...

وَأَنْ يُبَايِعَ النَّاسُ جَمِيعاً لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ .

فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَقُولُ :

إِلَى عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ .

أَمَّا بَعْدُ ... فَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ هَذَا الْأَمْرَ أَقْضَى<sup>(٢)</sup> إِلَيْكَ ، وَبَايَعَكَ النَّاسُ ،

كُنْتُ كَرَجَلٍ مِنْهُمْ ، فَبَايَعْتُكَ لِوَالِيكَ فِي الْحِجَازِ .

وَبَعَثْتُ إِلَيْكَ بِبَيْعَتِي هَذِهِ مَكْتُوبَةً .

وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ .

فَلَمَّا قَرَأَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْكِتَابَ عَلَى أَصْحَابِهِ قَالُوا :

(١) الرَّأْيُ خَيْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ مَعَ الْحُجَّاجِ فِي كِتَابِ « صَوَرٍ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابِيَّاتِ » لِلْمَوْلَفِ ، النَّاظِرُ دَارَ الْأَدَبِ  
الْإِسْلَامِيِّ .

(٢) أَقْضَى إِلَيْكَ : أَلَّ إِلَيْكَ .

لَوْ أَرَادَ أَنْ يَشُقَّ عَصَا<sup>(١)</sup> الطَّاعَةِ وَيُحْدِثَ فِي الْأَمْرِ فَتَقًا<sup>(٢)</sup> لَقَدَّرَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَمَّا كَانَ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ...

فَاكْتُبْ إِلَيْهِ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ وَالْأَمَانِ وَذِمَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَلَّا يُزْجَعَ، أَوْ يُهَاجَ<sup>(٣)</sup> هُوَ أَوْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ.

وَكُتِبَ إِلَى الْحَبْجَاجِ بِأَمْرِهِ بِتَقْطِيعِهِ، وَرِعَايَةِ حُرْمَتِهِ، وَالْمُبَالَغَةِ فِي إِكْرَامِهِ.

غَيْرَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْظَلِيَّةَ لَمْ يَعْشَ بَعْدَ ذَلِكَ طَوِيلًا... فَقَدِ اخْتَارَهُ اللَّهُ إِلَى جَوَارِهِ رَاضِيًا مَرْضِيًّا.

\* \* \*

نَوَّرَ اللَّهُ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ فِي قَبْرِهِ، وَنَصَرَ فِي الْجَنَّةِ رُوحَهُ... فَقَدْ كَانَ مِثْلَ مَنْ لَا يُرِيدُونَ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ... وَلَا غُلُوبًا بَيْنَ النَّاسِ (٥).

(١) يشق عصا الطاعة: يخرج حلها. (٢) فتقاً: انشقاقاً. (٣) يهاج: يهجر.

(٥) للاستزادة من أخبار محمد بن الحنفية انظر:

- ١ - جلية الأولياء لأبي نعيم: ١٧٤/٣.
  - ٢ - تهذيب التهذيب: ٣٥٤/٩.
  - ٣ - صفة الصفوة لابن الجوزي (طبعة حلب): ٧٧/٢ - ٧٩.
  - ٤ - الطبقات الكبرى لابن سعد: ٩١/٥.
  - ٥ - الوافي بالوفيات (الترجمة): ١٥٨٣.
  - ٦ - وفيات الأعيان لابن خلكان: ١٦٩/٤.
  - ٧ - الكامل: ٣٩١/٣ و٤/٢٥٠، وانظر حوادث سنة ٦٦.
  - ٨ - شذرات الذهب: ٨٩/١.
  - ٩ - تهذيب الأسماء واللغات: ٨٨/١ - ٨٩.
  - ١٠ - البدء والنهاية: ٧٥/٥ - ٧٦.
  - ١١ - المعارف لابن هبة: ١٢٣.
- ١٠ - العقد الفريد لابن عبد ربه - (تحقيق الريان)  
انظر الأجزاء: ٢، ٣، ٥، ٧.



# طَاوُوسُ بْنُ كُبَيْسَانَ

حَكَاهُ مَعَ الْوَالِي مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الشَّقَفِيِّ

« مَا زَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ بِفَلِّ طَاوُوسٍ بِنِ كُبَيْسَانَ »

[عَمُرُوهُ نُنْ دِيَمَلًا]

بِخَمْسِينَ نَجْمًا مِنْ نُجُومِ الْهِدَايَةِ اسْتَضَاءَ ، فَعَمَرَهُ الشَّنَاءُ (١) وَتَذَفَّقَ عَلَيْهِ  
الْثُورُ ... فَتَوَرَّ فِي قَلْبِهِ ...

وَتَوَرَّ فِي لِسَانِهِ ...

وَتَوَرَّ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ ...

\* \* \*

وَعَلَى خَمْسِينَ عِلْمًا مِنْ أَغْلَامِ مَدْرَسَةِ مُحَمَّدٍ تَخْرُجُ ، فَإِذَا هُوَ صُورَةٌ  
لِصَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِي رُسُوخِ الْإِيمَانِ ...  
وَصِدْقِ الْلَهْجَةِ ...

وَالْتَعَالَى عَلَى عَرَضِ الدُّنْيَا (٢) ... وَالتَّقَانِي فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ ...

وَالْجَهْرِ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ مَهْمَا كَانَ ثَمَنُ كَلِمَةِ الْحَقِّ غَالِيًا .

فَلَقَدْ عَلِمْتُهُ الْمَدْرَسَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ... النَّصِيحَةُ لِلَّهِ ،  
وَكِتَابِهِ ، وَرَسُولِهِ ، وَآئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَامَّتِهِمْ .

وَهَذِهِ التَّجَرِبَةُ إِلَى أَنَّ الصَّلَاحَ كُلَّهُ يَبْدَأُ عِنْدَ وَلِيِّ الْأَمْرِ (٣) ...

(١) الشَّنَاءُ : الثُّورُ .

(٢) عَرَضُ الدُّنْيَا : فَنَائِهَا .

(٣) وَلِيُّ الْأَمْرِ : مَنْ يَلِي أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ عِلَاقَةِ أَوْ وَالِي أَوْ أَمِيرٍ .

وَيَنْتَهِي عِنْدَهُ .

فَإِذَا صَلَحَ الرَّاعِي <sup>(١)</sup> صَلَحَتِ الرِّعِيَّةُ ...

وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَتْ ...

ذَلِكُمْ هُوَ « ذِكْرَانُ بُنْ كَيْسَانَ » الْمُقَلَّبُ بِطَاوُوسٍ <sup>(٢)</sup> .

وَهُوَ لَقَبٌ خُلِعَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ كَانَ طَاوُوسَ الْمُقَهَّاءِ ...

وَالْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ فِي عَصْرِهِ .

\* \* \*

كَانَ طَاوُوسُ بُنْ كَيْسَانَ مِنْ أَهْلِ « الْيَمَنِ » ... وَكَانَتْ الْوَلَايَةُ فِي « الْيَمَنِ » إِذْ ذَاكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ أَخِي الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ .

فَقَدْ أَرْسَلَهُ الْحَجَّاجُ وَالْيَا عَلَيْهِمَا بَعْدَ أَنْ عَظُمَ أَمْرُهُ ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ ، وَاشْتَدَّتْ هَيْبَتُهُ ؛ إِنْزَ قَضَائِهِ عَلَى حَرَكََةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ <sup>(٣)</sup> .

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ يَجْتَمِعُ فِي ذَاتِهِ كَثِيرٌ مِنْ سَيِّقَاتِ أَخِيهِ الْحَجَّاجِ ، وَلِكِنَّهُ مَا كَانَ يَتَحَلَّى بِشَيْءٍ مِنْ حَسَنَاتِهِ .

\* \* \*

وَفِي غَدَاةٍ يَوْمٍ بَارِدٍ مِنْ أَيَّامِ الشِّتَاءِ دَخَلَ عَلَيْهِ طَاوُوسُ بُنْ كَيْسَانَ وَمَعَهُ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ <sup>(٤)</sup> .

فَلَمَّا أَخَذَا مَجْلِسَيْهِمَا عِنْدَهُ ؛ طَفِقَ طَاوُوسُ يَحْفَظُهُ وَيُرْعِبُهُ وَيُرْهِبُهُ ، وَالتَّاسُ جُلُوسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ... فَقَالَ الْوَالِي لِأَخِيهِ حُجَّاجِهِ :

(١) الرَّاعِي : مَنْ يَرْعَى أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَيَهْتَمُّ بِهَا ، وَالرِّعِيَّةُ : مِنْ بَرَعَاهُمْ وَحَوْلَى أُمُورِهِمْ .

(٢) الطَّاوُوسُ : طَائِرٌ حَسَنُ الشَّكْلِ طَوِيلُ الْعُنُقِ جَمِيلُ الْقَنَبَةِ ، وَقَدْ سُمِّيَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ .

(٣) اقْرَأْ عَمْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ الْحَجَّاجِ فِي كِتَابِ « صُورٍ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابِيَّاتِ » لِلْمَوْلَفِ .

(٤) وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : تَاهِيٌّ بَنِي فَارَسِي الْأَسْلَ عَارِفٌ بِأَعْيَانِ أَهْلِ الْكِتَابِ .

بَا غُلَامٌ أَخْضِرَ طَلَيْسَانَ<sup>(١)</sup>، وَأَلْقَاهُ عَلَى كَيْفِي أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ .  
 فَعَمَدَ الْحَاجِبُ إِلَى طَلَيْسَانَ ثَمِينٍ، وَأَلْقَاهُ عَلَى كَيْفِي طَاوُوسٍ .  
 فَظَلَّ طَاوُوسٌ مُتَدَفِّقًا فِي مُوَعِظَتِهِ، وَجَعَلَ يُحَرِّكُ كَيْفِيهِ فِي تُوْدَةٍ<sup>(٢)</sup> حَتَّى  
 أَلْقَى الطَّلَيْسَانَ عَنْ عَاتِقِهِ<sup>(٣)</sup>، وَهَبَ وَاقِفًا، وَانْصَرَفَ ...  
 فَغَضِبَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ غَضَبًا ظَهَرَ فِي اخْمَرَارِ عَيْنَيْهِ، وَاحْتِقَانِ<sup>(٤)</sup>  
 وَجْهِهِ ... غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا ...

فَلَمَّا صَارَ طَاوُوسٌ وَصَاحِبُهُ خَارِجَ الْمَجْلِسِ، قَالَ وَهَبُ لَطَاوُوسٍ :  
 وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا فِي غَيٍّ عَنْ إِثَارَةِ غَضَبِهِ عَلَيْنَا ...  
 فَمَازَا كَانَ يُضِيرُكَ<sup>(٥)</sup> لَوْ أَخَذْتَ الطَّلَيْسَانَ مِنْهُ، ثُمَّ بَغْتَةً، وَتَصَدَّقْتُ  
 بِشَمِيهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ١٩ .  
 فَقَالَ طَاوُوسٌ : هُوَ مَا تَقُولُ ...  
 لَوْلَا أَنَّنِي خَشِيتُ أَنْ يَقُولَ الْعُلَمَاءُ مِنْ بَغْدِيدٍ :

تَأْخُذُ كَمَا أَخَذَ طَاوُوسٌ ... ثُمَّ لَا يَصْنَعُونَ فِيمَا أَخَذُوهُ مَا تَقُولُ .

\* \* \*

وَكَأَنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ أَنْ يَرُدَّ لَطَاوُوسَ الْحَبْرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ<sup>(٦)</sup>،  
 فَتَنَصَّبَ لَهُ شَرَكًا مِنْ شِرَاكِهِ<sup>(٧)</sup> ... حَيْثُ أَعَدَّ صُرَّةً فِيهَا سَبْعُمِائَةٍ دِينَارٍ ذَهَبًا ...  
 وَاخْتَارَ رَجُلًا حَازِقًا مِنْ رِجَالِ حَاشِيَتِهِ وَقَالَ لَهُ :

(١) الطلَيْسَان : كساء أخضر اللون غالي الثمن تلبسه الخاصة .

(٢) تُوْدَةٍ : عُذْوَةٍ .

(٣) العَاتِق : مَا بَيْنَ الْمَنْكِبِ وَالْعُنُقِ، وَالْمَرَادُ بِهِ الْكَتِفُ . (٦) يَرُدُّ الْحَبْرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ : يُقَابِلُ الْأَمْرَ بِمُثْلِهِ ،

(٤) احْتِقَانٌ وَجْهِهِ : احْتِسَاسُ الْكُفْرِ فِي وَجْهِهِ .

وَيَتَقَمُّ مِنْهُ .

(٥) يَضِيرُكَ : يُلْذِيقُكَ رِيحًا مِنْ قُدْرِكَ . (٧) شَرَكًا مِنْ شِرَاكِهِ : حَبْلًا مِنْ حَبَالِ صَنْجِيهِ .

إِمضِ بِهِذِهِ الصُّرَّةَ إِلَى طَاوُوسِ بْنِ كَيْسَانَ ، وَاحْتَلِ عَلَيْهِ فِي أَخَذَهَا ...  
فَإِنْ أَخَذَهَا مِنْكَ أَجَزْتُكَ <sup>(١)</sup> عِطِيَّتِكَ ... وَكَسَوْتُكَ ، وَزَوَّيْتُكَ .  
فَخَرَجَ الرَّجُلُ بِالصُّرَّةِ ؛ حَتَّى أَتَى طَاوُوساً فِي قَرْيَةٍ كَانَ يُقِيمُ بِهَا بِالْقُرْبِ  
مِنْ « صَنْعَاءَ » يُقَالُ لَهَا « الْحِجْدُ » .

فَلَمَّا صَارَ عِنْدَهُ حَيَاةٌ ، وَأَنَسَهُ <sup>(٢)</sup> ، وَقَالَ لَهُ :  
يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، هَذِهِ نَفَقَةٌ بَعَثَ بِهَا الْأَمِيرُ إِلَيْكَ .  
فَقَالَ : مَالِي بِهَا مِنْ حَاجَةٍ .

فَاخْتَالَ عَلَيْهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ لِيَتَقَبَّلَهَا ؛ فَأَتَى ...  
وَأَدْلَى <sup>(٣)</sup> لَهُ بِكُلِّ حُجَّةٍ ؛ فَرَفَضَ .

فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ اغْتَنَمَ <sup>(٤)</sup> غَفْلَةً مِنْ طَاوُوسٍ ... وَرَمَى بِالصُّرَّةِ فِي  
كُوَّةٍ <sup>(٥)</sup> كَانَتْ يَجْدَارِ الْبَيْتِ ، وَغَادَ رَاجِعاً إِلَى الْأَمِيرِ وَقَالَ :  
لَقَدْ أَخَذَ طَاوُوسٌ الصُّرَّةَ أَتَمًّا الْأَمِيرُ .

فَسَرَّ لِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ ، وَسَكَتَ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا مَضَتْ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامٌ عِدَّةٌ ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ أَغْوَانِهِ <sup>(٦)</sup> ، وَمَعَهُمَا  
الرَّجُلُ الَّذِي حَمَلَ إِلَيْهِ الصُّرَّةَ ، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَقُولَا لَهُ :

إِنَّ رَسُولَ الْأَمِيرِ قَدْ أَخْطَأَ فَدَفَعَ إِلَيْكَ الْحَالَ ، وَهُوَ مُرْسَلٌ لِيُغَيِّرَكَ ...  
وَقَدْ أَتَيْنَا لِنَسْتَرِدَّكَ مِنْكَ ، وَنَحْمِلَهُ إِلَى صَاحِبِهِ .

(١) المضم : انقهر .

(١) أجزلت عطيتك : أكرمتك وأكثرت هبتك .

(٢) الكوة : النافذة الصغيرة في الجدار .

(٢) آتاه : لاطفه .

(٣) أدلى : من أصره : من رجلاه .

(٣) أدلى بالحجة : أحضر الحجة وأقهر بها .

فَقَالَ طَاوُوسٌ : مَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِ الْأَمِيرِ شَيْئًا حَتَّى أَرُدَّهُ إِلَيْهِ .  
فَقَالَ : بَلْ أَخَذْتَهُ .

فَالْتَقَتِ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي حَمَلَ إِلَيْهِ الصُّرَّةَ ، وَقَالَ لَهُ :  
هَلْ أَخَذْتُ مِنْكَ شَيْئًا ۱۹ .

فَأَصَابَ الرَّجُلَ دُغْرٌ<sup>(١)</sup> وَقَالَ : كَلَّا ...

وَأِنَّمَا وَضَعْتُ الْمَالَ فِي هَذِهِ الْكُوَّةِ فِي غَفْلَةٍ مِنْكَ .

فَقَالَ طَاوُوسٌ : دُونُكُمْ<sup>(٢)</sup> الْكُوَّةَ ، فَانْظُرَا فِيهَا .

فَنَظَرَا فِي الْكُوَّةِ ، فَوَجَدَا فِيهَا الصُّرَّةَ كَمَا هِيَ ، وَقَدْ ضَرَبَ عَلَيْهَا  
الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهِ<sup>(٣)</sup> ... فَأَخَذَاهَا ، وَعَادَا بِهَا إِلَى الْأَمِيرِ .

\* \* \*

وَكَانَ مَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقْتَصِرَ مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ يُوسُفَ عَلَى فَعْلَيْهِ هَذِهِ ،  
وَأَنْ يَجْعَلَ قِصَاصَهُ مِنْهُ عَلَى مَرَأَى مِنَ النَّاسِ وَمَشْهَدٍ ... فَكَيْفَ وَقَعَ ذَلِكَ ۱۹ .

حَدَّثَ طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ قَالَ :

بَيْنَمَا أَنَا فِي مَكَّةَ حَاجًّا بَعَثَ إِلَيَّ الْحُجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ  
عَلَيْهِ رَحَّبَ بِي ... وَأَذِنِي<sup>(٤)</sup> مَجْلِسِي مِنْهُ ...

وَوَطَّرَحَ لِي وَمَسَادَةً<sup>(٥)</sup> ، وَدَعَانِي لِأَنْ أَتَكِيَّ عَلَيْهَا ...

ثُمَّ رَاحَ يَسْأَلُنِي عَمَّا أَشْكَلُ عَلَيْهِ مِنْ مَنَاسِكِ<sup>(٦)</sup> الْحَجِّ ، وَغَيْرِهَا .

(١) الدهر: الحروف والقلوب .

(٢) دون: اسم فعل بمعنى أخذ ، ودونكما الكُوَّةُ : انظرا فيها .

(٣) بنسجه: بهيوطه .

(٤) وأذنى: مخلصاً ومكافئاً .

(٥) وسادة: مغطى ومكافئ .

(٦) مناسك الحج: عبادات الحج وأركانها .

(٧) أذنى مجلسي: تروى مقامي منه .

وَفِيمَا نَحْنُ كَذَلِكَ ، سَمِعَ الْحَجَّاجُ مُلَيَّباً يُلَيِّي حَوْلَ الْبَيْتِ ، وَتَرَفَعَ صَوْتُهُ  
بِالْثَّلَاثَةِ ، وَلَهُ نَبْرَةٌ (١) تَهْزُ الْقُلُوبَ هَزًّا ... فَقَالَ : عَلَيَّ بِهَذَا الْمُلَيَّبِ .

فَأْتَيْتُ لَهُ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَعْنِ الرَّجُلُ ؟

فَقَالَ : مِنْ الْمُسْلِمِينَ .

فَقَالَ : لَمْ أَسْأَلْكَ عَنْ هَذَا ، وَإِنَّمَا سَأَلْتُكَ عَنِ الْبَلَدِ .

فَقَالَ : مِنْ أَهْلِ « الْيَمَنِ » .

فَقَالَ : كَيْفَ تَرَكْتَ أَمِيرَكُمْ [ يَعْني أَخَاهُ ] ؟

فَقَالَ : تَرَكْتُهُ عَظِيماً ، جَسِيماً (٢) ...

لَبَّاساً ، رَكَّاباً ...

خَوَّاجاً ، وَلَاجاً (٣) ...

فَقَالَ : لَيْسَ عَنْ هَذَا سَأَلْتُكَ .

فَقَالَ : عَمَّ سَأَلْتَنِي إِذَنْ ؟

فَقَالَ : سَأَلْتُكَ عَنْ سِيرَتِهِ فَيَكُنْ .

فَقَالَ : تَرَكْتُهُ ظَلُوماً غَشُوماً (٤) ...

مُطِيعاً لِلْمَخْلُوقِ ، غَاصِياً لِلْخَالِقِ .

فَاخْمَرُوا وَجْهَ الْحَجَّاجِ حَجَلاً مِنْ مَجْلَسَاتِهِ ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ :

مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ أَنْ تَقُولَ فِيهِ مَا قُلْتَهُ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَكَانَهُ مِنِّي ؟

(١) النبوة : رفع الصوت بعد خفضه للتأثير في السامعين .  
(٢) جسيماً : بديناً عظمى الجسم .  
(٣) خَوَّاجاً وَلَاجاً : كَحَمَزِ الْمَدَائِلِ وَالْمَخَارِجِ .  
(٤) غَشُوماً : شديد الظلم .

فَقَالَ : أَتَرَاهُ بِمَكَانِهِ مِنْكَ أَعَزُّ مِنِّي بِمَكَانِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ١٩ .  
وَأَنَا وَإِنْدُ نَبِيِّهِ (١) ...

وَمُصَدِّقُ نَبِيِّهِ ...

وَقَاضِي دَيْنِهِ (٢) .

فَسَكَتَ الْحَجَّاجُ ، وَلَمْ يُجِرْ (٣) جَوَاباً .

قَالَ طَاوُوسُ :

ثُمَّ مَا لَيْتَ الرَّجُلُ أَنْ قَامَ ، وَانْصَرَفَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَأْذِنَ أَوْ يُؤْذَنَ لَهُ .

فَقُمْتُ فِي إِثْرِهِ (٤) ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي :

إِنَّ الرَّجُلَ صَالِحٌ ، فَاتَّبَعُهُ وَأَظْفَرُ (٥) بِهِ قَبْلَ أَنْ تُغَيِّبَهُ عَنْ عَيْنَيْكَ جُمُوعُ  
النَّاسِ ... فَتَبِعْتُهُ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ أَتَى النِّبْتَ وَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِهِ (٦) ، وَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَى  
جِدَارِهِ ، وَجَعَلَ يَقُولُ :

اللَّهُمَّ بِكَ أَعُوذُ (٧) ... وَبِحِجَابِكَ الْوُدُ (٨) ...

اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي الْإِطْلُقَيْنِ إِلَى جُودِكَ ، وَالرِّضَا بِضَمَانِكَ (٩)  
مَنْدُوحَةً (١٠) عَنْ مَنَعِ الْبَاخِلِينَ (١١) ، وَغْنَى عَمَّا فِي أَيْدِي الْمُسْتَأَثِّرِينَ (١٢) ...

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَرَجَكَ الْقَرِيبَ ... وَمَعْرُوفَكَ الْقَدِيمَ ...

وَعَادَتَكَ الْحَسَنَةَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

(١) وإليه يهتد : مقبل على بيت الله ، نازل في رحابه .

(٢) قاضي دينه : مؤدٍ لدينه .

(٣) لم يجز جواباً : لم ينطق بجواب .

(٤) إثره : ورائه .

(٥) أظفر به : أجده وأحاطني به .

(٦) بأستاره : بكساء الكعبة .

(٧) أعوذ : أحصم .

(٨) الود : النجى والحصن .

(٩) بضمانك : بكفالتك .

(١٠) مندوحة : شعة وعلاصاً .

(١١) الباخلين : البخلاء الأشعاء .

(١٢) للمستأثرين : محبي أنفسهم .

ثُمَّ ذَهَبَتْ بِهِ مَوْجَةٌ مِنَ النَّاسِ وَأَخْفَتْهُ عَنْ عَيْنِي ؛ فَأَبْقَيْتُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَيَّ  
لِقَائِهِ بَعْدَ ذَلِكَ ...

فَلَمَّا كَانَتْ عِشِيَّةُ «عَرْفَةَ» ، رَأَيْتُهُ وَقَدْ أَقَاضَ <sup>(١)</sup> مَعَ النَّاسِ ، فَذَنُوتُ مِنْهُ  
فَإِذَا هُوَ يَقُولُ :

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ لَمْ تَقْبَلْ حُجَّتِي ، وَتَعْيِي ، وَنَصِيي ... فَلَا تَحْرِمْنِي الْأَجَرَ  
عَلَى مُصِيبَتِي ؛ بِتَرْكِكَ الْقَبُولِ مِنِّي .

ثُمَّ ذَهَبَ فِي النَّاسِ ، وَسَتَرَهُ الظُّلَامُ عَنِّي ...

فَلَمَّا يَبْسُتُ مِنْ لِقَائِهِ قُلْتُ :

اللَّهُمَّ اقْبَلْ دُعَائِي وَدُعَاءَهُ ...

وَاسْتَجِبْ رَجَائِي وَرَجَاءَهُ ...

وَبَيَّثْ قَدَمَيَّ وَقَدَمَيْهِ يَوْمَ تَرُلُ الْأَقْدَامُ <sup>(٢)</sup> ...

وَاجْمَعْنِي مَعَهُ عَلَى حَوْضِ الْكَوْثَرِ <sup>(٣)</sup> يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ .

\* \* \*

وَالْيَ لِقَاءِ آخِرٍ مَعَ النَّابِغِيِّ الْجَلِيلِ «ذُكْوَانَ بْنِ كَيْسَانَ» .

الْمُلَقَّبِ بِطَاوُوسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ ...

وَجَمَلَ جَنَائِ الْخُلْدِ مَثْوَاهُ <sup>(٤)</sup> .

---

(١) أَقَاضَ النَّاسِ : انطلقوا وتفرقوا .

(٢) تَرُلُ الْأَقْدَامُ : تزلزل الأقدام ، وتسقط الأجسام .

(٣) الْكَوْثَرُ : نهر في الجنة .

(٤) مَثْوَاهُ : مقره ومقامه .



# طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ

## الْوَاعِظُ الْمُرْتَشِدُ

وَأَيْتُكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي الْخُلَمِ ، وَأَنْتَ تُصَلِّي فِي الْكَفْبَةِ وَالْيَمِينِ  
عَلَى بَابِهَا وَهُوَ يَقُولُ لَكَ : اكْشَفْ قِنَاعَكَ وَبَيِّنْ قِرَاءَتَكَ يَا طَاوُوسُ ،  
[مُجَابِلًا]

مَا كَادَ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يُبْلَغِي رِحَالَهُ <sup>(١)</sup> فِي  
اَكْثَافِ <sup>(٢)</sup> الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ...

وَيَبْلُ أَسْوَاقَهُ إِلَى الْكَفْبَةِ الْمُعْظَمَةِ حَتَّى التَّمَتْ إِلَى حَاجِبِهِ وَقَالَ :  
اِبْتَغِ <sup>(٣)</sup> لَنَا عَالِمًا يُفَقِّهُنَا فِي الدِّينِ ، وَتَذَكِّرُنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ الْأَعَزِّ مِنْ أَيَّامِ  
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فَمَضَى الْحَاجِبُ إِلَى وَجْهِهِ أَهْلِ الْمَوْسِمِ <sup>(٤)</sup> ، وَطَفِقَ يَسْأَلُهُمْ عَنْ بُغْيَةِ أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ ... فَقِيلَ لَهُ :

هَذَا طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ سَيِّدُ فُقَهَاءِ عَصْرِهِ ...  
وَأَصْدَقُهُمْ لَهْجَةً فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ... فَعَلَيْكَ بِهِ .  
فَأَقْبَلَ الْحَاجِبُ عَلَى طَاوُوسٍ وَقَالَ :  
أَجِبْ دَعْوَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَاهَا الشَّيْخُ .  
فَاسْتَجَابَ طَاوُوسٌ لَهُ مِنْ غَيْرِ إِنْطَاءٍ .

(١) الرِّحْلُ : مَا يَجْعَلُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعْرِ حُدَّ السَّفَرِ ، وَيُلْقَى رِحَالُهُ : يَهْلُ وَيَسْتَرْ .

(٢) اَكْثَافُ الْبَيْتِ : أَطْرَافُهُ .

(٣) اِبْتَغِ لَنَا : اطْلُبْ لَنَا .

(٤) الْمَوْسِمُ : مَجْمَعُ النَّاسِ لِلْمَحْجِ أَوْ لِلْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ .

ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَلَّا تَغْرِضَ لَهُمْ فُرْصَةً  
إِلَّا اغْتَنَّمُوهَا ...

وَأَلَّا تَسْتَنْحَ (١) لَهُمْ بَادِرَةً (٢) إِلَّا ابْتَدَرُوهَا (٣) ...  
وَكَانَ يُوقِنُ أَنَّ أَفْضَلَ كَلِمَةٍ تُقَالُ هِيَ كَلِمَةُ حَقٍّ ؛ أُرِيدَ بِهَا تَقْوِيمُ اغْوِجَاجِ  
ذَوِي السُّلْطَانِ ...

وَتَجْنِيبُهُمُ الْخَيْفَ (٤) وَالْجَوَزَ ...

وَتَقْرِيبُهُمُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ...

\* \* \*

مَضَى طَاوُوسٌ مَعَ الْحَاجِبِ ...

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَيَّاهُ ، فَرَدَّ الْخَلِيفَةُ التَّحِيَّةَ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ...  
وَأَكْرَمَ اسْتِيقْبَالَ زَائِرِهِ ، وَأَذْنَى مَجْلِسَهُ .  
ثُمَّ أَخَذَ يُسَائِلُهُ عَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْهِ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ ، وَنَهَضَتْ إِلَيْهِ فِي تَوْقِيرِ  
وُجْهِهِ .

قَالَ طَاوُوسٌ :

فَلَمَّا سَمِعْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ بَلَغَ بُعْيَتَهُ (٥) ، وَلَمْ يَبْقَ لَدَيْهِ مَا يَسْأَلُ  
عَنْهُ ، قُلْتُ فِي نَفْسِي :

إِنَّ هَذَا الْمَجْلِسَ لَمَجْلِسُ يَسْأَلُكَ اللَّهُ عَنْهُ يَا طَاوُوسُ ...

ثُمَّ تَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ :

---

(١) تَسْتَنْحَ لَهُمْ : تُلَوِّحَ لَهُمْ .

(٢) بَادِرَةٌ : فُرْصَةٌ .

(٣) ابْتَدَرُوهَا : حَبَلُوا إِلَيْهَا وَأَفَادُوا مِنْهَا .

(٤) الْخَيْفَ : الظُّلَمَ .

(٥) بُعْيَتُهُ : حَاجَتُهُ وَغَرَضُهُ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ صَخْرَةَ كَانَتْ عَلَى شَفِيرٍ <sup>(١)</sup> يَفِرُ فِي قَفَرٍ جَهَنَّمَ ...  
وَقَدْ ظَلَّتْ تَهْوِي فِي هَذِهِ الْبِئْرِ سَبْعِينَ خَرِيفًا <sup>(٢)</sup> حَتَّى بَلَغَتْ قَرَارَهَا ...  
أَتَدْرِي لِمَنْ أَعَدَّ اللَّهُ هَذِهِ الْبِئْرَ مِنْ آثَارِ جَهَنَّمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟  
فَقَالَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ : لَا ... ثُمَّ عَادَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَقَالَ :  
وَيْلَكَ ، لِمَنْ أَعَدَّهَا ١٢ .

فَقُلْتُ : أَعَدَّهَا اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ لِمَنْ أَشْرَكَهُ <sup>(٣)</sup> فِي حُكْمِهِ ، فَجَارَ ...  
فَأَخَذْتُ سُلَيْمَانَ لِذَلِكَ رَغْدَةً ، ظَنَنْتُ مَعَهَا أَنَّ رُوحَهُ سَتَضَعُدُ مِنْ تَيْنِ  
جَنِّيهِ ... وَجَعَلَ يَتَكَبَّرُ ؛ وَلِكَايَةِ نَشِيجٍ <sup>(٤)</sup> يُقَطِّعُ نِيَّاطَ <sup>(٥)</sup> الْقُلُوبِ ...  
فَتَرَكْتُهُ وَانصَرَفْتُ ...  
وَهُوَ يُجَزِّنِي <sup>(٦)</sup> خَيْرًا .

\* \* \*

وَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَرُ بْنُ عَبْدِ الْقَزِيزِ <sup>(٧)</sup> الْخِلَافَةَ ؛ بَعَثَ إِلَى طَاوُوسِ بْنِ كَيْسَانَ  
بِقَوْلٍ : أَوْصِنِي يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ .  
فَكَتَبَ إِلَيْهِ طَاوُوسٌ رِسَالَةً فِي سَطْرِ وَاحِدٍ قَالَ فِيهَا :  
« إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ عَمَلُكَ خَيْرًا كُلُّهُ ، فَاسْتَغْمِلْ أَهْلَ الْخَيْرِ ،  
وَالسَّلَامُ » .

(١) شفير بحر : فوق بحر .

(٢) خريفًا : حاصًا .

(٣) أشركه في حكمه : ولَّاهُ أمور الناس .

(٤) النشيج : الغصة بالبكاء من غير صوت .

(٥) النياط : جمع مفردة نَاطٍ ، وهو عرق خلط مطلق بالقلب إذا انقطع مات صاحبه .

(٦) يجزئني خيراً : يقول لي : جزيت خيراً وبكرت ذلك .

(٧) عُثْمَرُ بْنُ عَبْدِ الْقَزِيزِ : انظره ص ٨٠ ، ٢٥٥ ، ٣٢٦ .

فَلَمَّا قَرَأَ عُثْمَرُ الرِّسَالَةَ قَالَ :

كَفَى بِهَا مَوْعِظَةً ...

كَفَى بِهَا مَوْعِظَةً ...

\* \* \*

وَلَمَّا آلَتْ<sup>(١)</sup> الْخِلَافَةُ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَتْ لِبَطَاوُوسِ بْنِ كَيْسَانَ مَعَهُ مَوَاقِفُ مَشْهُورَةٍ مَأْثُورَةٍ<sup>(٢)</sup>.

مِنْ ذَلِكَ أَنَّ هِشَامًا قَدِيمَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ حَاجًّا ... فَلَمَّا صَارَ فِي الْحَرَمِ ، قَالَ لِخَاصِّيهِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ :

الْتَمِسُوا<sup>(٣)</sup> لَنَا رَجُلًا مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ الصَّحَابَةَ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - قَدْ تَلَاخَقُوا بِرَبِّهِمْ وَاجْتَدَأَ<sup>(٤)</sup> إِثْرُ آخَرٍ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

فَقَالَ : إِذَنْ ؛ فَمِنْ التَّابِعِينَ ... فَأَتَنِي بَطَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ .

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ ، خَلَعَ نَعْلَيْهِ بِحَاشِيَةٍ<sup>(٥)</sup> يَسَاطِطِهِ ...

وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْعُوهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ...

وَحَاطَبَهُ بِاسْمِهِ دُونَ أَنْ يُكْنِيَهُ<sup>(٦)</sup> ...

وَجَلَسَ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ بِالْجُلُوسِ ...

فَانْتَشَاطَ<sup>(٧)</sup> هِشَامٌ غَضَبًا حَتَّى بَدَا الْفَيْظُ فِي عَيْنَيْهِ .

(١) آلت الخلالة : انتقلت الخلالة .

(٢) مأثورة : مروية مرفوعة .

(٣) التمسوا : ابخوا .

(٤) اجتدأ : ابتدأ .

(٥) حاشية بساطه : طرف بساطه .

(٦) يكنيه : الكنية ما سُلِّتْ بِهَا أَوْ أُمِّ كَأَنِّي الْقَاسِمُ وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ .

(٧) انتشاط : اشتعل .

ذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى فِي تَصَوُّفَاتِهِ بِلَكَ اجْتِرَاءَ عَلَيْهِ ، وَثِيلاً مِنْ هَيْبَتِهِ أَمَامَ  
مُجْلَسَاتِهِ ، وَرِجَالٍ حَاشِيَتِهِ ...

يَبْدَأُ أَنَّهُ مَا لَيْتَ أَنْ تَذْكُرَ أَنَّهُ فِي حَرَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ...  
فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ لَطَاوُوسُ :

مَا حَمَلَكَ يَا طَاوُوسُ عَلَى مَا صَنَعْتَ ۱۲ .

فَقَالَ : وَمَا الَّذِي صَنَعْتُهُ ۱۲ .

فَعَادَ إِلَى الْخَلِيفَةِ غَضَبُهُ وَغَيْظُهُ ، وَقَالَ :

خَلَعْتَ نَعْلَيْكَ بِحَاشِيَةِ بَسَاطِي ...

وَلَمْ تُسَلِّمْ عَلَيَّ بِإِمْرَةِ <sup>(١)</sup> الْمُؤْمِنِينَ ...

وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِي ، وَلَمْ تُكْنِي ...

ثُمَّ جَلَسْتَ مِنْ غَيْرِ إِذْنِي ...

فَقَالَ طَاوُوسُ يَهْدُوهُ :

أَمَّا خَلْعُ نَعْلَيَّ بِحَاشِيَةِ بَسَاطِكَ ، فَأَنَا أَخْلَعُهُمَا بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْعِزَّةِ كُلِّ يَوْمٍ

خَمْسَ مَرَّاتٍ ... فَلَا يُعَاتِبُنِي ، وَلَا يَقْضِبُ عَلَيَّ ...

وَأَمَّا قَوْلُكَ أَنِّي لَمْ أُسَلِّمْ عَلَيْكَ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ ...

فَلِأَنَّ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسُوا رَاضِينَ بِإِمْرَتِكَ ...

وَقَدْ حَشِيتُ أَنْ أَكُونَ كَإِذَا إِذَا دَعَوْتُكَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ...

وَأَمَّا مَا أَخَذْتَهُ عَلَيَّ مِنْ أَنِّي نَادَيْتُكَ بِاسْمِكَ ، وَلَمْ أَكُنْ ...

فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ نَادَى أَنْبِيَاءَهُ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَقَالَ :

(١) إمرة المؤمنين : الخلافة .

يَا دَاوُدُ ... يَا يَحْيَى ... يَا عِيسَى ...

وَكُنِيَ أَعْدَاءَهُ فَقَالَ :

﴿بَيِّنْتُ<sup>(١)</sup> يَدَا أَبِي لَهَبٍ<sup>(٢)</sup>، وَتَبَّ<sup>(٣)</sup>...﴾

وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنِّي جَلَسْتُ قَبْلَ أَنْ تَأْذَنَ لِي ... فَإِنِّي سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ :

« إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَانْظُرْ إِلَى رَجُلٍ جَالِسٍ ، وَحَوْلَهُ قَوْمٌ قِيَامٌ يَنْتَظِرُونَ » .

فَكَرِهْتُ أَنْ تَكُونَ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي عُذُّ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ...

فَأُطْرِقُ<sup>(٤)</sup> هِسَامَ إِلَى الْأَرْضِ خَجَلًا ... ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ :

عِظْنِي يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ :

« إِنَّ فِي جَهَنَّمَ حَيَاتٍ كَالْقِلَالِ<sup>(٥)</sup> ... وَعَقَارِبَ كَالْبَعَالِ ...

تَلْدَعُ كُلُّ رَاغٍ لَا يَغْدِلُ فِي رَعِيَّتِهِ » .

ثُمَّ قَامَ وَانْصَرَفَ .

\* \* \*

وَكَمَّا كَانَ طَاوُوسٌ يُقِيلُ عَلَى بَعْضِ أَوْلِي الْأَمْرِ تَذَكِيرًا لَهُمْ وَتَوْجِيهًا ...

فَقَدْ كَانَ يُعْرِضُ<sup>(٦)</sup> عَنْ بَعْضِهِمُ الْآخِرَ تَبْكِيَةً<sup>(٧)</sup> وَتَأْنِيًا ...

(١) بَيِّنْتُ : خَبَّرْتُ .

(٢) أَبُو لَهَبٍ : هَمَّ الرُّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَاحِدٌ حُجَّةٍ لِلشَّرْكِينَ ، أَذْنَى الشَّيْءِ أَشَدُّ الْإِثْمَاءِ هُوَ وَزَوْجَتُهُ .

(٣) سُورَةُ الْمَدِّ : ١ .

(٤) أُطْرِقُ : نَظَرْتُ إِلَى الْأَرْضِ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ .

(٦) يُعْرِضُ : يَصْعَدُ وَيَهْأَلِي .

(٧) تَبْكِيَةً : اسْتِهَانَةً بِهِمْ ، وَتَحْقِيرًا لَهُمْ .

(٥) الْقِلَالُ : الْأَهْلِيَّةُ الطَّوِيلَةُ الْغُلِظَةُ .

حَدَّثَ ابْنُهُ قَالَ :

خَرَجْنَا ذَاتَ سَنَةٍ مَعَ أَبِي مُحْجَاً مِنَ «الْيَمَنِ» ، فَزَلْنَا فِي بَعْضِ الْمُدُنِ وَعَلَيْهَا عَامِلٌ يُقَالُ لَهُ «ابْنُ نَجِيج» ... وَكَانَ مِنْ أَحَبِّهِ الْعُمَالِ ، وَأَكْثَرِهِمْ جُرْأَةً عَلَى الْحَقِّ ، وَأَشَدَّهُمْ إِعْثَالاً<sup>(١)</sup> فِي الْبَاطِلِ ...

فَأَتَيْنَا مَسْجِدَ الْبَلَدِ نُرِيدُ أَدَاءَ الْمَكْثُورَةِ<sup>(٢)</sup> ، فَإِذَا «ابْنُ نَجِيج» قَدْ عَلِمَ بِقُدُومِ أَبِي ، فَجَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ...

فَلَمْ يُجِبْهُ أَبِي ، وَأَذَارَ لَهُ ظَهْرُهُ ...

فَأَتَاهُ عَنْ يَمِينِهِ وَكَلَّمَهُ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ...

فَعَدَلَ إِلَى يَسَارِهِ وَكَلَّمَهُ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ أَيْضاً ...

فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قَعْتُ إِلَيْهِ ، وَمَدَدْتُ يَدِي نَحْوَهُ ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ أَبِي لَمْ يَغْرِفْكَ ...

فَقَالَ : بَلْ إِنَّ أَبَاكَ يَغْرِفُنِي ...

وَإِنْ مَغْرِفْتُهُ بِي هِيَ الَّتِي جَعَلْتُهُ يَصْنَعُ مَا رَأَيْتُ ...

ثُمَّ مَضَى وَهُوَ سَاكِتٌ لَا يَقُولُ شَيْئاً .

فَلَمَّا عُدْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ التَّقَتْ إِلَيَّ أَبِي وَقَالَ :

يَا لُكْعُ<sup>(٣)</sup> ... تَسْلِقُ<sup>(٤)</sup> هَؤُلَاءِ بِالسِّنَةِ جَدَادٍ فِي غَيْبَتِهِمْ ...

فَإِذَا حَضَرُوا خَصَفَتْ لَهُمْ بِالْقَوْلِ !! ...

(١) لِعْثَالاً : دَسُولاً وَتَمَقُّفاً .

(٢) الْمَكْثُورَةُ : الْقِرْبَةُ .

(٣) يَا لُكْعُ : يَا أَحْمَقُ .

(٤) تَسْلِقُهُمْ : تَبَالِغُ فِي ذَمِّهِمْ .

وَعَلَى التَّفَاقُ غَيْرَ هَذَا ١٩ .

\* \* \*

هَذَا، وَإِنَّ طَاوُوسَ بْنِ كَيْسَانَ لَمْ يَخْصُصِ الْحُلَفَاءَ وَالْوَلَاةَ بِمَوَاعِظِهِ ،  
وَأِنَّمَا بَذَلَهَا لِكُلِّ مَنْ أَنْسَ (١) بِهِ حَاجَةً إِلَيْهَا أَوْ رَغْبَةً فِيهَا .

مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَئَاحٍ (٢) قَالَ :

رَأَيْتُ طَاوُوسَ بْنَ كَيْسَانَ فِي مَوْقِفٍ لَمْ يَتَوَخَّ لَهٗ ، فَقَالَ :

يَا عَطَاءُ ، إِنَّكَ أَنْ تَوَفَّعَ حَوَائِجَكَ إِلَى مَنْ أَعْلَقَ فِي وَجْهِكَ بَابَهُ ...  
وَأَقَامَ دُونَكَ مُحْجَابَهُ (٣) ...

وَأِنَّمَا اطْلُبْهَا مِنْ أَسْرَعِ (٤) لَكَ أَبْوَابُهُ ...

وَطَالِبِكَ يَا تَذَعُّوهُ ... وَوَعْدَكَ بِالْإِجَابَةِ ...

\* \* \*

وَتَكَانَ يَقُولُ لِأَنِّي :

يَا بُنَيَّ ، صَاحِبِ الْعُقَلَاءِ تُنْسَبُ إِلَيْهِمْ ، وَإِنْ لَمْ تُكُنْ مِنْهُمْ ...  
وَلَا تُصَاحِبِ الْجُهَالَ ، فَإِنَّكَ إِنْ صَحِبْتَهُمْ نُسِبَتْ إِلَيْهِمْ وَإِنْ لَمْ تُكُنْ مِنْهُمْ ...  
وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ غَايَةً (٥) ...

وَأَنَّ غَايَةَ الْمَرْءِ تَعَامُ دِينَهُ ، وَكَمَالُ خُلُقِهِ .

وَقَدْ نَشَأَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى مَا رَبَّاهُ عَلَيْهِ أَبْوُهُ ، وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِ ، وَسَارَ  
بِسِيرَتِهِ ... مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ الْعَبَّاسِيَّ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ اسْتَدْعَى وَلَدَهُ

(١) أَنْسَ : شَرَعَ .

(٢) عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَئَاحٍ : انظره ص ٩ . (٤) أَسْرَعُ أَبْوَابِهِ : فُتِحَها عَلَى مَصَارِعِهَا .

(٣) مُحْجَابَهُ : الْوَالِقِينَ عَلَى بَابِهِ مِنْ غُلَالِهِ وَجَدَهُ . (٥) الْغَايَةُ : الْقَصْدُ وَالنَّيْلُ .



عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاوُوسٍ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ<sup>(١)</sup> لِرِيَّازِيهِ، فَلَمَّا دَخَلَا عَلَيْهِ، وَأَخَذَا مَجْلِسَيْهِمَا عِنْدَهُ؛ التَفَتَ الْحَلِيفَةُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاوُوسٍ وَقَالَ:

إِزْوِ لِي شَيْقًا مِمَّا كَانَ يُحَدِّثُكَ بِهِ أَثْرُكَ.

فَقَالَ: «حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَشْرَكَ<sup>(٢)</sup> اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُلْطَانِهِ، فَأَدْخَلَ الْجُوزَ فِي حُكْمِهِ».

قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ:

فَلَمَّا سَمِعْتُ مَقَالَتَهُ هَذِهِ؛ ضَمَعْتُ عَلَيَّ يَتَابِي خَوْفًا مِنْ أَنْ يُصِيبَنِي شَيْءٌ مِنْ دَمِهِ... يَتَذَّ أَنْ أَتَا جَعْفَرِ أَمْسَكَ<sup>(٣)</sup> سَاعَةً لَا يَتَكَلَّمُ.

ثُمَّ صَرَفْنَا بِسَلَامٍ.

\* \* \*

وَقَدْ امْتَنَدَبَ الْحَيَاةُ بِطَاوُوسٍ بْنِ كَيْسَانَ حَتَّى بَلَغَ الْجَائِةَ، أَوْ جَاوَزَهَا قَلِيلًا... غَيْرَ أَنَّ الْكِبَرَ وَالشَّيْخُوخَةَ لَمْ يَنَالَا شَيْقًا مِنْ صَفَاءٍ ذَهَبِيٍّ، وَجَدَّةٍ خَاطِرِهِ<sup>(٤)</sup>، وَشُرْعَةٍ بَدِيهِيَّةٍ<sup>(٥)</sup>.

حَدَّثَ عَبْدُ اللَّهِ الشَّامِيُّ قَالَ:

أَتَيْتُ طَاوُوسًا فِي بَيْتِهِ لَأُخَذَ عَنَّهُ، وَأَنَا لَا أَعْرِفُهُ... فَلَمَّا طَرَقْتُ الْبَابَ خَرَجَ إِلَيَّ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَحَيَّيْتُهُ وَقُلْتُ: أَأَنْتَ طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ؟

فَقَالَ: بَلْ أَنَا أَثْنُهُ...

(١) مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: هُوَ أَحَدُ تَابِعِي الثَّابِتِينَ، وَعَلِمَ مِنْ أَعْلَامِ الْمُسْلِمِينَ، وَصَاحِبُ مَذْهَبٍ مَالِكٍ.

(٢) أَشْرَكَ فِي سُلْطَانِهِ: وَلَّاهُ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ.

(٣) أَمْسَكَ: تَوَقَّفَ وَضَمَّتْ.

(٤) جِدَّةٌ خَاطِرُهُ: دَقَّةُ فِكْرِهِ.

(٥) شُرْعَةُ الْبَدِيهَةِ: الْإِجَابَةُ مِنْ غَيْرِ جَهْدٍ فِكْرٍ.

فَقُلْتُ : إِنْ كُنْتُ ابْنُهُ ، فَلَا أَمْرَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْخُ قَدْ هَرِمَ وَخَرِفَ <sup>(١)</sup> ، وَإِنِّي  
قَصَدْتُهُ مِنْ أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ لِأُفِيدَ مِنْ عِلْمِهِ ...

فَقَالَ : وَيَحْكُ ...

إِنْ حَمَلَةَ كِتَابِ اللَّهِ لَا يَخْرُقُونَ ... ادْخُلْ عَلَيْهِ ...

فَدَخَلْتُ عَلَى طَاوُوسٍ وَسَلَّمْتُ ، وَقُلْتُ :

لَقَدْ أَتَيْتُكَ طَالِبًا عِلْمَكَ رَاغِبًا فِي نُصْحِكَ .

فَقَالَ : سَلْ وَأَوْجِزْ <sup>(٢)</sup> .

فَقُلْتُ : سَأَوْجِزُ مَا وَسِعَنِي الْإِبْجَارُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ...

فَقَالَ : أَتُرِيدُ أَنْ أَجْمَعَ لَكَ صَفْوَةَ <sup>(٣)</sup> مَا فِي التَّوْرَةِ ، وَالزَّبُورِ <sup>(٤)</sup> ،  
وَالْإِنْجِيلِ ، وَالْقُرْآنِ ؟

فَقُلْتُ : نَعَمْ ...

فَقَالَ : خَفِ اللَّهُ تَعَالَى خَوْفًا يَحِثُّ لَا يَكُونُ شَيْءٌ أَخْوَفَ لَكَ مِنْهُ ...

وَارْجُهُ رَجَاءً أَشَدَّ مِنْ خَوْفِكَ إِثَاءً ...

وَأَحِبِّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ...

\* \* \*

وَفِي لَيْلَةِ الْعَاشِرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سِتٍّ وَمِائَةٍ ، أَقَاضَ <sup>(٥)</sup> الشَّيْخُ الْمُعَمَّرُ  
طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ مَعَ الْحَجَّاجِ مِنْ « عَرَفَاتٍ » إِلَى « الْمَزْدَلِفَةِ » لِلْحَرَةِ  
الْأَنْبَعِينَ .

(١) خَرِفَ : فَسَدَ عَقْلُهُ مِنَ الْكِبَرِ .

(٢) أَوْجِزْ : اِخْتَصِرْ .

(٤) الزَّبُورُ : كِتَابُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٥) أَقَاضَ : انْطَلَقَ .

(٣) صَفْوَةُ الشَّيْءِ : مَخْلَصَتُهُ وَأَحْسَنُهُ وَأَمَنُهُ .

فَلَمَّا حَظَّ رِخَالَهُ فِي رِخَابِهَا الطَّاهِرَةِ ، وَأَدْنَى الْمَغْرِبِ مَعَ الْعِشَاءِ ...  
وَأَسْلَمَ جَنْبَهُ إِلَى الْأَرْضِ ؛ يَلْتَمِسُ <sup>(١)</sup> شَيْعًا مِنَ الرَّاحَةِ ...  
أَتَاهُ الْيَقِينُ <sup>(٢)</sup> ...

فَلَقِيَهُ بَعِيدًا عَنِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ ؛ تَقَرُّبًا لِلَّهِ ...  
مُتَلَبِّيًا مُعْرِمًا ؛ رَجَاءً لِقَوَابِ اللَّهِ ...

خَارِجًا مِنْ دُتُوبِهِ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ؛ بِفَضْلِ اللَّهِ ...  
فَلَمَّا طَلَعَ عَلَيْهِ الصُّبْحُ ، وَأَرَادُوا دَفْنَهُ ... لَمْ يَتِمَّ كُنُوتُهُ مِنْ إِخْرَاجِ جَنَازَتِهِ  
لِكَثْرَةِ مَا ارْتَدَحَمَ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ .  
فَوُجَّهَ إِلَيْهِمْ أَمِيرُ مَكَّةَ حَرَسًا لِيَتَذَوُّوا <sup>(٣)</sup> النَّاسَ عَنِ الْجَنَازَةِ حَتَّى يُقْبَلَ <sup>(٤)</sup>  
لَهُمْ دَفْنُهَا ...

وَقَدْ صَلَّى عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ ...  
وَكَانَ فِي جُمْلَةِ الْمُصَلِّينَ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ ...  
هَشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ (\*) .

(١) يَلْتَمِسُ : يَتَنَبَّهُ . (٢) الْيَقِينُ : الْمَوْتُ . (٣) لِيَتَذَوُّوا : لِيُدْفِنُوا . (٤) يُقْبَلُ لَهُمْ : يُسَهَّلُ لَهُمْ .

(٥) للاستزادة مِنْ أَعْيَانِ طَاوُوسِ بْنِ كَثْعَانَ انظر :

- ١ - الطبقات الكبرى لابن سعد : ٥٣٧/٥ .
- ٢ - طبقات خليفة بن خياط : ٢٨٧ .
- ٣ - تاريخ خليفة بن خياط : ٢٣٦ .
- ٤ - التاريخ الكبير : ٤/٣٦٥ .
- ٥ - تاريخ الفسري : ١/٧٠٥ .
- ٦ - المرح والتمثيل : ٤/٥٠٠ .
- ٧ - حلية الأولياء : ٤/٣ ، ٢٣ .
- ٨ - طبقات الفقهاء للشيرازي : ٧٣ .
- ٩ - الباب : ١/٢٤١ .
- ١٠ - تهذيب التهذيب : ٢/١٠١ .
- ١١ - تاريخ الإسلام : ٤/١٢٦ .
- ١٢ - تذكرة الحفاظ : ١/٩٠ .
- ١٣ - البير : ١/١٣٠ .
- ١٤ - طبقات القراء : ١/٣٤١ .
- ١٥ - النجوم الزاهرة : ١/٢٦ .
- ١٦ - شذرات الذهب : ١/١٣٣ .

# القاسم بن محمد بن أبي بكر

«لَوْ كَانَ لِي مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ لَوَلَّيْتُ الْقَاسِمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَلِيلَةَ» .

[عَمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ]

هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ هَذَا الثَّابِعِيِّ الْجَلِيلِ ؟

إِنَّهُ فَتَى جَمَعَ الْمَجْدَ مِنْ أَطْرَافِهِ كُلِّهَا ؛ حَتَّى لَمْ يَفْتَهُ مِنْهُ شَيْءٌ ...

فَأَبْرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ...

وَأُمُّهُ بِنْتُ كِسْرَى «يَزْدَجُزْد» آخِرِ مُلُوكِ «الْفُرْسِ» ...

وَعَمَّتُهُ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ...

وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ قَدْ تَوَجَّ هَامَتُهُ<sup>(١)</sup> بِتَاجِ الثَّقَلَى وَالْعِلْمِ .

أَفْتَحَسِبُ أَنَّ فَوْقَ هَذَا الْمَجْدِ مَجْدًا يَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُتَنَافِسُونَ<sup>(٢)</sup> ؟

ذَلِكَمُ هُوَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ .

أَحَدُ فَهَاءِ الْمَدِينَةِ السَّبْعَةِ<sup>(٣)</sup> ... وَأَفْضَلُ أَهْلِ زَمَانِهِ عِلْمًا ...

وَأَحَدُهُمْ<sup>(٤)</sup> ذَهْنًا ... وَأَشَدُّهُمْ وَرَعًا ...

فَتَعَالَ نَبْدًا قِصَّةَ حَيَاتِهِ مِنْ أَوَّلِهَا ...

\* \* \*

(١) هَامَتُهُ : رَأَتْهُ .

(٢) يَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُتَنَافِسُونَ : يَتَفَاعَرُ فِيهِ الْمُتَفَاعِرُونَ .

(٣) فَهَاءُ الْمَدِينَةِ السَّبْعَةِ هُمْ : سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، وَغُرُورَةُ بْنُ الزَّكَّارِ ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْخَزْزَمِيُّ ، وَغَارِجَةُ

ابْنُ زَيْدٍ ، وَشَلَيْتَانُ بْنُ بَسْرٍ ، وَغَدِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ .

(٤) أَحَدُهُمْ ذَهْنًا : أَحَدُهُمْ قُرْهَةً .

وُلِدَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ... لَكِنَّ الطُّفْلَ الصَّغِيرَ مَا كَادَ يَذْرُجُ<sup>(١)</sup> فِي عَشِيهِ ، حَتَّى عَصَفَتْ<sup>(٢)</sup> فِي دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ رِيحُ الْفِتْنَةِ الْهَوَاجِءِ<sup>(٣)</sup> ...

فَاسْتَشْهَدَ الْحَلِيفَةُ الْعَبَّادُ الرَّهَّادُ ذُو الثَّوَرَيْنِ<sup>(٤)</sup> وَهُوَ مُنْحَنٍ بِصُلْبِهِ<sup>(٥)</sup> عَلَى أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ .

وَنَسِبَ<sup>(٦)</sup> الْخِلَافُ الْكَبِيرَ بَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمُعَاوِيَةَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَمِيرِ يَلَادِ الشَّامِ ...

وَفِي سَيْسِلَةٍ مُفْرَعَةٍ مُذْهِلَةٍ مِنَ الْأَخْذَاتِ الْمُتَلَاخِفَةِ ...

وَجَدَ الطُّفْلُ الصَّغِيرُ نَفْسَهُ يُحْمَلُ مَعَ أَخِيهِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى «مِصْرَ» ... فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُلْحَقَا بِأَيِّهِمَا ؛ بَعْدَ أَنْ عَدَا وَالِيًا عَلَيْهَا مِنْ قِبَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

ثُمَّ رَأَى أَطَافِرَ الْفِتْنَةِ الْحُمْرَ تَمْتَدُّ إِلَى أَبِيهِ ؛ فَتَقَتَّلُهُ سَرَّ قِتْلَةٍ .

ثُمَّ أَلْفَى<sup>(٧)</sup> نَفْسَهُ يُنْقَلُ مَرَّةً أُخْرَى مِنْ «مِصْرَ» إِلَى الْمَدِينَةِ ؛ بَعْدَ أَنْ اسْتَوَلَى عَلَيْهَا أَنْصَارُ مُعَاوِيَةَ ... وَقَدْ أَصْبَحَ بَيْتِيماً لَطِيماً<sup>(٨)</sup> ...

\* \* \*

حَدَّثَ الْقَاسِمُ نَفْسَهُ عَنْ رِحْلَةِ الْعَذَابِ هَذِهِ وَمَا تَلَاَهَا ، فَقَالَ :

(١) يذرج : يمشي .

(٢) عصفت : هبت واشتدت .

(٣) الريح الهواجاء : الريح الشديدة التي تطلع البيوت .

(٤) ذو الثورين : هو عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ... انظره في كتاب «صور من حياة الصحابة» للمؤلف ،

الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشروعة .

(٥) صُلْبُهُ : عَظْمُ ظَهْرِهِ .

(٧) أَلْفَى نَفْسَهُ : وَجَدَ نَفْسَهُ .

(٨) اللطيم : الغلام الذي مات أبواه .

(٦) نسب الخلفاء : ناز الخلفاء .

لَمَّا قُتِلَ أَبِي بِمَضَرَ جَاءَ عَمِّي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَاحْتَمَلَنِي  
أَنَا وَأُخْتِي الصَّغِيرَةَ ... وَمَضَى بِنَا إِلَى الْمَدِينَةِ .

فَمَا أَنْ بَلَّغْتَاهَا حَتَّى بَعَثْتُ إِلَيْنَا عَمَّتِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَحَمَلَتْنَا مِنْ  
مَنْزِلِ عَمِّي إِلَى بَيْتِهَا ... وَرَبَّتْنَا فِي جِجْرِهَا<sup>(١)</sup> .

فَمَا رَأَيْتُ وَالِدَةَ قَطُ وَلَا وَالِدًا أَكْثَرَ مِنْهَا بِرًا ...  
وَلَا أَوْفَرَ<sup>(٢)</sup> شَفَقَةً ...

كَانَتْ تُطْعِمُنَا بِيَدَيْهَا، وَلَا تَأْكُلُ مَعَنَا ...  
فَإِذَا بَقِيَ مِنْ طَعَامِنَا شَيْءٌ أَكَلَتْهُ .

وَكَانَتْ تَحْنُو عَلَيْنَا حَنُوَ الْمَرْضِعَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ<sup>(٣)</sup>، فَتَعْمِلُ  
أَجْسَادَنَا ... وَتُمَشِّطُ شُعُورَنَا ...

وَتُلْبِسُنَا الْأَيْصُ النَّاصِعَ مِنَ الثِّيَابِ .  
وَكَانَتْ لَا تَقْنَأُ تَحْضُنًا عَلَى الْخَيْرِ، وَتُمْرُسُنَا<sup>(٤)</sup> بِفِغْلِهِ ...

وَتَنْهَانَا عَنِ الشَّرِّ، وَتَحْمِلُنَا عَلَى تَرْكِهِ .  
وَقَدْ دَأْبَتْ عَلَى تَلْقِينِنَا مَا نُطِيقُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ...

وَتَرْوِيَتُنَا<sup>(٥)</sup> مَا نَعْقِلُهُ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .  
وَكَانَتْ تَزِيدُنَا بِرًا وَإِتْحَافًا<sup>(٦)</sup> فِي الْمَدِينَتَيْنِ ...

فَإِذَا كَانَتْ عَشِيَّةً «عَرَفَةً» حَلَقْتُ لِي شَعْرِي ...

(١) الجِجْرُ: الحِضْنُ، وَفِي جِجْرِهَا: فِي كَتِفَيْهَا وَرِجْلَيْهَا . (٤) تُمْرُسُنَا: تَدْرُسُنَا .

(٢) أَوْفَرُ شَفَقَةً: أَكْثَرُ حَنَانًا . (٥) تَرْوِيَتُنَا: تَحْمِلُنَا نِزَوِي الْحَدِيثِ .

(٣) الْفَطِيمُ: الصَّغِيرُ الْمَقْطُومُ عَنِ الْوَسْطِ . (٦) إِتْحَافًا: إِهْلَاءً .

وَعَسَلْتَنِي أَنَا وَأُخِي ...

فَإِذَا أَصْبَحْنَا أَلْبَسْتَنَا الْجَدِيدَ ...

وَبَعَثَتْ بِنَا إِلَى الْمَسْجِدِ لِتُؤَدِّي صَلَاةَ الْعِيدِ .

فَإِذَا عُدْنَا مِنْهُ جَمَعْتَنِي أَنَا وَأُخِي وَصَحَّت يَدَايَ أَيْدِينَا .

\* \* \*

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ أَلْبَسْتَنَا ثِيَابًا بَيَاضاً ، ثُمَّ أَجْلَسْتَنِي عَلَى إِخْدَى رُكْبَتَيْهَا ...

وَأَجْلَسْتُ أُخِي عَلَى رُكْبَتَيْهَا الْأُخْرَى .

وَكَانَتْ قَدْ دَعَتْ عَمِّي عَبْدَ الرَّحْمَنِ ... فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا حَيْثُهُ ، ثُمَّ تَكَلَّمَتْ : فَحَمِدَتْ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ ، وَاتَّثَّتْ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ<sup>(١)</sup> .

فَمَا رَأَيْتُ مُتَّكِلًا قَطُّ مِنْ رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا ، أَفْصَحَ مِنْهَا لِسَانًا ... وَلَا أَعْدَبَ<sup>(٢)</sup> بَيَانًا ...

ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّ أُخِي<sup>(٣)</sup> ...

إِنِّي لَمْ أَزَلْ أَرَاكَ مُعْرِضًا<sup>(٤)</sup> عَنِّي مُتُّدًّا أَخَذْتُ هَذَيْنِ الصَّبِيغَيْنِ مِنْكَ ، وَضَعْتُهُمَا إِلَيَّ ...

وَوَاللَّهِ مَا فَعَلْتُ ذَلِكَ تَطَاوُلًا<sup>(٥)</sup> عَلَيْكَ ...

وَلَا شَوْءَ ظَنُّ بِكَ ...

وَلَا اتَّهَمَا لَكَ بِالتَّقْصِيرِ فِي حَقِّهِمَا ...

---

(١) بما هو أهله : بما يليق ببلاته .

(٢) أعذب بياناً : أحلى كلاماً وأبلغ قولاً .

(٣) أي أخي : يا أخي .

(٤) معرضاً عني : مباحداً لي .

(٥) تطاولاً عليك : احتلالاً عليك .

وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ ذُو نِسَاءٍ<sup>(١)</sup>...

وَهُمَا صَبِيَّانِ صَغِيرَانِ لَا يَقُومَانِ بِأَمْرِ<sup>(٢)</sup> نَفْسَيْهِمَا .

فَحَشِيشٌ أَنْ يَرَى نِسَاؤَكَ مِنْهُمَا مَا يَتَقَدَّرُ<sup>(٣)</sup>؛ فَلَا يَطْلُبَنَّ بِهِمَا نَفْسًا .

وَوَجَدْتُ أَنِّي أَحَقُّ مِنْهُنَّ بِالْقِيَامِ عَلَى أَمْرِهِمَا فِي هَذِهِ الْحَالِ ...

وَهَاهُمَا الْآنَ قَدْ شَبَا ، وَأَصْبَحَا قَادِرَتَيْنِ عَلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِ نَفْسَيْهِمَا ...

فَخُذْهُمَا وَصُغَّهُمَا<sup>(٤)</sup> إِلَيْكَ .

فَأَخَذَنَا عَمِّي عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَصَمَّنَا إِلَى بَيْتِهِ .

\* \* \*

بَيَّدَ أَنَّ الْعَلَامَ « الْبَكْرِيُّ » ، ظَلَّ مُعْلَقَ الْقَلْبِ بِبَيْتِ عَمَّتِهِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضْوَانَ

اللَّهِ عَلَيْهَا ... فَعَلَى أَرْضِ بَيْتِهَا الْمُضْمَحَّةِ<sup>(٥)</sup> يَطْلُوبُ الثُّبُورَ دَرَجَ<sup>(٦)</sup> ...

وَفِي أَكْنَافِ<sup>(٧)</sup> صَاحِبَتَيْهِ تَرْتَلِي وَتَرْغَرُ ...

وَمِنْ حَنَائِهَا الْمُتَدَفِّقِ نَهْلَ<sup>(٨)</sup> وَارْتَوَى .

فَصَارَ يُورَغُ وَقْتُهَ يَنْ بَيْتِهَا وَيَتَبَّ عَمِّهِ .

\* \* \*

وَقَدْ ظَلَّتْ ذِكْرِيَّاتٍ مَنَزِلَ عَمَّتِهِ الشَّدِيدِ<sup>(٩)</sup> النَّدِيَّةِ الرَّفَافَةِ<sup>(١٠)</sup> تَحْنِيَا فِي

خَاطِرِهِ مَا افْتَدَّتْ بِهِ الْحَيَاةَ ...

فَاسْتَمِعَ إِلَى بَعْضِ حَدِيثِهِ عَنْ تِلْكَ الذِّكْرِيَّاتِ حَيْثُ يَقُولُ :

(١) ذُو نِسَاءٍ : شَمَعْدُ الزَّوْجَاتِ .

(٢) بِأَمْرِ نَفْسَيْهِمَا : بِخَلْعَةِ ذَاتِهِمَا .

(٣) مَا يَتَقَدَّرُ : مَا لَا يَحْتَمِلُهُ مِنْ أَوْسَاعِهَا .

(٤) وَصُغَّهُمَا إِلَيْكَ : أَكْسَبَهُمَا عَنْكَ .

(٥) الْمُضْمَحَّةُ : الْمُسَوَّرَةُ .

(٦) دَرَجَ : نَشَأَ وَتَرَعَى .

(٧) أَكْنَافَ : رَحَابَ .

(٨) نَهْلَ : اسْتَقَى .

(٩) الشَّدِيدَةُ : الْثَقِيلَةُ بِرِيحِ الْمَسَكِ .

(١٠) الرَّفَافَةُ : الْخَلَائِفَةُ .



قُلْتُ ذَاتَ يَوْمٍ لِعَمَّتِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

يَا أُمَّةُ<sup>(١)</sup>، إِنْشِفِي لِي عَنْ قَبْرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَقَبْرِي صَاحِبِيهِ ... فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَرَاهَا .

وَكَانَتْ الْقُبُورُ الثَّلَاثَةُ مَا زَالَتْ دَاخِلَ بَيْتِهَا ، وَقَدْ عَطِثَهَا بِمَا يَشْتَرُهَا عَنِ الْعَيْنِ ... فَكَشَفْتُ لِي عَنْ ثَلَاثَةِ قُبُورٍ لَا مُشْرِفَةَ<sup>(٢)</sup> وَلَا وَاطِقَةَ .

قَدْ مُهَدَّتْ بِصِفَارِ الْحَصَى الْخَمْرِ بِمَا كَانَ فِي تَابِخَةِ الْمَسْجِدِ .

قُلْتُ : أَيْنَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا وَقَالَتْ : هَذَا .

ثُمَّ تَحَدَّرَتْ<sup>(٣)</sup> عَلَى خَدَيْهَا ذِمَعَتَانِ كَبِيرَتَانِ ...

فَبَادَرَتْ<sup>(٤)</sup> ، فَمَسَحَتْهُمَا حَتَّى لَا أَرَاهُمَا .

وَكَانَ قَبْرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُقَدِّمًا عَلَى قَبْرِي صَاحِبِيهِ .

قُلْتُ : وَأَيْنَ قَبْرِ جَدِّي أَبِي بَكْرٍ ؟

فَقَالَتْ : هَا هُوَ ذَا .

وَكَانَ مَذْفُونًا عِنْدَ رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

قُلْتُ : وَهَذَا قَبْرِ عُمَرَ ؟

فَقَالَتْ : نَعَمْ .

---

(١) يَا أُمَّةُ : يَا أُمِّي .

(٢) لَا مُشْرِفَةَ : مَا هِيَ مُرْتَفَعَةٌ عَالِيَةً .

(٣) تَحَدَّرَتْ : انْسَكَبَتْ .

(٤) بَادَرَتْ : أَسْرَعَتْ ، وَعَاجَلَتْ .

وَكَانَ رَأْسُ عُمرَ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ عِنْدَ خَضِرِ جَدِّي ، قَرِيباً مِنْ رِجْلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

\* \* \*

وَلَمَّا سَبَّ الْفَتَى « الْبَكْرِيُّ » كَانَ قَدْ حَفِظَ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ...  
وَأَخَذَ عَنْ عَمَّتِهِ عَائِشَةَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَأْخُذَ .  
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْحَزَمِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ، وَانْقَطَعَ إِلَى خَلَقَاتِ الْعِلْمِ الَّتِي  
كَانَتْ تَنْتَبِهُ<sup>(١)</sup> فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِهِ كَمَا تَنْتَبِهُ النُّجُومُ الزُّهُرُ<sup>(٢)</sup> عَلَى صَفْحَةِ  
السَّمَاءِ ...

فَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عُمرَ ، وَعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَبِيدِ اللَّهِ  
ابْنِ الزُّبَيْرِ<sup>(٣)</sup> ...

وَعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ خَبَّابٍ ، وَزَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ ، وَأَسْلَمَ  
مَوْلَى عُمرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَغَيْرِهِمْ وَغَيْرِهِمْ ...  
حَتَّى عَدَا إِمَاماً مُجْتَهِداً ...

وَأَصْبَحَ مِنْ أَعْلَمِ أَهْلِ زَمَانِهِ بِالسُّنَنِ<sup>(٤)</sup> .

وَكَانَ الرَّجُلُ لَا يُعَدُّ رَجُلًا عِنْدَهُمْ حَتَّى يُتَقَرَّ السُّنَّةُ ...

\* \* \*

وَلَمَّا اكْتَمَلَتْ لِلشَّابِّ الْبَكْرِيِّ أَدَوَاتُ الْمَعْرِفَةِ ؛ أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ  
يَلْتَمِسُونَ<sup>(٥)</sup> عِنْدَهُ الْعِلْمَ بِشَغَفٍ<sup>(٦)</sup> ...

(١) تنظر : تطرق .

(٢) النجوم الزهر : النجوم الواضحة المضيئة .

(٣) انظرهم في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشروعة .

(٤) السنة : ما صح من حديث رسول الله ﷺ .

(٥) يلتمسون : يطلبون ويتشبهون .

(٦) بشغف : بشوق ورغبة .

وَأَقْبَلَ هُوَ عَلَيْهِمْ يَهْدِيهِمْ لَهُمْ بِسَخَاءٍ ...  
فَكَانَ يَأْتِي مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ كُلِّ يَوْمٍ فِي  
مَوْعِدٍ لَا يُخْلِفُهُ ... فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ يُحْيِي بِهِمَا الْمَسْجِدَ ...  
ثُمَّ يَأْخُذُ مَكَانَهُ أَمَامَ خَوْخَةِ<sup>(١)</sup> عُمَرَ فِي الرُّوضَةِ الْغَرَاءِ بَيْنَ قَبْرِ النَّبِيِّ  
صَلَّوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَبَيْنَ مِنبَرِهِ<sup>(٢)</sup>.  
فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ طُلَّابُ الْعِلْمِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ...  
وَيَنْتَهِلُونَ مِنْ مَوَارِدِهِ الْعَذْبَةِ الْمُصَفَّاءِ مَا يَمَلَأُ الثُّغُورَ الْعَطَشَى رِيًّا .  
وَلَمْ يَمْضِ طَوِيلٌ وَقَبْتُ حَتَّى أَصْبَحَ الْقَائِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَابْنُ خَالَتِهِ سَالِمُ بْنُ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ<sup>(٣)</sup> إِمَامِي الْمَدِينَةِ الْمُؤْتَوَّقِينَ<sup>(٤)</sup> ...  
وَسَيِّدَيْهَا الْمُطَاعَيْنِ ، وَرَجُلَيْهَا الثَّاقِدَيْنِ<sup>(٥)</sup> ...  
عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِي أَيْدِيهِمَا وَلَا يَهُ وَلَا سُلْطَانٌ .  
فَقَدْ سَوَّدَهُمَا<sup>(٦)</sup> النَّاسُ لِمَا كَانَا يَتَخَلَّيَانِ بِهِ مِنَ الثَّقَلِ وَالْوَزَعِ ...  
وَمَا يَحْمِلَانِي فِي صَدْرِيهِمَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ ...  
وَمَا يَزِدَانِي بِهِ مِنَ الزَّهَادَةِ يَمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَالرَّغْبَةِ يَمَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ  
وَجَلَّ ...

\* \* \*

(١) الخوخة : نافذة صغيرة في البيت تؤدي إليه الضوء ، وهي الباب الصغير في الباب الكبير .  
(٢) بين قبر النبي ومنبره : وهو مكان مبارك حيث يقول النبي عليه الصلاة والسلام « بين يتي ومنبري روضة من رياض الجنة » وقد أصبح يته هو قبره عليه الصلاة والسلام .  
(٣) سالم بن عبد الله بن عمر : انظره ص ٣٦٨ ، ٣٧٨ .  
(٤) المؤتوقين : الذين يثق بهما الناس .  
(٥) الثاقدين : المسموعين الكلمة .  
(٦) سودهما الناس : أقرعما الناس عليهم .

وَقَدْ بَلَغَ مِنْ مَكَاتِبِهِمَا فِي النَّفْسِ أَنَّ خُلَفَاءَ نَبِيِّ (أُمِّيَّةً ، وَلَوْلَا تَهُم كَانُوا لَا يَنْقَطِعُونَ أَمْرًا ذَا هَالٍ (١) فِي شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ الْمَدِينَةِ إِلَّا يَرَأُونِيهِمَا .  
مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ عَقَدَ الْعَزْمَ عَلَى تَوْسِيعَةِ الْحَرَمِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ .

وَلَمْ يَكُنْ فِي وَشِعِهِ أَنْ يُحَقِّقَ هَذِهِ الْأُمِّيَّةَ (٢) الْعَالِيَةَ إِلَّا إِذَا هَدَمَ الْمَسْجِدَ الْقَدِيمَ مِنْ جِهَاتِهِ الْأَرْبَعِ ...  
وَأَزَالَ بَيْتَ زُوجَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، وَصَلَّاهَا إِلَى الْمَسْجِدِ .

وَهِيَ أُمُورٌ تَشُقُّ (٣) عَلَى النَّاسِ ...

وَلَا تَطْلُبُ (٤) نَفُوسُهُمْ بِهَا ...

فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالِيهِ عَلَى الْمَدِينَةِ يَقُولُ :  
لَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ أَوْسَعَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يُضْبِعَ يَأْتِنِي ذِرَاعٍ فِي يَأْتِنِي ذِرَاعٍ .

فَاهْدِمِ مَجْدَرَانَهُ الْأَرْبَعَةَ ، وَأَذْجِلْ فِيهِ مُحَجَّرَ (٥) زُوجَاتِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ...

وَاشْتَرِ مَا فِي تَوَاجِيهِ مِنَ الْبَيْتِ ...

وَقَدِّمِ الْقَبِيلَةَ إِنْ قَدَّرْتَ .

(١) ذَا هَال : ذَا شَأْنٍ .

(٢) الْأُمِّيَّةُ : مَا يَتَعَنَّى الْإِنْسَانُ وَيَتَعَنَّى .

(٣) تَشُقُّ عَلَى النَّاسِ : تَصْغُبُ عَلَيْهِمْ .

(٤) لَا تَطْلُبُ نَفُوسُهُمْ بِهَا : لَا يَسْرُونَ بِهَا ، وَلَا يَرْتَحُونَ إِلَيْهَا . (٥) مُحَجَّرٌ : مُحْرَفٌ .

وَأَنْتَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ لِمَكَانٍ<sup>(١)</sup> أَخْوَالِكَ آلِ الْحَطَّابِ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ فِي  
قُلُوبِ النَّاسِ .

فَإِذَا أَتَى عَلَيْكَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَلِكَ ؛ فَاسْتَعِزْ بِالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَسَالِمِ بْنِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَأَشْرِكْهُمَا مَعَكَ فِي الْأَمْرِ ...  
وَادْفَعْ إِلَى النَّاسِ أَثْمَانَ يُؤْتِيهِمْ بِسَخَاءٍ ...  
وَإِنَّ لَكَ فِي ذَلِكَ سَلَفِي صِدْقٍ ...  
هُمَا عُمَرُ بْنُ الْحَطَّابِ وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ .

\* \* \*

فَدَعَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَسَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَطَائِفَةً مِنْ  
وُجُوهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ... فَشَرُّوا بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ  
الْخَلِيفَةُ ، وَهَجَرُوا لِإِنْفَازِهِ<sup>(٢)</sup> .

فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ عَالِيَةَ الْمَدِينَةِ وَإِمَامَتَهَا الْكَبِيرَيْنِ ؛ يُبَايِعَانِ هَذَا  
الْمَسْجِدَ بِأَيْدِيهِمَا ، قَامُوا مَعَهُمَا قَوْمَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ...  
وَأَنْفَذُوا مَا بَجَاءَ فِي كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ...

وَكَانَتْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ الْمُظْفَرَةُ تَذُقُ آتِيْلَ أَبْوَابِ الْحُصُونِ  
الْمُقْبِضَةِ<sup>(٣)</sup> إِلَى مَدِينَةِ « الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ » ...

وَتَسْتَوْلِي عَلَيْهَا وَاحِدًا بَعْدَ آخَرٍ بِقِيَادَةِ الْأَمِيرِ الْبَاسِلِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ  
الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ<sup>(٤)</sup> ... وَذَلِكَ تَمْهيدًا لِفَتْحِ « الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ » نَفْسِهَا .

(١) لِمَكَانٍ أَخْوَالِكَ : لِمَقَاهِمُ وَمَنْزِلَتِهِمْ .

(٢) هَجَرُوا لِإِنْفَازِهِ : انْطَلَقُوا لِلْقِيَامِ بِهِ .

(٣) الْمُقْبِضَةُ : الْمَوْصِلَةُ .

(٤) هُوَ أَحَدُ كِبَارِ قَادَةِ الْمُسْلِمِينَ ، غَزَا بِلَادَ أَرْمِينِيَا كَمَا

غَزَا بِلَادَ الرُّومِ حَتَّى بَلَغَ خَلِيجَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ .

فَلَمَّا عَلِمَ مَلِكُ « الرُّومِ » يَعْزِمُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى تَوْسِيعَةِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ  
الشَّرِيفِ ، أَحَبَّ أَنْ يُصَانِعَهُ <sup>(١)</sup> ، وَيَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِمَا يَسُرُّهُ ...  
فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفٍ مِنْقَالٍ مِنَ الذَّهَبِ ...  
وَأَرْسَلَ مَعَهَا مِائَةَ عَامِلٍ مِنْ أَهْمَرِ الْبَتَائِنِ فِي بِلَادِ « الرُّومِ » ...  
وَزَوَّدَ الْعُمَّالَ بِأَرْبَعِينَ جِعْلًا مِنَ الْفُسْطَيْفَسَاءِ <sup>(٢)</sup> ...  
فَأَرْسَلَ الرَّيْذُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْغَزِيرِ ؛ لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى بِنَاءِ  
الْمَسْجِدِ ... فَانْفَقَهُ عُمَرُ بِمَشُورَةِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَصَاحِبِهِ .

\* \* \*

وَلَقَدْ كَانَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَشَدَّ النَّاسِ تَأْسِيًا <sup>(٣)</sup> بِحَدِّهِ الصُّدِّيِّ رِضْوَانُ  
اللَّهِ عَلَيْهِ ، حَتَّى قَالَ النَّاسُ :  
لَمْ يَلِدْ أَبُو بَكْرٍ وَلَدًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْ هَذَا الْفَتَى .  
فَلَقَدْ أَشْبَهَهُ فِي كَرَمِ سَمَائِلِهِ <sup>(٤)</sup> ، وَنُبْلِ خَصَائِلِهِ <sup>(٥)</sup> ...  
وَصَلَابَةِ إِيْمَانِهِ ، وَشِدَّةِ وَرَعِهِ ...  
وَسَمَاحَةِ نَفْسِهِ <sup>(٦)</sup> ، وَسَخَائِ يَدِهِ ...  
وَقَدْ أُتِرَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ تَشْهَدُ لَهُ بِهِذَا .  
مِنْ ذَلِكَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَقَالَ :  
أَمَّا أَعْلَمُ أَنْتَ أَمْ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ؟ .

(١) يصانعه : يلبسه ويدهنه .

(٢) الفُستَيْفَسَاءُ : قطع صغيرة من الرخام زاهية الألوان يؤلف بتلصقها مع بعض في أشكال رائعة مذهبة ، وتزين بها جدران القصور .

(٣) تأسيًا بفلان : تشبهًا به ، وجرىً على منهجه .

(٥) نبلى خصائله : رفعة صفاته .

(٦) سماحة نفسه : جود نفسه وسخاء يده .

(٤) كرم شمائله : سفر أفعاله .

فَتَسَاوَلَ عَنْهُ .

فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ ...

فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ .

فَأَعَادَهَا كَرَّةً ثَالِثَةً ، فَقَالَ لَهُ : ذَاكَ سَأَلِمَ يَا بَنَ أَخِي يَجْلِسُ هُنَاكَ .

فَقَالَ مَنْ فِي الْمَجْلِسِ :

لِلَّهِ أَبُوهُ<sup>(١)</sup> ... لَقَدْ كَرِهَ أَنْ يَقُولَ : أَنَا أَعْلَمُ مِنْهُ ؛ فَيَزُكِّي نَفْسَهُ<sup>(٢)</sup> ...

وَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ : هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي ؛ فَيَكْذِبَ ...

وَكَانَ أَعْلَمَ مِنْ سَأَلِمَ .

\* \* \*

وَلَقَدْ رُئِيَ ذَاتَ مَرَّةٍ «يَحْيَى» ، وَأَمْلُ الْأَمْصَارِ مِنْ حُجَّاجِ بَيْتِ اللَّهِ  
يُطَبِّقُونَ<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ؛ وَهُمْ يَسْأَلُونَهُ .

فَكَانَ يُجِيبُهُمْ بِمَا يَعْلَمُ ، وَيَقُولُ لَهُمْ فِيمَا لَا يَعْلَمُ :

لَا أَذْرِي ... لَا أَعْلَمُ ... لَا أَذْرِي ... فَأَخَذَهُمْ مِنْهُ الْعَجَبُ .

فَقَالَ لَهُمْ : مَا نَعْلَمُ كُلُّ مَا تَسْأَلُونَ عَنْهُ ...

وَلَوْ عَلِمْنَاهُ مَا كَتَمْنَاهُ ...

وَلَا يَجِلُّ لَنَا أَنْ نَكْتُمَهُ ...

وَلَاَنْ يَعْيشَ الرَّجُلُ جَاهِلًا - بَعْدَ أَنْ يَعْرِفَ حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ - خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ

يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ .

\* \* \*

(١) لله أبوه : كلمة تقال في مجال اللوح والسطح .

(٣) يطبقون عليه : يتكاثرون عليه ويلطقون حوله .

(٢) يزكِّي نفسه : يمدح نفسه .

وَفِي ذَاتِ مَرَّةٍ ، عَهْدٌ <sup>(١)</sup> إِلَيْهِ يَقْسِمَةُ الصَّدَقَاتِ <sup>(٢)</sup> يَنْزُ مُسْتَحِقَّيْهَا ؛  
فَاجْتَهَذَ فِي ذَلِكَ مَا وَسِعَهُ الْاجْتِهَادُ ...

وَأَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ...

غَيْرَ أَنْ أَحَدَهُمْ لَمْ يَرَوْضَ عَنْ نَصِيبِهِ الَّذِي أُعْطِيَ لَهُ .

فَأَتَاهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي ، وَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الصَّدَقَةِ .  
فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ :

وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَتَكَلَّمُ فِي رَجُلٍ مَا نَالَ مِنْ صَدَقَتِكُمْ دِرْهَمًا وَلَا دَانِقًا <sup>(٣)</sup> ...  
وَلَا أَصَابَ مِنْهَا تَعْمَرَةٌ وَاحِدَةً .

فَأَوْجَزَ <sup>(٤)</sup> الْقَاسِمُ صَلَاتَهُ ، وَالتَفَّتْ إِلَى ابْنِهِ وَقَالَ :

يَا بُنَيَّ ، لَا تَتَكَلَّمُ بَعْدَ الْيَوْمِ فِيمَا لَا تَعْلَمُ .

فَقَالَ النَّاسُ : صَدَقَ ابْنُهُ ...

وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُرَبِّيَهُ ، وَأَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ مِنَ التَّوَشُّعِ <sup>(٥)</sup> فِي الْكَلَامِ .

\* \* \*

وَقَدْ عُمِّرَ الْقَاسِمُ بَنُ مُحَمَّدٍ حَتَّى تَبِفَ <sup>(٦)</sup> عَلَى الثَّانِيَةِ وَالسَّبْعِينَ ...

لَكِنَّهُ كُفَّ بَصَرُهُ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ .

وَفِي آخِرِ سَنَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ ، قَصَدَ مَكَّةَ يُرِيدُ الْحَجَّ ... وَفِيمَا هُوَ فِي بَغْضِ  
طَرِيقِهِ أَتَاهُ الْيَقِينُ <sup>(٧)</sup> ...

---

(١) عَهْدٌ إِلَيْهِ : أَوْكَلَ إِلَيْهِ .

(٢) الصَّدَقَاتُ : أَمْوَالُ الزَّكَاةِ .

(٣) الدَانِقُ : شُدُّ الدَّرَمِ .

(٤) أَوْجَزَ : قَصَرَ .

(٥) التَّوَشُّعُ فِي الْكَلَامِ : قَوْلُ مَا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ .

(٦) تَبِفَ : زَادَ .

(٧) الْيَقِينُ : الْإِنْتِقَالُ إِلَى الْأَمْرِ .



فَلَمَّا أَحَسَّ بِالْأَجَلِ (١) التَفَّتْ إِلَى ابْنِهِ وَقَالَ :  
 إِذَا أَنَا مِتُّ ، فَكَفَّنِي بِبَيْتَائِي الَّتِي كُنْتُ أَصْلِي فِيهَا :  
 قَمِيصِي ...  
 وَإِزَارِي ...  
 وَرِدَائِي ....  
 فَذَلِكَ كَانَ كَفَنُ جَدِّكَ أَبِي بَكْرٍ .  
 ثُمَّ سَوَّ عَلَيَّ لَحْدِي .  
 وَالْحَقُّ بِأَهْلِكَ .  
 وَإِنَّا كُمْ أَنْ تَقِفُوا عَلَى قَبْرِي ، وَتَقُولُوا :  
 كَانَ ...  
 وَكَانَ ...  
 فَمَا كُنْتُ شَيْعًا (٥) .

---

(١) الأَجَلُ : الوفاة .

- (٥) للاستزادة من أعبار القاميس بن محمد بن أبي بكر انظر :  
 ١ - جلية الأولياء : ١٨٣/٢ .  
 ٢ - صيغة الصلوة ( الطبعة الحلية ) : ٨٨/٢ .  
 ٣ - تهذيب التهذيب : ٣٣٣/٨ .  
 ٤ - وفیات الأعيان لابن خلكان : ٥٩/٤ - ٦٠ ، و(انظر الفهارس في الجزء الثامن) .  
 ٥ - الطبقات الكبرى لابن سعد : ١٨٧/٥ .  
 ٦ - شذرات الذهب للعماد الحنبلي : ١٣٥/١ .  
 ٧ - نكت التهيان للصفدي : ٢٣٠ .  
 ٨ - الكامل في التاريخ : ١١٤/٥ .  
 ٩ - تاريخ الطبري ( طبعة دار المعارف ) : ٤٢٢/٣ و(انظر الفهارس) .  
 ١٠ - الأغاني لأبي النرج الأصمهاني ( طبعة صادر ) : ٢٧٩/٢٠ .

# صَلَّةُ بَنِ أَشْتِمِ الْعَدَوِيِّ

وَتَلْقَى صَلَّةُ بَنِ أَشْتِمِ عَنْ جِلَّةِ الصَّحَابَةِ ،  
وَأَقْتَبَسَ مِنْ خِلَالِهِمْ ، وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ ،

[الأضنيَّاتُ]

صَلَّةُ بَنِ أَشْتِمِ الْعَدَوِيِّ عَابِدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّيْلِ ...

وَفَارِسٌ مِنْ فُؤَسَانِ النَّهَارِ ...

كَأَنَّ إِذَا نَشَرَ الظَّلَامُ أَسْتَارَهُ عَلَى الْكَوْنِ ، وَأُسْلِمَتْ (١) الْجُنُوبُ إِلَى  
الْمَضَاجِعِ ... قَامَ فَأَسْتَبَعَ الْوُضُوءَ (٢) ، ثُمَّ صَفَّ فِي مِخْرَابِهِ ، وَدَخَلَ فِي صَلَاتِهِ ،  
وَهَامَ وَجَدًا يَرْبُو .

فَيُشْرِقُ فِي نَفْسِهِ سَنًا (٣) إِلَهِي ؛ يُنِيرُ لِيَصِيرَتَهُ أَرْجَاءَ الْكَوْنِ ...

وَيُرِيهِ آيَاتِ اللَّهِ فِي الْآفَاقِ .

وَكَأَنَّ إِلَى ذَلِكَ مُوَلِّعًا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ...

فَإِذَا أَقْبَلَ الْهَزِيعُ (٤) الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ ؛ انْحَنَى بِصُلْبِهِ عَلَى أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ ...

وَانْطَلَقَ يُرْتِّلُ آيَاتِ اللَّهِ الْبَيِّنَاتِ بِصَوْتِ نَدِيٍّ ، وَجُزْئِ سَجِيٍّ ...

فَتَارَةً يَجِدُ لِلْقُرْآنِ حَلَاوَةً تَأْخُذُ بِمَجَامِعِ (٥) قَلْبِهِ ، وَتَسْتَأْثِرُ بِمَكَامِنِ لُبِّهِ (٦)

مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ...

(١) أُسْلِمَتْ: المُنُوبُ إِلَى الْمَضَاجِعِ: غَرِقَ النَّاسُ فِي النَّوْمِ .

(٢) أَسْبَغَ الْوُضُوءَ: أَتَمَّ الْوُضُوءَ وَاتَّقَنَهُ .

(٣) السَّنَا: النَّوَرُ .

(٤) مَجَامِعُ قَلْبِهِ: جَوَانِبُ فَوَائِدِ كُلِّهَا .

(٥) اللَّبُّ: الْعَقْلُ الْمَصَانِفِيُّ .

(٦) الْهَزِيعُ الْأَخِيرُ: الثَّلَاثُ الْأَخِيرُ .

وَأُخْرَى يَسْتَشِيرُ لِلْقُرْآنِ خَشْعَةً تُصَدِّحُ فُؤَادَهُ ...

\* \* \*

وَلَمْ يَكُنْ صِلَةً بَيْنَ أَشْيَمٍ يَفْتُرُ عَنْ عِبَادَتِهِ هَذِهِ قَطْ ...

لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ جِلِّهِ وَتَرْوَحَالِهِ ، وَشُغْلِهِ وَفَرَاغِهِ .

حَكَى جُفْفَرُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ :

خَرَجْنَا مَعَ جَيْشٍ مِنْ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزَاةٍ <sup>(١)</sup> إِلَى مَدِينَةِ  
& كَابِلٍ ، <sup>(٢)</sup> رَجَاءً أَنْ يَفْتَحَهَا اللَّهُ لَنَا ؛ وَكَانَ فِي الْجَيْشِ صِلَةٌ بَيْنَ أَشْيَمٍ .

فَلَمَّا أَرَخَى اللَّيْلُ سُدُورَهُ <sup>(٣)</sup> - وَنَحْنُ فِي بَقْعِ الطَّرِيقِ - حَطَّ الْجُنْدُ  
رِجَالَهُمْ ، وَأَصَابُوا شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ ، وَأَذُوا الْعِشَاءَ الْأَخِيرَةَ ...

ثُمَّ مَضَوْا إِلَى رِجَالِهِمْ يَلْتَمِسُونَ عِنْدَهَا حَطًّا مِنَ الرَّاحَةِ ...

فَرَأَيْتُ صِلَةً بَيْنَ أَشْيَمٍ يَمْضِي إِلَى رِجْلِهِ كَمَا مَضَوْا ...

وَيُحْمِلُ جَنْبَهُ إِلَى الرِّقَادِ كَمَا فَعَلُوا .

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَتَيْنَ الَّذِي يَزُودُهُ مِنْ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَعِبَادَتِهِ ، وَيُشْبِعُونَهُ  
مِنْ قِيَامِهِ حَتَّى تَتَوَرَّمَ قَدَمَاهُ ۱۲ .

وَاللَّهُ لَا زَمَقَةً <sup>(٤)</sup> اللَّيْلَةَ حَتَّى أَرَى مَا يَكُونُ مِنْهُ .

فَمَا أَنْ غَرِقَ الْجُنْدُ فِي نَوْمِهِمْ ... حَتَّى رَأَيْتُهُ يَسْتَبْقِطُ مِنْ رَفْدَتِهِ ،  
وَيَنْحَارُ <sup>(٥)</sup> عَنِ الْعُسْكَرِ مُسْتَبْرَأً بِالْعَثْمَةِ ، وَيَدْخُلُ فِي غَابَةِ لَقَاءٍ <sup>(٦)</sup> ، بَاسِقَةً

(١) غَزَاةٌ : غُرُورٌ .

(٢) كَابِلٌ : عَاصِمَةُ أَفْغَانِسْتَانِ ، وَهِيَ وَاقِعَةٌ عَلَى نَهْرِ كَابَلٍ .

(٣) أَرَخَى سُدُورَهُ : أَشْدَلَ ظِلَامَهُ عَلَى الْكَوْنِ . (٥) يَنْحَارُ عَنِ الْعُسْكَرِ : يَمِيلُ إِلَى جِهَةِ بَعِيدَةٍ عَنِ الْعُسْكَرِ .

(٤) لَا زَمَقَةً : لَا تَنْطَرُونَ إِلَيْهِ . (٦) لَقَاءٌ : مَلَقَةُ الْأَشْجَارِ ، مُتَابَعَةُ الْأَغْصَانِ .

الْأَشْجَارِ ، وَخَشِيَّةِ الْأَعْشَابِ ، كَأَنَّهَا لَمْ تَطْأَهَا قَدَمَانِ مُنْذُ ذَهْرِ طَوِيلٍ .

فَمَضَيْتُ فِي إِثْرِهِ<sup>(١)</sup> ...

فَلَمَّا بَلَغَ مِنْهَا مَكَانًا قَصِيصًا ؛ التَّمَسَّ<sup>(٢)</sup> الْقِبْلَةَ وَاتَّجَهَ إِلَيْهَا ، وَكَبَّرَ لِلصَّلَاةِ ،  
وَاسْتَفْرَقَ فِيهَا ... فَتَنَظَّرْتُ إِلَيْهِ مِنْ بُعْدٍ ؛ فَوَازَيْتُهُ مُشْرِقَ الْوَجْهِ ...

سَاكِنِ الْأَعْضَاءِ ...

هَادِيِ النَّفْسِ ...

كَأَنَّهَا يَجِدُ فِي الْوَحْشَةِ أُنْسًا ...

وَفِي الْبُعْدِ قُرْبًا ...

وَفِي الظُّلْمَةِ ضِيَاءٌ مُنِيرًا ...

وَفِيمَا هُوَ كَذَلِكَ ... طَلَعَ عَلَيْنَا أَسَدٌ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ لِلْعَاقِبَةِ ، فَمَا أَنْ  
أَثْبَتَهُ<sup>(٣)</sup> حَتَّى انْخَلَعَ قُوَادِي هَلَعًا<sup>(٤)</sup> مِنْهُ ، فَعَلَوْتُ شَجَرَةً بَاسِقَةً<sup>(٥)</sup> لِيُوَادَّا<sup>(٦)</sup> مِنْ  
شَرِّهِ .

فَمَا زَالَ الْأَسَدُ يَذْنُو مِنْ صَلَةِ بَنِي أَشْتِمَ ، وَهُوَ غَارِقٌ فِي صَلَاتِهِ حَتَّى أَضْبَحَ  
عَلَى قَيْدِ<sup>(٧)</sup> حُطُوبَاتِ مِنْهُ ... فَوَاللَّهِ مَا التَّفَتَّ إِلَيْهِ ...

وَلَا حَفَلَ<sup>(٨)</sup> بِهِ ...

فَلَمَّا سَجَدَ قُلْتُ : الْآنَ يَفْتَرِشُهُ .

فَلَمَّا نَهَضَ مِنْ سُجُودِهِ ، وَجَلَسَ ؛ وَقَفَ الْأَسَدُ بِإِزَائِيهِ<sup>(٩)</sup> كَأَنَّهُ يَتَأَمَّلُهُ .

(١) فِي إِثْرِهِ : وَرَاءَهُ .

(٢) التَّمَسَّ الْقِبْلَةَ : بَحَثَ عَنْهَا .

(٣) أَثْبَتَهُ : تَأَكَّدَتْ مِنْهُ .

(٤) هَلَعًا : جَرَعًا وَغَرَفًا .

(٥) بَاسِقَةً : مَرْتَفَعَةً الْأَغْصَانِ .

(٦) لِيُوَادَّا : وَلِقَاءَهُ .

(٧) عَلَى قَيْدٍ : عَلَى بَعْدٍ .

(٨) مَا حَفَلَ بِهِ : مَا اِهْتَمَّ بِهِ .

(٩) بِإِزَائِيهِ : أَمَامَهُ .

فَلَمَّا سَلِمَ نَظَرَ إِلَى الْأَسَدِ فِي سُكُونٍ ...

وَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِكَلَامٍ لَمْ أَسْمَعُهُ ...

فَإِذَا بِالْأَسَدِ يَنْصَرِفُ عَنْهُ فِي هُدُوءٍ، وَيَعُودُ مِنْ حَيْثُ جَاءَ ...

\* \* \*

وَلَمَّا انْبَلَجَ<sup>(١)</sup> الْفَجْرُ، نَهَضَ فَأَدَّى الْمَكْتُوبَةَ.

ثُمَّ طَفِقَ<sup>(٢)</sup> يَحْمَدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِمَحَامِدَ لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهَا قَطُّ.

ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُجِيرَنِي مِنَ النَّارِ ...

وَهَلْ يَجْزِي عَبْدٌ خَاطِئٌ مِثْلِي أَنْ يَسْأَلَكَ الْجَنَّةَ؟! .

وَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى بَكَى وَأَبْكَانِي.

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْجَيْشِ دُونَ أَنْ يَقْطَعَ لَهُ أَحَدٌ ...

وَبَدَا يُعَيِّنُ الْقَوْمَ كَأَنَّهُ بَاتَ عَلَى الْحَشَايَا<sup>(٣)</sup>، وَعَدْتُ أَنَا فِي إِثَرِهِ وَبِي مِنْ

سَهَرِ اللَّيْلِ ... وَقُتُورِ الْجِسْمِ ... وَخَوْفِ الْأَسَدِ ... مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ ...

\* \* \*

وَلَقَدْ كَانَ صِلَةً بَيْنَ أَشْتَمٍ إِلَى هَذَا كُلِّهِ لَا يَدْعُ سَانِحَةً<sup>(٤)</sup> مِنْ سَوَانِحِ

الْمَوْعِظَةِ وَالْتَذَكِيرِ، إِلَّا اغْتَنَمَهَا ...

وَكَانَ أَسْلُوبُهُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الْحَسَنَةِ، فَيَسْتَعْمِلُ التَّمُوسَ النَّافِرَةَ ...

وَيَسْتَلِينَ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ ...

\* \* \*

(٣) الحشايها: الفرش.

(٤) لا يَدْعُ سَانِحَةً: لَا يَهْرِكُ فُرْصَةً.

(١) انبلج: أشرق وأضاء.

(٢) طفق: أخذ.

مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ إِلَى الْبَرَّةِ فِي ظَاهِرِ « الْبَصْرَةِ » لِلْحَلُوةِ وَالتَّعْبِيدِ ...  
فَكَانَتْ تَمُرُّ بِهِ طَائِفَةٌ مِنَ الشَّبَابِ أُرِخَتْ لِلصَّبَا عِنَانَهُ<sup>(١)</sup> ...

فَتَلَهُو وَتَلْعَبُ ... وَتَمْرُخُ وَتَمْرُخُ ...  
فَكَانَ يُحْيِيهِمْ بِأَنْسٍ ...

وَيُخَاطِبُهُمْ فِي رَفْقٍ وَيَقُولُ لَهُمْ :  
مَا تَقُولُونَ فِي قَوْمٍ أَرْزَعُوا<sup>(٢)</sup> سَفَرًا لِأَمْرِ عَظِيمٍ ؛ غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي النَّهَارِ  
يَجْهَدُونَ عَنِ الطَّرِيقِ لِيَلْهُوَا وَيَلْعَبُوا ...

وَفِي اللَّيْلِ يَبِيتُونَ لِيَسْتَرِيحُوا ...  
فَمَتَى تَرَوْنَهُمْ يُنْجِزُونَ رِخْلَتَهُمْ ...  
وَيَتَلَعَّوْنَ عَائَتَهُمْ ١٩ .

وَدَأَبَ عَلَى قَوْلِ ذَلِكَ الْمَرْءِ تَلَوَ الْمَرْءُ ...  
فَلَقِيَهُمْ ذَاتَ عَزْوٍ وَقَالَ لَهُمْ مَقَالَتُهُ تِلْكَ ...  
فَنَهَضَ شَابٌ مِنْهُمْ وَقَالَ :

إِنَّهُ - وَاللَّهِ - مَا يَغْنِي بِذَلِكَ أَحَدًا غَيْرَنَا ؛ فَتَحْنُ بِالنَّهَارِ تَلَهُو ...  
وَبِاللَّيْلِ نَنَامُ ...

ثُمَّ انْحَاذَ الشَّابُّ عَنْ رِفَاقِهِ .  
وَاتَّبَعَ صِلَةً بَنٍ أَشِيمٍ مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ ...

---

(١) أُرِخَتْ لِلصَّبَا عِنَانَهُ : أَطْلَقَتْ لِلشَّبَابِ رَغَابَتَهُ .

(٢) أَرْزَعُوا : عَزَمُوا ، وَلَزِمُوا عَلَى الْأَمْرِ : عَزَمَ عَلَيْهِ .

وَمَا زَالَ فِي صُحْبَتِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَمْنُضِي ذَاتَ نَهَارٍ فِي ثُلَّةٍ<sup>(٢)</sup> مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى غَايَةِ  
لَهُمْ ، فَعَمَّرَ بِهِمْ شَابَّ رَائِعُ الشَّبَابِ ... رَبَّانُ الصَّبَا .

فَدَ أَطَالَ إِزَارَهُ حَتَّى جَعَلَ يَجْرُوهُ عَلَى الْأَرْضِ جَرَّ الْخَيْلَاءِ<sup>(٣)</sup> ...  
فَهُمْ أَصْحَابُهُ بِالشَّبَابِ ...

وَأَرَادُوا أَنْ يَأْخُذُوهُ<sup>(٤)</sup> بِأَلْسِنَتِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ أَخْذًا شَدِيدًا .  
فَقَالَ لَهُمْ صِلَةٌ : دَعُونِي أَكْفِكُمْ أَمْرَهُ .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الشَّبَابِ ، وَقَالَ فِي رَفْعِ الْأَبِ الشُّفِيقِ ...  
وَنَبْرَةٍ<sup>(٥)</sup> الصَّدِيقِ الْحَمِيمِ :

يَا بَنَ أَخِي ، إِنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ .

فَتَوَقَّفَ الْفَتَى ، وَقَالَ : وَمَا هِيَ يَا عَمَّ ؟ .

فَقَالَ : أَنْ تَرْفَعَ إِزَارَكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَتَقَى لِثَوْبِكَ ...  
وَأَتَقَى لِزُبَّتِكَ ...

وَأَذَنِي لِشَتَّةِ نَبِيِّكَ .

فَقَالَ الْفَتَى فِي خَجَلٍ : نَعَمْ ، وَنِعْمَةً عَيْنٍ<sup>(٦)</sup> ...

ثُمَّ بَادَرَ وَرَفَعَ إِزَارَهُ .

---

(١) اليقين : الموت .

(٢) ثُلَّةٌ : جماعة .

(٣) الخيلاء : الإعجاب بالنفس ، والتجكُّر بالمشي .

(٤) أَنْ يَأْخُذُوهُ : أَنْ يَتَاوَلُوهُ وَيُؤْخِذُوهُ .

(٥) نَبْرَةٌ الصديق الحميم : لهجة الصديق الصدوق .

(٦) نِقْمَةٌ عَيْنٍ : مسرة عين .

فَقَالَ صِلْهُ لِأَصْحَابِهِ : إِنَّ هَذَا أَمْتَلُ<sup>(١)</sup> مِمَّا أَرَدْتُمْ ...  
وَلَوْ أَنَّكُمْ صَارْتُمُوهُ وَشَاتَمْتُمُوهُ لَصَارَ بَيْنَكُمْ وَشَاتَمَكُمْ ...  
وَأَبْقَى إِزَارَهُ مُسَدَلًا<sup>(٢)</sup> يَمْسُحُ بِهِ الْأَرْضَ .

\* \* \*

وَلَقَدْ جَاءَهُ مَرَّةً فَتَى مِنْ فِتْيَانِ « الْبَصْرَةِ » فَقَالَ :  
عَلِّمْنِي يَا أَبَا الصُّهْبَاءِ مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ ...  
فَهَشَّ لَهُ صِلْهُ وَبَشَّ<sup>(٣)</sup> وَقَالَ :  
لَقَدْ أَذْكَرْتَنِي يَا بَنَ أَخِي مَا ضِيًّا لَا أَنْسَاهُ ...  
حَيْثُ كُنْتُ إِذْ ذَاكَ شَابًا مِثْلَكَ ...  
فَأَتَيْتُ مَنْ بَقِيَ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقُلْتُ لَهُمْ : عَلِّمُونِي مِمَّا  
عَلَّمَكُمْ اللَّهُ .

فَقَالُوا لِي : اجْعَلِ الْقُرْآنَ عِصْمَةً<sup>(٤)</sup> نَفْسِكَ ، وَرَبِيعَ<sup>(٥)</sup> قَلْبِكَ ...  
وَأَنْتَصِبْ لَهُ ، وَأَنْصَحِ الْمُسْلِمِينَ بِهِ .  
وَأَكْثِرْ مِنْ دُعَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا اسْتَطَعْتَ .  
فَقَالَ لَهُ الْفَتَى : أَذْغِ لِي ، جُزَيْتَ خَيْرًا .  
فَقَالَ : رَغِبْتَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا يَبْقَى ...  
وَزَهَّدَكَ فِيمَا يَفْنَى ...

(١) أَمْتَلُ : أَحْسَنُ وَأَجْمَدُ .

(٢) مُسَدَلًا : مُرْتَدًّا وَمَرْحَمًا عَلَى الْأَرْضِ .

(٤) عِصْمَةٌ نَفْسِكَ : حِمَاةُ نَفْسِكَ .

(٥) رَبِيعُ قَلْبِكَ : مَتْعَةُ نَوَادِكِ .

(٣) هَشَّ وَبَشَّ : تَسَمَّ وَأَطْلَقَ وَجْهَهُ .



وَوَهَبَ لَكَ الْيَقِينَ<sup>(١)</sup> الَّذِي تَشْكُرُ إِلَيْهِ الثُّقُوسَ ، وَيُعَوِّلُ عَلَيْهِ فِي  
الدِّينِ ...

\* \* \*

وَلَقَدْ كَانَتْ لِمِصْلَةَ بْنِ أَشْتَمٍ ابْنَةُ عَمٍّ تُدْعَى « مُعَاذَةَ الْعَدَوِيَّةِ » ...  
وَكَانَتْ هِيَ الْأُخْرَى تَابِعِيَّةً مِثْلَهُ ... حَيْثُ لَقِيَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ  
رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا ، وَأَخَذَتْ عَنْهَا ...

ثُمَّ لَقِيَهَا الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ<sup>(٢)</sup> نَضَرَ اللَّهُ رُوحَهُ ، وَسَمِعَ مِنْهَا .  
وَكَانَتْ تَقِيَّةً نَقِيَّةً ... عَابِدَةً زَاهِدَةً .

وَكَانَ مِنْ عَادَتِهَا إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا اللَّيْلُ أَنْ تَقُولَ :  
قَدْ تَكُونُ هَذِهِ آخِرَ لَيْلَةٍ لِي ؛ فَلَا تَنَامُ حَتَّى تُصْبِحَ ...  
وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا النَّهَارُ أَنْ تَقُولَ :

قَدْ يَكُونُ هَذَا آخِرَ يَوْمٍ لِي ؛ فَلَا يَطْمَئِنُّ لَهَا جَنْبٌ حَتَّى تُغْسِي .  
وَكَانَتْ تَلْبِسُ رَقِيقَ الثِّيَابِ فِي فَضْلِ الشِّتَاءِ حَتَّى يَمْنَعَهَا الْبَرْدُ مِنَ الرُّكُودِ  
إِلَى النَّوْمِ ، وَالْإِنْقِطَاعِ عَنِ الْعِبَادَةِ .  
وَكَانَتْ تُحِبُّ اللَّيْلَ صَلَاةً وَاقْتِرَاءً<sup>(٣)</sup> .

فَإِذَا غَلَبَتْهَا النَّعَاسُ قَامَتْ فَجَالَتْ فِي الدَّارِ وَهِيَ تَقُولُ :  
أَمَامِيكَ يَا نَفْسُ نَوْمٌ طَوِيلٌ ...  
عَدَا تَطْلُورُ رَقْدَتُكَ فِي الْقَبْرِ ...

(١) اليقين : الاطمئنان .

(٢) الحسن البصري : انظره ص ٩٥ .

(٣) الاقتراء : التبعيد بكثرة قراءة القرآن .

إِنَّمَا عَلَىٰ حَشْرَةٍ ، وَإِنَّمَا عَلَىٰ سُورٍ .

فَاخْتَارِي يَا مُعَاذَةَ لِنَفْسِكَ الْيَوْمَ مَا تُحِبِّينَ أَنْ تُكُونِي عَلَيْهِ غَدًا .

\* \* \*

وَلَمْ يَكُنْ صِلَةٌ بَيْنَ أَشْيَمَ عَلَى الرَّغَمِ مِنْ شِدَّةِ عِبَادَتِهِ ، وَقَوِظَ زَهَادَتِهِ<sup>(١)</sup> ؛  
لِيَرْغَبَ عَنْ شَيْءٍ نَبِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، فَحَطَبَتْ ابْنَتُهُ عَمَّهُ ( مُعَاذَةُ )  
لِنَفْسِهِ .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ إِهْدَأَتْهَا إِلَيْهِ ؛ قَامَ ابْنُ لَهَ بِشَأْنِهِ ، فَمَضَىٰ بِهِ إِلَى الْحَمَّامِ ،  
ثُمَّ أَدْخَلَهُ عَلَيْهَا فِي بَيْتِ مُطَيِّبٍ ...

فَلَمَّا صَارَا مَعًا ، قَامَ يُصَلِّي الرُّكْعَتَيْنِ الْمَسْنُونَتَيْنِ ، فَقَامَتْ تُصَلِّي بِصَلَاتِهِ  
وَتَقْتَدِي بِهِ .

ثُمَّ اجْتَذَبَهُمَا سِجْرُ الصَّلَاةِ ؛ فَمَضَىٰ يُصَلِّيَانِ مَعًا حَتَّى بَرَقَ<sup>(٢)</sup> الْفَجْرُ .

فَلَمَّا كَانَتْ الْغَدَاةُ<sup>(٣)</sup> جَاءَهُ ابْنُ أُخِيهِ وَقَالَ :

يَا عَمِّ ، لَقَدْ أَهْدَيْتَ إِلَيْكَ ابْنَتَهُ عَمِّكَ ؛ فَقُمْتُ تُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ وَتَرْكُهَا .

فَقَالَ : يَا بَنُ أُخِي ... إِنَّكَ أَدْخَلْتَنِي أَمْسٍ بَيْتًا أَذْكُرْتَنِي بِهِ النَّارَ ...

ثُمَّ أَدْخَلْتَنِي آخَرَ أَذْكُرْتَنِي بِهِ الْجَنَّةَ ...

فَمَا زَالَتْ فِكْرَتِي فِيهِمَا حَتَّى أَصْبَحْتُ .

فَقَالَ الْفَتَى : وَمَا ذَاكَ يَا عَمِّ ۚ ١٩ .

فَقَالَ : لَقَدْ أَدْخَلْتَنِي الْحَمَّامَ ؛ فَأَذْكُرْنِي حَرَّهُ حَرَّ جَهَنَّمَ ...

(١) زَهَادَتُهُ : إِعْرَاضُهُ عَنِ الدُّنْيَا .

(٢) بَرَقَ الْفَجْرُ : لَمَعَ وَتَلَوَّلَا .

(٣) الْغَدَاةُ : أَوَّلُ النَّهَارِ .

ثُمَّ أَذْخَلْتَنِي بَيْتَ الْعُزْسِ ؛ فَأَذْكَرَنِي طِيبُهُ طِيبَ الْجَنَّةِ ...

\* \* \*

وَلَمْ يَكُنْ صِلَةٌ بَيْنَ أَشْتِمَ أَوْاهَا<sup>(١)</sup> أَوْابًا<sup>(٢)</sup>، عَابِدًا زَاهِدًا فَحَسْبُ ...

وَأِنَّمَا كَانَ إِلَى ذَلِكَ فَارِسًا مُجَالِدًا<sup>(٣)</sup>، وَبَطَلًا مُجَاهِدًا ...

قَلَمًا عَزَفَتْ سَاعَاتُ الْقِتَالِ كَمِيًّا<sup>(٤)</sup> أَشَدُّ مِنْهُ بَأْسًا<sup>(٥)</sup> ...

أَوْ أَقْوَى نَفْسًا ...

أَوْ أَمْضَى سَيْفًا ...

حَتَّى عَدَا قُوَادُ الْمُشْلِيِّينَ يَتَنَاقَشُونَ فِي اخْتِذَاذِهِ إِلَيْهِمْ ...

كُلُّ مِنْهُمْ يُرِيدُ أَنْ يَظْفَرَ بِهِ فِي عَمَلِكِهِ ؛ لِيَقْطِفَ بِفَضْلِ شَجَاعَتِهِ النَّصْرَ  
الْكَبِيرَ الَّذِي يَطْلُمُحُ إِلَيْهِ .

\* \* \*

رَوَى جَعْفَرُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ :

خَرَجْنَا فِي غَزْوَةٍ ، وَمَعَنَا صِلَةٌ بَيْنَ أَشْتِمَ ، وَهَشَامُ بْنُ عَامِرٍ ... فَلَمَّا لَقِينَا  
الْعَدُوَّ ؛ انْبَرَأَ صِلَةٌ وَصَاحِبُهُ مِنْ صُفُوفِ الْمُشْلِيِّينَ ، وَأَوْغَلَا<sup>(٦)</sup> فِي جُمُوعِ  
الْأَعْدَاءِ طَغْنًا بِالرِّمَاحِ وَضَرْبًا بِالسُّيُوفِ ، حَتَّى أَثَرَا فِي مُقَدِّمَةِ الْجَيْشِ أَثْلَغَ  
الْأَثَرِ ... فَقَالَ بَعْضُ قَادَةِ الْعَدُوِّ لِبَعْضٍ :

رَجُلَانِ مِنْ جُنْدِ الْمُشْلِيِّينَ أَنْزَلَا بِنَا هَذَا كُلَّهُ ، فَكَيْفَ لَوْ قَاتَلُونَا  
جَمِيعًا ١٩ .

(٤) كَمِيًّا : شَجَاعًا .

(٥) بَأْسًا : قُوَّة .

(٦) أَوْغَلَا : دَعَلَا وَأَسْلَا .

(١) أَوْاهَا : كَثِيرُ التَّأَوُّهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ .

(٢) أَوْابًا : صَادِقُ التَّوْبَةِ وَالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ .

(٣) مُجَالِدًا : قُوًّا صَلْبًا .

إِنزِلُوا عَلَى حُكْمِ الْمُسْلِمِينَ ، وَدِينُوا<sup>(١)</sup> لَهُمْ بِالطَّاعَةِ .

\* \* \*

وَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ لِلْهِجْرَةِ خَرَجَ صِلَّةُ بْنُ أَشْتَمَ فِي غَزَاةٍ لَهُ مَعَ جُيُوشِ  
الْمُسْلِمِينَ الْمُتَوَجِّهَةِ إِلَى بِلَادِ<sup>(٢)</sup> مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَكَانَ بِصُحْبَتِهِ ابْنُ لَهُ ...

فَلَمَّا التَقَى الْجَعْفَرَانِ ، وَحَمِي وَطِيسُ<sup>(٣)</sup> الْمَغْرَكَةِ ، قَالَ صِلَّةُ لِابْنِهِ :

أَيُّ بُنَيَّ ... تَقَدَّمْ وَجَاهِدْ أَغْدَاءَ اللَّهِ حَتَّى أَخْتِيبَكَ<sup>(٤)</sup> عِنْدَ الَّذِي لَا تَضِيعُ  
عِنْدَهُ الْوَدَائِعُ .

فَانْطَلَقَ الْقَتْلَى إِلَى قِتَالِ الْعَدُوِّ كَمَا يَنْطَلِقُ السَّهْمُ عَنِ الْقَوْسِ ، وَمَا زَالَ  
يُقَاتِلُ حَتَّى خَرَّ صَرِيحاً شَهِيداً .

فَمَا كَانَ مِنْ أَبِيهِ إِلَّا أَنْ مَضَى عَلَى إِثْرِهِ ، وَظَلَّ يُجَاهِدُ حَتَّى تَوَلَّى<sup>(٥)</sup>  
شَهِيداً إِلَى جَنْبِهِ ...

\* \* \*

فَلَمَّا بَلَغَ نَعْيُهُمَا «الْبَصْرَةَ» اتَّجَهَتِ النِّسَاءُ إِلَى «مُعَاذَةِ الْعَدَوِيَّةِ»  
لِيُؤَاسِيَتْهَا<sup>(٦)</sup> ... فَقَالَتْ لَهُنَّ :

إِنْ كُنْتُنَّ جِئْتُنَّ لِتَهْتَبْتِي ؛ فَمَرْحَباً بِكُنَّ ...

أَمَّا إِذَا كُنْتُنَّ قَدْ جِئْتُنَّ لِغَيْرِ ذَلِكَ ؛ فَارْجِعْنَ وَجِزِيَتُنَّ خَيْراً ...

\* \* \*

(١) دِينُوا لَهُمْ : اخضعوا لهم .

(٢) بلاد ما وراء النهر : البلاد الواقعة اليوم في تركستان التي تحتلها روسيا ، وتمتدُّها قطعة من بلادها .

(٣) حَمِي وَطِيسُ : اشتدت الحرب .

(٤) أَخْتِيبُكَ : أَضْعِي بِكَ مَرْضَاةَ اللَّهِ .

(٥) تَوَلَّى : مات ودفن .

(٦) يُؤَاسِيَتْهَا : يفرِّجها ويُسْكِنُهَا .

نَضْرُ اللَّهُ هَذِهِ الرُّجُوءَ السَّيْلَةَ الْكَرِيمَةَ ...  
 وَجَزَاهَا عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ...  
 فَمَا عَرَفَ تَارِيخُ الْإِنْسَانِيَّةِ أَتَقَى مِنْهَا وَلَا أَتَقَى (٥) ...

- 
- (٥) للاستزادة من أخبار سيرة نبي أشتهم انظر:
- ١ - الطبقات الكبرى لابن سعد: ١٣٤/٧.
  - ٢ - التاريخ الكبير: ٣٢١/٤.
  - ٣ - الكنى: ١٣/٢.
  - ٤ - المرح والتعديل: ٤٤٧/٤.
  - ٥ - حلية الأولياء: ٢٣٧/٢.
  - ٦ - أشد الغابة: ٣٤/٤.
  - ٧ - تاريخ الإسلام: ١٩/٣.
  - ٨ - البداية والنهاية: ١٥/٩.
  - ٩ - الإصابة: ٢٠٠/٢.
  - ١٠ - وانظر في طبقات خليفة، وصفة الصفوة لابن الجوزي.

# عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَقَفَاتِ ثَلَاثَ مَعَهُ

« كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَسَنَ الْخُلُقِ وَالْخُلُقِ ،  
وَالْفَزَّ الْعِلْمَ ، فَتَبِعَهُ النَّفْسُ أَوَّاهًا مُنِيًّا ،

[النَّفْسُ] :

الْحَدِيثُ عَنِ الْخَلِيفَةِ الثَّابِتِيِّ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَدِيثٌ ذُو شُجُونٍ (١) .  
فَأَنْتَ لَا تَكَادُ تُلِمُّ بِصُورَةٍ مِنْ صُورِ حَيَاتِهِ الْقَدِيمَةِ حَتَّى تُشْلِمَكَ (٢) إِلَى  
أُخْرَى أَكْثَرَ بِهَاءً ...

وَأَعْنَى رُوءَاءِ (٣) ...

وَأَبْعَدُ تَأْيِيرًا .

وَلَقَدْ كُنَّا زَانِتًا فِي الْكِتَابِ السَّابِقِ ثَلَاثًا مِنْ صُورِ حَيَاةِ خَامِسٍ  
الرَّاشِدِينَ ...

فَتَعَالَ نَتَعَمَّ الْآنَ بِثَلَاثٍ أُخَرَ لَا تَقِلُّ عَنْ سَابِقَاتِهَا تَأْلَفًا (٤) وَوَضَاءَةً .

\* \* \*

أَمَّا الصُّورَةُ الْأُولَى ؛ فَيُزَوِّجُهَا لَكَ « دُكَيْنُ بْنُ سَعِيدِ الدَّارِمِيِّ » أَخَذَ الشُّعْرَاءَ  
الرُّجَّازَ الْبَدَاةَ فَيَقُولُ :

امْتَدَحْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَوْمَ كَانَ وَالِيًا عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَمَرَنِي بِخَمْسِ  
عَشْرَةَ نَاقَةً مِنْ كَرَائِمِ الْإِبِلِ .

(٣) رُوءَاءُ : بهاء .  
(٤) تَأْلَفًا : نورًا وتأثيرًا .

(١) ذُو شُجُونٍ : ذُو الْوَلَانِ وَضَوْنٍ .  
(٢) تُشْلِمَكَ : تَمْلِكُكَ .

فَلَمَّا صِرْنَا فِي يَدَي تَأَمَّلْتُهُنَّ ؛ فَرَاغَنِي <sup>(١)</sup> مَنَظَرُهُنَّ ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَمُضِيَ  
 بِهِنَّ وَخَدِي فِي فِجَاجِ <sup>(٢)</sup> الْأَرْضِ خَوْفًا عَلَيْهِنَّ ، وَلَمْ تَطِبْ <sup>(٣)</sup> نَفْسِي بِبَيْعِهِنَّ .  
 وَفِيمَا أَنَا كَذَلِكَ ، قَدِمَتْ عَلَيْنَا رُقَّةٌ تَبْتَغِي الشَّقَرَ نَحْوَ دِيَارِنَا فِي  
 نَجْدٍ .

فَسَأَلْتُهُمُ الصُّحْبَةَ ، فَقَالُوا :

مَرْحَبًا بِكَ ، وَنَحْنُ نَخْرُجُ اللَّيْلَةَ ، فَأَعِدْ نَفْسَكَ لِلْخُرُوجِ مَعَنَا .  
 فَمَضَيْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مُودِّعًا ، فَأَلْفَيْتُ <sup>(٤)</sup> فِي مَجْلِسِهِ شَيْخَيْنِ  
 لَا آغْرِفُهُمَا ... فَلَمَّا هَمَمْتُ بِالْانْصِرَافِ ؛ التَقْتُ إِلَيَّ عُمَرُ وَقَالَ :  
 يَا ذَكِيْنُ ، إِنَّ لِي نَفْسًا تَوَاقَّةً <sup>(٥)</sup> ...

فَإِنْ عَرَفْتَ أَنَّي بَلَغْتُ أَكْثَرَ مِمَّا أَنَا فِيهِ الْآنَ ؛ فَأَتْنِي ، وَلَكَ مِنِّي الْبِرُّ  
 وَالْإِحْسَانُ .

فَقُلْتُ : أَشْهَدُ لِي بِذَلِكَ أَهْلُهَا الْأَمِيرُ .

فَقَالَ : أَشْهَدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ .

فَقُلْتُ : وَمِنْ خَلْقِهِ .

فَقَالَ : هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ .

فَأَقْبَلْتُ عَلَى أَحَدِهِمَا وَقُلْتُ :

يَا بِي أَنْتَ وَأُمِّي ، قُلْ لِي مَا اسْمُكَ حَتَّى آغْرِفَكَ ؟ .

(١) راحني : أدهشني .

(٢) فيجاج الأرض : الفجاج جمع مفردة فج ، وهو الطريق الضيق بين جبلين .

(٣) لم تطب نفسي : لم تسمح نفسي ببهن ولم ترغ لذلك .

(٤) ألفيت : وجدت .

(٥) تواقفة : رغبة عالية للمطامح .

فَقَالَ : سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ<sup>(١)</sup> .  
فَانْتَقَتْ إِلَى الْأَمِيرِ وَقُلْتُ : لَقَدْ اسْتَشْمَنْتُ الشَّاهِدَ<sup>(٢)</sup> ...

ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى الشَّيْخِ الْآخِرِ ، وَقُلْتُ :  
وَمَنْ أَنْتَ لَجِئْتُ فِدَاكَ ؟ .

فَقَالَ : أَبُو يَحْيَى مَوْلَى الْأَمِيرِ .  
فَقُلْتُ : وَهَذَا شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهِ .

ثُمَّ حَبِيبٌ وَانْصَرَفْتُ بِالثُّوْقِ إِلَى دِيَارِ قَوْمِي فِي « نَجْدٍ » ...  
فَرَمَى اللَّهُ فِيهِمُ الْبَرَكَهَ حَتَّى اقْتَنَبْتُ مِنْ نَتَاجِهِمْ<sup>(٣)</sup> الْإِبِلَ وَالْعَبِيدَ .

\* \* \*

ثُمَّ دَارَتِ الْأَيَّامُ دَوْرَتَهَا ...

فَبَيْنَا أَنَا بِصَحْرَاءٍ قُلُجٍ مِنْ أَرْضِ الْيَمَامَةِ فِي « نَجْدٍ » إِذَا نَاعٍ يَنْهِي أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْحَكِّ ، فَقُلْتُ لِلنَّاعِي :

وَمَنْ الْخَلِيفَةُ الَّذِي قَامَ بَعْدَهُ ؟ .

فَقَالَ : عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

فَمَا أَنْ سَمِعْتُ مَقَالَتهُ حَتَّى شَدَذْتُ رِحَالِي نَحْوَ بِلَادِ الشَّامِ .

فَلَمَّا بَلَغْتُ « دِمَشْقَ » لَقِيتُ جَرِيرًا<sup>(٤)</sup> مُنْصَرِفًا مِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ ...

فَحَبِيبُهُ وَقُلْتُ :

---

(١) انظره : ص ٣٦٨ ، ٣٧٨ .

(٢) استشمئت الشاهد : ظفرت بشاهدٍ مسموح الكلمة .

(٣) من نتاجهم : مما توالد منهم .

(٤) جرير : أحد الثمراء الثلاثة الكبار في العصر الأموي ، وهم جرير ، والفرزدق ، والأخطل .



مِنْ أَنَّنَا يَا أَبَا حَزْرَةَ ؟

فَقَالَ : مِنْ عِنْدِ خَلِيفَةِ يُعْطِي الْفُقَرَاءَ ، وَيَمْنَعُ الشُّعْرَاءَ ...

لِرُجْعٍ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتَ ، فَذَلِكَ خَيْرٌ لَكَ .

فَقُلْتُ : إِنْ لِي شَأْنًا<sup>(١)</sup> غَيْرَ شَأْنِكُمْ .

فَقَالَ : أَنْتَ وَمَا تُرِيدُ .

فَانْطَلَقْتُ حَتَّى بَلَغْتُ دَارَ الْخَلِيفَةِ ... فَإِذَا هُوَ فِي بَاحَةِ الدَّارِ ، وَقَدْ أَحَاطَ  
بِهِ الْيَتَامَى ، وَالْأَرَامِلُ ، وَأَصْحَابُ الظَّلَامَاتِ<sup>(٢)</sup> ...

فَلَمْ أَجِدْ سَبِيلًا إِلَيْهِ مِنْ بَرَّاحِيهِمْ<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ .

فَرَفَعْتُ صَوْتِي قَائِلًا :

يَا عُمَرَ الْخَيْرَاتِ وَالْمَكَارِمِ وَعُمَرَ الدُّسَائِعِ<sup>(٤)</sup> الْعِظَائِمِ  
إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ قَطَنِ<sup>(٥)</sup> مِنْ دَارِمٍ<sup>(٦)</sup> . طَلَبْتُ دَنْئِي مِنْ أَخِي الْمَكَارِمِ

فَنَظَرَ إِلَيَّ مَوْلَاهُ أَبُو يَحْيَى نَظْرَةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ عِنْدِي لِهَذَا الْبَدْوِيِّ شَهَادَةٌ عَلَيْكَ .

فَقَالَ عُمَرُ : أَعْرِفُهَا ...

ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : أَذُنٌ مِنِّي يَا دُكَيْنٌ .

فَلَمَّا صِرْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَالَ عَلَيَّ وَقَالَ :

(١) شَأْنًا : مَرَلَةً وَمَقَامًا .

(٢) أَصْحَابُ الظَّلَامَاتِ : الَّذِينَ أَحْدَثَ أَمْوَالَهُمْ ظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ .

(٣) بَرَّاحِيهِمْ : تِلْكَ أَهْلُهُمْ .

(٤) الدُّسَائِعُ : جَمْعٌ مَفْرُودٌ دُسْتَقٌ ، وَهِيَ الْجَفْنَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا الْأَجْرَادُ .

(٥) قَطَنٌ : مَدِينَةٌ ذَاتُ شَأْنٍ فِي وَادِي حَضْرَمَوْتِ . (٦) مِنْ دَارِمٍ : هُوَ دَارِمٌ مِنْ هَرَبِ الْحِجَازِ .

أَتَذْكُرَ مَا قُلْتُهُ لَكَ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ أَنَّ نَفْسِي مَا نَالَتْ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا تَأَقَّتْ <sup>(١)</sup>  
إِلَى مَا هُوَ أَغْلَى مِنْهُ .

فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ : وَهَا أَنَا ذَا قَدْ نِلْتُ غَايَةَ مَا فِي الدُّنْيَا ...

وَهُوَ الْمُلْكُ .

فَنَفْسِي تَتَوَقَّعُ إِلَى غَايَةِ مَا فِي الْآخِرَةِ ...

وَهُوَ الْجَنَّةُ ...

وَتَسْعَى إِلَى الْقَوْرِ بِرِضْوَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَلَيْنَ كَانَ الْمُلُوكُ يَجْعَلُونَ الْمُلْكَ سَبِيلًا لِيُتْلُو عِزَّ الدُّنْيَا ...

فَلَا جَعَلَتْهُ سَبِيلًا إِلَى تُلُوعِ عِزِّ الْآخِرَةِ ...

ثُمَّ قَالَ : يَا دُكَيْنُ ، إِنِّي - وَاللَّهِ - مَا رَزَأْتُ <sup>(٢)</sup> الْمُسْلِمِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ دِرْهَمًا  
وَلَا دِينَارًا مُنْذُ وَلَيْتُ هَذَا الْأَمْرَ ...

وَلِإِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَمُحْذِ نِصْفَهَا ... وَاتْرِكْ لِي نِصْفَهَا ...

فَأَخَذْتُ الْمَالَ الَّذِي أَعْطَانِيهِ .

فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَعْظَمَ مِنْهُ بَرَكَاتٍ .

\* \* \*

أَمَّا الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ ؛ فَتَرَوِيهَا قَاضِي الْمَوْصِلِ « يَخْنِي نُرٌّ يَخْنِي الْعَسَانِي »  
فَيَقُولُ :

(٢) رَزَأَتْ الْمُسْلِمِينَ : أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَالِهِمْ .

(١) تَأَقَّتْ : اشْتَاقَتْ وَرَغِبَتْ .

بَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَطُوفُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي أَسْوَاقِ « حِمَصَ » <sup>(١)</sup> لِيَتَفَقَّدَ  
الْبَاغَةَ وَيَتَعَرَّفَ عَلَى الْأَشْعَارِ ، إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ عَلَيْهِ بُرْدَانِ <sup>(٢)</sup> أَحْمَرَانِ قَطْرِيَانِ  
وَقَالَ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ...

لَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّكَ أَمَرْتَ مَنْ كَانَ مَظْلُومًا أَنْ يَأْتِيَكَ .

فَقَالَ : نَعَمْ ...

فَقَالَ : وَهَذَا قَدْ أَتَاكَ رَجُلٌ مَظْلُومٌ بَعِيدُ الدَّارِ .

فَقَالَ عُمَرُ : وَأَيْنَ أَمْلُكَ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ : فِي « عَدَنَ » .

فَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ ، إِنْ مَكَانَكَ مِنْ مَكَانِ عُمَرَ لَبَعِيدٌ .

ثُمَّ نَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ ، وَوَقَفَ أَمَامَهُ وَقَالَ : مَا ظِلَامَتُكَ <sup>(٣)</sup> ؟

فَقَالَ : صَبِغَةُ لِي وَتَبَّ <sup>(٤)</sup> عَلَيْهَا رَجُلٌ مَعْنٍ يُلَوِّدُونَ <sup>(٥)</sup> بِكَ ، وَانْتَزَعَهَا

مِنْ يَدِي .

فَكَتَبَ عُمَرُ كِتَابًا إِلَى « عُرْوَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ » وَإِلَيْهِ عَلَى « عَدَنَ » يَقُولُ فِيهِ :

أَمَّا بَعْدُ ... فَإِذَا بَجَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاسْمَعْ بَيِّنَةً <sup>(٦)</sup> حَامِلِيهِ ، فَإِنْ ثَبَتَ لَهُ

حَقٌّ ، فَأَذْفَعْ إِلَيْهِ حَقَّهُ .

ثُمَّ خَتَمَ الْكِتَابَ وَنَاوَلَهُ لِلرَّجُلِ .

(١) حمص : مدينة من كبرى مدن سورية وأوسطها مكاناً ، فيها ضريح خالد بن الوليد رضي الله عنه .

(٢) بُردان : مثيل برد ، وهو ثوب منسجج .

(٣) ما ظلامتك : ما الظلم الذي وقع عليك ؟ .

(٤) وَتَبَّ عليها : عدا عليها وامتلكها .

(٥) يُلَوِّدُونَ بك : يتصورون إليك .

(٦) البَيِّنَةُ : الدليل والحجة .

فَلَمَّا هَمَّ الرَّجُلُ بِالْإِنْصِرَافِ قَالَ لَهُ عُمَرُ :

عَلَى رِسْلِكَ <sup>(١)</sup> ...

إِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَنَا مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ ...

وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّكَ اسْتَقْدَمْتَ <sup>(٢)</sup> فِي رِخْلِكَ هَذِهِ زَادًا كَثِيرًا ...

وَأَخْلَقْتَ <sup>(٣)</sup> مِثَابًا جَدِيدَةً ...

وَلَعَلَّهُ نَفَقَتْ <sup>(٤)</sup> لَكَ ذَابَةٌ .

ثُمَّ حَسِبَ ذَلِكَ كُلَّهُ ؛ فَبَلَغَ أَحَدَ عَشَرَ دِينَارًا ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ وَقَالَ :

أَشِيعَ ذَلِكَ فِي النَّاسِ حَتَّى لَا يَتَنَاقَلَ <sup>(٥)</sup> مَظْلُومٌ عَنْ رَفْعِ ظُلَامَتِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ  
مَهْمَا كَانَ بَعِيدَ الدَّارِ .

\* \* \*

وَأَمَّا الصُّورَةُ الثَّالِثَةُ ؛ فَتُزَوِّجُهَا لَنَا الْعَابِدُ الزَّاهِدُ « زِيَادُ بْنُ مَيْسَرَةَ  
الْمَحْزُومِيُّ » بِالْوَلَاءِ فَيَقُولُ :

أَرْسَلَنِي مَوْلَايَ « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ » مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى « دِمَشْقَ » لِلِقَاءِ أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي حَوَائِجَ لَهُ .

وَكَانَتْ يَتَنَبَّي وَبَيْنَ عُمَرَ صِلَةٌ قَدِيمَةٌ تَرْجِعُ إِلَى عَهْدِ وَلَايَتِهِ عَلَى الْمَدِينَةِ ،  
فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَإِذَا عِنْدَهُ كِتَابٌ يَكْتُبُ لَهُ .

فَلَمَّا صِرَتْ فِي عَتَبَةِ الْحُجْرَةِ قُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَقَالَ :

وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ يَا زِيَادُ .

(١) عَلَى رِسْلِكَ : عَلَى مَهْلِك ، أَيْ لَا تَعْمَلُ .

(٢) اسْتَقْدَمْتُ : أَتَيْتُكَ وَاسْتَهْلَكْتُ .

(٣) أَخْلَقْتُ : أَهْلَيْتُ .

(٤) نَفَقَتْ الدَّابَّةُ : هَلَكَتْ وَمَاتَتْ .

(٥) يَتَنَاقَلُ : يَهَابُ وَيَهْلُ .

ثُمَّ مَضَيْتُ نَحْوَهُ حَاجِلًا لِأَنِّي لَمْ أُسَلِّمْ عَلَيْهِ بِإِمْزَةِ الْمُؤْمِنِينَ .  
فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ قُلْتُ :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَبَرَكَاتُهُ .  
فَقَالَ : يَا زِيَادُ ...

إِنَّمَا لَمْ تُنْكِرْ (١) عَلَيْكَ السَّلَامَ الْأَوَّلَ ، فَمَا الْحَاجَةُ إِلَيَّ الثَّانِي ؟ .  
وَكَانَ كَاتِبُهُ إِذْ ذَاكَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ مَظَالِمَ (٢) جَاءَتْهُ مِنْ « الْبَصْرَةِ » مَعَ الْبَرِيدِ  
فَقَالَ لِي :

اجْلِسْ يَا زِيَادُ حَتَّى نَفْرُغَ لَكَ .  
فَجَلَسْتُ عَلَى خَشَبَةِ الْبَابِ ، وَالْكَاتِبُ يَقْرَأُ عَلَيْهِ ، وَغَمْرٌ يَنْتَقِصُ  
الصُّعْدَاءَ (٣) مِنَ الْهَمِّ .

فَلَمَّا فَرَغَ كَاتِبُهُ مِنْ قِرَاءَةِ الرِّقَاعِ (٤) الَّتِي مَعَهُ ، وَانْطَلَقَ إِلَى شَأْنِهِ ، قَامَ غَمْرٌ  
مِنْ مَجْلِسِهِ ، وَمَشَى إِلَيَّ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيَّ عِنْدَ الْبَابِ ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى  
رُجُتَيْي ثُمَّ قَالَ :

هَنِيئًا لَكَ يَا زِيَادُ ...  
لَقَدْ اسْتَدْقَأْتَ بِمَذْرَعَتِكَ (٥) ، وَاسْتَرْخَتْ مَعًا نَحْرُ فِيهِ .

وَكَانَتْ عَلَيَّ مَذْرَعَةٌ صُوفٍ .  
ثُمَّ طَفِقَ يَسْأَلُنِي عَنْ صَلَاحِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ : رِجَالِهِمْ ، وَنِسَائِهِمْ وَاجِدًا  
وَاجِدًا ... فَمَا تَرَكَ مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا سَأَلَنِي عَنْهُ ...

(١) لم تُنْكِرْ عليك : لم تأخذ عليك .

(٢) المظالم : ما وقع على الناس من ظلم .

(٣) الصُّعْدَاءُ : النفس الطويل من الهم والكرب .

(٤) الرِّقَاع : الرسائل .

(٥) المذرعة : جهة مفتوحة من مقدمها .

ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ أَشْيَاءَ كَانَ أَمَرَ بِهَا بِالْعِدِيَّةِ حِينَ كَانَ وَالِيًا عَلَيْنَا .  
فَأَخْبَرْتُهُ عَنْ كُلِّ مَا سَأَلَ .

ثُمَّ تَنَهَّدَ<sup>(١)</sup> وَقَالَ :

يَا زِيَادُ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا وَقَعَ فِيهِ عَمْرُؤُ ؟ .  
قُلْتُ : إِنِّي لَأَرْجُو لَكَ فِي ذَلِكَ خَيْرًا وَأَجْرًا .  
فَقَالَ : هَيْهَاتَ<sup>(٢)</sup> ...

ثُمَّ بَكَى حَتَّى رَزِيَتْ لَهُ وَقُلْتُ :  
إِذْ فَقَ بِنَفْسِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَإِنِّي لَأَرْجُو لَكَ خَيْرًا .  
فَقَالَ : مَا أَبْعَدَ مَا تَرْجُوهُ يَا زِيَادُ ...

لَقَدْ أَصْبَحَ فِي وَسْطِي أَنْ أَشْتِمَ وَلَا أَشْتَمُ ...  
وَأَنْ أَضْرِبَ وَلَا أَضْرِبُ ...

وَأَنْ أُوذِيَ النَّاسَ وَلَا يُؤْذِنِي أَحَدٌ .  
ثُمَّ بَكَى كَرَّةً<sup>(٣)</sup> أُخْرَى حَتَّى جَعَلْتُ أَرْثِي<sup>(٤)</sup> لَهُ .

وَلَقَدْ أَقَمْتُ عِنْدَهُ أَهَامًا ثَلَاثَةَ حَتَّى قَضَى مَا أَرْسَلَنِي بِهِ مَوْلَايَ .  
فَلَمَّا هَمَمْتُ بِالْانْصِرَافِ ، زَوَّدَنِي<sup>(٥)</sup> بِكِتَابٍ إِلَى سَيِّدِي يَسْأَلُهُ فِيهِ : أَنْ  
يَبْعَثَنِي مِنْهُ ...

ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ تَحْتِ فِرَاشِهِ عِشْرِينَ دِينَارًا ، وَقَالَ :

(١) تَنَهَّدَ : مَدَّ نَفْسَهُ حَزَنًا .

(٢) هَيْهَاتَ : اسْمُ فِعْلِ بِحَتَّى يَلْحَظُ .

(٣) كَرَّةً أُخْرَى : مَرَّةً ثَانِيَةً .

(٤) أَرْثِي لَهُ : لَرَأَيْتُ لَهُ وَأَحْزَنَ عَلَيْهِ .

(٥) زَوَّدَنِي بِكِتَابٍ : حَقَّنِي كِتَابًا .

إِسْتَعِينَ بِهَذَا الْمَالِ عَلَى دُنْيَاكَ ...  
وَلَوْ كَانَ لَكَ حَقٌّ فِي الْفَنَاءِ<sup>(١)</sup> لِأَعْطَيْتَاكَ حَقَّكَ .  
فَأَتَيْتُ أَنْ أَخْذَ الْمَالَ مِنْهُ .  
فَقَالَ : خُذْهُ ؛ فَمَا هُوَ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ نَفَقَتِي .  
فَامْتَنَعْتُ عَنْ أَخْذِهِ ...  
وَلَكِنَّهُ مَا زَالَ يَبِي حَتَّى أَخَذْتُهُ مِنْهُ ، وَمَضَيْتُ .  
فَلَمَّا بَلَغْتُ الْمَدِينَةَ ؛ دَفَعْتُ بِكِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَوْلَايَ ، فَقَفَضَهُ<sup>(٢)</sup>  
وَقَالَ :

إِنَّمَا مَنَّا لِي أَنْ أَبِيعَكَ لَهُ لِيُعْتِقَكَ ...  
فَلِمَ لَا أَكُونُ أَنَا الْمُعْتَقَ لَكَ ۙ ؟  
ثُمَّ أَغْتَفَنِي ... (٥) .

(١) الفناء: الخراج .

(٢) قَفَضَهُ : فحسه .

- (٥) للاستزادة من أخبار حمزة بن عبد العزيز انظر :
- ١ - سيرة حمزة بن عبد العزيز لابن عبد الحكم .
  - ٢ - سيرة حمزة بن عبد العزيز لابن الجوزي .
  - ٣ - سيرة حمزة بن عبد العزيز للأجري .
  - ٤ - الطبقات الكبرى لابن سعد : ٣٣٠ / ٥ .
  - ٥ - صفة الصفوة لابن الجوزي : ١١٣ / ٢ - ١٢٦ .
  - ٦ - وفیات الأعيان لابن خلكان : المجلدات ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، وانظر الفهارس الملحقه بالجزء العاشر .
  - ٧ - المسند الفريد لابن عبد ربه : الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، وانظر الفهارس .
  - ٨ - البيان والتبيين للجاسط : انظر فهارس الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .
  - ٩ - تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر : ١١٥ / ٢ - ١٢٧ .





# زَيْنُ الْعَابِدِينَ

عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ

« مَا زَأَيْتُ قُرَيْشًا أَلْفَلَّحَ مِنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ »

[الزُّهْرِيُّ]

لَقَدْ طَوَيْتُ فِي ذَلِكَ الْعَامِ الْأَعْو (١) آخِرَ صَفْحَةٍ مِنْ صَفَحَاتِ الْأَكْسِيرَةِ .

فَلَقَدْ مَاتَ « يَزْدَجُودُ » آخِرُ مُلُوكِ الْفُرْسِ شَرِيداً طَرِيداً ...

وَسَقَطَ أَسَاوِرُهُ (٢) ، وَخَرَسَتْهُ ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ أَسَارَى فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ ...

وَسِيقَتْ الْغَنَائِمُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ...

وَقَدْ كَانَ سَبِي (٣) ذَلِكَ النَّصْرِ الْكَبِيرِ كَثِيراً ، وَفِيراً ، ثَمِيناً ، لَمْ تَشْهَدْ

الْمَدِينَةُ أَكْثَرَ مِنْهُ عُدْداً ، وَلَا أَعْظَمَ خَطراً (٤) .

وَكَانَ بَيْنَ السَّبَاتَا بَنَاتُ « يَزْدَجُودَ » الثَّلَاثُ ...

\* \* \*

أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى السَّبِي ؛ فَشَرَوْهُ فِي سَاعَاتِ مَعْدُودَاتٍ ، وَرَدُّوا ثَمَنَهُ إِلَى

بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا بَنَاتُ كِشْرَى « يَزْدَجُودَ » .

وَكُنَّ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ جَمَالاً ...

وَأَبْهَاهُنَّ طَلْعَةٌ ...

وَأَنْصَرِهِنَّ (٥) مَسْجِياً ...

(١) الْأَعْو : المشرق الطلوع .

(٢) أَسَاوِرُهُ : قاداته .

(٤) عَطَر : رِيحَةٌ مقام ، وعلو منزلة .

(٣) السبي : ما يسغولي عليه الغاربون من النساء ، والرجال ، والولدان .

(٥) أَنْصَرِهِنَّ : أَرْهَقْنَهُنَّ .

وَلَمَّا غَرَضَ لِلْبَيْعِ أَطْرَقَ<sup>(١)</sup> إِلَى الْأَرْضِ ذَلَّةً، وَمَهَانَةً...

وَفَاضَتْ غَيْرُهُنَّ حَشْرَةً، وَانْكَسَاراً...

فَرَقَّ لَهُنَّ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَتَعَنَّى لَوْ شَرَاهُنَّ مَنْ يُحْسِنُ الْقِيَامَ عَلَيْهِنَّ.

وَلَا غَرَوْ<sup>(٢)</sup>، فَالرُّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يَقُولُ:

(ارْحَمُوا غَيْرَ قَوْمِ ذُلٍّ)...

فَمَالَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَقَالَ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ...

إِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ لَا يُعَامَلْنَ مُعَامَلَةَ غَيْرِهِنَّ...

فَقَالَ عُمَرُ: صَدَقْتَ... وَلَكِنْ كَيْفَ؟

فَقَالَ عَلِيٌّ: يَقْرَأُونَ<sup>(٣)</sup> وَيُعَالِي بِأَثْمَانِهِنَّ<sup>(٤)</sup>، ثُمَّ تَتْرَكُ لَهُنَّ الْحُرِّيَّةُ فِي اخْتِيَارٍ مَنْ يَشَاءُنَ مِمَّنْ يَدْفَعُ الثَّمَنَ.

فَارْتَأَى عُمَرُ لِذَلِكَ، وَرَضِيَ بِهِ، وَأَنْقَذَهُ...

فَاخْتَارَتْ إِخْدَاهُنَّ «عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ».

وَاخْتَارَتْ الثَّانِيَةَ «مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ».

أَمَّا الثَّالِثَةُ وَكَانَتْ تُدْعَى «شَاهِ زِنَان»، فَاخْتَارَتْ «الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ» سِبْطَ<sup>(٥)</sup> الرُّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ...

\* \* \*

(١) أَطْرَقَ: غَطَّسَتْ خُفْرَتُهُنَّ وَتَطَلَّوْنَ إِلَى الْأَرْضِ.

(٤) يُعَالِي بِأَثْمَانِهِنَّ: تُرْفَعُ أَشْخَاؤُهُنَّ.

(٥) سِبْطُ الرَّجُلِ: ابْنُ بَنِيهِ.

(٣) يَقْرَأُونَ: لَا عَجَبَ.

أَسْلَمْتُ « شَاهُ زَنَانٍ » وَحَسُنَ إِسْلَامُهَا ...  
فَقَارَتْ بِدِينِ الْقَيْمَةِ<sup>(١)</sup> ... وَأُعْثِقَتْ مِنَ الرِّقِّ ؛ فَصَارَتْ زَوْجَةً بَعْدَ أَنْ  
كَانَتْ أَمَةً ، وَظَفِيرَتْ بِالْحُرِّيَّةِ .  
ثُمَّ إِنَّهَا رَأَتْ أَنْ تَقْطَعَ كُلَّ صِلَةٍ لَهَا بِمَضِيهَا الْوُثْنِي ، فَتَحَلَّتْ عَنْ امْنِيهَا  
« شَاهُ زَنَانٍ » وَمَعْنَاهُ مِلْكَةُ النَّسَاءِ ، وَأَصْبَحَتْ تُدْعَى « غَزَالَةً » ...  
وَقَدْ سَعِدَتْ « غَزَالَةُ » بِخَيْرِ الْأَزْوَاجِ ، وَأَلْيَقِهِمْ<sup>(٢)</sup> بِنَتَاتِ الْمُلُوكِ .  
وَلَمْ يَتَّقَ مِنْ أَمَانِيهَا إِلَّا أَنْ تَنْعَمَ بِالْوَلَدِ .  
فَأَكْرَمَهَا اللَّهُ ، فَوَلَدَتْ لِلْحُسَيْنِ عَلَامًا وَسَيِّمَ الْمُحَيَّا ، بِهِيَ الطَّلَعِ ؛  
فَسَمَّاهُ عَلِيًّا تَيْمُنًا بِاسْمِ جَدِّهِ « عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .  
لَكِنْ فَرُوحَةً « غَزَالَةُ » لَمْ تَذُمَّ سِوَى لِحَظَاتِ ...  
ذَلِكَ لِأَنَّهَا لَبِثَ نِدَاءَ رَبِّهَا إِثْرَ حُمْلَى نِفَاسٍ<sup>(٣)</sup> عَاجَلَتْهَا ؛ فَلَمْ تَتْرِكْ لَهَا  
فُرْصَةً لِلتَّمَتُّعِ بِمَوْلُودِهَا .

\* \* \*

تَوَلَّتْ رِعَايَةَ الصَّبِيِّ الصَّغِيرِ مَوْلَاةً<sup>(٤)</sup> لَهُ ، فَأَحْبَبْتُهُ فَوْقَ مَا تُحِبُّ أُمُّ  
وَلَدَهَا ...

وَرَعَتْهُ أَكْثَرَ مِمَّا تَرَعَى وَالِدَةٌ وَحِيدَهَا ...  
فَنَشَأَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ لَهُ أُمًّا غَيْرَهَا ...

\* \* \*

(١) دين القئمة : دين الله المستقيم .

(٢) أليقهم : أحدهم وأولاهم .

(٣) حملى النفاس : حملى الولادة التي تصيب بعض النساء .

(٤) مولاة له : أمة له ، والمولاة تطلق على السجدة والأمة .

مَا كَادَ عَلَيَّ مِنْ الْحُسَيْنِ يَتْلُغُ سِنَ الثَّمَنِزِ (١)، حَتَّى أَقْبَلَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ  
يَشْغَفُ (٢) وَشَوْقِي ...

وَكَانَتْ مَدْرَسَتُهُ الْأُولَى يَتَنَّهُ ، أَكْرَمَ بِهِ مِنْ يَتٍ ...  
وَكَانَ مُعَلِّمُهُ الْأَوَّلُ وَالِدُهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، أَعْظَمَ بِهِ مِنْ مُعَلِّمٍ .  
أَمَّا مَدْرَسَتُهُ الثَّانِيَّةُ ، فَمَسْجِدُ الرُّشُولِ الْأَعْظَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
وَكَانَ الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ - يَوْمَئِذٍ - يَمُوجُ (٣) بِالْبَيْعَةِ الْبَاقِيَةِ مِنْ  
صَحَابَةِ الرُّشُولِ الْكَرِيمِ ، وَيَزْخَرُ (٤) بِالطَّبِيعَةِ الْأُولَى مِنْ كِتَابِ الثَّابِعِينَ .  
وَكَانَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ ، يَفْتَحُونَ قُلُوبَهُمْ لِهَذِهِ الْأَكْثَامِ (٥) الْمَزْدَهَرَةِ مِنْ  
أَهْنَاءِ الصَّحَابَةِ الْكَرَامِ ، فَيَفْرُقُونَهُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ...  
وَيَفْقَهُونَهُمْ فِيهِ ...

وَيَزُودُونَ لَهُمْ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ...  
وَيَفْقَهُونَهُمْ عَلَى مَرَامِيهِ (٦) ...  
وَيَقْصُونَ عَلَيْهِمْ سِيرَةَ الرُّشُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ وَمَغَازِيهِ (٧) ...  
وَيُنْبِذُونَ لَهُمْ شِعْرَ الْعَرَبِ ، وَيُبَصِّرُونَهُمْ بِمَوَاطِنِ جَمَالِهِ ...  
وَيَمْلَأُونَ قُلُوبَهُمْ الْغَضَّةَ بِحُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَخَشْيَتِهِ ، وَتَقْوَاهُ ...

(١) سن التميز : سن الرمي والقدرة على طلب العلم .

(٢) يشغف : برغبة وتعلق .

(٣) موج : يقال ما ج المكان بالناس أي تداعل بعضهم في بعض لشدة الزحام .

(٤) يزخر : يفيض .

(٥) الأكمام : جمع مغرته يكم بكسر الكاف ، وهو الغلاف الذي يحيط بالزهر والورد .

(٦) مراميه : مقاصده وأهدافه .

(٧) مغازيه : غزواته .

فَإِذَا هُمْ غُلَمَاءُ غَامِلُونَ ، وَهَدَاةٌ مُهْدِيُونَ .

\* \* \*

لِكِنَّ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ لَمْ يَتَعَلَّقْ قَلْبُهُ بِشَيْءٍ كَمَا تَعَلَّقَ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ...

وَلَمْ تَهْتَزَّ مَشَاعِرُهُ لِأَمْرِ كَمَا كَانَتْ تَهْتَزُّ لَوَعِيدِهِ وَوَعِيدِهِ (١) ...

فَإِذَا قَرَأَ آيَةَ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ ، طَارَ قُودُهُ شَوْقًا إِلَيْهَا ...

وَإِذَا سَمِعَ آيَةَ فِيهَا ذِكْرُ النَّارِ ، زَفَرَ (٢) زَفْرَةً كَأَنَّ لَهَيْبَ جَهَنَّمَ فِي أَحْشَائِهِ .

\* \* \*

وَمَا إِنْ اكْتَمَلَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ شَبَابًا وَعِلْمًا ، حَتَّى ظَفَرَ الْمُجْتَمَعُ الْمَدَنِيُّ الْأَمْتَلُ بِقَتْلَى مِنْ أَعْمَقِي فُتَيَانِ بَنِي « هَاشِمٍ » عِبَادَةً وَتَقَى ...

وَأَعْظَمِيهِمْ فَضْلًا وَخُلُقًا ...

وَأَكْثَرِيهِمْ إِحْسَانًا وَبِرًّا ...

وَأَوْسَمِيهِمْ مَعْرِفَةً وَعِلْمًا ...

فَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ عِبَادَتِهِ وَتَقْوَاهُ ؛ أَنَّهُ كَانَتْ تَأْخُذُهُ رِغْدَةٌ (٣) بَيْنَ وَضُوءِهِ وَصَلَاتِهِ ، فَتَنْفُضُ جَسَدَهُ نَفْضًا .

فَلَمَّا كُتِبَ فِي ذَلِكَ قَالَ : وَيَحْكُمُ !! ...

كَأَنَّكُمْ لَا تَذُرُونَ إِلَيَّ مَنْ أَقُومُ ...

وَلَا تَعْلَمُونَ مَنْ أُرِيدُ أَنْ أَتَأَجَّجِي (٤) ...

\* \* \*

(١) وَغَيُوبٍ وَوَعِيدِهِ : الورد بما يَشُو ، والوحيد بما يخيف . (٣) رِغْدَةٌ : هزة تحصل من الانفعال .

(٢) زَفَرَ : أصرج نفساً طويلاً حاراً [ مصححاً ] . (٤) أَتَأَجَّجِي : أنضي بما في قوايدي .

وَقَدْ بَلَغَ مِنْ إِحْسَانِ الْفَتَى الْهَاشِمِيِّ لِعِبَادَتِهِ وَإِتْقَانِهِ لِشَعَائِرِهِ ؛ أَنْ دَعَاهُ  
النَّاسُ : « زَيْنُ الْعَابِدِينَ » ... حَتَّى نَسِيَ قَوْمَهُ اسْمَهُ أَوْ كَادُوا ، وَأَثَرُوا <sup>(١)</sup> لَقَبَهُ هَذَا  
عَلَى اسْمِهِ .

وَقَدْ بَلَغَ مِنْ إِطَالَتِهِ لِسُجُودِهِ ، وَاسْتِغْرَاقِهِ <sup>(٢)</sup> فِيهِ أَنْ نَادَاهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ  
بِالسُّجَّادِ <sup>(٣)</sup> ...

وَقَدْ بَلَغَ مِنْ صَفَاءِ نَفْسِهِ وَنَقَاءِ قَلْبِهِ أَنْ نَعْتُوهُ بِالزَّكِيِّ <sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

وَكَانَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ يُوقِنُ أَنْ مُخَ <sup>(٥)</sup> الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ ...  
وَكَانَ يَطِيبُ لَهُ الدُّعَاءُ أَكْثَرَ مَا يَطِيبُ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ .

فَلَكُمْ التَّزَمَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ ، وَجَعَلَ يَقُولُ :

رَبِّ لَقَدْ أَذَقْتَنِي مِنْ رَحْمَتِكَ مَا أَذَقْتَنِي ...

وَأَوْلَيْتَنِي <sup>(٦)</sup> مِنْ إِعْطَائِكَ مَا أَوْلَيْتَنِي ...

فَصَبَرْتُ أَذْعُوكَ أَمِيناً مِنْ غَيْرِ وَجَلٍ <sup>(٧)</sup> ...

وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِساً مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ ...

رَبِّ إِنِّي أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ قَوْسَلٍ مَنِ اسْتَدْتُ فَاقْتَهُ <sup>(٨)</sup> إِلَى رَحْمَتِكَ ...

وَضَمَمْتُ قُوَّتَهُ عَنْ أَذَاءِ حُقُوقِكَ ...

(٥) مَخَ الْعِبَادَةِ : رَوْعُهَا ، وَأَعْظَمُ مَا فِيهَا .

(٦) أَوْلَيْتَنِي : أَسْبَغْتَ عَلَيَّ وَأَقْنَصْتَ .

(٧) وَجَلٍ : خَوْفٍ .

(٨) فَاقْتَهُ : قَرَرَهُ وَاحْتِجَاهَهُ .

(١) أَثَرُوا : فَتَّلُوا .

(٢) اسْتِغْرَاقَهُ : خَبَثَهُ عَنِ الدُّنْيَا .

(٣) السُّجَّادُ : الْمُرْفَقُ فِي السُّجُودِ ، لِلطَّلِيلِ لَهُ .

(٤) الزَّكِيُّ : النَّفِيُّ الْخَالِصُ مِنَ الذُّنُوبِ .

فَأَقْبِلْ مِنِّي دُعَاءَ الْغَرِيبِ الْغَرِيبِ الَّذِي لَا يَجِدُ لِإِنْقَاذِهِ إِلَّا أَنْتَ يَا أَكْرَمَ  
الْأَكْرَمِينَ .

\* \* \*

وَلَقَدْ رَأَى طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ <sup>(١)</sup> ذَاتَ مَرَّةٍ يَقِفُ فِي ظِلَالِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ  
وَهُوَ يَتَمَلَّمُ تَمَلَّمُ السَّلِيمِ <sup>(٢)</sup> ...

وَيَبْكِي بُكَاءَ السَّقِيمِ ... وَيَدْعُو دُعَاءَ الْمُضْطَرِّ <sup>(٣)</sup> .

فَوَقَفَ يَنْتَظِرُهُ حَتَّى إِذَا كَفَّ عَنْ بُكَائِهِ ، وَفَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ ، تَقَدَّمَ نَحْوَهُ  
وَقَالَ لَهُ :

يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ <sup>(٤)</sup> رَأَيْتُكَ عَلَى حَالَتِكَ هَذِهِ ، وَلَكَ فَصَائِلُ ثَلَاثِ أَرْجُو  
أَنْ تُؤَمِّنَكَ <sup>(٥)</sup> مِنَ الْخَوْفِ .

فَقَالَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ : وَمَا هُنَّ يَا طَاوُوسُ ؟

فَقَالَ : إِخِذْهُمْ أُنْكَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ...

وَالثَّانِيَةُ : شَفَاعَةُ جَدِّكَ لَكَ ...

وَالثَّالِثَةُ : رَحْمَةُ اللَّهِ ...

فَقَالَ لَهُ : يَا طَاوُوسُ إِنَّ انْتِسَابِي إِلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ  
لَا يُؤَمِّنُنِي بَعْدَ أَنْ سَمِعْتُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :

(١) طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ : انظره ص ٢٨١ ، ٢٨٩ .

(٢) السَّلِيمُ : المشرف عَلَى الْهَلَاكِ ، وَقَدْ شَعِيَ بِذَلِكَ تَقَاوُلًا .

(٣) الْمُضْطَرُّ : الْأَجْمَعُ الْمُحْتَاجُ .

(٤) يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ : هُوَ ابْنُ الْحَسَنِ ، وَالْحَسَنِ ابْنُ بَنِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

(٥) تُؤَمِّنُكَ : تَحْمِيكَ .

﴿فَإِذَا نُبِّغَ فِي الصُّورِ<sup>(١)</sup> فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وَأَمَّا شَفَاعَةُ جَدِّي لِي فَإِنَّ اللَّهَ عَلَتْ كَلِمَتُهُ يَقُولُ :

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾<sup>(٣)</sup> ﴿٤﴾.

وَأَمَّا رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى فَهَوَ يَقُولُ :

﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

\* \* \*

وَلَقَدْ أَقَاصَبْتُ<sup>(٦)</sup> التَّقْوَى عَلَى زَنَنِ الْعَابِدِينَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تُفِيضَ مِنْ  
شَمَائِلِ<sup>(٧)</sup> الْفَضْلِ ، وَالتَّوْبِلِ ، وَالْجَلْمِ ...

حَتَّى ارْذَأَنْتَ<sup>(٨)</sup> كُتُبَ السَّيْرِ بِرَوَائِعِ أَخْبَارِهِ ، وَزَهَتْ<sup>(٩)</sup> صَفَحَاتُهَا بِنَبِيلِ  
مَوَاقِفِهِ ...

مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ :

وَقَعْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّي زَنَنِ الْعَابِدِينَ جَفْوَةً<sup>(١٠)</sup> ؛ فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ  
وَأَنَا أَتَمَيِّزُ غَيْظًا مِنْهُ - وَكَانَ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي الْمَسْجِدِ - فَمَا تَرَكْتُ شَيْعًا إِلَّا قُلْتُهُ  
لَهُ ، وَهُوَ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ ...

ثُمَّ انْصَرَفْتُ ...

فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ إِذَا طَارِقٌ<sup>(١١)</sup> عَلَى الْبَابِ يَبْقُرُهُ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ لِأَرَى مَنْ  
هُوَ ...

- 
- (١) نُبِّغَ فِي الصُّورِ : قَامَتِ الْقِيَامَةُ ، وَالصُّورُ : أَدَاةٌ يُنْفَعُ فِيهَا فَخْرُجٌ صَوْرًا حَالِيًا .  
(٢) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ : آيَةُ ١٠١ .  
(٣) لِمَنِ ارْتَضَى : لِلَّذِي قَبِلَهُ اللَّهُ وَحُطِيَ عَنْهُ .  
(٤) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ : آيَةُ ٢٨ .  
(٥) سُورَةُ الْأَحْزَابِ : آيَةُ ٥٦ .  
(٦) أَقَاصَبْتُ : أَسِفْتُ عَلَيْهِ .  
(٧) الشَّمَائِلُ : الْخِلَالُ وَالْخِصَالُ وَالصِّفَاتُ .  
(٨) ارْذَأَنْتَ : تَرَكْتَ .  
(٩) زَهَتْ : أَسْرَفَتْ .  
(١٠) الْجَفْوَةُ : الْحَصْمَةُ وَسُوءُ الْمَعَاشَرَةِ .  
(١١) الطَّارِقُ : الْآتِي لَيْلًا .



فَإِذَا زُرْتُ الْعَابِدِينَ ...

فَمَا شَكَّكَتُ أَنَّهُ جَاءَ يَرُدُّ إِلَيَّ الْأَذَى ... وَلَكِنَّهُ قَالَ :

يَا أَبِى إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فِيمَا قُلْتُ لِي ؛ فَغَفَرَ اللَّهُ لِي ...

وَإِنْ كُنْتُ غَيْرَ صَادِقٍ ؛ فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ .

ثُمَّ أَلْقَى عَلَيَّ السَّلَامَ وَمَضَى ...

فَلَحِجْتُ بِهِ وَقُلْتُ لَهُ : لَا جَزَمَ<sup>(١)</sup> ، لَا عُدْتُ إِلَيَّ أَفَرِ تَكْرُمُهُ .

فَرَفَى لِي وَقَالَ : وَأَنْتَ فِي جِلٍّ مِمَّا قُلْتَ لِي .

\* \* \*

وَزَوَى أَخَذَ أَتَاءَ الْمَدِينَةِ قَالَ :

كَانَ زُرْتُ الْعَابِدِينَ خَارِجًا مِنَ الْمَسْجِدِ فَتَبِعْتُهُ ، وَجَعَلْتُ الْوُحَّ<sup>(٢)</sup> لَهُ  
بِالشَّمْسِ ، وَلَسْتُ أَذْرِي سَبَبًا لِذَلِكَ ، فَهَجَمَ عَلَيَّ النَّاسُ يُرِيدُونَ أَخْذِي<sup>(٣)</sup> ...

وَلَوْ أَخَذُونِي لَمْ يُغْلِبُونِي حَتَّى أُحْطَمَ .

فَالْتَفَتَ إِلَيَّ النَّاسُ وَقَالَ : كُفُّوا عَنِ الرَّجُلِ ...

فَكَفُّوا عَنِّي ...

وَلَمَّا رَأَى مَا أَصَابَنِي مِنَ الدُّعْرِ<sup>(٤)</sup> أَقْبَلَ عَلَيَّ بِوَجْهِهِ الطَّلَقِ ؛ وَجَعَلَ يُؤْمِنُنِي  
وَيُهْدِي مِنْ رُزْعِي<sup>(٥)</sup> ثُمَّ قَالَ لِي :

لَقَدْ سَبَّبْتَنِي بِمَا عَلِمْتَ ، وَمَا سَيَّرَ عَنْكَ مِنْ أَفْرَانَا أَكْبَرُ .

ثُمَّ قَالَ لِي : أَلَاكَ حَاجَةٌ تُعِينُكَ عَلَيْهَا ؟ .

---

(١) لَا جَزَمَ : أَتَيْتُ .

(٢) الْوُحَّ لَهُ بِالشَّمْسِ : أَشْمَعُهُ وَأَقُولُ لَهُ سَمِعَ الْكَلَامَ . (٤) الدُّعْرُ : الْخَوْفُ وَالْهَلَعُ .

(٣) أَخْذِي : الْكَيْلَ دُونِي . (٥) رُزْعِي : فَرْعِي .

فَأَسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ ، وَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا ...

فَلَمَّا رَأَى حَيَاتِي أَلْقَى عَلَيَّ كِسَاءً<sup>(١)</sup> كَانَ عَلَيْهِ ...

وَأَمَرَ لِي بِالْفِ دِرْهَمٍ .

فَجَعَلْتُ أَقُولُ كُلَّمَا رَأَيْتُهُ - بَعْدَ ذَلِكَ - أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُولِ عَلَيْهِ  
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَرَزَوِي أَحَدُ مَوَالِيهِ قَالَ :

كُنْتُ غُلَامًا لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَأَرْسَلَنِي فِي حَاجَةٍ فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا  
جِئْتُهُ خَفَقَنِي<sup>(٢)</sup> بِالسُّوْطِ ... فَبَكَيْتُ وَاسْتَدَّ غَيْظِي مِنْهُ ؛ لِأَنَّهُ مَا خَفَقَ أَحَدًا قَبْلِي  
قَطُّ ، وَقُلْتُ لَهُ :

اللَّهُ ، اللَّهُ<sup>(٣)</sup> ، يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ...

أَتَسْتَحْدِثُنِي فِي حَاجَةٍ فَأَقْضِيهَا لَكَ ، ثُمَّ تَضْرِبُنِي ؟

فَبَكَى وَقَالَ : إِذْهَبْ إِلَى مَسْجِدِ الرُّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَصَلِّ  
رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ قُلْ :

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ...

فَإِذَا ذَهَبَتْ وَقَعَلْتُ ، فَأَنْتَ حَرٌّ لِرُوحِهِ اللَّهُ تَعَالَى .

فَذَهَبْتُ وَصَلَّيْتُ وَدَعَوْتُ ...

وَلَمْ أَغْزِ إِلَى دَارِهِ إِلَّا وَأَنَا حَرٌّ .

\* \* \*

(١) كِسَاءٌ : ثَوْبًا .

(٢) خَفَقَنِي : ضَرَبَنِي ، وَالسُّوْطُ : جِلْدٌ مَضْفُورٌ .

(٣) اللَّهُ ، اللَّهُ : اِثْنَى الثَّلَاثَةِ .

وَلَقَدْ وَسَّعَ<sup>(١)</sup> اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى زَيْنِ الْعَابِدِينَ ، وَأَقَاضَ<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ الرِّزْقَ  
فَيْضاً ...

فَكَانَتْ لَهُ تِجَارَةٌ رَابِحَةً ...

وَزِرَاعَةٌ نَائِمَةٌ ...

وَكَانَ يَنْهَضُ بِهِمَا عِلْمَانُهُ .

وَكَانَتْ زِرَاعَتُهُ وَتِجَارَتُهُ تُدْرَانِ<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ الْخَيْرُ الْوَفِيرُ<sup>(٤)</sup> ، وَالْعَمَالُ  
الْكَثِيرُ ...

لَكِبَرُ زَيْنِ الْعَابِدِينَ لَمْ يَزُهِ<sup>(٥)</sup> الْغِنَى ...

وَلَمْ تُبْطِطِهِ النُّعْمَةُ ...

وَأِنَّمَا جَعَلَ مَالُ الدُّنْيَا مَطِيَّةً<sup>(٦)</sup> يَلْفُوزُ فِي الْآخِرَةِ .

فَكَانَ نَرَاؤُهُ<sup>(٧)</sup> نِعَمَ الثَّرَاءِ الصَّالِحِ لِلْعَبِيدِ الصَّالِحِ .

وَكَانَ أَكْثَرَ مَا حُبِّبَ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ صَدَقَةُ السَّرِّ<sup>(٨)</sup> .

فَكَانَ إِذَا جَنَّ<sup>(٩)</sup> اللَّيْلُ يَحْمِلُ أَكْثِيَّاسَ الدَّقِيقِ عَلَى ظَهْرِهِ النَّاجِلِ<sup>(١٠)</sup> ،

وَيَخْرُجُ بِهَا فِي عَتَمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ...

وَكَانَ يَحْبُوبُ<sup>(١١)</sup> إِلَيْهَا أَخْيَاءَ الْمَدِينَةِ لِيَتَصَدَّقَ عَلَى دَوْرِي الْحَاجَاتِ وَمِنْ

لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلَّا خَافاً<sup>(١٢)</sup> .

(١) وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ : أَعَدَّ عَلَيْهِ الْمَالُ .

(٧) نَرَاؤُهُ : خُلاصُهُ .

(٨) صَدَقَةُ السَّرِّ : الصَّدَقَةُ الَّتِي لَا يَعْلَمُ بِهَا أَحَدٌ

إِلَّا اللَّهُ .

(٩) جَنَّ اللَّيْلُ : أَظْلَمَ اللَّيْلُ .

(١٠) النَّاجِلُ : الضَّعِيفُ الْهَزِيلُ .

(١١) يَحْبُوبُ : يُطَوِّفُ .

(١٢) إِلَّا خَافاً : إِلَّا خَشْياً .

(٢) أَقَاضَ : أَكْبَرُ .

(٣) تُدْرَانِ : تَتَدَقَّقَانِ وَتُكْتَرَانِ .

(٤) الْوَفِيرُ : الْكَثِيرُ .

(٥) لَمْ يَزُهِ الْغِنَى : لَمْ يَنْفَسْهُ لِلْمَالِ إِلَّا فِي الْفَكْرِ

عَلَى النَّاسِ .

(٦) مَطِيَّةٌ : وَسِيلَةٌ وَمَرْكَبٌ .

فَكَانَتْ جَمَاعَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَبِيشُ وَهِيَ لَا تَذِيرِي مِنْ أَنْتَنٍ  
يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا<sup>(١)</sup>.

فَلَمَّا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ؛ فَقَدْ هَوُلَاءِ مَا كَانَ يَأْتِيهِمْ مِنْ رِزْقٍ ، فَعَرَفُوا  
مَصْدَرَهُ .

وَلَمَّا وُضِعَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلَى الْمُقْتَسِلِ ؛ نَظَرَ غَائِلُوهُ ... فَوَجَدُوا فِي  
ظَهْرِهِ آثَارَ مَوَادٍ ، فَقَالُوا : مَا هَذَا ؟ .

فَقِيلَ لَهُمْ : إِنَّهُ مِنْ آثَارِ حِمْلِ أَكْيَاسِ الدَّقِيقِ<sup>(٢)</sup> إِلَى مِائَةِ يَتَبَّ فِي الْمَدِينَةِ  
فَقَدَّتْ غَائِلُهَا<sup>(٣)</sup> بِفَقْدِهِ .

\* \* \*

أَمَّا أَخْبَارُ عِنِّي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ لِلْأَرْقَاءِ فَقَدْ شَرَقَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ<sup>(٤)</sup>  
وَعَرَّوَتْ ...

لِأَنَّ صَبِيغَهُ هَذَا فَاقَ خَيَالَ الْمُتَحَيِّلِينَ ...

وَجَاوَزَ تَطْلُعَ الْمُتَطَلِّعِينَ<sup>(٥)</sup> .

فَكَانَ يُغَيِّقُ الْعَبْدَ إِذَا أَحْسَنَ ؛ مُكَافَأَةً لَهُ عَلَى إِحْسَانِهِ ...

وَكَانَ يُغَيِّقُ الْعَبْدَ إِذَا أَسَاءَ وَتَابَ ؛ جَزَاءً لَهُ عَلَى تَوْبَتِهِ ...

حَتَّى رَوَى الرَّوَّادُونَ أَنَّهُ أَغْتَقَى أَلْفَ عَبْدٍ ...

وَأَنَّهُ لَمْ يَسْتَعْمِدْ أَحَدًا مِنْ غِلْمَانِهِ وَإِمَائِهِ<sup>(٦)</sup> أَكْثَرَ مِنْ عَامٍ وَاحِدٍ .

وَكَانَ عِثْمُهُ لِعَبِيدِهِ يَقَعُ أَكْثَرَ مَا يَقَعُ لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ ... حَيْثُ كَانَ يُحَرَّرُ

(٤) الرُّكْبَانُ : المسافرون المتقلون في البلاد .

(٥) المتطلِّعون : العارفين .

(٦) الإماء : جمع أمة ، وهي المسوقة من النساء .

(١) رَغَدًا : طياً واسعاً .

(٢) الدَّقِيقُ : الطَّحِينَ .

(٣) غَائِلُهَا : من يفتق عليها ويحولها .

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ مَا يُقَدِّرُهُ اللَّهُ عَلَى تَخْرِيرِهِ مِنْ رِقَابِ الْأَرْقَاءِ .

وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يَتَوَجَّهُوا إِلَى الْقَبِيلَةِ ، وَأَنْ يَقُولُوا :

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ .

ثُمَّ يَرْوِدُهُمْ <sup>(١)</sup> بِمَا يَجْعَلُ عِيْدَهُمْ عِيْدَيْنِ ، وَفَوْحَتَهُمْ فَوْحَتَيْنِ .

\* \* \*

وَلَقَدْ حَلَّ عَلَيَّ بَنُ الْحُسَيْنِ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ مَثْرَلَةٌ لَمْ يَرِدْ عَلَيْهَا إِنْسَانٌ فِي

عَصْرِهِ ...

فَلَقَدْ أَحَبَّهُ النَّاسُ أَصْدَقَ مَا يَكُونُ الْحُبُّ ...

وَأَجْلَوْهُ <sup>(٢)</sup> أَعْظَمَ مَا يَكُونُ الْإِجْلَالُ ...

وَتَعَلَّقُوا <sup>(٣)</sup> بِهِ أَشَدَّ مَا يَكُونُ التَّعَلُّقُ ...

وَاشْتَأَوْا إِلَى رُؤُوسِهِ أَعْمَقَ مَا يَكُونُ الشُّوقُ ...

فَكَانُوا يَتَرَقَّبُونَهُ لِيَنْتَعِمُوا <sup>(٤)</sup> بِرُؤُوسِهِ خَارِجاً مِنَ الْبَيْتِ أَوْ دَاخِلًا إِلَيْهِ ...

أَوْ غَادِيَا <sup>(٥)</sup> إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَائِحاً مِنْهُ .

\* \* \*

زُيِّنَ أَنْ هِشَامَ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَدْ عَلَى مَكَّةَ حَاجِجاً ، وَكَانَ يُؤَمِّدُ وَيُنَاقِ

لِلْعَهْدِ ... فَأَقْبَلَ يُرِيدُ الطَّوَافَ ، وَيَتَخَفَّى اسْتِیْلَامَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ...

وَأَخَذَ الْجُنْدُ الْحَافُونَ <sup>(٦)</sup> بِهِ يُتَّبِعُونَ النَّاسَ إِلَيْهِ ، وَيُؤَسِّسُونَ الطَّرِيقَ لَهُ ...

لِكَيْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ ، وَلَمْ يُؤَسِّغْ لَهُمْ .

(١) يَرْوِدُهُمْ : يَطْرُقُهُمْ وَيَكْرِمُهُمْ . (٢) تَجَلَّوْا بِهِ : أَحْبَبُوهُ ، وَارْتَبَطُوا بِهِ . (٣) تَعَلَّقُوا : تَلَقَّطُوا . (٤) لِيَنْتَعِمُوا : لِيَسْتَمْتِعُوا . (٥) غَادِيَا : حَائِلًا . (٦) الْحَافُونَ : الْمُحِيطُونَ بِهِ .

فَالْبَيْتُ بَيْتُ اللَّهِ ...

وَالنَّاسُ جَمِيعاً عَبِيدُهُ ...

وَفِيمَا هُمْ كَذَلِكَ سَمِعَتْ أَصْوَاتُ التَّهْلِيلِ<sup>(١)</sup> وَالتَّكْبِيرِ آتِيَةً مِنْ بَعِيدٍ ...

فَأَمْرَأَتُ<sup>(٢)</sup> نَحْوَهَا الْأَعْنَاقُ ...

فَإِذَا رَجُلٌ فِي كَوْكَبَةٍ<sup>(٣)</sup> مِنَ النَّاسِ ، قَسِيمٌ<sup>(٤)</sup> وَمِسِيمٌ ، ضَامِرٌ<sup>(٥)</sup> الْجِسْمِ ،  
وَضِيءُ الْوَجْهِ عَلَيْهِ سَكِينَةٌ وَوَقَارٌ ...

قَدْ مَشَى فِي إِزَارٍ وَرِدَاءٍ<sup>(٦)</sup> ...

وَبَدَا يَنْزِعُ عَيْتِيهِ أَثَرُ السُّجُودِ ...

فَجَعَلَتْ كُنْثُلُ النَّاسِ تَنْفَرِجُ<sup>(٧)</sup> لَهُ ، وَتَعْدُو صُفُوفاً صُفُوفاً ، وَهِيَ تَسْتَقْبِلُهُ  
بِنَظَرَاتٍ الشُّوقِ وَالْحُبِّ حَتَّى بَلَغَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ ، وَاشْتَلَمَهُ .

وَهُنَا انْتَفَتَحَ أَحَدُ رِجَالِ الْحَاشِيَةِ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَالَ لَهُ :

مَنْ هَذَا الَّذِي أَكْرَمَهُ النَّاسُ كُلُّ هَذَا الْإِكْرَامِ ، وَأَجْلَوْهُ كُلُّ هَذَا  
الْإِجْلَالِ ؟

فَقَالَ هِشَامٌ : لَا أَعْرِفُهُ .

وَكَانَ « الْفَرَزْدَقُ »<sup>(٨)</sup> حَاضِراً ، فَقَالَ :

إِنْ كَانَ هِشَامٌ لَا يَعْرِفُهُ فَأَنَا أَعْرِفُهُ ...

(١) التهليل : قول لا إله إلا الله .  
(٢) امرأت الأعراف : تطاولت الرقاب وامتدت .  
(٣) كوكبة من الناس : جماعة من الناس ملطخة حوله .  
(٤) قسيم وسيم : بهي الطلعة حلو المنظر .  
(٥) ضامر الجسم : رقيق الجسم هزيله .  
(٦) الإزار : ما يستر أسفل الجسم ، والرداء : ما يستر الجزء الأعلى من الجسم .  
(٧) تنفرج له : تفسح له الطريق .  
(٨) الفرزدق : أحد شعراء الطبقة الأولى في العصر الأموي .

وَالدُّنْيَا كُلُّهَا تَعْرِفُهُ ...

هَذَا عَلَيَّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ وَعَنْ جَدِّهِ .

ثُمَّ أُنْشَدَ :

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ<sup>(١)</sup> وَطَأَّتُهُ

وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْجِلُّ وَالْحَرَمُ

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ

هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ<sup>(٢)</sup> - إِنْ كُنْتَ بِجَاهِلُهُ -

يَجِدُهُ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا

فَلَيْسَ قَوْلُكَ «مَنْ هَذَا» بِضَائِرِهِ<sup>(٣)</sup>

الْعَرَبُ تَعْرِفُ مَنْ أَتَكَرَّتْ وَالْعَجَمُ

كَلَّمَا يَذِبُهُ غِيَاثُ<sup>(٤)</sup> عَمَ نَفَعُهُمَا

يَسْتَوِيكِفَانِ<sup>(٥)</sup>، وَلَا يَعْرِوُهُمَا<sup>(٦)</sup> عَدَمُ

سَهْلُ الْخَلِيقَةِ<sup>(٧)</sup>، لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ<sup>(٨)</sup>

يَزِينُهُ اثْنَانِ : حُسْنُ الْخُلُقِ وَالشُّيَمُ

(١) البطحاء : مكان سهل الماء ، بالقرب من البيت الحرام .

(٢) فاطمة : هي السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ . انظرها في كتاب «صور من حياة الصحابات» للمؤلف .

(٣) بضائره : بمنقص منه .

(٤) غياث : مفددة كثيرة المطاء .

(٥) يستويكفان : لا يصيبهما .

(٦) يعروهما : يطلب الناس غيتهما .

(٧) الخليفة : الطيبة .

(٨) البوادر : جمع مفردة بادرة ، وهي الحفلة والقسوة .

مَا قَالَ وَلَا، قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهُدِهِ (١)  
 لَوْلَا التَّشْهُدُ كَانَتْ لَأَعْدَاءِ نَعَمِ  
 عَمِ الْبَرِيَّةِ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ (٢)  
 عَنْهَا الْعَيَافُ (٣) وَالْإِمْلَاقُ (٤) وَالْعَدَمُ  
 إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا  
 إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ  
 يُغْضِي (٥) حَيَاءً وَيُغْضِي (٦) مِنْ مَهَابَتِهِ  
 فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَئِسُ  
 بِكَفِّهِ خَيْرُ زَانٍ رِيحُهُ عَبِقُ (٧)  
 مِنْ كَفِّ أَرْوَعِ (٨)، فِي عَرْيْنِهِ (٩) شَمَمُ (١٠)  
 مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبْعَتُهُ (١١)  
 طَابَتْ مَعَارِسُهُ (١٢) وَالْخَيْمُ (١٣) وَالشَّيْمُ

\* \* \*

(١) في تشهده: في كلمة وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

(٢) انقشعت: زالت.

(٣) العياف: الظلمات.

(٤) الإملاق: الفقر.

(٥) يغضي: يخض طرفه حياءً.

(٦) يُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ: يخض الناس أعينهم فلا ينظرون إليه إجلالاً له.

(٧) العبِق: الذي تفرح منه رائحة الطيب.

(٨) الأروع: الشيم الذكي.

(٩) العرين: الأنف.

(١٠) الشمم: ارتقاع قصبة الأنف ومحشوها، وفي عرينه شمم: فيه حرة وأنفة.

(١١) النبعة: الأصل الكريم.

(١٢) معاريسه: السجدة والطيمة.

(١٣) معاريسه: مناجاة وأصوله.



رَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَيْطِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَرْضَاهُ ...  
 فَقَدْ كَانَ صُورَةً قُدَّةً لِلَّذِي يَخْشَى اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ ...  
 وَيُضْنِي النَّفْسَ خَوْفًا مِنْ عِقَابِ اللَّهِ .  
 وَطَمَعًا فِي تَوَابِهِ (٥) ...

- 
- (٥) للاستزادة من أخبار زُغَيِّ الغَابِلِينَ انظر:
- ١ - الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢١١/٥.
  - ٢ - تاريخ البخاري: ٢٦٦/٦.
  - ٣ - الأسماء واللغات: القسم الأول من الجزء الأول: ٣٤٣.
  - ٤ - المرحم والتعديل: القسم الأول من المجلد الثالث: ١٧٨.
  - ٥ - المعرفة والتاريخ: ٣٦٠/١، ٥٤٤.
  - ٦ - طبقات الفقهاء للشيرازي: ٦٣.
  - ٧ - تاريخ ابن حساكر: ١٢/٥١٥.
  - ٨ - المعارف: ٢١٤.
  - ٩ - وفیات الأعيان: ٢٦٦/٣.
  - ١٠ - تاريخ الإسلام: ٤/٣٤.
  - ١١ - البير: ١١١/١.
  - ١٢ - البداية والنهاية: ٩/١٠٣.
  - ١٣ - النجوم الزاهرة: ١/٢٢٩.

# أَبُو مُسْلِمٍ الْحَوَّلَانِي

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوْبٍ

«لَقَدْ تَقَاتَى أَبُو مُسْلِمٍ فِي الْعِبَادَةِ حَتَّى صَارَ يَقُولُ :  
لَوْ رَأَيْتُ الْجَنَّةَ عَيْنَانِ أَوْ النَّارَ عَيْنَانِ مَا كَانَ عِنْدِي مُسْتَزَادٌ»  
[عُثْمَانُ بْنُ أَبِي عَائِشَةَ]

طَارَتْ الْأَخْبَارُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ثَقُلَ عَلَيْهِ الْمَرَضُ  
بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ .  
فَسَوَّلَ الشَّيْطَانُ «لِلْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ» أَنْ يَمْوَدَّ لِلْكَفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ ...  
وَأَنْ يَفْتَرِيَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ، فَبَزَعُمَ لِقَوْمِهِ فِي «الْبَحَيْنِ» أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ  
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

\* \* \*

كَانَ «الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ» رَجُلًا شَدِيدَ الْمِرَّةِ<sup>(١)</sup> ، قَوِيَّ الْبُنْيَةِ ، أَسْوَدَ  
النَّفْسِ ، مُسْتَطِيرَ<sup>(٢)</sup> الشَّرِّ .  
قَدْ اتَّقَنَ الْكَهَانَةَ<sup>(٣)</sup> فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَخَذَقَ الشُّعْبَةَ<sup>(٤)</sup> عَلَى النَّاسِ ...  
وَكَانَ إِلَى ذَلِكَ فَصِيحَ اللِّسَانِ ، رَائِعَ الْبَيَانِ ، ذَكِيَّ الْفَوَادِ ، قَادِرًا عَلَى  
اللَّعِبِ بِمَقُولِ الْعَامَّةِ بِأَبَاطِيلِهِ ، وَكَسْبِ وِلَاءِ الْخَاصَّةِ بِبَهَائِهِ وَعَطَائِيَاهُ .  
وَكَانَ لَا يَظْهَرُ لِلنَّاسِ إِلَّا مُقْنَعًا<sup>(٥)</sup> بِقِنَاعِ أَسْوَدَ ؛ لِيُحِيطَ نَفْسُهُ بِهَالَةِ مَنْ  
الْعُمُوسِ وَالْهَيْبَةِ .

\* \* \*

(١) المِرَّةُ : الطاقة والقوة .  
(٢) مستطير الشر : سريع الشر كثر السوء .  
(٣) الكهانة : ادعاء معرفة الغيب .  
(٤) الشُّعْبَةُ والشُعْرَةُ : خفة اليد ، وأعمال كالسحر لا حقيقة لها .  
(٥) مقنعا : متخفيا يورب بضمه على وجهه .

وَقَدْ انْتَشَرَتْ دَعْوَةُ «الْأَسْوَدِ الْعَنَسِيِّ» فِي «الْيَمَنِ» انْتِشَارَ النَّارِ فِي  
الْهَيْسِمِ<sup>(١)</sup> وَقَدْ سَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ اتِّبَاعُ قَبِيلَتِهِ مِنْ نَبِيِّ (مَذْحِجٍ) لَهُ .  
وَكَانَتْ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَكْثَرِ قَبَائِلِ «الْيَمَنِ» عَدَدًا ، وَأَوْسَعَهَا نَفُودًا ، وَأَشَدَّهَا  
بَأْسًا<sup>(٢)</sup> .

كَمَا سَاعَدَتْهُ عَلَى ذَلِكَ قُدْرَتُهُ عَلَى اخْتِرَاعِ الْكَذِبِ وَتَلْفِيقِهِ ، وَاسْتِعَانَتُهُ  
بِالْأَذْيَكِيَاءِ مِنْ أَتْبَاعِهِ عَلَى ذَلِكَ .  
فَقَدْ زَعَمَ لِلنَّاسِ أَنَّ مَلَكًا مِنَ السَّمَاءِ يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ ، وَيُخْبِرُهُ  
بِالْمُعْجِزَاتِ .

وَسَلَكَ لِإِفْتِنَاحِ النَّاسِ بِصِحَّةِ زَعْمِهِ هَذَا ؛ مَسَالِكَ شَتَّى .  
فَكَانَ يَبْتَغِي غِيَوَتَهُ<sup>(٣)</sup> فِي كُلِّ مَكَانٍ ؛ لِيَقْفُوا لَهُ عَلَى شُئُونِ النَّاسِ  
وَشُجُونِهِمْ<sup>(٤)</sup> ... وَيَكْشِفُوا عَنْ أَسْرَارِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ .  
وَيَنْفُذُوا إِلَى مَا يَغْتَلِجُ<sup>(٥)</sup> فِي خُبَايَا نَفُوسِهِمْ<sup>(٦)</sup> مِنَ الْآمَالِ وَالْآلَامِ .  
وَكَانُوا فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يُغْرَوْنَ هَؤُلَاءِ النَّاسَ بِاللُّجُوءِ إِلَيْهِ ، وَطَلَبِ الْعَوْنِ  
مِنْهُ .

فَكَانُوا إِذَا جَاءُوهُ ، وَاجَهَ كُلُّ ذِي حَاجَةٍ بِحَاجَتِهِ ، وَبَدَأَ كُلُّ صَاحِبِ  
مُشْكِلَةٍ بِمُشْكِلَتِهِ .  
وَأَرَاهُمْ أَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى مَا خَفِيَ مِنْ أَسْرَارِهِمْ ، وَاقِفٌ عَلَى مَا اسْتَتَرَ مِنْ  
خُبَايَا نَفُوسِهِمْ .

(٤) شُجُونُهُمْ : أَحْدَاثُهُمْ وَمَشْكَلَاتُهُمْ .

(٥) يَغْتَلِجُ : يَتَلَطَّطُ .

(٦) خُبَايَا نَفُوسِهِمْ : خَفَايَا نَفُوسِهِمْ .

(١) الْهَيْسِمُ : النَّبَاتُ الْيَابِسُ السَّرِيعُ الْاشْتِعَالِ .

(٢) أَشَدَّهَا بَأْسًا : أَعْظَمُهَا قُوَّةً .

(٣) يَبْتَغِي غِيَوَتَهُ : يَنْشُرُ رِقَابَهُ .

وَأَتَى أَمَانَهُمْ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ مَا يُذْهِلُ عُقُولَهُمْ، وَيُحَيِّرُ  
الْبَنَابَهُمْ<sup>(١)</sup>.

فَمَا لَيْتَ أَنْ عَظُمَ أَمْرُهُ ...

وَاسْتَطَارَتْ<sup>(٢)</sup> شَهْرَتُهُ ...

وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ ...

فَوَلَّبَ بِهِمْ عَلَى «صَنْعَاءَ»، ثُمَّ وَلَّبَ مِنْ «صَنْعَاءَ» عَلَى الْمَنَاطِقِ  
الْأُخْرَى ...

حَتَّى دَانَتْ<sup>(٣)</sup> لَهُ الْبِلَادُ الْوَاقِعَةُ مَا بَيْنَ «حَضْرَمَوْتَ» وَ«الطَّائِفِ» .

وَمَا بَيْنَ «الْبَحْرَيْنِ» وَ«عَدَنَ» ...

\* \* \*

وَلَمَّا اسْتَنْبَ<sup>(٤)</sup> الْأَمْرُ «لِلْأَسْوَدِ الْعَنَسِيِّ»، وَدَانَتْ لَهُ الْبِلَادُ وَالْعِبَادُ .

نَشِطَ<sup>(٥)</sup> فِي تَتْبِيعِ مُعَارِضِيهِ، وَبِمَنْ آتَاهُمُ اللَّهُ إِيمَانًا رَاسِخًا بِدِينِهِ  
الْقَوِيمِ ...

وَيَقِينًا ثَابِتًا بِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ﷺ ...

وَوَلَاءَ<sup>(٦)</sup> صَادِقًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ...

وَجَهْرًا بِالْحَقِّ، وَتَصَدَّيَا<sup>(٧)</sup> لِلْبَاطِلِ ...

فَجَعَلَ يَسْطِشُ بِهِمْ فِي قَسْوَةِ قَاسِيَةٍ، وَيُنْزِلُ بِهِمْ أَشَدَّ النُّكَالِ<sup>(٨)</sup> .

(٥) نَشِطَ : عَفَّ وَأَسْرَعَ .

(٦) وَلَاءَ : انْقِيَادًا وَطَاعَةً .

(٧) تَصَدَّيَا : مُقَاوَمَةٌ .

(٨) النُّكَالُ : الْبَطْشُ الشَّدِيدُ .

(١) أَلْبَابُهُمْ : أَفْكَارُهُمْ .

(٢) اسْتَطَارَتْ : انْتَشَرَتْ .

(٣) دَانَتْ لَهُ : خَضَعَتْ لَهُ .

(٤) اسْتَنْبَ : اسْتَفْرَ وَاسْتَقَامَ .

وَكَانَ فِي طَلِيعَةِ هَؤُلَاءِ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوْبٍ» الْمَكْنَى «بِأَبِي مُسْلِمٍ  
الْحَوْلَانِيِّ» .

\* \* \*

كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ الْحَوْلَانِيُّ رَجُلًا ضَلْبًا فِي دِينِهِ ...

قَوِيًّا فِي إِيمَانِهِ ...

عَنِيدًا فِي الْجَهْرِ بِالْحَقِّ ...

فَدَأْخَلَ نَفْسَهُ لِلَّهِ ، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ...

وَزَهَّدَ فِي زُخْرِفِ الْعَيْشِ وَمَتَاعِهِ ...

وَنَذَرَ حَيَاتَهُ لِمَطَاعَةِ اللَّهِ ، وَالِدَّعْوَةَ إِلَيْهِ ...

وَبَاعَ الْفَانِيَةَ بِالْبَاقِيَةِ<sup>(١)</sup> يَتَعَ السَّمَاحِ ...

فَأَخْلَعَ النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَنَزَلَةً رَفِيعَةً ، وَرَأَوْا فِيهِ رَجُلًا طَاهِرَ النَّفْسِ  
وَالنَّفْسِ<sup>(٢)</sup> ، مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ عِنْدَ اللَّهِ .

\* \* \*

وَقَدْ أَرَادَ «الْأَسْوَدُ الْعَنَسِيُّ» أَنْ يَطِيشَ بِأَبِي مُسْلِمٍ بِطُشَّةٍ جَبَّارَةٍ ...

تَبَثُّ الْهَلَعِ<sup>(٣)</sup> وَالْجَزَعِ فِي أَنْفُسِ مُعَارِضِي دَعْوَتِهِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ ،  
وَتَقْمَقُهُمْ<sup>(٤)</sup> قَمْعًا .

فَأَمَرَ بِالْحَطَبِ بِأَنْ يُكْدَسَ فِي سَاحَةِ مِنْ سَاحَاتِ «صَنْعَاءَ» ، وَأَنْ  
تُضْرَمَ<sup>(٥)</sup> فِيهِ النَّارُ ...

(١) باع الفانية بالباقية : باع الدنيا الفانية بالآخرة الباقية .

(٢) طاهر النفس والنفس : نقي الروح ، وثيق الصلة بالله .

(٣) تَبَثُّ الْهَلَعِ : تنشر الرعب . (٤) تَقْمَقُهُمْ : تهرهم وترددهم . (٥) تضرم : توقد وتشعل .

وَدَعَا النَّاسَ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا اسْتِثَابَةً<sup>(١)</sup> فَقِيهِ «الْيَمَنِ» وَعَابِدَهَا أَبِي مُسْلِمٍ  
الْحَوْلَانِيَّ، وَإِفْرَارِهِ بِبُيُوتِهِ .

وَفِي الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ أَقْبَلَ «الْأَسْوَدُ الْعَنَسِيُّ» عَلَى السَّاحَةِ الَّتِي  
اُخْتُطَّتْ<sup>(٢)</sup> بِالنَّاسِ اُخْتِطَاطًا .

وَكَانَ يَحْفُ بِه طَوَاغِيَتُهُ<sup>(٣)</sup>، وَكِبَارُ أَتْبَاعِهِ .

وَيَحْطُطُهُ حَرَسُهُ وَقَادَةُ جُنْدِهِ .

فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي نُصِبَ لَهُ قُبَالَةَ<sup>(٤)</sup> النَّارِ .

وَقَيْدَ إِلَيْهِ «أَبُو مُسْلِمٍ الْحَوْلَانِيَّ» عَلَى مَرَأَى مِنَ النَّاسِ وَمَسْمَعٍ ...

فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ نَظَرَ إِلَيْهِ الطَّاعِيَةُ<sup>(٥)</sup> الْكَذَّابُ فِي خُيَلَاءٍ<sup>(٦)</sup> ...

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى النَّارِ الَّتِي تَتَأَجَّجُ أَمَامَهُ فِي ضَرَاوَةٍ<sup>(٧)</sup> ...

ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ : أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ؟

قَالَ : نَعَمْ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ...

وَأَنَّهُ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَأَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ أَيْضًا .

فَقَطَّبَ<sup>(٨)</sup> «الْأَسْوَدُ الْعَنَسِيُّ» وَجْهَهُ، وَزَمَّ<sup>(٩)</sup> حَاجِبَيْهِ وَقَالَ :

وَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟

فَقَالَ : إِنْ فِي أُذُنِي صَمَمًا، فَلَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ ...

(١) الاستِثَابَةُ : الدَّخُولُ إِلَى الثَّوْبَةِ .

(٢) اُخْتُطَّتْ بِالنَّاسِ : امْتَلَأَتْ بِهِمْ حَتَّى ضَاعَتْ .

(٣) يَحْفُ بِهِ طَوَاغِيَتُهُ : يَحِيطُ بِهِ شَاطِئُهُ .

(٤) قُبَالَةَ النَّارِ : جِهَةَ النَّارِ .

(٥) الطَّاعِيَةُ : الْجَهَارُ الْمُتَكَبِّرُ مِنَ النَّاسِ .

(٦) فِي خُيَلَاءٍ : فِي مَجْزٍ وَتَكْبَرٍ .

(٧) فِي ضَرَاوَةٍ : فِي قَسْوَةٍ وَشِدَّةٍ .

(٨) قَطَّبَ وَجْهَهُ : زَوَّى بَيْنَ عَيْنَيْهِ .

(٩) زَمَّمَ : شَدَّ .

فَقَالَ « الْأَسْوَدُ » : إِذْنٌ أَقْدَفُكَ فِي هَذِهِ النَّارِ .

فَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ : إِنْ فَعَلْتَ اتَّقَيْتُ بِهِذِهِ النَّارِ الَّتِي وَتَوَدُّهَا الْحَطَبُ ؛ نَاراً وَتَوَدُّهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ، لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ .

فَقَالَ « الْأَسْوَدُ » : لَنْ أَعَجَلَ عَلَيْكَ ، وَسَأُبَيِّحُ لَكَ الْفُرْصَةَ لِتُرَاجِعَ عَقْلَكَ .  
ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ السُّؤَالَ فَقَالَ : أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ؟ .  
فَقَالَ : نَعَمْ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّهُ أَرْسَلَهُ بِدِينِ الْهُدَى وَالْحَقِّ ، وَخَتَمَ بِرِسَالَتِهِ الرِّسَالَاتِ .

فَارْتَدَّ « الْأَسْوَدُ » خَتَقاً<sup>(١)</sup> وَقَالَ : وَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ .  
فَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ : أَمَا أَخْبَرْتُكَ أَنَّ فِي أَدْنَى صَمَمٍ ، فَلَا أَسْمَعُ مَقَالَاتِكَ هَذِهِ ؟ !

فَاسْتَشَاطَ<sup>(٢)</sup> « الْأَسْوَدُ الْعَنْسَبِيُّ » غَيْظاً مِنْ صَرَامَةِ إِجَابَتِهِ ، وَهُدُوءٍ نَفْسِهِ ، وَسَكِينَةٍ جَوَارِحِهِ ...

وَهُمْ بِأَنْ يَأْمُرَ بِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ .  
عِنْدَ ذَلِكَ تَقَدَّمَ مِنْهُ كَبِيرٌ طَوَاغِيَتِهِ<sup>(٣)</sup> وَهَمَسَ فِي أُذُنِهِ قَائِلاً :  
إِنَّ الرَّجُلَ - كَمَا عَرَفْتَ - طَاهِرُ النَّفْسِ ، مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ ...  
وَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَخْذُلَ<sup>(٤)</sup> مُؤْمِناً لَمْ يَخْذُلْهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الشَّدَةِ ...

(١) الحق : شدة الاغتيال .

(٢) استشطاط غيظاً : التهب غيظاً .

(٣) طواغيته : رؤوس الضلال عنده .

(٤) لن يخذل مؤمناً : لن يترك نصرة مؤمن .

وَلِئِنَّكَ إِنِ أَلْقَيْتَهُ فِي النَّارِ وَنَجَّاهُ اللَّهُ مِنْهَا ؛ هَدَمْتَ كُلَّ مَا بَنَيْتَهُ فِي لَحْظَةٍ  
وَاحِدَةٍ .

وَدَفَعْتَ النَّاسَ إِلَى الْكُفْرِ بِبُيُوتِكَ دَفْعاً ...

وَيَنْ أَحْرَقْتَهُ النَّارُ أَزْدَادَ النَّاسِ بِهِ إِعْجَاباً ، وَلَهُ إِكْتِبَاراً ...

وَرَفَعُوهُ إِلَى مَصَافِّ الشُّهَدَاءِ ...

فَمَنْ عَلَيْهِ <sup>(١)</sup> بِإِطْلَاقِ سَرَّاجِهِ ، وَأَنْفِهِ مِنَ الْبِلَادِ ، وَأَرْخَ مِنْهُ ، وَاسْتَرِخ .

فَأَخَذَ « الْأَسْوَدَ » بِمَسْوَرَةِ طَاعُوتِهِ ، وَأَمَرَهُ بِمَعَادَرَةِ الْبِلَادِ لِسَاعِيهِ <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

يَمِّم <sup>(٣)</sup> أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِي وَجْهَهُ شَطْرَ <sup>(٤)</sup> الْمَدِينَةِ .

وَكَانَ يُعْنِي نَفْسَهُ بِلِقَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فَهُوَ قَدْ آمَنَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَكْتَحِلَ عَيْنَاهُ <sup>(٥)</sup> بِرُؤُوسِهِ ، وَتَفْرَحَ نَفْسُهُ بِصُحْبَتِهِ .

لِكَيْتَهُ مَا كَادَ يَتَلُغُ حَوَاشِي <sup>(٦)</sup> « يَثْرِبَ » حَتَّى بَلَغَهُ نَعْيُ <sup>(٧)</sup> النَّبِيِّ صَلَوَاتُ  
اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

وَقِيَامُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ عَلَى خِلَافَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ .

فَحَزِنَ عَلَى وَفَاةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ حُزْناً خَالِطَ سُودَاءَ قَلْبِهِ <sup>(٨)</sup> .

\* \* \*

---

(١) فَمَنْ عَلَيْهِ : فَأَنْتُمْ عَلَيْهِ .

(٢) تَشِيرُ لِمَجْلِ الْمَوَادِدِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيهَا إِلَى أَنَّهُ قَدْ لَقِيَ فِي النَّارِ فَكَانَتْ يَرُدُّهَا وَسَلَاماً عَلَيْهِ كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ .

(٣) يَمِّمُ وَجْهَهُ : تَوَجَّعَ .

(٤) حَوَاشِي يَثْرِبَ : أَطْرَافُ الْمَدِينَةِ الْمُتَوَسِّتَةِ .

(٥) عَيْنَاهُ تَكْتَحِلُ جِهَةً : خَبِرَ وَفَاةَ النَّبِيِّ ﷺ .

(٦) تَكْتَحِلُ عَيْنَاهُ بِرُؤُوسِهِ : يَنْهَمُ بِهَلَاكِهِ وَالنَّظَرَ إِلَيْهِ .

(٧) نَعْيُ النَّبِيِّ ﷺ : خَبَرُ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ .

(٨) سُودَاءَ قَلْبِهِ : أَصْحَابُ قُودِهِ وَحِجَّةِ قَلْبِهِ .



بَلَغَ أَبُو مُسْلِمٍ « الْمَدِينَةَ » ، وَقَصَدَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .  
 فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَى الْمَسْجِدِ عَقَلَ <sup>(١)</sup> نَاقَتَهُ قَرِيباً مِنْ بَابِهِ ، وَدَخَلَ إِلَى الْحَرَمِ  
 النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ، وَسَلَّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .  
 ثُمَّ وَقَفَ إِلَى سَارِيَةٍ <sup>(٢)</sup> مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ وَجَعَلَ يُصَلِّي ...  
 فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ ، تَوَجَّهَ نَحْوَهُ « عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ » حَتَّى صَارَ أَمَامَهُ  
 وَقَالَ لَهُ :

مِثْنُ الرَّجُلِ ؟

فَقَالَ : مِنْ « الْيَمَنِ » .

فَقَالَ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِصَاحِبِنَا الَّذِي سَجَرَ <sup>(٣)</sup> لَهُ عَدُوُّ اللَّهِ النَّازِ ، فَأَتَجَاهُ اللَّهُ  
 مِنْهَا ؟

فَقَالَ : هُوَ بِخَيْرٍ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةٍ ...

فَقَالَ عُمَرُ : نَشَدْتُكَ <sup>(٤)</sup> اللَّهُ أَلَسْتَ هُوَ ۱؟

فَقَالَ : بَلَى .

فَقَبِلَ عُمَرُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ :

أَتَدْرِي مَا فَعَلَ اللَّهُ بِعَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوَّكَ ؟

فَقَالَ : كَلَّا ، فَقَدْ انْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُ عَنِّي مُنْذُ غَاذَرْتُ « الْيَمَنَ » .

فَقَالَ : قَتَلَهُ اللَّهُ عَلَى أَيْدِي الْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ ، وَأَذَالَ <sup>(٥)</sup>

دَوْلَتَهُ ...

(١) عقل ناقته : ربط ناقته . (٢) سَجَرَ النَّازِ : أوقد النار .  
 (٣) نَشَدْتُكَ اللَّهُ : استخلفتك بالله . (٤) أَذَالَ دَوْلَتَهُ : أزال ملكه .  
 (٥) دَوْلَتَهُ : الأسطورية .

وَرَدُّ أَتْبَاعِهِ إِلَى دِينِ اللَّهِ ...

فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُخْرِجْنِي مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى قَرَوْتُ<sup>(١)</sup> عَتِي بِمَضْرَعِهِ ، وَعَوْدَةَ الْمَخْدُوعِينَ<sup>(٢)</sup> مِنْ أَهْلِ « التَّيْمَنِ » إِلَى أَكْثَافِ<sup>(٣)</sup> الْإِسْلَامِ .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : وَأَنَا أَحْمَدُ اللَّهِ الَّذِي أَرَانِي فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ مِنْ فِعْلٍ بِهِ كَمَا فِعَلَ بِخَلِيلِ الرَّحْمَنِ آيِسًا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثُمَّ أَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ ، وَمَضَى بِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَبَاتَعَهُ .

فَأَجْلَسَهُ الصَّدِيقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُمَرَ ...

وَطَفِقَ الشَّيْخَانِ<sup>(٤)</sup> يَسْتَعِيدَانِ مَعَ أَبِي مُسْلِمٍ خَبْرَهُ مَعَ « الْأَسْوَدِ الْقَنْسِيِّ » .

\* \* \*

أَقَامَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِي زَمَنًا فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ؛ لَزِمَ بِحِلَالِهِ مُسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ...

وَصَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُصَلِّيَ فِي رَوْضَتِهِ الْمُطَهَّرَةِ ، وَأَخَذَ مَا وَسِعَهُ الْأَخْذُ عَنْ جِلَّةِ الصَّحَابَةِ مِنْ أَهْثَالِ أَبِي عُيَيْنَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، وَأَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ ، وَعُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَعَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ .

ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي مُسْلِمٍ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى بِلَادِ « الشَّامِ » ، وَأَنْ يَتَّخِذَهَا لَهُ مَقَامًا . وَكَانَتْ غَايَتُهُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا مِنَ الثَّغُورِ<sup>(٥)</sup> الشَّامِيَّةِ ؛ لِيُشَارِكَ

(١) قرئت عني : شُرِذَتْ .

(٢) المخدوعين : الذين كُذِّبَ عليهم وأوهبوا بأن الباطل حق .

(٣) أكثاف الإسلام : جزر الإسلام .

(٤) الشَّهْنَان : أبو بكر وعمر .

(٥) الثغور : المناطق الفاصلة بين بلاد المسلمين وبلاد أعدائهم .

بجُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوِ «الرُّومِ» ، وَتَفُوزَ بِأَجْرِ الْمُرَابَّطَةِ<sup>(١)</sup> فِي سَبِيلِ اللَّهِ .  
وَلَمَّا آتَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ» رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ ، أَكْثَرَ أَبُو مُسْلِمٍ مِنَ التَّرَدُّدِ عَلَيْهِ وَشُهُودِ مَجَالِسِهِ ... فَكَانَتْ لَهُ مَعَهُ مَوَاقِفُ  
مَذْكُورَةٌ مَشْهُورَةٌ ؛ تَشْهَدُ لِلرَّجُلَيْنِ بِسُمُو الْمَنْزِلَةِ ...

وَتُنْبِئُ عَمَّا يَتَخَلَّيَانِ بِهِ مِنْ جَلِيلِ الشَّمَائِلِ<sup>(٢)</sup> ...

مِنْ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَزَاهُ يَتَصَدَّرُ<sup>(٣)</sup>  
مَجْلِسًا مِنْ مَجَالِسِهِ الْعَامِرَةِ .

وَقَدْ حَفَّ<sup>(٤)</sup> بِهِ رِجَالُ دَوْلَتِهِ ، وَقَادَةُ جَيْشِهِ ، وَوُجُوهُ قَوْمِهِ ...

وَرَأَى النَّاسُ يُبَالِغُونَ فِي إِعْظَامِهِ وَإِجْلَالِهِ ، فَخَشِيَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ  
الْحَشْيَةِ ، وَهَادَرَهُ<sup>(٥)</sup> قَائِلًا :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَجِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَالْتَقَتْ إِلَيْهِ النَّاسُ وَقَالُوا : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ... يَا أَبَا مُسْلِمٍ ...

فَلَمْ يَأْبَهُ<sup>(٦)</sup> لَهُمْ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَجِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ النَّاسُ : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَبَا مُسْلِمٍ .

فَلَمْ يُعْرِهِمْ<sup>(٨)</sup> سَمْعَهُ ، وَلَمْ يَزِمِ نَحْوَهُمْ بِطَرَفِهِ<sup>(٩)</sup> وَقَالَ :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَجِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) المُرَابَّطَةُ : لِلزَّامَةِ لِتَغُورِ الْأَعْدَاءَ .

(٢) جَلِيلِ الشَّمَائِلِ : سَامِي الصِّفَاتِ .

(٣) يَتَصَدَّرُ : يَجْلِسُ فِي الصُّدُرِ .

(٤) حَفَّ بِهِ : أَحَاطَ بِهِ .

(٥) هَادَرَهُ : حَاجَلَهُ .

(٦) الْأَجِيرُ : الَّذِي يَخْلُمُ بِأَجَرِهِ .

(٧) لَمْ يَأْبَهُ : لَمْ يَهْتَم .

(٨) لَمْ يُعْرِهِمْ سَمْعَهُ : لَمْ يَسْمَعْ لِكَلَامِهِمْ .

(٩) لَمْ يَزِمِ نَحْوَهُمْ بِطَرَفِهِ : لَمْ يَلْتَمِسْ إِلَيْهِمْ .

فَلَمَّا هَمَّ النَّاسُ بِمُراجعتِهِ ؛ التَفَّتْ إِلَيْهِمْ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ :

دَعُوا أَبَا مُسْلِمٍ ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ .

فَمَالَ أَبُو مُسْلِمٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَقَالَ لَهُ :

إِنَّمَا مَثَلُكَ - بَعْدَ أَنْ وَلَّاكَ اللَّهُ أَمْرَ النَّاسِ - كَمَثَلِ مَنْ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا وَأَوْكَلَ  
إِلَيْهِ أَمْرَ غَنَمِهِ ، وَجَعَلَ لَهُ الْأَجْرَ عَلَى أَنْ يُحْسِنَ رَعِيَّتَهَا ، وَيَحْفَظَ أَبْدَانَهَا ، وَيُؤَفِّقَ  
أَصْوَأَهَا وَأَلْبَانَهَا ...

فَإِنْ هُوَ قَامَ بِمَا عَاهَدَ إِلَيْهِ حَتَّى تَكْبُرَ الصَّغِيرَةُ وَتَسْمَنَ الْعَجْفَاءُ <sup>(١)</sup> وَتَصْبَحَ  
السَّقِيمَةُ ... أَعْطَاهُ أَجْرَهُ ، وَزَادَهُ .

وَلِأَنَّ هُوَ لَمْ يُحْسِنِ رَعِيَّتَهَا وَغَفَلَ عَنْهَا حَتَّى هَلَكَتْ عِجَافُهَا ، وَهَزَلَتْ  
سِمَانُهَا ، وَضَاعَتْ أَصْوَأُهَا وَأَلْبَانُهَا ... مَنَعَ الْأَجْرَ عَنْهُ ، وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَعَاقَبَهُ .  
فَاخْتَرَتْ لِنَفْسِكَ مَا فِيهِ خَيْرٌ وَأَجْرَكَ .

فَرَفَعَ مُعَاوِيَةُ رَأْسَهُ وَكَانَ مُطْرِقًا إِلَى الْأَرْضِ ، وَقَالَ :

بِجَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا وَعَنِ الرَّعِيَّةِ خَيْرًا يَا أَبَا مُسْلِمٍ ، فَمَا عَلِمْنَاكَ إِلَّا نَاصِحًا لِلَّهِ  
وَلِرَسُولِهِ ، وَلِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ .

\* \* \*

وَشَهِدَ أَبُو مُسْلِمٍ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ فِي جَامِعِ « دِمَشْق » ، وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ  
مُعَاوِيَةُ يُخْطُبُ النَّاسَ ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ مَا أَمَرَ بِهِ مِنْ كَرِي <sup>(٢)</sup> نَهْرٍ « بَرْدَى » حَتَّى  
تَضْفُرَ لَهُمْ مَشَارِبُهُ <sup>(٣)</sup> .

فَنَادَاهُ أَبُو مُسْلِمٍ مِنْ بَيْنِ الْجُمُوعِ وَقَالَ :

(١) العجفاء : الهزيلة .

(٢) كَرِي : النهر يكره كرمًا : حفر فيه حفرة جديدة . (٣) تَضْفُرُ : تَنَقَّى مياهه .

تَذَكَّرْ يَا مُعَاوِيَةُ أَنَّكَ هَامَةٌ الْيَوْمِ<sup>(١)</sup> أَوْ غَدٍ ، وَأَنْ دَارَكَ قَبْرٌ مِنَ الْقُبُورِ ...  
فَإِنْ جِئْتَهَا بِشَيْءٍ كَانَ لَكَ فِيهَا شَيْءٌ ... وَإِنْ جِئْتَهَا صِفْرَ الْيَدَيْنِ<sup>(٢)</sup>  
وَجَدْتَهَا قَاعًا صَفْصَفًا<sup>(٣)</sup> .

وَأُنِّي أُعِيدُكَ بِاللَّهِ يَا مُعَاوِيَةُ أَنْ تَظُنَّ أَنَّ الْخِلَافَةَ كَرِيٍّ الْأَنْهَارِ ...  
وَجَمْعُ الْأَمْوَالِ ...

وَأِنَّمَا الْخِلَافَةُ عَمَلٌ بِالْحَقِّ ...

وَقَوْلٌ بِالْمَعْدَلَةِ<sup>(٤)</sup> ...

وَأَخَذَ لِلنَّاسِ بِمَا يُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ...

يَا مُعَاوِيَةُ ، إِنَّا لَا نُبَالِي بِكَدْرِ الْأَنْهَارِ إِذَا صَفَتْ رَأْسُ عَيْنِنَا ، وَإِنَّكَ رَأْسُ  
عَيْنِنَا ...

فَاجْتَهِدْ فِي أَنْ تَظُلَّ صَافِيًا ...

يَا مُعَاوِيَةُ ، إِنَّكَ إِنْ تَحِفَّ<sup>(٥)</sup> عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ ؛ يَذْهَبَ حَيْفُكَ عَلَيْهِ  
يَعْدِلُكَ .

فَإِنَّكَ وَالظُّلْمَ ...

فَإِنَّ الظُّلْمَ طُلُعَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

فَلَمَّا انْتَهَى أَبُو مُسْلِمٍ مِنْ كَلَامِهِ ؛ نَزَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ عَنِ الْمِثْبَرِ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ

---

(١) هامة اليوم أو غد : تموت اليوم أو غداً .

(٢) صفر اليدين : خالي اليدين من المال وغيره .

(٣) قاعاً صَفْصَفًا : خاليةً من كل شيء ، والصَفْصَف : المستوي من الأرض .

(٤) المعْدَلَةُ : الإنصاف والصدق .

(٥) حاف على فلان : ظلمه وجار عليه .

وَقَالَ : يَزَحْمُكَ اللَّهُ يَا أَبَا مُثَلِّمٍ ، وَيَجْزِيكَ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ .

\* \* \*

وَفِي مَرَّةٍ أُخْرَى صَعِدَ مُعَاوِيَةُ الْمِنْبَرِ وَتَوَضَّعَ فِي حُطْبَتِهِ ؛ وَكَانَ قَدْ حَبَسَ  
عَنِ النَّاسِ عَطَايَاهُمْ<sup>(١)</sup> سَهْرَيْنِ .

فَنَادَاهُ أَبُو مُثَلِّمٍ وَقَالَ :

يَا مُعَاوِيَةُ ، إِنَّ هَذَا الْحَالُ لَيْسَ بِمَالِكَ وَلَا مَالِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ ...

فَبَيَّأَ حَقَّ تَحْيِيشُهُ عَنِ النَّاسِ ١٩ .

فَبَدَأَ الْغَضَبَ عَلَى وَجْهِ مُعَاوِيَةَ ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَتَرَقَّبُونَ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ  
مِنْهُ .

فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ أَشَارَ إِلَى النَّاسِ أَنْ اامْكُثُوا فِي أَمَاكِنِكُمْ  
وَلَا تَبْهَرُوهَا<sup>(٢)</sup> .

ثُمَّ نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ وَتَوَضَّأَ ، وَأَرَادَ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الْمَاءِ .

ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرِ ؛ فَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَقَالَ :

إِنَّ أَبَا مُثَلِّمٍ قَدْ ذَكَرَ أَنَّ هَذَا الْحَالُ لَيْسَ بِمَالِي وَلَا مَالِ أَبِي وَأُمِّي ...

وَقَدْ صَدَّقَ أَبُو مُثَلِّمٍ فِيمَا قَالَ ...

وَلِإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :

( الْغَضَبُ مِنَ الشَّيْطَانِ ...

وَالشَّيْطَانُ مِنَ النَّارِ ...

(١) حبس عطاياهم : منع عنهم حقوقهم .

(٢) لا تهاجموها : لا تهاجموها .

وَالْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ ؛ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَغْتَسِلْ ) ...  
 أَيُّهَا النَّاسُ : اغْدُوا عَلَى أُعْطِيَاتِكُمْ <sup>(١)</sup> عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

\* \* \*

جَزَى اللَّهُ أَبَا مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيَّ خَيْرَ الْجَزَاءِ ؛ فَقَدْ كَانَ مَثَلًا قَدْ فِي  
 الصُّدْعِ <sup>(٢)</sup> بِكَلِمَةِ الْحَقِّ .

وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجَزَلَ الرِّضَى ؛ فَقَدْ كَانَ نَمُودَجًا  
 رَائِعًا فِي الانْصِبَاعِ <sup>(٣)</sup> لِكَلِمَةِ الْحَقِّ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْقَائِلِ :

أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ <sup>(٤)</sup>

مِنَ اللَّزِمِ ، أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سُدُّوا <sup>(٥)</sup> <sup>(٥)</sup> .

(١) اغْدُوا عَلَى أُعْطِيَاتِكُمْ : انطلقوا لأخذ حقوقكم .

(٢) الصُّدْعُ بكلمة الحق : الجهر بكلمة الحق .

(٣) الانصباع : الرجوع .

(٤) لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ : كلمة تستعمل للذم والمدح ، وهنا استعملت للذم .

(٥) سُدُّوا المكان الذي سُدُّوا : قوموا مقامهم وافعلوا فعلهم .

(٥) للاستزادة من أخبار أبي شُعَيْبٍ الْخَوْلَانِيَّ انظر :

١ - طبقات ابن سعد : ٤٤٨/٧ .

٢ - تاريخ البخاري : ٥٨/٥ .

٣ - المعرفة والتاريخ : ٣٠٨/٢ ، ٣٨٢ .

٤ - الاستيعاب : ت/ ١٤٧٩ .

٥ - تاريخ ابن عساکر : ١٢/٩ .

٦ - أشد الغابة : ١٢٩/٣ .

٧ - اللباب : ٣٩٥/١ .

٨ - تذكرة الحفاظ : ٤٩/١ .

٩ - البداية والنهاية : ١٤٦/٨ .

١٠ - الإصابة : ت/ ٦٣٠٢ .

١١ - شذرات الذهب : ٧٠/١ .

# سَيِّدُ الْمَدِينَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ حَفِيْدُ الْفَارُوقِ

« كَانَ صَالِمٌ يَثَقَّةً ، كَثِيرَ الْحَدِيثِ ، غَالِيًا فِي الرِّجَالِ ، وَرِعًا ،

[ ابنُ شُعْبَةَ ]

هَذَا نَحْنُ أَوْلَاءُ فِي خِلَافَةِ الْفَارُوقِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ...

وَهَذَا هِيَ مَدِينَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَبِيعُ (١) بِغَنَائِمِ الْحَرْبِ الَّتِي أَخْزَرَهَا  
الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَشْلَابِ « يَزْدَجُودَ » آخِرِ مُلُوكِ « الْفُرْسِ » ...

فَلَقَدْ كَانَ فِيهَا مِنْ نِيجَانِ « الْأَكَابِرَةِ » الْمُرْصُوعَةِ بِالْجَوْهَرِ ...

وَمَنَاطِقِهِمُ الْمَرْصُوفَةُ بِاللُّؤْلُؤِ ...

وَسُيُوفِهِمُ الْمُحَلَّاةُ بِالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ ؛ مَا لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ عَيْنٌ مِنْ قَبْلُ ...

وَقَدْ كَانَ مَعَ هَذِهِ الْكُنُوزِ الطَّائِلَةُ الْهَائِلَةُ حَشْدٌ كَبِيرٌ مِنْ سَبَايَا (٢)

« الْفُرْسِ » ...

وَكَانَ يَنْتَهَرُ بَنَاتُ « يَزْدَجُودَ » الثَّلَاثُ ...

فَشَرَاهُنَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِتَمَنِ جَزَلٍ (٣) ، وَعَرَضَ عَلَيْهِنَّ طَائِفَةٌ مِنْ  
الْمَعِ شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ .

فَاخْتَارَتْ إِحْدَاهُنَّ « الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ » سَبْطَ (٤) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ...

وَأَنْجَبَتْ لَهُ « زَيْنَ الْعَابِدِينَ » (٥) ...

(١) تَمِيعٌ : تَقْوِمٌ وَتَقَعْدٌ .

(٢) السَّبَايَا : النِّسَاءُ الْأَسِيرَاتُ .

(٣) جَزَلٌ : وَافِرٌ كَثِيرٌ .

(٤) سَبْطُ الرَّجُلِ : ابْنُ بَنَتِهِ ، وَحَفِيدُهُ : ابْنُ ابْنِهِ .

(٥) زَيْنُ الْعَابِدِينَ : انْظُرْهُ ص .



وَاخْتَارَتِ الثَّانِيَةَ « مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ...  
وَأُنْجِبَتْ لَهُ « الْقَاسِمُ » <sup>(١)</sup> أَحَدَ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ الشَّيْبَانِيَّةِ .  
وَاخْتَارَتِ الثَّالِثَةَ « عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ » خَلِيفَةَ الْمُسْلِمِينَ ...  
وَأُنْجِبَتْ لَهُ سَالِمًا حَفِيدَ الْفَارُوقِ ، وَأَشْبَهَ النَّاسِ سَمْعًا <sup>(٢)</sup> بِهِ ...  
فَتَعَالَوْا نَقِفْ عَلَى صُورِ وَضَاءَةٍ مِنْ حَيَاةِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ  
الْحَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَعَنْ أَبِيهِ وَعَنْ جَدِّهِ .

\* \* \*

وُلِدَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي رَحَابِ الْمَدِينَةِ الْمُتَوَسِّتَةِ مَثْوًى <sup>(٣)</sup> رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ وَدَارِ هِجْرَتِهِ .

وَفِي أَجْوَانِهَا الْعِيقَةُ بِطُيُوبِ الثُّبُورِ ، الْمُتَأَلِّقَةُ بِسَنَةِ الْوَحْيِ ، دَرَجَ <sup>(٤)</sup>  
وَسَبَّ ...

وَفِي كَنَفِ أَبِيهِ الْعَبَادِ الزُّهَادِ صَوَامِ الْهَوَاجِرِ قَوَامِ الْأَسْحَارِ تَرْتَلَى ...  
وَبِأَخْلَاقِهِ الْعُمَرِيَّةِ تَخَلَّقَى ...

وَلَقَدْ رَأَى فِيهِ أَبُوهُ مِنْ مَخَايِلِ <sup>(٥)</sup> الثَّقَلَيْنِ ، وَعَلَامِ الْهُدَى ... وَأَبْصَرَ فِي  
سُلُوكِهِ مِنْ سَمَائِلِ الْإِسْلَامِ ، وَأَخْلَاقِ الْقُرْآنِ فَوْقَ مَا كَانَ يَرَاهُ فِي إِخْوَتِهِ ...  
فَأَحْبَبَهُ حُبًّا مَلَكَ عَلَيْهِ شِغَافُ <sup>(٦)</sup> قَلْبِهِ ، وَخَالَطَ مِنْهُ حَبَابَ <sup>(٧)</sup> قُوَادِهِ ، حَتَّى  
لَامَهُ الْأَيُّمُونَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ :

(١) القاسم بن محمد بن أبي بكر : انظره ص ٣٠٠ .  
(٢) سَمْعًا : هَيْمَةً .  
(٣) مَثْوًى الرَّسُولِ ﷺ : مَقَامُهُ وَمَنْفَعَتُهُ .  
(٤) دَرَجَ : نَشَأَ وَتَرَعَرَ .  
(٥) مَخَايِلِ الثَّقَلَيْنِ : مَظَاهِرُ الصَّلَاحِ .  
(٦) شِغَافَ قَلْبِهِ : غِلَافَ قَلْبِهِ .  
(٧) حَبَابَ قُوَادِهِ : أَعْمَاقُ لَهُ .

يَلُومُونَنِي فِي سَالِمٍ وَالْمَوْمَهُم  
وَجِلْدَةُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٍ  
وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَبِيتُهُ مَا وَعَاهُ صَدْرُهُ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ...  
وَيُفَقِّهُهُ فِي دِينِ اللَّهِ ...  
وَيُمَلِّئُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ...  
ثُمَّ دَفَعَ بِهِ إِلَى الْحَزَمِ الشَّرِيفِ .

\* \* \*

وَكَانَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا زَالَ مَعْمُوراً بِطَائِفَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ جِلَّةِ  
الصُّحَابَةِ .

فَحِيثُمَا أَلَمَ الْقَتْلُ يُرْجَنُ مِنْ أَرْكَانِيهِ ؛ أَلْقَى أَمَامَهُ نَجْماً فِيهِ أَلْقَى<sup>(١)</sup> مِنْ  
سَنَا<sup>(٢)</sup> الثَّبُوءِ ، وَعَبَّقَ مِنْ طُيُوبِ الرِّسَالَةِ الْفَرَاءِ .  
وَأَيْتَمَّا رَمَى بِطَرْفِهِ أَوْ أَلْقَى بِسَمْعِهِ ؛ أَبْصَرَ خَيْراً وَسَمِعَ يَراً .  
وَبِذَلِكَ أُتِيحَ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ جِلَّةِ الصُّحَابَةِ عَلَى رَأْسِهِمْ  
أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ<sup>(٣)</sup> ...  
وَأَبُو رَافِعٍ ، وَأَبُو ثُبَابَةَ ، وَزَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ .  
وَذَلِكَ بِالإِضَافَةِ إِلَى وَالِدِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ .  
فَمَا لَيْتَ أَنْ عَدَا عِلْماً مِنْ أَغْلَامِ الْمُشْلِكِينَ ...

(١) ألقى : نور وضياء .

(٢) من سنا النبوة : من نور النبوة .

(٣) أبو أيوب ، وأبو هريرة : انظرهما في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشروعة .

وَسَيِّدًا جَلِيلًا مِنْ سَادَةِ التَّائِبِينَ ...

وَأَخَذَ فُقَهَاءَ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ تَفَرَّعُوا<sup>(١)</sup> إِلَيْهِمْ الْمُسْلِمُونَ فِي دِينِهِمْ ...

وَيَأْخُذُونَ عَنْهُمْ شَرِيعَةً رَبِّهِمْ ...

وَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِمْ فِي مَغْضِلَاتِ<sup>(٢)</sup> الدِّينِ وَالْدُنْيَا .

وَكَانَ الْوَلَاةُ يَأْمُرُونَ قُضَاتَهُمْ إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِمُ الْقَضَايَا أَنْ يَذْفَعُوا بِهَا  
إِلَيْهِمْ .

فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْمَسْأَلَةُ اجْتَمَعُوا جَمِيعًا وَنَظَرُوا فِيهَا ، ثُمَّ لَا يَقْضِي الْقَضَاءُ  
إِلَّا بِرَأْيِهِمْ .

\* \* \*

وَكَانَ أَسْعَدَ الْوَلَاةِ حَظًّا ، وَأَطْيَبَهُمْ أُخْذُوتَهُ ، وَأَقْرَبَهُمْ إِلَى قُلُوبِ النَّاسِ ،  
وَأَوْفَقَهُمْ عِنْدَ الْحُلَفَاءِ ؛ مَنْ يَأْخُذُ بِمَشُورَةِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَيَتْلِزِمُ بِتَوْجِيهِهِ .  
أَمَّا الَّذِينَ يُخَالِفُونَ أَمْرَهُ ، فَقَدْ كَانَتِ الْمَدِينَةُ تَنْبُو<sup>(٣)</sup> بِهِمْ ، وَلَا تَتَحَمَّلُ  
وَلَا يَتَتَّبِعُهُمْ .

مِنْ ذَلِكَ أَنَّ «عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الصُّحَّاكِ» وَلِيَّ الْمَدِينَةِ فِي خِلَافَةِ يَزِيدَ بْنِ  
عَبْدِ الْمَلِكِ .

وَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَظَرَ فِي الْجَنَّةِ رُوحَهُ ؛ قَدْ  
تَرَمَّلَتْ ، وَانْقَطَعَتْ إِلَى أَوْلَادِهَا .

فَتَقَدَّمَ إِلَيْهَا ابْنُ الصُّحَّاكِ وَخَطَبَهَا لِتَنْفِسِهِ .

(١) تفرع إليهم المسلمون : بلغا إليهم المسلمون .

(٢) المغضلات : المشكلات .

(٣) تنبو بهم : تضيق بهم ولا يجدون فيها قراراً .

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَنْبِغِي الزَّوْاجَ ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ عَلَى بَيْتِي ، وَوَقَفْتُ نَفْسِي عَلَيْهِمْ .

فَجَعَلَ يُلِحُّ عَلَيْهَا وَهِيَ تَحْتَالُ فِي الْإِعْتِدَارِ إِلَيْهِ ، مِنْ غَيْرِ مُحَاسِنَةٍ خَوْفًا مِنْ شَرِّهِ .

فَلَمَّا وَجَدَهَا تَائِبَةً ، قَالَ لَهَا :

وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَرْضَيْتَنِي لَكَ زَوْجًا لَا أَخْذُنُ أَكْبَرَ بَيْتِكَ ، وَلَا جِلْدُهُ بِثَهْمَةِ شَرْبِ الْخَمْرِ .

فَاسْتَشَارَتْ سَالِمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي أَمْرِهَا ، فَأَشَارَ عَلَيْهَا بِأَنْ تُكْتَبَ لِلْخَلِيفَةِ كِتَابًا تُشْكُو فِيهِ الْوَالِيَّ ، وَتَذْكُرُ قَرَابَتَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَرَحِمَتَهَا <sup>(١)</sup> فِي آلِ الْبَيْتِ .

فَكَتَبَتِ الْكِتَابَ ، وَأَنْفَذَتْهُ <sup>(٢)</sup> مَعَ رَسُولٍ لَهَا إِلَى « دِمَشْقِ » .

\* \* \*

مَا كَادَ الرَّسُولُ يَمْضِي بِالْكِتَابِ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ الْخَلِيفَةِ إِلَى « ابْنِ هُرْمُزٍ » عَامِلِهِ عَلَى دِيَوَانِ الْمَالِ فِي الْمَدِينَةِ بِأَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ لِيَرْفَعَ إِلَيْهِ حِسَابَهُ .

فَقَامَ « ابْنُ هُرْمُزٍ » مُودِّعُ أَصْحَابِ الْحَقُوقِ عَلَيْهِ ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ مُودِّعًا وَقَالَ :

إِنِّي مَاضٍ إِلَيَّ « دِمَشْقُ » فَهَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ ؟ .

فَقَالَتْ : نَعَمْ ...

تُخَيِّرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَلْقَى مِنْ ابْنِ الصُّحَاكِ وَمَا يَتَعَرَّضُ بِهِ إِلَيَّ ...

(٢) أَنْفَذَتْهُ : أَرْسَلَتْهُ .

(١) رَحِمَتُهَا : صِلَتُهَا .

وَأَنَّهُ لَا يَزْعُمُ حُزْمَةً لِّلْعَلَمَاءِ الْمَدِينَةِ ، وَخَاصَّةً سَالِمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .  
فَلَا مَ « ابْنُ هُرْمُز » نَفْسُهُ عَلَى زِيَارَتِهَا ، إِذْ مَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَحْمِلَ شَكْوَاهَا  
مِنْ ابْنِ الصُّحَّاحِ إِلَى الْخَلِيفَةِ .

\* \* \*

وَصَلَ « ابْنُ هُرْمُز » إِلَى « دِمَشْق » فِي نَفْسِ الْيَوْمِ الَّذِي وَصَلَ فِيهِ الرَّسُولُ  
الَّذِي يَحْمِلُ كِتَابَ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ .

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ ، اسْتَحْبَرَهُ عَنْ أَحْوَالِ الْمَدِينَةِ ، وَسَأَلَهُ عَنْ سَالِمِ  
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَصَحْبِهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ ، وَقَالَ لَهُ :

هَلْ هُنَاكَ أَمْرٌ دُو شَأْنِ<sup>(١)</sup> جَدِيدٍ يَأْنُ يُعْلَمُ ، أَوْ خَبَرٌ دُو خَطَرٍ<sup>(٢)</sup> حَرِيٍّ يَأْنُ  
يُذَكَّرُ ؟ .

فَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ شَيْئًا مِنْ قِصَّةِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ .

وَلَمْ يُبَيِّنْ بِشَيْءٍ إِلَى مُؤَقِّفِ الْوَالِي مِنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .

وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عِنْدَهُ يَرْفَعُ لَهُ حِسَابَهُ ، إِذْ دَخَلَ الْحَاجِبُ وَقَالَ :

أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ...

إِنْ بِالْبَابِ رَسُولَ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ .

فَتَغَيَّرَ وَجْهُ « ابْنِ هُرْمُز » وَقَالَ : أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ إِنْ فَاطِمَةُ بِنْتُ  
الْحُسَيْنِ حَمَلَتْنِي رِسَالَةَ إِلَيْكَ ، وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرُ ...

فَمَا أَنْ سَمِعَ الْخَلِيفَةُ مَقَالَتَهُ حَتَّى نَزَلَ عَنْ سَرِيرِهِ وَقَالَ :

لَا أُمُّ لَكَ ...

(٢) دُو خَطَرٍ : دُو شَأْنٍ وَجْهَةٌ .

(١) دُو شَأْنٍ : دُو أَمِيَّةٍ .

أَلَمْ أَسْأَلْكَ عَنْ شُؤْنِ الْمَدِينَةِ وَأَخْبَارِهَا ۱۹ ...  
 أَتَكُونُ لَدَيْكَ مِثْلُ هَذَا الْخَبِيرِ وَتَكْتُمُهُ عَنِّي ۱۱۹ .  
 فَأَعْتَدَرُ إِلَيْهِ بِالنَّشِيَانِ .

ثُمَّ أُذِنَ لِلرُّسُولِ فَأُذِخِلَ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَ الْكِتَابَ مِنْهُ وَقَضَاهُ ، وَجَعَلَ يَقْرَأُهُ  
 وَالشَّرَرُ يَنْطَابِرُ مِنْ عَيْنَيْهِ ، وَأَخَذَ يَضْرِبُ الْأَرْضَ بِخَيْرِزَانٍ كَانَ فِي يَدِهِ وَهُوَ  
 يَقُولُ :

لَقَدْ اجْتَرَأَ ابْنُ الصُّحَاكِ عَلَى آلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ...

وَلَمْ يُصَيِّحْ <sup>(١)</sup> لِنُصْحِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِيهِمْ ۱۱۱ ...

هَلْ مِنْ رَجُلٍ يُسْمِعُنِي صَوْتَهُ وَهُوَ يُعَذِّبُ فِي الْمَدِينَةِ ، وَأَنَا عَلَى فِرَاشِي  
 هَذَا فِي « دِمَشَق » ؟ [ يَغْنِي صَوْتُ ابْنِ الصُّحَاكِ ] .

فَقِيلَ لَهُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ...

لَيْسَ لِلْمَدِينَةِ إِلَّا « عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ بَشِيرِ النَّضْرِيِّ » ...

فَوَلَّهُ إِيَّاهَا ... وَهُوَ مُقِيمٌ الْآنَ فِي « الطَّائِفِ » .

فَقَالَ : نَعَمْ ... وَاللَّهِ نَعَمْ ... إِنَّهُ لَهَا ...

ثُمَّ دَعَا بِقُرْطَاسٍ وَكَتَبَ بِيَدِهِ :

مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُرِيدُ بِنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ بَشِيرِ النَّضْرِيِّ .

السَّلَامُ عَلَيْكَ ...

أَمَّا بَعْدُ ... فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ الْمَدِينَةَ ، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَتَوَجَّهْ إِلَيْهَا ،  
 وَاعْرِضْ عَنْهَا ابْنَ الصُّحَاكِ ...

(١) لم يصيح : لم يستمع ولم يستجب .

وَأَفْرِضْ عَلَيْهِ غَرَامَةً مِقْدَارَهَا أَرْبَعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ...  
وَعَذَّبُهُ حَتَّى أَسْمَعَ صَوْتَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ .

\* \* \*

أَخَذَ صَاحِبُ الْبَرِيدِ الْكِتَابَ ، وَمَضَى يَحْتَ<sup>(١)</sup> الْخُطَا نَحْوَ الطَّائِفِ عَنْ  
طَرِيقِ الْمَدِينَةِ .

فَلَمَّا بَلَغَ الْمَدِينَةَ لَمْ يَدْخُلْ عَلَى وَالِيهَا ابْنِ الصُّحَاكِ وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ ؛  
فَأَوْجَسَ<sup>(٢)</sup> الْوَالِي خِيفَةً فِي نَفْسِهِ .

وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَدَعَاهُ إِلَى بَيْتِهِ ، وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ قُدُومِهِ فَلَمْ يَبَيِّنْ لَهُ بَشْيَئاً ؛  
فَرَفَعَ ابْنُ الصُّحَاكِ طَرَفَ فِرَاشِهِ وَقَالَ :

انْظُرْ ... فَتَنْظُرَ فَإِذَا كَيْسٌ قَدْ مَلَأَ دَنَائِيرَ .

فَقَالَ : هَذِهِ أَلْفُ دِينَارٍ ...

وَلَكَ عَلَيَّ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ إِنْ أَنْتَ أَخْبَرْتَنِي عَنْ وَجْهِكَ<sup>(٣)</sup> وَمَا فِي يَدِكَ  
لَأَذْفَعَنَّهَا إِلَيْكَ ، وَلَأَكْتُمَنَّ ذَلِكَ ...

فَأَخْبَرَهُ ... فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْعَالَ ، وَقَالَ لَهُ :

تَرِيتُ هُنَا ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّى أَصِلَ إِلَى « دِمَشْق » ، ثُمَّ امْضِ إِلَى مَا أَمَرْتُ

بِهِ ...

\* \* \*

زَمْ<sup>(٤)</sup> ابْنُ الصُّحَاكِ رِكَابَهُ ، وَعَادَرَ الْمَدِينَةَ لِتَوَّهِ ، وَمَضَى يَحْتَ الْمَطَايَا  
نَحْوَ « دِمَشْق » .

(٣) وجهتك : الجاهك ومقصداك .

(٤) زَمْ رِكَابَهُ : سَاحَ عَلَى رَاحِلَتِهِ .

(١) بحث الخطا : يمضي مسرعاً .

(٢) أوجس خيفةً : دَبَّ فِيهِ الْفَزَعُ .

فَلَمَّا بَلَغَهَا دَخَلَ عَلَى أَخِي الْخَلِيفَةِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ سَيِّدًا  
أَزْجِيًّا<sup>(١)</sup> صَاحِبَ نَجْدَةٍ ...

فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ :

أَنَا فِي جِوَارِكَ أَهْهَا الْأَمِيرُ .

فَقَالَ : أَبَشِّرْ بِخَيْرٍ ... وَمَا سَأَلْتُكَ ١٩ .

فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَاقِمٌ عَلَيَّ لِهَنَةِ<sup>(٢)</sup> بَدَرْتُ مِنْي .

فَعَدَا مَسْلَمَةُ عَلَى يَزِيدَ وَقَالَ : إِنَّ لِي لَدَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَاجَةً .

فَقَالَ يَزِيدُ : كُلُّ حَاجَةٍ لَكَ مَقْضِيَّةٌ مَا لَمْ تَكُنْ فِي ابْنِ الضُّحَاكِ .

فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا جِئْتُكَ إِلَّا مِنْ أَجْلِهِ .

فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أُغْفِيهِ أَبَدًا ...

فَقَالَ : وَمَا ذَنْبُهُ ١٩ .

فَقَالَ : لَقَدْ تَعَرَّضَ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ وَهَدَّدَهَا وَتَوَعَّدَهَا وَأَرْهَقَهَا ...

وَلَمْ يُصِخْ لِنُصْحِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي أَمْرِهَا ؛ فَهَبْ شُعْرَاءَ الْمَدِينَةِ جَمِيعًا

يَهْجُونَهُ ... وَطَفِّقْ صَلَحَاؤَهَا وَعُلَمَاؤَهَا طُرًّا<sup>(٣)</sup> يَعْيُونَهُ ...

فَقَالَ مَسْلَمَةُ :

أَنْتَ وَسَأَلْتُكَ مَعَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ يَزِيدُ :

---

(١) أَرْجِيًّا : سَاسِي الْخَلْقِ وَالْفِرَ الْمَعْرُوفِ .

(٢) لِهَنَةٍ : لَوْثَةٍ .

(٣) طُرًّا : جَمِيعًا .



مُرَهُ أَنْ يَمُودَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُنْفِذَ وَابِئَهَا الْجَدِيدُ أَمْرِي فِيهِ ...  
وَيَجْعَلُهُ عِبْرَةً<sup>(١)</sup> لِبَعِيهِ مِنَ الْوَلَاةِ ...

\* \* \*

فَرِحَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ أَكْثَرَ الْفَرَحِ بِوَالِيهِمُ الْجَدِيدِ .  
وَسَرُّهُمْ خَزْمُهُ فِي تَنْفِيذِ أَمْرِ الْخَلِيفَةِ بَابِنِ الضُّحَاكِ .  
وَأَزْدَادُوا تَعَلُّقًا بِهِ حِينَ وَجَدُوهُ يَذْهَبُ مَذَاهِبَ الْخَيْرِ ، وَلَا يَقْطَعُ أَمْرًا مِنْ  
أُمُورِهِمْ إِلَّا إِذَا اسْتَشَارَ فِيهِ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، وَسَلِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
عُمَرَ .

فَمَرَحَى لِبِخَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ...  
وَتَجَلَّ لِلْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَبْدَعَ هَذِهِ الْمُثُلَ ، وَصَنَعَ أَوْلِيكَ الرِّجَالِ ...  
وَأَلَى لِقَاءِ آخَرٍ مَعَ التَّابِعِيِّ الْجَلِيلِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْحَطَّابِ .

---

(١) عِبْرَةٌ : حِطَّة .

# سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ الْعَامِلُ الْعَامِلُ

لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي زَمَانِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَشْبَهَ مِنْهُ بِمَنْ مَضَى مِنْ  
الصَّالِحِينَ فِي الزُّهْدِ، وَالْفَضْلِ، وَالْعَيْشِ،

[الإمام مالك]

كَانَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَنْبَاءِ، لَكِنَّ ابْنَهُ  
عَبْدَ اللَّهِ كَانَ أَشَدَّهُمْ شَبَهَا بِهِ ...

وَكَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فِي عُمَرِ عَدَدَ مِنَ الْأَنْبَاءِ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَ لِأَبِيهِ ... لَكِنَّ ابْنَهُ  
سَالِمًا كَانَ أَشَدَّهُمْ شَبَهَا بِهِ .

فَتَعَالَوْا نَتَابِعْ قِصَّةَ حَيَاةِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، خَفِيدِ الْفَارُوقِ، وَأَشْبَهِ النَّاسِ  
بِهِ خُلُقًا، وَخَلَقَةً، وَدِينًا، وَسَمَاتًا<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

عَاشَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي رِحَابِ «طَيْبَةِ»<sup>(٢)</sup> الْمُطَيَّبِيَّةِ ...

وَكَانَتْ «طَيْبَةُ» إِذْ ذَاكَ تَرْفُلُ فِي أَثْوَابٍ مِنَ الْغَنَى وَالنَّعْمَةِ لَمْ تَشْهَدْ لَهَا  
مِثْلًا مِنْ قَبْلُ .

فَقَدْ كَانَ رِزْقُهَا يَأْتِيهَا رَغْدًا<sup>(٣)</sup> مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَكَانَ خُلَفَاءُ بَنِي «أُمَيَّة»  
يُتِمِحُونَ لَهَا مِنْ أَشْتَابِ الثَّرَاءِ مَا لَمْ يَخْطُرُ بِبَالٍ .

لَكِنَّ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ لَمْ يُغْبِلْ عَلَى الدُّنْيَا كَمَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا غَيْرُهُ، وَلَمْ

(١) سماتاً: هيفة وسلوكاً.

(٢) طيبة: للدهنة المنورة.

(٣) رغداً: كثيراً وغبراً.

يَحْفِلُ بِعَرَضِهَا الْفَانِي كَمَا حَفِلَ بِهِ سَوَاهُ ؛ وَإِنَّمَا زَهَدَ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ رَغْبَةً  
بِمَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَأَعْرَضَ عَنِ الْعَاجِلَةِ رَجَاءَ الْفَوْزِ بِالْآجِلَةِ<sup>(١)</sup> .

وَلَقَدْ جَرَّبَ خُلَفَاءُ بَنِي « أُمَيَّة » أَنْ يُغْدِقُوا<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ الْخَيْرَ كَمَا أَعْدَقُوهُ عَلَى  
غَيْرِهِ ؛ فَوَجَدُوهُ زَاهِداً بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ ... مُسْتَضْفِراً لِلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ...

\* \* \*

فَفي ذَاتِ سَنَةِ قَدِيمِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَكَّةَ حَاجِجاً ... فَلَمَّا أَخَذَ  
يَطُوفُ طَوَافَ الْقُدُومِ ؛ أَبْصَرَ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَجْلِسُ قُبَالَهَ الْكَعْبَةِ فِي  
خُضُوعٍ ...

وَيُحَرِّكُ لِسَانَهُ بِالْقُرْآنِ فِي تَبَتُّلٍ<sup>(٣)</sup> وَخُشُوعٍ ...

وَعَبْرَاتُهُ تَسُحُ<sup>(٤)</sup> عَلَى خَدَّيْهِ سَحًا ، حَتَّى لَكَأَنَّ وَرَاءَ عَيْنَيْهِ بَهْرًا مِنَ  
الدُّمُوعِ .

فَلَمَّا فَرَغَ الْخَلِيفَةُ مِنْ طَوَافِهِ ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ سُنَّةَ الطَّوَافِ ؛ تَوَجَّهَ إِلَى  
حَيْثُ يَجْلِسُ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ .

فَأَفْسَحَ النَّاسُ لَهُ الطَّرِيقَ حَتَّى أَخَذَ مَكَانَهُ بِجَانِبِهِ ، وَكَادَ يَمَسُّ بِرُكْبَتِهِ  
رُكْبَتُهُ .

فَلَمْ يَتَبَّهْ لَهُ سَالِمٌ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ مُسْتَضْفِراً بِمَا هُوَ فِيهِ ، مُشْغُولاً  
بِذِكْرِ اللَّهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ...

وَطَفِقَ<sup>(٥)</sup> الْخَلِيفَةُ يَرْقُبُ سَالِمًا يَطُوفُ خَفِيٍّ ...

(١) الْآجِلَةُ : الْآخِرَةُ ، وَالْعَاجِلَةُ : الدُّنْيَا .

(٢) أَنْ يَغْدِقُوا عَلَيْهِ الْخَيْرَ : أَنْ يَفْرِقُوهُ بِالْمَالِ .

(٣) التَّبَتُّلُ : الْإِنْقِطَاعُ عَنِ الدُّنْيَا .

(٤) تَسُحُ سَحًا : تَتَصَبَّأُ انْتِصَاباً .

(٥) طَفِقَ : أَخَذَ .

وَيُلْتَمِسُ فُرْصَةً يَتَوَقَّفُ فِيهَا عَنِ التَّلَاوَةِ وَيَكُفُّ عَنِ النَّحِيْبِ (١) حَتَّى يُكَلِّمَهُ .

فَلَمَّا وَاتَّهَ الْفُرْصَةُ مَالَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عُمَرَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ .

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ :

سَلِّني حَاجَةً أَقْضِيهَا لَكَ يَا أَبَا عُمَرَ .

فَلَمْ يُجِبْهُ سَالِمٌ بِشَيْءٍ .

فَطَنَّ الْخَلِيفَةُ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهُ ، فَمَالَ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلِ وَقَالَ :

رَغِبْتُ بِأَنْ تَسْأَلَنِي حَاجَةً لِأَقْضِيَهَا لَكَ .

فَقَالَ سَالِمٌ :

وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَسْتَحِي أَنْ أَكُونَ فِي بَيْتِ اللَّهِ جُلًّا وَعَزًّا ؛ ثُمَّ أَسْأَلَ أَحَدًا غَيْرَهُ .

فَحَجَلَ الْخَلِيفَةُ وَسَكَتَ ، لَكِنَّهُ ظَلَّ جَالِسًا فِي مَكَانِهِ .

فَلَمَّا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ ، نَهَضَ سَالِمٌ يُرِيدُ الْمُضِيَّ إِلَى رَحْلِهِ .

فَلَحِقَتْ بِهِ جُمُوعُ النَّاسِ ...

هَذَا يَسْأَلُهُ عَنْ حَدِيثٍ مِنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ .

وَذَلِكَ يَسْتَفْتِيهِ فِي أَمْرِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ ...

وَنَالَتْ يَسْتَنْصِحُهُ فِي شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ الدُّنْيَا ...

---

(١) السحب : شدة البكاء .

وَرَايِعَ يَطْلُبُ مِنْهُ الدُّعَاءُ ...

وَكَانَ فِي جُمْلَةٍ مِنْ لِحَقِّ بِهِ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ سَالِمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ،  
فَلَمَّا رَأَاهُ النَّاسُ ؛ وَشَعُوا لَهُ حَتَّى خَاضُوا مِنْكَ بِمَنْكَبِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ... فَمَالَ  
عَلَيْهِ وَهَمَسَ فِي أُذُنِهِ قَائِلًا :

هَذَا نَحْنُ أَوْلَاءُ قَدْ عَدَوْنَا خَارِجَ الْمَسْجِدِ ، فَسَلْنِي حَاجَةً أَقْضِيهَا لَكَ .  
فَقَالَ سَالِمٌ :

مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا أَمْ مِنْ حَوَائِجِ الْآخِرَةِ ؟ .  
فَارْتَبَكَ الْخَلِيفَةُ وَقَالَ : بَلْ مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا ...  
فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ :

إِنِّي لَمْ أَطْلُبْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا مِنْ يَمْلِكُهَا ؛ فَكَيْفَ أَطْلُبُهَا مِنْ  
لَا يَمْلِكُهَا ؟ .

فَحَجَلَ الْخَلِيفَةُ مِنْهُ وَحَيَّاهُ ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ وَهُوَ يَقُولُ :  
مَا أَعْرَضَكُمْ آلَ الْخَطَّابِ بِالرُّهَادَةِ وَالثَّقَلَى ؟ ...  
وَمَا أَغْنَاكُمْ بِاللَّهِ جُلٌّ وَعَزٌّ ۱۱ ...  
بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ آلِ يَتِيبَ .

\* \* \*

وَفِي السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَهَا حَجَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .  
فَلَمَّا أَقَاصَ <sup>(١)</sup> النَّاسُ مِنْ « عَرَفَاتٍ » ، لَقِيَ الْخَلِيفَةُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي  
« الْمُرْدَلِقَةِ » وَهُوَ مُحَرِّمٌ ؛ فَحَيَّاهُ وَبَيَّاهُ <sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى جَسَدِهِ الْمَكْشُوفِ

(١) أَقَاصَ النَّاسُ : انْطَلَقَ النَّاسُ .

(٢) بَيَّاهُ : دَعَا لَهُ قَائِلًا : رَفَعَ اللَّهُ مَقَامَكَ .

فَوَجَدَهُ تَامَ الْبُنْيَةِ ، بَادِي الْقُوَّة ، كَأَنَّهُ بِنَاءٌ مَتِينٌ ؛ فَقَالَ لَهُ :

إِنَّكَ لَحَسَنُ الْجِسْمِ يَا أَبَا عُمَرَ ...

فَمَا أَكْثَرَ طَعَامِكَ ۱۹ .

فَقَالَ :

الْحُبُّ وَالزَّيْتُ ...

وَإِذَا وَجَدْتُ اللَّحْمَ - أَحْيَانًا - أَكَلْتُهُ .

فَقَالَ :

الْحُبُّ وَالزَّيْتُ ۱۹ .

فَقَالَ : نَعَمْ .

فَقَالَ : أَوْ تَشْتَهِيهِ ۱۹ .

فَقَالَ :

إِذَا لَمْ أَشْتَهِهِ أَتْرُكُهُ حَتَّى أَجُوعَ فَأَشْتَهِيَهُ .

\* \* \*

وَكَمَا أَشْبَهَ سَالِمُ جَدُّهُ الْفَارُوقُ فِي الْإِعْرَاضِ عَنِ الدُّنْيَا وَالزُّهَادَةِ (١)  
بِعَرَضِهَا الْفَاقِي ، فَقَدْ أَشْبَهَهُ أَيْضًا فِي الْجَهْرِ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ مَهْمَا كَانَتْ ثَقِيلَةً  
الْوُطْأَةُ شَدِيدَةً التَّبَعَاتِ ...

مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الْحِجَّاجِ ذَاتَ مَرَّةٍ فِي حَاجَةٍ مِنْ خَوَائِجِ  
الْمُسْلِمِينَ .

فَرَحَّبَ بِهِ الْحِجَّاجُ وَأَذْنَى (٢) مَجْلِسَهُ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ ...

(٢) أَدْنَى مَجْلِسُهُ : قَرِيبُ مَجْلِسِهِ مِنْهُ تَوْقِيرًا لَهُ وَإِكْرَامًا .

(١) الزُّهَادَةُ : الزَّهْدُ .

وَفِيمَا هُمَا كَذَلِكَ ؛ إِذْ أَتَى الْحَجَّاجُ بِطَائِفَةٍ مِنَ الرُّجَالِ ؛ شُعْبٌ (١)  
الشُّعُورِ ، غُبَيْرِ الْأَجْسَامِ ، صُغْرِ الْوُجُوهِ ، مَقْرَنَيْنِ (٢) فِي الْأَصْفَادِ .

فَالْتَقَتِ الْحَجَّاجُ إِلَى سَالِمٍ وَقَالَ :

هَؤُلَاءِ بَعَاةٌ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ؛ مُسْتَبِيحُونَ لِمَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ الدَّمَاءِ .

ثُمَّ أَعْطَاهُ سَيْفَهُ ، وَأَشَارَ إِلَى أَوْلِيهِمْ وَقَالَ :

عَلَيْكَ بِهِ ...

فَقُمَ إِلَيْهِ وَاضْرِبْ عُقَّتَهُ ...

فَأَخَذَ سَالِمٌ السَّيْفَ مِنْ يَدِ الْحَجَّاجِ ، وَمَضَى نَحْوَ الرُّجُلِ ... وَقَدْ  
شَخَّصَتْ (٣) أَبْصَارُ الْقَوْمِ نَحْوَهُ تَنْظُرُ مَاذَا يَفْعَلُ ؟ !

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الرُّجُلِ قَالَ لَهُ :

أُمْسِلِمَ أَنْتَ ؟

فَقَالَ : نَعَمْ ...

وَلَكِنْ مَا أَنْتَ وَهَذَا السُّؤَالُ ؟ ... إِنْضِ لِإِنْفَازٍ مَا أُمِرْتُ بِهِ .

فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ : وَهَلْ صَلَّيْتَ الصُّبْحَ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ : قُلْتُ لَكَ إِنِّي مُسْلِمٌ ، ثُمَّ تَسْأَلُنِي : إِنْ كُنْتُ صَلَّيْتُ

الصُّبْحَ !! ...

وَهَلْ تَنْظُرُ أَنَّ هُنَاكَ مُسْلِمًا لَا يُصَلِّي ؟

فَقَالَ سَالِمٌ : أَسْأَلُكَ أَصَلَّيْتَ صُبْحَ هَذَا الْيَوْمِ ؟

(١) شُعْبُ الشُّعُورِ : مَتَلَجِدِي الشُّعُورِ .

(٢) مَقْرَنَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ : مَقِيدَيْنِ بِالْحُلَيْدِ .

(٣) شَخَّصَتْ : نَظَرَتْ .

فَقَالَ الرَّجُلُ : هَذَاكَ اللَّهُ ، قُلْتَ لَكَ نَعَمْ ...  
وَسَأَلْتُكَ أَنْ تُنْقِذَ مَا أَمَرَكَ بِهِ هَذَا الظَّالِمُ ، وَإِلَّا عَرَضْتُ نَفْسَكَ لِسَخَطِهِ .  
فَرَجَعَ سَالِمٌ إِلَى الْحَجَّاجِ ، وَرَمَى السَّيْفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ :  
إِنَّ الرَّجُلَ يَقُولُ بِأَنَّهُ مُسْلِمٌ ، وَيَقُولُ : إِنَّهُ صَلَّى صُبْحَ هَذَا الْيَوْمِ ، وَقَدْ بَلَغَنِي  
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

(مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ (١) اللَّهِ) .  
وَأِنِّي لَا أَقْتُلُ رَجُلًا دَخَلَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .  
فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ مُغَضَّبًا :

إِنَّمَا لَا نَقْتُلُهُ عَلَى تَرْكِ صَلَاةِ الصُّبْحِ ...  
وَلِنَّمَا نَقْتُلُهُ لِأَنَّهُ مِثْنُ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ (٢) .  
فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ :

إِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنِّي وَمِنْكَ بِدَمِ عُثْمَانَ .  
فَسَكَتَ الْحَجَّاجُ ، وَلَمْ يُجِرْ (٣) جَوَابًا .

ثُمَّ إِنَّ أَحَدَ شُهَدَاءِ الْمَجْلِسِ قَدِمَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْبَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ  
بِمَا طَلَبَهُ الْحَجَّاجُ مِنْ ابْنِهِ سَالِمٍ .  
فَلَمْ يَتَرَبَّثْ (٤) حَتَّى يَسْمَعَ بَقِيَّةَ الْخَبَرِ ...

(١) ذِمَّةُ اللَّهِ : حفظ الله .

(٢) عثمان بن عفان : انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة  
المشروعة .

(٣) لم يجز جواباً : لم يرد جواباً .

(٤) لم يتربَّث : لم ينتظر .



وَلَا نَمَّا بَادِرٌ<sup>(١)</sup> مُحَدِّثُهُ قَاتِلًا : وَمَا صَنَعَ سَالِمٌ بِأَمْرِ الْحُجَّاجِ ؟ .

فَقَالَ لَهُ : صَنَعَ كَذًا وَكَذًا .

فَشَرَّيْ<sup>(٢)</sup> عَنْهُ ، وَقَالَ :

كَيْسٌ كَيْسٌ<sup>(٣)</sup> ...

عَاقِلٌ عَاقِلٌ ...

\* \* \*

وَلَمَّا آلَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ<sup>(٤)</sup> كَتَبَ إِلَى سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ  
يَقُولُ :

أَمَّا بَعْدُ ... فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ابْتَلَانِي بِمَا ابْتَلَانِي بِهِ مِنْ وَلَايَةِ أَمْرِ  
الْمُسْلِمِينَ عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنِّي وَلَا طَلَبٍ .

فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي ابْتَلَانِي بِهَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُعِينَنِي عَلَيْهِ .

فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا ؛ فَأَبْعَثْ لِي يَكْتُبَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وَأَقْضِيَّتِهِ ،  
وَسِيرَتِهِ ...

فَإِنِّي عَازِمٌ عَلَى أَنْ أَتَّبِعَ سِيرَتَهُ ...

وَأَسِيرَ عَلَى نَهْجِهِ إِنْ أَعَانَنِي اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ ... وَالسَّلَامُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَالِمٌ يَقُولُ :

أَمَّا بَعْدُ ... فَقَدْ جَاءَنِي كِتَابُكَ الَّذِي تَذَكَّرُ فِيهِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ابْتَلَاكَ

(١) بَادِرٌ : عاجل .

(٢) شَرَّيْ عنه : زال عنه الهمم والقلق .

(٣) كَيْسٌ كَيْسٌ : حسن حسن .

(٤) عمر بن عبد العزيز : انظره ص ٨٠ ، ٢٥٥ ، ٣٢٦ .

بِإِمْرَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ مِنْكَ وَلَا مَشُورَةٍ ... وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَسِيرَ بِسِيرَةِ  
عُمَرَ ...

فَلَا يَقْنُتَكَ أَنْتَ فِي زَمَانٍ غَيْرِ زَمَانِ عُمَرَ ...

وَأَنْتَ لَيْسَ فِي رِجَالِكَ مَنْ يُمَاتِلُ رِجَالَ عُمَرَ ...

وَلَكِنْ اْعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ نَوَيْتَ الْحَقَّ وَأَرَدْتَهُ ؛ أَعَانَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَتَاكَ <sup>(١)</sup> لَكَ  
عُمَلاً يَقُومُونَ لَكَ بِهِ ...

وَأَتَاكَ بِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ <sup>(٢)</sup> ...

فَإِنَّ عَوْنَ اللَّهِ لِلْعَبِيدِ عَلَى قَدَرِ نِيَّتِهِ ...

فَمَنْ تَعَثَّ نِيَّتُهُ فِي الْخَيْرِ تَمَّ عَوْنُ اللَّهِ لَهُ ، وَمَنْ قَصُرَتْ نِيَّتُهُ نَقَصَ مِنْ  
عَوْنِ اللَّهِ لَهُ بِقَدَرِ نَقْصِ نِيَّتِهِ ...

وَإِذَا نَارَعَنْكَ <sup>(٣)</sup> نَفْسَكَ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا لَا يُرْضِي اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ ؛ فَادْكُرْ مَنْ  
كَانَ قَبْلَكَ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الَّذِينَ سَبَقُوكَ إِلَى الرَّحِيلِ عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا ...

وَسَلِّ نَفْسَكَ كَيْفَ تَقْفَاتُ <sup>(٤)</sup> غُيُوبَهُمْ الَّتِي كَانُوا يَشْهَدُونَ بِهَا لِلذَّاتِ ،  
وَكَيْفَ تَمَرَّقَتْ بَطُونُهُمُ الَّتِي كَانُوا لَا يَشْبَعُونَ بِهَا مِنَ الشَّهَوَاتِ ...

وَكَيْفَ صَارُوا جِيفًا لَوْ تُرِكَتْ إِلَى جَانِبِ مَسَاكِينِنَا وَلَمْ تُوَارِهَا آكَامُ <sup>(٥)</sup>  
الْأَرْضِ ؛ لَصَجَجْنَا مِنْ رِيحِهَا .

وَلَمَسْنَا الصُّرُ مِنْ نَتْنِهَا .

وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ .

\* \* \*

(١) أتاح : هيا . (٣) نازحك : مالت بك .

(٢) لا تحسب : لا تظن ولا تتربص . (٤) تقفات : خلفت . (٥) الآكام : المرتفعات .

وَبَعْدُ ...

فَقَدْ عَاشَ سَالِمٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عُمَرَاً مَدِيداً حَافِلاً<sup>(١)</sup>  
بِالتَّقَى ...

عَامِراً بِالْهَدَى ...

أَعْرَضَ فِيهِ عَنْ زِينَةِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا ...

وَأَقْبَلَ خِلَالَهُ عَلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ ...

فَأَكَلَ مِنَ الطَّعَامِ مَا غَلَطَ ...

وَلَبَسَ مِنَ الثِّيَابِ مَا خَشِنَ ...

وَعَزَا «الرُّومَ» مَعَ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ جُنْدِيّاً ...

وَقَضَى حَوَائِجَ الْمُسْلِمِينَ، وَحَنَّا<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِمْ حُنُوءَ الْأُمَهَاتِ ...

فَلَمَّا أَنَاهُ الْبَقِيَّةُ<sup>(٣)</sup> سَنَةً بَسَتْ وَبَاءَتْهُ لِلْهَجْرَةِ؛ ازْتَجَبَ الْمَدِينَةَ حُزْناً  
عَلَيْهِ ...

وَتَرَكَ نَفْيُهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ لَوْعَةً ...

وَعَلَى كُلِّ خَدٍّ دَمْعَةً ...

وَهَبَ النَّاسُ، كُلُّ النَّاسِ يُشْفِقُونَ جَنَازَتَهُ، وَيَشْهَدُونَ دَفْنَهُ ...

وَكَانَ إِسْهَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَوْمَئِذٍ مُوجُوداً فِي الْمَدِينَةِ؛ فَخَرَجَ لِلصَّلَاةِ  
عَلَيْهِ وَتَشْيِيعِهِ .

---

(١) حافلاً : متعلّقاً .

(٢) حننا عليهم : مال إليهم وعطف عليهم .

(٣) البقية : الموت .

فَلَمَّا رَأَى نَزَاحِمَ النَّاسِ وَتَدَفَّقَهُمْ ؛ هَالَتْهُ كَثْرَتُهُمْ ، وَأَثَارَتْ فِي صَدْرِهِ شَيْئًا  
مِنَ الْحَسَدِ ، فَسَاءَلَ نَفْسَهُ قَائِلًا :

تُرَى كَمْ يَخْرُجُ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّاسِ لَوْ أَنَّ خَلِيفَةَ الْمُسْلِمِينَ مَاتَ فِي بَلَدِهِمْ  
هَذَا ٢ .

ثُمَّ قَالَ : لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ هِشَامِ الْمَخْزُومِيِّ ، وَآلِيهِ عَلَى الْمَدِينَةِ :  
إِفْرِضْ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ يَتَعْتُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ رَجُلٍ إِلَى الثُّغُورِ .  
فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْعَامَ أَرْبَعَةَ الْآلَافِ (٥) ...

(٥) للاستزادة من أعداد شاليم في عهد اللو انظر :

- ١ - الطبقات الكبرى لابن سعد : ١٩٥/٥ .
- ٢ - تهذيب الأسماء واللغات ، القسم الأول من الجزء الأول : ٢٠٧ .
- ٣ - المرح والتعديل ، القسم الأول من المجلد الثاني : ١٨٤ .
- ٤ - المعرفة والتاريخ : ٥٥٤/١ .
- ٥ - حلية الأولياء : ١٩٢/٢ .
- ٦ - طبقات الفقهاء للشيرازي : ٦٢ .
- ٧ - تاريخ البخاري : ١١٥/٤ .
- ٨ - وفيات الأعيان : ٣٤٩/٢ .
- ٩ - تاريخ الإسلام : ١١٥/٤ .
- ١٠ - طبقات الحفاظ للسبوطي : ٣٣ .
- ١١ - شفرات الذهب : ١٣٣/١ .

# عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْغَسَافِقِيُّ أَمِيرُ الْأَنْدَلُسِ

« الْغَافِقِيُّ صُورَةٌ صَادِقَةٌ لِمُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ، وَطَارِقِ بْنِ زِيَادٍ ،  
فِي عُلُوِّ الْهَيْمَةِ وَسُمُوِّ الْمَقْصِدِ »

[ الْمُؤَزَّحُونَ ]

مَا كَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَامِسُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ <sup>(١)</sup> عُمَرُ بْنُ  
عَبْدِ الْعَزِيزِ <sup>(٢)</sup> يَنْقُضُ يَدَيْهِ مِنْ تُرَابِ سَلْفِهِ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، حَتَّى بَادَرَ  
يُعِيدُ النَّظَرَ فِي أَمْرَاءِ الْأَمْصَارِ <sup>(٣)</sup> ، وَيَغْزِلُ وَيُوَلِّي .

وَكَانَ فِي طَلِيعَةِ مَنْ اسْتَعْمَلَهُ « السَّمْعُ بْنُ مَالِكِ الْخَوْلَانِيُّ » .  
فَلَقَدْ أَشْنَدَ إِلَيْهِ وَلَايَةً « الْأَنْدَلُسِ » وَمَا جَاوَزَهَا مِنَ الْمَدِينِ الْمَفْتُوحَةِ مِنْ  
بِلَادِ « فَرَنْسَا » .

\* \* \*

أَلْقَى الْأَمِيرُ الْجَدِيدُ رَحَالَهُ فِي بِلَادِ « الْأَنْدَلُسِ » ، وَانْطَلَقَ يُفْتَشُّ عَنْ  
أَعْوَانِ الصَّدَقِ وَالْخَيْرِ ؛ فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ :

أَبْقِي فِي هَذِهِ الدَّبَارِ أَحَدًا مِنَ التَّابِعِينَ ؟

فَقَالُوا : نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ .

إِنَّهُ مَا يَزَالُ فِينَا التَّابِعِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْغَافِقِيُّ .

ثُمَّ ذَكَرُوا لَهُ مِنْ عِلْمِهِ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَفَهْمِهِ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ،

(١) الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ أَرْبَعَةٌ ، وَقَدْ أَضِيفَ إِلَيْهِمْ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِضَوَائِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ .

(٢) عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : انْظُرْهُ ص ٨٠ ، ٢٥٥ ، ٣٢٦ . (٣) الْأَمْصَارُ : الْأَمْصَاقُ وَالْوَلَايَاتُ .

وَبَلَايِهِ <sup>(١)</sup> فِي مَيَادِينِ الْجِهَادِ ، وَتَشَوُّقِهِ إِلَى الْإِسْتِشْهَادِ ، وَزُهْدِهِ بِعَرَضِ <sup>(٢)</sup> الدُّنْيَا  
الشَّيْئَةِ الْكَثِيرِ .

ثُمَّ قَالُوا لَهُ :

إِنَّهُ لَقَبِي الصُّحَابِيُّ الْجَلِيلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ <sup>(٣)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
وَعَنْ أَبِيهِ ، وَأَنَّهُ أَخَذَ عَنْهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَأْخُذَ .

وَتَأَسَّى بِهِ <sup>(٤)</sup> أَغْظَمَ النَّاسِي .

\* \* \*

دَعَا السَّمْعُ بْنُ مَالِكٍ الْحَوَّلَانِيَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْغَافِقِيَّ إِلَى لِقَائِهِ ، فَلَمَّا  
جَاءَهُ رَحَّبَ بِهِ أَكْرَمَ التَّزَجُّبِ وَأَذْنَى <sup>(٥)</sup> مَجْلِسِهِ مِنْهُ ، ثُمَّ قَعَدَ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ  
يَسْأَلُهُ عَنْ كُلِّ مَا عَنِ <sup>(٦)</sup> لَهُ ...

وَيَسْتَشِيرُهُ فِي كَثِيرٍ مِمَّا أَشْكَلَ عَلَيْهِ ...

وَيَرْوُهُ <sup>(٧)</sup> لِيَقِفَ عَلَى طَوَاقِيهِ ...

فَإِذَا هُوَ فَوْقَ مَا أُخْبِرَ عَنْهُ ، وَأَعْظَمَ مِمَّا ذُكِرَ لَهُ ؛ فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُؤَلِّقَهُ  
عَمَلًا مِنْ كَثِيرِ أَعْمَالِهِ فِي « الْأَنْدَلُسِ » .

فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْ عَامَّةِ النَّاسِ ...

وَلَقَدْ وَفَدْتُ إِلَى هَذِهِ الدِّيَارِ لِأَقِفَ عَلَى نَعْرِ مِنْ ثُعُورِ <sup>(٨)</sup> الْمُسْلِمِينَ ...

وَنَذَرْتُ نَفْسِي لَعَرَضَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ...

(١) بلايه : خبرته .

(٢) عَرَضُ الدُّنْيَا : مَا لَا دَوَامَ لَهُ وَلَا بَقَاءَ .

(٣) انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشروعة .

(٤) تَأَسَّى بِهِ : اتَّخَذَ بِهِ وَسْلَكَ مَسْلَكَه .

(٥) أَذْنَى مَجْلِسِهِ : قَرِيبَ مَجْلِسِهِ مِنْهُ تَقْدِيرًا لَهُ . (٧) يَرْوُهُ : يَقُورُهُ وَيَقُورُهُ .

(٦) عَنِ لَهُ : خَطَرَ عَلَى يَدِهِ . (٨) ثُعُورُ الْمُسْلِمِينَ : لِلنَّافِذِ بَيْنَ حُدُودِ الْمُسْلِمِينَ وَحُدُودِ أَعْدَائِهِمْ .

وَحَمَلْتُ سَيْفِي لِإِغْلَاءِ كَلِمَتِهِ فِي الْأَرْضِ ...  
وَسَتَجِدُنِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - أَلَزَمَ لَكَ مِنْ ظِلِّكَ مَا لَرِمْتَ الْحَقُّ ...  
وَأَطَوَعَ لَكَ مِنْ بَنَانِكَ<sup>(١)</sup> مَا أَطَعَتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ...  
مِنْ غَيْرِ وَلَا نِيَّةٍ وَلَا إِمَارَةٍ .

\* \* \*

لَمْ يَخْضِ غَيْرُ قَلِيلٍ حَتَّى عَزَمَ السَّمْعُ بُنَ مَالِكِ الْخَوْلَانِي عَلَى عَزْوِ  
« فَرَنْسَا » كُلِّهَا ، وَضَمَّهَا إِلَى عَقْدِ<sup>(٢)</sup> دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ الْمُظْمَى .  
وَأَنْ يَخْجِذَ مِنْ دِيَارِهَا الرَّحْبَةَ طَرِيقاً إِلَى دَوْلِ « الْبَلْقَانِ »<sup>(٣)</sup> ...  
وَأَنْ يُفِضِي مِنْ دَوْلِ « الْبَلْقَانِ » إِلَى « الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ » ، تَحْقِيقاً لِيَشَارَةِ  
الرَّسُولِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ<sup>(٤)</sup> .  
وَكَانَتْ الْخُطْوَةُ الْأُولَى لِتَحْقِيقِ هَذَا الْهَدَفِ الْكَبِيرِ ، إِنَّمَا تَتَوَقَّفُ عَلَى  
اِخْتِلَالِ مَدِينَةِ « أَرْبُونَةَ »<sup>(٥)</sup> .  
ذَلِكَ أَنَّ « أَرْبُونَةَ » كَانَتْ مِنْ أَكْبَرِ الْمُدُنِ « الْفَرَنْسِيَّةِ » الَّتِي تُجَاوِرُ بِلَادَ  
« الْأَنْدَلُسِ » .

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّمَا انْحَدَرُوا<sup>(٦)</sup> مِنْ جِبَالِ « الْبِرْنِيَّةِ »<sup>(٧)</sup> ، وَجَدُوهَا

(١) بنانك : أصبعك ، يقال : فلان أطوع من بناني : أي إنه يفعل كل ما أمره به .

(٢) العِقد : القلادة الثمينة .

(٣) دَوْلِ الْبَلْقَانِ : شبه جزيرة والقة جنوب شرق أوروبا ، تقسمها اليوم رومانيا ، وألبانيا ، ويوغوسلافيا ، وبلغاريا ، وركيا ، واليونان .

(٤) قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ( لتفتحن عليكم القسطنطينية ، ففتح الجيش جيشها ، ونعم الأمير أميرها ) .

(٥) NARBONNE : مدينة في جنوب فرنسا قرب المتوسط بسهل لغودوك .

(٦) انحدروا : نزلوا .

(٧) PYRENEES : سلسلة جبال بين فرنسا وإسبانيا تمتد من خليج غاسكونيا في الأطلسي حتى خليج ليون في المتوسط . ٤٣٠ كم عرفها المسلمون باسم برانسي .

تَنْتَصِبُ أَمَامَهُمْ كَمَا يَنْتَصِبُ الْمَارِدُ<sup>(١)</sup> الْجَبَّارُ .

وَهِيَ فَوْقَ ذَلِكَ مِفْتَاحُ « فَرَنْسَا » الْكَبِيرَى ...

وَمَطْمَحُ الطَّامِحِينَ<sup>(٢)</sup> إِلَيْهَا ...

\* \* \*

خَاصَرَ السُّنْعُ بْنُ مَالِكٍ الْخَوْلَانِي مَدِينَةَ « أَرْبُونَةَ » ، ثُمَّ عَرَضَ عَلَى أَهْلِهَا  
الْإِسْلَامَ أَوْ الْجِزْيَةَ ... فَغَرَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَأَبَوْهُ .

فَهَبَّ يَهَاجِمُهُمُ الْهَجْمَةَ يَلْوُ الْأُخْرَى ، وَيَقْذِفُهُمُ بِالْمَنْجَنِيقاتِ<sup>(٣)</sup> حَتَّى  
سَقَطَتِ الْمَدِينَةُ الْعَرِيقَةُ الْحَصِينَةُ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَشْهُابٍ مِنْ  
الْجِهَادِ الْبَطُولِيِّ الَّذِي لَمْ تَشْهَدْ « أَوْرُبَا » نَظِيراً لَهُ مِنْ قَبْلُ .

ثُمَّ بَادَرَ الْقَائِدُ الْمُظَفَّرُ الْمُتَنَصِّرُ ، فَتَوَجَّهَ بِجَيْشِهِ الْجَبَّارِ<sup>(٤)</sup> إِلَى مَدِينَةِ  
« ثُولُوزَ » عَاصِمَةِ مُقَاطَعَةِ « أَوْكَنْتَانِيَّةَ » .

فَنَصَّبَ حَوْلَهَا الْمَنْجَنِيقاتِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ .

وَقَذَفَهَا بِآلَاتِ الْحَرْبِ الَّتِي لَمْ تَعْرِفْ لَهَا « أَوْرُبَا » نَظِيراً مِنْ قَبْلُ .

حَتَّى أَوْشَكَتِ الْمَدِينَةُ الْخَنِيعَةُ الْحَصِينَةُ أَنْ تَخْرُجَ بَيْنَ يَدَيْهِ .

عِنْدَ ذَلِكَ وَقَعَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي مُحْسَبَاتِهِ أَحَدٍ .

فَلَنَثْرَكَ الْحَدِيثُ لِلْمُسْتَشْرِقِ الْفَرَنْسِيِّ « رِيئُو » لِيُشَوِّقَ لَنَا خَبَرَ يَلْكَ  
الْمَعْرُوكَةِ .

قَالَ « رِيئُو » :

(٣) المنجنقات : آلات حربية تُرمى بها القذائف .

(٤) الجبار : الكثير الذي يجر وراءه الغبار لكثرة .

(١) المارد : القوي الجبار الذي لا يقهر .

(٢) مطمح الطامحين : سبيل الراغبين .



لَمَّا أَصْبَحَ النَّصْرُ قَابَ قَوْسَيْنِ<sup>(١)</sup> مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ أَذْنَى، هَبَّ دُوقُ  
أَوْ كَثَائِفُهُ<sup>(٢)</sup> يَسْتَنْفِرُ<sup>(٣)</sup> لِيَحْزِبَهُمُ الْبِلَادَ وَالْعِيَادَ.

وَأَرْسَلَ رَسُولَهُ فَطَافُوا «أُورُبَّا» مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا.

وَأَنْذَرُوا مُلُوكَهَا وَأَمْزَاعَهَا بِاخْتِلَالِ دِيَارِهِمْ، وَسَنِي نِسَائِهِمْ وَوِلْدَانِهِمْ.

فَلَمْ يَتَّقِ شَعْبٌ فِي «أُورُبَّا» إِلَّا أَنَّهُمْ مَعَهُ بِأَشَدِّ مُقَاتِلِيهِ بَأْسًا، وَأَكْثَرِهِمْ  
عَدُوًّا...

وَقَدْ بَلَغَ مِنْ وَفْرَةِ<sup>(٤)</sup> الْجَبِشِ، وَعُغْنِفِ حَرَكَتِهِ، وَثِقَلِ وَطْأَتِهِ، مَا لَمْ تَعْرِفْ  
لَهُ الدُّنْيَا نَظِيرًا مِنْ قَبْلُ... حَتَّى إِنَّ الْعُبَارَ الْمُتَطَايِرَ تَحْتَ أَقْدَامِهِ قَدْ حَجَبَ عَنْ  
مِنْطَقَةِ «الرَّوْنِ»<sup>(٥)</sup> عَيْنَ الشَّمْسِ...

وَلَمَّا تَدَانَى<sup>(٦)</sup> الْجَمْعَانِ خُيِّلَ لِلنَّاسِ أَنَّ الْجِبَالَ تُلَاقِي الْجِبَالَ، ثُمَّ دَارَتْ  
بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ رَحَى مَعْرَكَةٍ ضَرُوسٍ<sup>(٧)</sup> لَمْ يَعْرِفِ الثَّارِيعُ لَهَا مِثِيلًا مِنْ قَبْلُ.

وَكَانَ السَّمْعُ أَوْ «دَامَا» كَمَا كُنَّا نُسَمِّيهِ؛ يَظْهَرُ أَمَامَ جُنُودِنَا فِي كُلِّ  
مَكَانٍ.

وَيَتَوَاتَبُ أَمَامَ عَشْكَرِهِ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ.

وَفِيمَا هُوَ كَذَلِكَ أَصَابَتْهُ رَمِيَّةٌ مِنْ سَهْمٍ، فَعَزَّ صَرِيحًا عَنْ جَوَادِيهِ.

(١) قَابَ قَوْسَيْنِ: شديد القرب.

(٢) يستنفر: يستعين.

(٣) وفرة الجيش: كثرة الجيش وكثافته.

(٤) RHONE: نهر في سويسرا وفرنسا ٨١٢ كم من أغزر أنهار فرنسا، يروي جنيف، وليون LYON،  
والتانس، واليهون، وأرل ARLES ويصب في المتوسط غرب مرسيليا.

(٥) تَدَانَى الجمعان: اقتربا الجيشان.

(٦) معركة ضرُوس: معركة شديدة مهلكة.

فَلَمَّا رَأَاهُ الْمُسْلِمُونَ مُجَنَّدًا<sup>(١)</sup> فَوْقَ الثَّرَى، فَتَّ الْعَوَاقِفُ فِي  
عَضْدِهِمْ<sup>(٢)</sup>...

وَبَدَأَتْ صُفُوفُهُمْ تَتَدَاعَى<sup>(٣)</sup>...

وَأَصْبَحَ فِي وَسْعٍ جَيْشِنَا الْجَرَارِ أَنْ يُبِيدَهُمْ عَنْ بَكْرَةٍ أَبِيهِمْ<sup>(٤)</sup>...  
لَوْلَا أَنْ تَذَارَ كَتُّهُمْ الْعِنَايَةُ الرَّبَائِيَّةُ بِقَائِدِ عِبْقَرِي عَرَفْتُهُ «أُورُبَّا» فِيمَا بَعْدُ،  
هُوَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَافِقِيُّ.

فَتَوَلَّى أَمْرَ انْسِحَابِهِمْ بِأَقْلَ قَدْرِ مِنَ الْحَسَائِرِ، وَعَادَ بِهِمْ إِلَى «إِسْبَانِيَا».  
لَكِنَّهُ عَقَدَ الْعَزَمَ عَلَى أَنْ يُبْعِدَ الْكَوَّةَ عَلَيْنَا مِنْ جَدِيدٍ...

\* \* \*

وَبَعْدُ...

فَهَلْ رَأَيْتَ الْغُيُومَ كَيْفَ تَنْقَشِعُ<sup>(٥)</sup> عَنِ الْبَذْرِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ.

فَيَسْتَضِيءُ بِنُورِهِ النَّائِهُونَ...

وَيَهْتَدِي بِسَنَاهِ الْحَيَارَى<sup>(٦)</sup>.

هَكَذَا انْقَشَعَتْ مَغْرَكَةُ «تُولُوز» عَنْ بَطْلِ الْإِسْلَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ  
عَبْدِ اللَّهِ الْعَافِقِيِّ...

وَهَلْ أَبْصَرْتَ الْعِطَاشَ الْمُؤِفِينَ<sup>(٧)</sup> عَلَى الْهَلَاكِ فِي جَوْفِ الصُّخَرَاءِ كَيْفَ  
يَلُوحُ لَهُمُ الْمَاءُ.

(١) مجندلاً: صريعاً.

(٢) فتَّ في عضدِهِم: مَرَّقَ قرواحم وأضحف مشاعرهم.

(٣) تتداعى: تصدع.

(٤) بكرة أبيهم: جميعاً.

(٥) تنقشع: تتكشف.

(٦) الحيارى: الناهون، والذين لا يعرفون الطريق.

(٧) المؤفنين على الهلاك: للقبائل على الموت.

فَيَمْلِكُونَ أَيْدِيَهُمْ إِلَيْهِ ؛ لِيَتَغَرَّبُوا مِنْهُ عَرَفَةً تَرُدُّ إِلَيْهِمُ الْحَيَاةَ ؟<sup>(١)</sup>  
هَكَذَا مَدَّ جُنْدُ الْمُسْلِمِينَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى الْقَائِدِ الْعَظِيمِ يُنْشُدُونَ عِثْدَهُ  
النَّجَاةَ ... وَيُبْتَاعُونَهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ...  
وَلَا غَرَوْ فَقَدْ كَانَتْ مَعْرَكَةُ «تُولُوز» أَوَّلَ جُزْجِ غَايِرِ<sup>(٢)</sup> أَصِيبَ بِهِ  
الْمُسْلِمُونَ مِنْهُ وَطَلَّتْ أَقْدَامُهُمْ «أُورُيَا» .

وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْغَافِقِيُّ بَلَسَمَ<sup>(٣)</sup> هَذَا الْجُزْجِ ...  
وَالْيَدَ الْحَاثِيَةَ الَّتِي أَحَاطَتْهُ بِالْعِنَايَةِ وَالرَّعَايَةِ ...  
وَالْقَلْبَ الْكَبِيرَ الَّذِي أَقَاضَ عَلَيْهِ الْحَنَانَ ...

\* \* \*

أَرْمَضَتْ<sup>(٤)</sup> أَنْبَاءُ التُّكْسَةِ الْكُبْرَى الَّتِي مُنِيَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ فِي «فَرَنْسَا»  
فُؤَادَ الْخِلَافَةِ فِي «دِمَشَق» .  
وَأَجِجَ<sup>(٥)</sup> مَضْرَعُ الْبَطَلِ الْكَبِيرِ<sup>(٦)</sup> السَّمْعِ بْنِ مَالِكِ الْخَوْلَانِيِّ فِي  
صَدْرِهَا نَارَ الْحِمِيَّةِ لِلْأُخْذِ بِالنَّارِ .

فَأُصْدِرَتْ أَوَامِرُهَا بِإِقْرَارِ الْجُنْدِ عَلَى مُبَاتَعَتِهِمْ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْغَافِقِيِّ .  
وَعُهِدَتْ إِلَيْهِ بِإِمَارَةِ «الْأَنْدَلُس» مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا .  
وَصُمِّمَتْ إِلَيْهِ مَا جَاوَزَهَا مِنَ الْأَرَاظِي «الْفَرَنْسِيَّةِ» الْمَقْشُوحَةِ .  
وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ فِي الْعَمَلِ كَيْفَمَا يَشَاءُ .  
لَا غَرَوْ فَقَدْ كَانَ الْغَافِقِيُّ حَازِمًا صَارِمًا ، تَقِيًّا نَقِيًّا ، حَكِيمًا مَقْدَامًا ...

\* \* \*

(٥) الْكَبِيرُ : الشَّجَاعُ .

(٣) أَرْمَضَتْ : أَوْجَعَتْ .

(٤) أَجِجَ : أَوْقَدَ .

(١) غَايِرُ : عَمِيقُ .

(٢) بَلَسَمَ الْمَرْحُ : دَوَاهِ النُّكْبَةِ .

بَادَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَافِقِيُّ مُنْذُ أُشِيدَتْ إِلَيْهِ إِمَارَةُ « الْأَنْدَلُسِ » ؛ يَتَعَمَلُ عَلَى  
اسْتِعَادَةِ ثِقَةِ الْجُنْدِ بِأَنْفُسِهِمْ ...

وَاسْتِزْدَادِ شُعُورِهِمْ بِالْعِزَّةِ ، وَالْقُوَّةِ ، وَالْعَلَبِ .

وَتَحْقِيقِ الْهَدَفِ الْكَبِيرِ الَّذِي طَمَحَ <sup>(١)</sup> إِلَيْهِ قَادَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي  
« الْأَنْدَلُسِ » .

اِبْتِدَاءً مِنْ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ <sup>(٢)</sup> ...

وَانْتِهَاءً بِالسَّنَجِ بْنِ مَالِكِ الْخَوْلَانِيِّ .

فَلَقَدْ انْعَقَدَتْ هِمَّتُ هَؤُلَاءِ الْأَبْطَالِ عَلَى الْإِنْطِلَاقِ مِنْ « فَرَنْسَا » إِلَى  
« إِيْطَالِيَا » وَ« أَلْمَانِيَا » .

وَالْإِفْضَاءُ <sup>(٣)</sup> مِنْهُمَا إِلَى « الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ » .

وَجَعَلَ الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمَتَوَسِّطِ بُحَيْرَةً إِسْلَامِيَّةً ، وَتَسْمِيَّتِهِ بِبَحْرِ الشَّامِ ...  
بَدَلًا مِنْ بَحْرِ « الرُّومِ » ...

\* \* \*

لَكِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْعَافِقِيَّ كَانَ يُوقِنُ بِأَنَّ الْإِعْدَادَ لِلْمَعَارِكِ الْكُبْرَى إِنَّمَا  
يَكُونُ بِإِصْلَاحِ النُّفُوسِ ، وَتَرْكِيبَتِهَا ...

وَيَفْتَقِدُ أَنَّهُ مَا مِنْ أُمَّةٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحَقِّقَ غَايَاتِهَا فِي النُّصْرِ إِذَا كَانَتْ  
حُصُونُهَا مُصَدَّعَةً <sup>(٤)</sup> ، مُهَدَّذَةً مِنَ الدَّائِلِ ...

(١) طَمَحَ إِلَيْهِ : تَطَلَّعَ إِلَيْهِ وَحَسَلَ عَلَى نَهْلِهِ .

(٢) مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ : فَاحِشُ الْمَغْرِبِ الْأَنْصَلِيُّ وَالْأَنْدَلُسِيِّ .

(٣) الْإِفْضَاءُ مِنْهَا : الْإِنْخِلَالُ مِنْهَا .

(٤) مُصَدَّعَةٌ : مُشَقَّقَةٌ .

لِذَلِكَ هَبْ يَطُوفُ بِلَادَ «الْأَنْدَلُسِ» بَلَدًا إِفْرَ بَلَدٍ، وَيَأْمُرُ الْمُتَأَوِّينَ أَنْ  
يَتَأَدُّوا فِي النَّاسِ :

مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ<sup>(١)</sup> عِنْدَ وَالٍ مِنَ الْوَلَاةِ، أَوْ قَاضٍ مِنَ الْقَضَاةِ، أَوْ أَحَدٍ  
مِنَ النَّاسِ؛ فَلْيَتَرَفَّعْهَا إِلَى الْأَمِيرِ.

وَأَنَّهُ لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُعَاهِدِينَ<sup>(٢)</sup>.

ثُمَّ طَفِقَ يُنْظِرُ فِي الْمَظَالِمِ<sup>(٣)</sup> مَظْلَمَةً مَظْلَمَةً.

فَيَقْتَصِرُ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ ... وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ.

ثُمَّ جَعَلَ يُحَقِّقُ فِي أَمْرِ الْكِنَائِسِ الْمُغْتَصَبَةِ، وَالْمُسْتَحْدَثَةِ.

فَيُرِيدُ مَا قَصَصَتْ بِهِ الْفُهُودُ إِلَى أَصْحَابِهِ ...

وَيَهْدِيهِمْ مَا تَبَيَّ مِنْهَا بِالرُّشُودِ ...

ثُمَّ نَظَرَ فِي أَمْرِ عُمَالِهِ وَاحِدًا وَاحِدًا ...

فَعَزَلَ مَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ خِيَانَتُهُ وَانْحِرَافُهُ.

وَوَلَّى مَكَانَهُ مَنِ اسْتَوْثَقَ مِنْ جِحْمَتِهِ، وَحُنُكِيهِ، وَصَلَاحِهِ.

وَكَانَ كُلَّمَا أَمَّ<sup>(٤)</sup> بَلَدًا مِنَ الْبُلْدَانِ دَعَا النَّاسَ إِلَى صَلَاةٍ جَامِعَةٍ، ثُمَّ وَقَفَ

فِيهِمْ حَاطِبِيًّا، وَأَنْطَلَقَ يَخْصُصُهُمْ عَلَى الْجِهَادِ ...

وَيُرْعِبُهُمْ فِي الْأَشْيِشْهَادِ ...

وَيُحَمِّنِيهِمْ بِرِضْوَانِ اللَّهِ، وَالْفَوْزِ بِثَوَابِهِ.

\* \* \*

(٣) المظالم: الشكاوى.

(١) مظلمة: أمر فيه ظلم.

(٤) أَمَّ بَلَدًا: دَخَلَ بَلَدًا وَزَارَهُ.

(٢) الْمُعَاهِدُونَ: الَّذِينَ يَتَّهِمُونَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ عَهْدًا.

وَقَدْ قَرَنَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ ، وَدَعَّمَ الْأَمَالَ بِالْأَعْمَالِ .  
 فَطَفِقَ مِنْذُ اللَّحْظَةِ الْأُولَى لِوَلَايَتِهِ ؛ يُعَدُّ الْعَتَادَ ، وَيَسْتَكْمِلُ السَّلَاحَ .  
 وَيُرْمِمُ<sup>(١)</sup> الْمَعَايِلَ ، وَيَتَبَيَّي الحُصُونُ .  
 وَيُشَيِّدُ الجُسُورَ ، وَيَقِيمُ القَنَايِطِرَ<sup>(٢)</sup> ...  
 وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ مَا بَنَاهُ قَنْطَرَةٌ « قُرُوطِيَّةٌ » عَاصِمَةٌ « الْأَنْدَلُسِ » .  
 وَقَدْ شَادَهَا عَلَى نَهْرِ « قُرُوطِيَّةٌ » الْعَظِيمِ ؛ لِيُغَيِّرَ عَلَيْهَا النَّاسُ وَالْجُنْدُ ...  
 وَتَقِيَّ الْبِلَادَ ، وَتَصُونُ الْعِبَادَ مِنْ شَرِّ الْفَيْضَانِ<sup>(٣)</sup> .  
 وَتُعَدُّ هَذِهِ الْقَنْطَرَةُ مِنْ أَعَاجِبِ الدُّنْيَا .  
 فَقَدْ بَلَغَ طُولُهَا ثَمَانِي مِائَةً بَاعَ<sup>(٤)</sup> ...  
 وَازْتَفَاعُهَا سِتِينَ بَاعاً ...  
 وَعَرْضُهَا عِشْرِينَ ...  
 وَبَلَغَ عَدْدُ حَنَائِيهَا<sup>(٥)</sup> ثَمَانِي عَشْرَةَ حَيْثُ ...  
 وَعَدْدُ أَبْرَاجِهَا<sup>(٦)</sup> تِسْعَةَ عَشَرَ بُرْجاً ...  
 وَهِيَ مَا تَرَالُ قَائِمَةٌ تَنْعَمُ بِهَا « إِسْبَانِيَا » حَتَّى يَوْمَنَا هَذَا ...

\* \* \*

وَقَدْ دَابَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْغَافِقِيُّ عَلَى الْاجْتِمَاعِ بِقَادَةِ الْجُنْدِ وَوُجُوهِ الْقَوْمِ  
 فِي كُلِّ يَلَدٍ يَحْمِلُهُ .

(١) رُمِّمَ المعائل : يصلح مراحض الجند في الجبال للمشقة عَلَى العدو .

(٢) القَنَايِطِر : ما يَبْنَى فوق الماء للممرِ عليه .

(٥) حَنَائِيهَا : أُنْرَاسُهَا .

(٦) أَبْرَاجُهَا : المحصورون التي تحصنها .

(٣) الفَيْضَان : السُّبُل .

(٤) البَاع : مقدار مَدَّ اليدين .

وَكَانَ يُنْهَضُ بِجَوَارِحِهِ إِلَى كُلِّ مَا يَقُولُونَ ...

وَيُذَوُّنَ جَمِيعَ مَا يَقْتَرِحُونَ ...

وَيَتَمَلَّى<sup>(١)</sup> مِنْ سَائِرِ مَا يُنْهَضُونَ .

وَقَدْ أَخَذَ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الْمَجَالِسِ بِأَنْ يَسْمَعَ كَثِيراً ، وَأَنْ يَتَكَلَّمَ قَلِيلاً .

وَكَمَا كَانَ يَلْتَقِي الْعَافِيَّ بِأَغْيَانِ الْمُسْلِمِينَ ...

فَقَدْ كَانَ يَجْتَمِعُ مَعَ كِبَارِ أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنَ الْمُعَاهِدِينَ .

وَكَثِيراً مَا كَانَ يُسْأَلُهُمْ عَمَّا خَفِيَ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِ بِلَادِهِمْ ، وَمَا يَشْغُلُ بَالَهُ مِنْ أَحْوَالِ مُلُوكِهِمْ ، وَقَوَادِمِهِمْ .

\* \* \*

وَفِي ذَاتِ مَرَّةٍ اسْتَدْعَى أَحَدَ كِبَارِ الْمُعَاهِدِينَ مِنْ أَتْنَاءِ « فَرَنْسَا » ، وَأَدَارَ مَعَهُ حَدِيثاً مُتَشَعِّباً<sup>(٢)</sup> ثُمَّ قَالَ لَهُ :

مَا بَالُ مَلِكِكُمْ الْأَكْبَرِ « شَاوَل » لَا يَنْصَدِي لِحَرْبِنَا ...

وَلَا يَنْصُرُ مُلُوكَ الْمُقَاطَعَاتِ عَلَيْنَا ؟ !

فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ...

إِنَّكُمْ وَفَيْتُمْ لَنَا بِمَا عَاهَدْتُمُونَا عَلَيْهِ ، فَمِنْ حَقِّكُمْ عَلَيْنَا أَنْ نَصُدِّقَكُمْ الْقَوْلَ فِيمَا تَسْأَلُونَنَا عَنْهُ ...

إِنْ قَائِدُكُمْ الْكَبِيرُ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ قَدْ أَحْكَمَ قَبْضَتَهُ<sup>(٣)</sup> عَلَى « إِسْبَانِيَا »

(١) يَتَمَلَّى : يَتَفَتَّحُ .

(٢) مُتَشَعِّباً : مُتَوَعِّداً مُتَعَدِّدَ الْمَوْضِعَاتِ .

(٣) أَحْكَمَ قَبْضَتَهُ : شَدَّ يَدَيْهِ .

كُلُّهَا ، ثُمَّ طَمَحَتْ<sup>(١)</sup> هِمَّتُهُ لِأَن يَجْتَازَ جِبَالَ «البرنيه» الَّتِي تَفْصِلُ بَيْنَ دِيَارِ  
«الأندلس» وَبِلَادِنَا الْجَمِيلَةِ .

فَجَعَلَ<sup>(٢)</sup> مُلُوكَ الْمُقَاطَعَاتِ وَتُسُسَهَا إِلَى مَلِكِنَا الْأَعْظَمِ ، وَقَالُوا لَهُ :  
مَا هَذَا الْخِزْيُ الَّذِي لَصِقَ بِنَا وَبِحَفَدَتِنَا أَبَدَ الذَّهْرِ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ ...  
فَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ بِالْمُسْلِمِينَ سَمَاعاً ...

وَنَخَافُ وَتُبْتَهُمْ عَلَيْنَا مِنْ جِهَةِ مَشْرِقِ الشَّمْسِ ، وَهَذَا هُمُ أَوْلَاؤُ قَدْ جَاءُونَا  
الآنَ مِنْ مَغْرِبِهَا ...

فَاسْتَوَلُوا عَلَى «إِسبَانِيَا» كُلِّهَا ، وَانْتَلَكُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعُدَّةِ وَالْعَنَادِ ،  
وَاعْتَلَوْا قِمَمَ الْجِبَالِ الَّتِي تَفْصِلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ .  
مَعَ أَنَّ عَدَدَهُمْ قَلِيلٌ ...

وَسِيْلَاحَهُمْ هَزِيلٌ ...  
وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَمْلِكُ دِرْعاً تَقِيهِ صُرْبَاتِ السُّيُوفِ ، أَوْ جَوَاداً يَمْتَنِّطِيهِ إِلَى  
سَاحِلَاتِ الْيَقَالِ .

فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ :  
لَقَدْ فَكَّرْتُ فِيمَا عَنْ<sup>(٣)</sup> عَلَى بِأَلِكُمْ كَثِيراً ...  
وَأَتَعَمْتُ<sup>(٤)</sup> النَّظَرَ فِيهِ طَوِيلاً .

فَرَأَيْتُ أَلَّا نَتَعَرَّضَ لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ فِي وَثْمَتِهِمْ هَذِهِ ، فَإِنَّهُمْ الْآنَ كَالسَّيْلِ  
الْجَارِفِ يَتَغَلِّغُ كُلَّ مَا يَتَعَرَّضُ طَرِيقَهُ ، وَيَحْتَمِلُهُ مَعَهُ ، وَيُلْقِي بِهِ حَيْثُ يَشَاءُ .

(٣) عَنْ عَلَى بِالْهَمْ : عَطَرَ لَهُمْ .  
(٤) أَتَعَمْتُ النَّظَرَ : أَطْلَتِ النَّظَرَ وَتَعَمَّقَتْ فِي التَّفَكُّرِ .

(١) طَمَحَتْ : امْتَدَّتْ ، وَشَمَحَتْ .  
(٢) جَعَلَ : لَمَّا ، وَاجَّهَ .



وَوَجَدْتُ أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَهُمْ عَقِيدَةٌ وَبَيَّةٌ ؛ تُغْنِيَانِ عَنْ كَثْرَةِ الْعَدَدِ ، وَوَفَرَةُ  
الْعَدَدِ ...

وَلَهُمْ إِيْمَانٌ ، وَصِدْقٌ ؛ يَقُومَانِ مَقَامَ الدُّرُوعِ ، وَالْخَيُْولِ ...  
وَلَكِنْ أَمْنُهُلَهُمْ حَتَّى تَمُتْلِيْ أُنْدِيَهُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ ...  
وَيَتَّخِذُوا لِأَنْفُسِهِمُ الدُّورَ وَالْقُصُورَ ...  
وَيَسْتَكْبِرُوا مِنَ الْإِمَاءِ وَالْخَدَمِ ...  
وَيَتَنَافَسُوا فِيْمَا بَيْنَهُمْ عَلَى الرَّئَاسَةِ ...  
فَعِنْدَ ذَلِكَ تَتَمَكَّنُونَ مِنْهُمْ بِأَيْسَرِ السَّبِيلِ ، وَأَقْلَ الْجُهْدِ .  
فَأَطْرَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَافِقِيُّ إِطْرَاقَةَ حَزِينَةٍ ، وَتَنَهَّدَ تَنَهُّدًا عَمِيقًا ، وَقَضَى  
الْمَجْلِسَ وَقَالَ :

حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، فَقَدْ اقْتَرَبَ وَقْتُهَا .

\* \* \*

لَيْتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَافِقِيُّ عَامَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ يُعِدُّ الْعُدَّةَ لِلْعَزْوِ الْكَبِيرِ ...  
فَكَتَبَ (١) الْكَتَائِبَ ، وَعَبَأَ الْجُنُودَ ...  
وَسَحَدَ (٢) الْهَيْمَ ، وَعَمَّرَ الْقُلُوبَ ...  
وَاسْتَشْجَدَ بِأَمِيرِ « إِفْرِيقِيَّة » فَأَمَدَّهُ بِتُخَيْبَةٍ مِنَ الْجُنْدِ ؛ يَتَلَطَّؤُنَ (٣) سَوَاقًا إِلَى  
الْجِهَادِ ...

وَيَسْتَحِرُّونَ لَهُفَّةً عَلَى الْاسْتِشْهَادِ ...

---

(١) كَتَبَ الْكَتَائِبَ : أَعَدَّ الْجَيْشَ ؛  
(٢) سَحَدَ الْهَيْمَ : قَوَّى الْهَيْمَ ، وَأَعَدَّهُمَا كَمَا تَعِدُّ السَّكَاكِينُ .  
(٢) يَتَلَطَّؤُنَ : يَتَقَدَّرُونَ وَيَتَحَرَّرُونَ .

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيَّ «عُثْمَانُ بْنُ أَبِي نُعْمَةَ» أَمِيرُ الثُّغُورِ بِأَنْ يُشَاغِلَ الْعَدُوَّ بِغَارَاتِهِ  
إِلَى أَنْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ هُوَ بِجَهْمَةِ الْجَيْشِ .

لَكِنَّ عُثْمَانَ هَذَا كَانَ يُنْضَوِي عَلَى<sup>(١)</sup> ضَعِيفَةٍ لِكُلِّ أَمِيرٍ يَمِيدُ<sup>(٢)</sup> الْهَيْمَةَ  
عَظِيمِ الطُّمُوحِ ؛ يُقَدِّمُ عَلَى عَمَلٍ كَبِيرٍ يَزْفَعُ ذِكْرَهُ فِي الْأَنْفَامِ ، وَيُحْمِلُ<sup>(٣)</sup> غَيْرَهُ  
مِنَ الْوَلَاةِ وَالْعُمَالِ .

أَضَفْتُ إِلَيَّ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ فِي إِخْدَى غَارَاتِهِ السَّابِقَةِ عَلَى «فَرْنَسَا» بِابْنَةِ  
«دُوقِ أُكْسَانِيَّةٍ» ، وَتُدْعَى : «مِينِنُ» .

وَكَانَتْ «مِينِنُ» هَذِهِ فَتَاةَ رِيَانَةِ<sup>(٤)</sup> الشُّبَابِ ، بَارِعَةَ الْجَمَالِ .

قَدْ جَمَعَتْ إِلَى فِتْنَةِ الْحُسْنِ عِزَّةَ الْمَلِكِ ...

وَمَزَجَتْ بَيْنَ رَوْنِقِ<sup>(٥)</sup> الصُّبَا ، وَذَلَالِ بَنَاتِ الْقُصُورِ .

فَشَغَفَتْ<sup>(٦)</sup> فُؤَادَهُ حُبًّا ، وَهَامَ بِهَا وَجْدًا ، وَحَظِيَّتْ<sup>(٧)</sup> عِنْدَهُ كَمَا لَمْ  
تَحْظَ زَوْجَةً .

وَقَدْ زَيَّنَتْ لَهُ أَنْ يُهَادِنَ أَبَاهَا ، فَعَقَدَ مَعَهُ مُعَاهَدَةً ؛ أَمْنُهُ فِيهَا مِنْ غَارَاتِ  
الْمُسْلِمِينَ عَلَى مُقَاطَعَتِهِ الَّتِي كَانَتْ تُتَاجِمُ الثُّغُورَ «الْأَنْدَلُسِيَّةَ» .

فَلَمَّا جَاءَهُ أَمْرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَاقِبِيِّ بِالرُّحْفِ عَلَى بِلَادِ حِمِيهِ<sup>(٨)</sup> «دُوقِ  
أُكْسَانِيَّةٍ» سَقَطَ فِي يَدِهِ<sup>(٩)</sup> ...

وَبَاتَ حَيْرَانَ لَا يَدْرِي مَاذَا يَفْعَلُ ؟ .

(١) ينضوي عَلَى شَيْئَةٍ : يَحْتَلِيهِ حَقْدًا .

(٢) يَمِيدُ الْهَيْمَةَ : عَالِي الْهَيْمَةِ سَامِي الْمَقَاصِدِ .

(٣) يَحْمِلُ : يَخْفِي وَيُسْقِطُ .

(٤) رِيَانَةُ الشُّبَابِ : غَضَةُ الشُّبَابِ .

(٥) رَوْنِقُ الصُّبَا : بَهَاءُ الْفَتَاةِ .

(٦) شَغَفَتْ فُؤَادَهُ : اسْتَوْلَتْ عَلَى قَلْبِهِ .

(٧) حَظِيَّتْ عِنْدَهُ : أَصْبَحَتْ ذَاتَ مَكَانَةٍ مَرْمُوقَةٍ عِنْدَهُ .

(٨) حِمِيهِ : أَبُو زَوْجِهِ .

(٩) سَقَطَ فِي يَدِهِ : تَحَمَّرَ فَمَا عَادَ يَدْرِي مَا يَفْعَلُ .

لِكَيْتَهُ مَا لَيْتَ أَنْ بَادَرَ فَكَتَبَ إِلَى الْأَمِيرِ الْعَاقِقِيِّ يُرَاجِعُهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ ،  
وَيَقُولُ لَهُ :

إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَوِّزَ<sup>(١)</sup> عَهْدَهُ دُوقِي أُكْتَانِيَّةً ، قَبْلَ انْقِضَاءِ أَجَلِهِ ...  
فَاسْتَشْطَ<sup>(٢)</sup> عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَاقِقِيُّ مِنْهُ غَضَبًا ...  
وَبَعَثَ إِلَيْهِ يَقُولُ :

إِنَّ الْعَهْدَ الَّذِي قَطَعْتَهُ لِلْفِرَنْجَةِ دُونَ عِلْمِ أَمِيرِكَ لَا يُلْزِمُهُ ، وَلَا يُلْزِمُ مُحْيُوشَ  
الْمُسْلِمِينَ بِشَيْءٍ .

وَأَنَّ عَلَيْكَ أَنْ تُبَادِرَ إِلَى إِنْقَاذِ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ دُونَ تَرْدِيدِ وَلَا تَلَكُّ<sup>(٣)</sup> ...  
فَلَمَّا بَيَّسَ ابْنُ أَبِي تُشَعَّةٍ مِنْ حِمْلِ الْأَمِيرِ عَلَى الْإِفْلَاحِ عَنْ عَزِيمِهِ ؛ بَعَثَ  
إِلَى حَمِيهِ رَسُولًا يُخْبِرُهُ بِمَا جَرَى .  
وَيَذَعُوهُ لِأَنْ يَأْخُذَ حِذْرَهُ<sup>(٤)</sup> ...

\* \* \*

لَكِنْ عُمُودَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَاقِقِيِّ كَانَتْ تَرُصُّ حَرَكَاتِ ابْنِ أَبِي تُشَعَّةٍ  
وَمَسَكَاتِهِ ... فَتَقَلَّتْ إِلَى الْأَمِيرِ أَخْبَارَ اتِّصَالِهِ مَعَ الْعَدُوِّ .  
فَبَادَرَ الْعَاقِقِيُّ وَجَهَزَ كَبِيَّةً اخْتَارَ رِجَالَهَا مِنْ ذَوِي الشَّدَةِ وَالْبَأْسِ<sup>(٥)</sup> ...  
وَعَقَدَ لِيَوَاعِمَا لِمُجَاهِدِ مِنَ الْكَمَاةِ الْمُجَبَّرِينَ .  
وَأَمَرَهُ بِأَنْ يَأْتِيَ بِمُتَمَانَ بْنِ أَبِي تُشَعَّةٍ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا .

\* \* \*

(١) يُخَوِّزُ : يَنْقُضُ الْعَهْدَ .

(٢) اسْتَشْطَ : اتَّقَدَّ وَاسْتَحْلَ .

(٣) تَلَكُّ : تَوَقَّفَ .

(٤) يَأْخُذُ حِذْرَهُ : يَحْذَرُ مِنْ عَدُوِّهِ .

(٥) الْبَأْسُ : الْقُوَّةُ وَالْقُدْرَةُ .

بَاغَتْ الكَيْبَةُ مُعَشَكَرَ ابْنِ أَبِي نُعْمَةَ ، وَأَوْشَكَتْ أَنْ تَنْظَرَ بِهِ لَوْلَا أَنَّهُ  
نَذِرٌ<sup>(١)</sup> بِهَا فِي آخِرِ لَحْظَةٍ ...

فَقَرَّ إِلَى الْجَبَالِ يَصْحَبُهُ عَدَدٌ مِنْ رِجَالِهِ ...  
وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ الْحَسَنَاءُ « مَيْبِئٌ » الَّتِي كَانَ لَا يُفَارِقُهَا أَبَدًا ، وَلَا يَرَى الدُّنْيَا  
إِلَّا بِهَا .

فَمَضَتْ الكَيْبَةُ فِي إِثْرِهِ<sup>(٢)</sup> ، وَأَحَاطَتْ بِهِ وَبِمَنْ مَعَهُ .  
فَدَافَعَ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ زَوْجَتِهِ دِفَاعَ الْأَسَدِ عَنْ شِبْلِهِ<sup>(٣)</sup> ...  
وَوَلَّ يَتَأَصِّلُ دُونَهَا حَتَّى سَقَطَ قَتِيلًا ..  
وَفِي جِسْمِهِ مَا لَا يُحْصَى مِنْ صَرََبَاتِ السُّيُوفِ ، وَطَلْعَاتِ الرِّمَاحِ ...  
فَاحْتَزَرَ الْجُنُودُ رَأْسَهُ ، وَحَمَلُوهُ مَعَ الْأَمِيرَةِ الْحَسَنَاءِ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
الْعَافِقِيِّ .

فَلَمَّا صَارَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَرَأَى جَمَالَهَا الْبَاهِرَ ، غَضَّ مِنْ طَرَفِهِ ...  
وَأَشَاحَ عَنْهَا بِوَجْهِهِ ...  
ثُمَّ أَرْسَلَهَا هَدِيَّةً إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ ...  
فَأَنْتَهَتْ حَيَاةُ الْأَمِيرَةِ « الْفَرَنْسِيَّةِ » الْحَسَنَاءِ فِي حَرَمِ الْخَلِيفَةِ الْأُمَوِيِّ فِي  
« دِمَشْقٍ » .

(١) نَذِرٌ بِهَا : وَقَفَ عَلَى أَمْرِهَا وَغَلَبَهُ .

(٢) فِي إِثْرِهِ : وَرَاءَهُ .

(٣) شِبْلُهُ : وَلَدُهُ .

# عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْغَسَافِقِيُّ

بَطْلٌ مَعْرَكَةٌ بِأَطْلِ الشُّهَادِ

«لَوْلَا انْتِصَارُ شَاوَلٍ مَارْتِلَ الْهَمَجِيِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَقَاتِلِهِمُ الْغَافِقِيُّ، لَطَلَّتْ  
إِسْبَانِيَا تَقَعُمُ بِسَمَاحَةِ الْإِسْلَامِ، وَلَمَّا تَأَخَّرَ سَيَرُ الْمَدِينَةِ فِي أَوْزُبَا لَمَانِيَةِ قُرُونٍ»  
[أَعَدَّ مُؤَدِّجِي الْقَوْلِجَةِ]

قَالَ الشَّاعِرُ الْإِنْكِلِيزِيُّ «سُوذِي» يَصِفُ جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي غَزَتْ  
«أَوْزُبَا» بَعْدَ قَتْلِ «الْأَنْدَلُسِ» (٥):  
«مُجْمُوعٌ لَا تُحْصَى ...

«مِنْ عَرَبٍ، وَبَرْبَرٍ، وَزُومٍ خَوَارِجٍ ...  
«وَقُرْسٍ، وَقَيْطِطٍ، وَتَنْتَرٍ، قَدْ انْضَمَوْا» (١) جَمِيعًا نَحَتَ لِوَاءٍ وَاحِدٍ ...  
«يَجْمَعُهُمْ إِيْمَانٌ ثَائِرٌ، زَائِسُخُ الْقُوَّةِ ...  
«وَحِمِيَّةٌ مُتَلَطِّئَةٌ» (٢) كَالشَّرَرِ، وَأُخُوَّةٌ مُذْهِلَةٌ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْبَشَرِ ...

\* \* \*

«وَلَمْ يَكُنْ قَادَتْهُمْ أَقَلٌّ مِنْهُمْ ثِقَةً بِالنَّصْرِ بَعْدَ أَنْ تَمَلَّوْا بِحِمِيًّا» (٣) الطَّغِيرِ ...  
«وَاخْتَالُوا بِتِلْكَ الْقُوَّةِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي لَا تَقِفُ أَمَامَهَا شَيْءٌ ...  
«وَأَيْقَنُوا أَنَّ جُيُوشَهُمْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُلِمَ بِهَا الْكَلَالُ» (٤) ...

(٥) من منظومة «سُوذِي» Southy: Roderic the Last 08 Gorths الحاشية «يريدك»

أَوْ «لُودَوِيغ» آخِرُ مُلُوكِ الْقُوطِ فِي «إِسْبَانِيَا».

(١) انْضَمَوْا: انضموا.

(٢) الكلال: العناء والتعب.

(٣) تَمَلَّوْا: انضموا.

(٤) متلطفة: متفلة.

« فَبَهِ دَائِمًا فَيَّةٌ مَشْبُوبَةٌ<sup>(١)</sup> كَمَا انْطَلَقْتُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ...  
 « وَآمَنُوا بِأَنَّهَا حَيْثُمَا تَحَرَّكَتْ مَشَى فِي رِكَابِهَا النَّصْرُ وَالْغَلَبُ ...  
 « وَأَنَّهَا سَتَنْدَفِعُ دَائِمًا إِلَى الْأَمَامِ ...  
 « حَتَّى يُضْبِحَ الْغَرْبُ الْمَغْلُوبُ كَالشَّرْقِ ...  
 « يُطَأُّطِئُ الرَّأْسَ إِجْلَالًا لِاسْمِ مُحَمَّدٍ ...  
 « وَحَتَّى يَنْهَضَ الْحَاجُّ مِنْ أَقَاصِي الْمُنْتَجَمِ<sup>(٢)</sup> ...  
 « إِلَى أَنْ يَطَأَ بِأَقْدَامِ الْإِيمَانِ الرِّمَالِ الْمُخْرِقَةَ ...  
 « الْمُتَنَبِّئَةُ<sup>(٣)</sup> عَلَى صُخْرَاءِ الْعَرَبِ ...  
 « وَيَقِفَ فَوْقَ صُخُورِ مَكَّةَ الصَّلْدَةِ ... » .

\* \* \*

لَمْ تَكُنْ أَهْيَا الشَّاعِرِ بَعِيداً عَنِ الْحَقِيقَةِ .  
 أَوْ هَائِمًا فِي أُودِيَةِ الْخَيَالِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا قُلْتَ .  
 فَقَدْ كَانَتْ الْجَبُوشُ الَّتِي قَادَهَا الْمُجَاهِدُونَ لِإِخْرَاجِ آبَائِكَ مِنْ جَاهِلِيَّتِهِمْ  
 الْجَهْلَاءِ<sup>(٤)</sup> كَمَا وَصَفْتَ ...

فَفِيهَا عَرَبٌ أَقْوِيَاءُ بِاللَّهِ هَبُّوا إِلَيْكُمْ .  
 مِنَ الشَّامِ ...  
 مِنَ الْحِجَازِ ...  
 مِنَ نَجْدٍ ...

(٣) المتنبية : الساقطة .  
 (٤) الجهلاء : المفرقة في الجهل .

(١) مشبوبة : متقدة .  
 (٢) المنتجم : القطب الشمالي .

مِنَ التَّيْمَنِ ...

مِن كُلِّ مَكَانٍ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ...

كَمَا تَهْبُ الرِّيحُ الْمُرْسَلَةُ .

وَفِيهَا « بَرْبَرٌ » أَعِزَّةٌ بِالْإِسْلَامِ ؛ تَدْفُقُوا عَلَيْكُمْ مِنْ فَوْقِ جِبَالِ الْأَطْلَسِ (١)  
كَمَا يَتَدَفَّقُ السَّيْلُ الْغَرِيمُ (٢) ...

وَفِيهَا « فُرُوسٌ » عَاقَتْ (٣) عُقُولَهُمْ وَنَبِيَّةَ الْأَكَاسِرَةِ (٤) ، وَفَاءَتْ إِلَى دِينِ  
التَّوْحِيدِ ...

وَصِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ .

وَفِيهَا « رُومٌ » خَوَارِجٌ ، كَمَا قُلْتِ ...

وَلَكِنَّهُمْ خَرَجُوا عَلَى الظُّلَمِ ، وَالظُّلُمَاتِ ...

وَانْحَاذُوا إِلَى نُورِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...

وَهْدُوا إِلَى دِينِ الْقِيَمَةِ (٥) .

وَفِيهَا « قَيْطٌ » رَفَعُوا عَنْ رِقَابِهِمْ نِيرَ الْعُبُودِيَّةِ لِلْقِيَايَةِ (٦) .

لِيَعِيشُوا كَمَا وَلَدَتْهُمْ أُمُّهَاتُهُمْ أَخْرَاراً فِي أَكْتَانِ (٧) الْإِسْلَامِ ...

نَعَمْ لَقَدْ كَانَ الْجَيْشُ الَّذِي قَادَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَافِقِيُّ وَأَسْلَفُهُ لِإِنْقَاذِ  
أَجْدَادِكَ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ ... فِيهِ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ ، وَالْعَرَبِيُّ وَالْأَعَجَمِيُّ .

(١) جبال الأطلس : الجبال الواقعة بين المغرب العربي وإسبانيا .

(٢) السيل الغريم : السيل المتدفق الجارف .

(٣) عَاقَتْ : كرهت واشمأزت .

(٤) الأكاسرة : ملوك الفرس .

(٥) دين القيمة : الدين المستقيم الذي لا يأثمه الباطل .

(٦) القياصرة : ملوك الروم .

لِكَيْتَهُمْ انْصَهَرُوا جَمِيعاً فِي بَوْتَقَةٍ (١) الْإِسْلَامِ ...  
فَأَصْبَحُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِخْوَاناً .

وَقَدْ كَانَ هَهُنَا - كَمَا ذَكَرْتُ - أَنْ يُدْخِلُوا الْعَرَبَ فِي دِينِ اللَّهِ كَمَا  
أَدْخَلُوا الشَّرْقَ مِنْ قَبْلُ .

وَأَنْ يَجْعَلُوا الْبَشَرِيَّةَ كُلَّهَا تُطَاطَى (٢) الرُّؤَسَ لِإِلَهِ النَّاسِ .

وَأَنْ يَنْعَمَ نُورُ الْإِسْلَامِ بِطَاحِكُمْ (٣) وَأَوْدِيَّتِكُمْ .

وَأَنْ تُشْرِقَ شَمْسُهُ فِي كُلِّ يَتِيمٍ مِنْ يَتِيمِكُمْ .

وَأَنْ يُسَوِّيَ عِذْلَهُ بَيْنَ ثُلُوكِكُمْ وَسُوقِكُمْ (٤) .

وَكَاثُوا قَدْ عَزَمُوا عَلَى أَنْ يَذْفُقُوا أَزْوَاحَهُمْ ثَمناً لِيَهْدَايَتِكُمْ إِلَى اللَّهِ ...

وَلِنَقْضِكُمْ مِنَ النَّارِ ...

\* \* \*

وَبَعْدُ ... فَإِلَيْكُمْ الْقِصَّةُ الْأَخِيرَةُ لِهَذَا الْحَيْثِ .

وَحَيَّرَ بَطْلِيهِ الْفَدَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْغَافِقِيِّ .

تَنَاهَتْ إِلَى « دُوقِ أَكْثَانِيَّةِ » الْأَخْبَارُ الْمُفْرِغَةُ عَنْ مَضْرِعِ صِهْرِهِ غُفْمَانَ بْنِ  
أَبِي نُسْعَةَ (٥) .

وَبَلَّغَتْهُ أَنْبَاءُ النَّهَائَةِ الْخَزِينَةِ الَّتِي صَارَتْ إِلَيْهَا ابْنَتُهُ الْحَشَنَاءُ « مَبِينُ » (٦) ...

---

(١) البوتقة : الوعاء الذي يلبب فيه الصائغ الذهب والفضة .

(٢) تطاطى : تخفض .

(٣) بطاحكم : سهولكم .

(٤) سوقكم : حاكمكم .

(٥) انظر غيره في : « عبد الرحمن الغافقي أمير الأندلس » .

(٦) انظر غيرها في : « عبد الرحمن الغافقي أمير الأندلس » .



فَأَذْرَكَ أَنَّ طُبُولَ الْحَرْبِ قَدْ دَفَّتْ ...

وَأَيَقَنَ أَنَّ أَسَدَ الْإِسْلَامِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْعَافِقِي مُعَسٍّ فِي دِيَارِهِ ،  
أَوْ مُضِيحٌ ...

فَتَأَهَّبَ لِلدَّفَاعِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَرْضِهِ ؛ دِفَاعَ الْمُسْتَجِيبِ .

وَاسْتَعَدَّ لِلنِّصَالِ دُونَ نَفْسِهِ وَمَمْلَكَتِهِ ؛ اسْتِعْدَادَ الْمُسْتَجِيبِ ...

فَقَدْ كَانَ يَخْشَى أَنْ يُسَاقَ هُوَ الْآخِرُ أَمِيرًا إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ فِي الشَّامِ كَمَا  
سَبَقَتْ ابْنَتُهُ .

أَوْ أَنْ يُحْمَلَ رَأْسُهُ عَلَى طَبْعِي ، وَيُطَافَ بِهِ فِي أَسْوَاقِ « دِمَشْق » كَمَا طُفِئَ  
بِرَأْسِ « لُدْرِيق » ، مَلِكِ إِسْبَانِيَا مِنْ قَبْلُ .

\* \* \*

لَمْ يَكْذَبْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَافِقِي ظَنُّ الدُّوْقِ ...

فَانْطَلَقَ بِجَيْشِهِ اللَّجَبِ (١) مِنْ شِمَالِ « الْأَنْدَلُسِ » كَمَا يُنْطَلِقُ  
الْإِعْصَارُ (٢) .

وَانْصَبَّ عَلَى جَنْوِبِ « فَرَنْسَا » مِنْ فَوْقِ جِبَالِ « الْبِرْنِيَّةِ » كَمَا يُنْصَبُّ  
السَّيْلُ .

وَكَانَتْ عِدَّةُ جَيْشِهِ مِائَةً أَلْفٍ مُجَاهِدٍ .

يَنْ جَوَانِحِ كُلِّ مِنْهُمْ قَلْبُ أَسَدٍ ...

وَفِي غُرُوبِهِ عَزْمَةٌ مَارِدٌ (٣) ...

\* \* \*

(١) اللَّجَبُ : الكثيف المجرار .

(٢) الإِعْصَارُ : ريح تغدِفُ مِاءَ الْبَحَارِ وَالتُّرَابِ .

(٣) الْمَارِدُ : القوي الذي لَا يُهْلَبُ .

يَسْمُ<sup>(١)</sup> الْجَيْشُ الْإِسْلَامِي وَجْهَهُ شَطْرَ مَدِينَةِ «آرِل»<sup>(٢)</sup> الْوَاقِعَةِ عَلَى ضِغَافِ نَهْرِ «الرُون» .

فَلَقَدْ كَانَ لَهُ مَعَهَا حِسَابٌ ...

ذَلِكَ أَنَّ «آرِل» هَذِهِ كَانَتْ قَدْ صَالَحَتِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنْ تَدْفَعَ لَهُمْ الْجِزْيَةَ .

فَلَمَّا اسْتَشْهَدَ «السُّمُحُ بْنُ مَالِكِ الْحَوْلَانِيُّ» فِي مَعْرَكَةِ «تُولُوز»<sup>(٣)</sup>، وَتَضَعُضَعَ الْمُسْلِمُونَ لِمَضْرَعِهِ ؛ نَبَذَ<sup>(٤)</sup> أَهْلُ «آرِل» الطَّاعَةَ ، وَنَكَلُوا الْعَهْدَ ، وَامْتَنَعُوا عَنْ دَفْعِ الْجِزْيَةِ .

وَلَمَّا بَلَغَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْغَافِقِيُّ ضَوَاحِي الْمَدِينَةِ ، وَجَدَ أَنَّ «أَوْد» «دُوقَ أَكْثَانِيَّة» قَدْ عَبَأَ قُوَاتِهِ الْكَثِيفَةَ عِنْدَهَا .

وَحَشَدَهَا حَوْلَ ثُخُومِهَا ...

وَتَصَدَّى<sup>(٥)</sup> لِرِدِّ الزُّخْفِ الْإِسْلَامِيِّ عَلَيْهَا ...

ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنَّ التَّقَى الْجَيْشَانِ وَجْهًا لِيُوجِيه .

وَدَارَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مَعْرَكَةٌ طَحُونُ<sup>(٦)</sup> ...

قَذَفَ خِلَالَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْغَافِقِيُّ بِكَتَائِبٍ مِنْ جُنْدِيهِ تُحِبُّ الْمَوْتَ أَكْثَرَ مِمَّا يُحِبُّ أَغْدَاؤَهَا الْحَيَاةَ ، فَزَلْزَلَ أَقْدَامَ الْعَدُوِّ ... وَمَزَّقَ صُفُوفَهُ ...

وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ حَرْبًا .

---

(١) يَسْمُ وَجْهَهُ : وَلَّى وَجْهَهُ ، وَاتَّجَهَ .

(٢) ARLES : مَدِينَةٌ فِي جَنُوبِ فَرَنْسَا عَلَى نَهْرِ الرُّونِ شِمَالِي مَرَسِيَلِيَا .

(٣) TOULOUSE : مَدِينَةٌ فِي جَنُوبِ فَرَنْسَا عَلَى نَهْرِ الْغَارُونِ وَهِيَ قَاعِدَةُ مَحَافِظَةِ غَارُونِ الْعَالِيَا .

(٤) نَبَذُوا الطَّاعَةَ : غَضُّوا وَخَرَجُوا عَلَى الطَّاعَةِ . (٥) تَصَدَّى : اتَّجَهَ وَتَمَرَّضَ . (٦) طَحُون : طَلَاعَةٌ ، قَاسِيَةٌ .

فَأَعْمَلَ السَّيْفَ فِي رِقَابِ أَهْلِهَا .

وَأَتَّخَنَ <sup>(١)</sup> فِيهِمْ إِنْخَانًا .

وَعَنِمَ مِنْهُمْ غَنَائِمَ عَزَتْ عَلَى الْحَضَرِ .

أَمَّا الدُّوْقُ « أَوْدُ » فَقَدْ فَرَّ بِمَنْ بَقِيَ حَيًّا مِنْ مُجُودِهِ ...

وَطَفِقَ يُعِدُّ الغَدَّةَ لِلِقَاءِ آخَرِ مَعَ مَجُوشِ الْمُسْلِمِينَ .

فَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ مَعْرَكَةَ « آرَل » كَانَتْ بِدَايَةِ الطَّرِيقِ ، وَلَيْسَتْ نِهَائِيَّةً .

\* \* \*

عَبَّرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْغَافِقِيُّ بِجَيْشِهِ الْجَوَارِ نَهْرَ « الْجَارُون » <sup>(٢)</sup> ، وَطَفِقَتْ كِتَابِيَّةُ الظَّافِرَةِ تَجُوشُ <sup>(٣)</sup> مُقَاطَعَةً « أُكْتَانِيَّة » ذَاتَ الْبَيْعِ ، وَذَاتَ الشَّمَالِ .

وَأَخَذَتِ الْمُدُنُ وَالْقُرَى تَتَسَاقَطُ تَحْتَ مَنَايِكِ <sup>(٤)</sup> خَيْلِهِ كَمَا تَتَسَاقَطُ أَوْزَاقُ الشَّجَرِ فِي فَضْلِ الْحَرِيفِ إِذَا هَبَّتْ عَلَيْهَا الرِّيحُ الْهَوَاجُ <sup>(٥)</sup> .

وَأَصَافَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى غَنَائِمِهِمُ السَّابِقَةِ غَنَائِمَ لَاحِقَةً لَمْ تَرَهَا عَيْنٌ مِنْ قَبْلُ ...

وَلَمْ تَسْمَعْ بِهَا أَدْنُ ...

وَقَدْ حَاوَلَ دُوْقُ « أُكْتَانِيَّة » أَنْ يَتَصَدَّى لِهَذَا الرُّخْفِ الْكَبِيرِ مَرَّةً أُخْرَى فَاسْتَبَكَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعْرَكَةِ صَرُوسِ .

(١) أَتَّخَنَ : اشْتَدَّ فِي قَتْلِهِمْ وَبَالَغَ فِيهِ أَشَدَّ الْمُبَالَغَةِ .

(٢) GARONNE : نَهْرٌ فِي جَنُوبِ غَرْبِي فَرَنْسَا ٦٥٠ كم يَنْحِي مِنْ اسْبَانِيَا وَيُرْوِي تُولُوزَ ، وَآجِنَ وَيُورْدُو ، وَيَجِبُ فِي الْأَطْلَاسِ .

(٣) تَجُوشُ : تَجُولُ وَتَسْتَقْصِي .

(٤) مَنَايِكُ خَيْلِهِ : حَوَافِرُ جِيَادِهِ .

(٥) الْهَوَاجُ : الَّتِي تَقْلَعُ الْبُيُوتَ .

لَكِنُّ الْمُسْلِمِينَ مَا لَبِثُوا أَنْ هَزَمُوهُ هَزِيمَةً طَاحِنَةً<sup>(١)</sup>...

وَأَنْزَلُوا بِهِ نَكْبَةً سَاحِقَةً مُدْمِرَةً...

وَمَزَقُوا جَيْشَهُ شَرَّ مَزَقٍ...

وَتَزَكُّوا جُنْدُهُ بَيْنَ قَتِيلٍ، وَأَسِيرٍ، وَهَزِيمٍ<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

ثُمَّ اتَّجَعَتِ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَدِينَةِ «بُورْدُو»،<sup>(٣)</sup> كَثِيرَى الْمُدُنِ «الْإِفْرَنْسِيَّةِ»،  
أَلَذَّاكَ، وَعَاصِمَةِ مُقَاطَعَةٍ «أُكْتَانِيَّةٍ».

وَخَاصُّوا مَعَ أَمِيرِهَا مَغْرَكَةً لَا تَقِلُّ هَؤُلَاءِ عَنِ الْمَعَارِكِ السَّابِقَةِ...

اسْتَبَسَلَ فِيهَا الْمُهَاجِمُونَ وَالْمُدَافِعُونَ اسْتِبْسَالًا يُشِيرُ الْعَجَبُ  
وَالْإِعْجَابُ<sup>(٤)</sup>...

لَكِنُّ الْمَدِينَةَ الْكَبِيرَةَ الْخَطِيرَةَ مَا لَبِثَتْ أَنْ سَقَطَتْ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ  
كَمَا سَقَطَتْ أَخَوَاتُهَا مِنْ قَبْلُ.

وَمَا لَبِثَ أَمِيرُهَا أَنْ قُتِلَ فِي جُمْلَةِ الْقَتْلَى.

وَأَخْرَزَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ غَنَائِمِ «بُورْدُو» مَا هَوَّنَ<sup>(٥)</sup> فِي أَغْنِيَتِهِمْ كُلُّ  
مَا أَخْرَزُوهُ مِنْ غَنَائِمٍ.

وَقَدْ كَانَ سُقُوطُ «بُورْدُو» فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ فَاتِحَةً لِسُقُوطِ مُدُنٍ  
أُخْرَى كَثِيرَةٍ خَطِيرَةٍ.

(١) الطاحنة : التي تطحن ما تقع عليه طحناً.

(٢) هزيم : مهزوم.

(٣) BORDEAUX : مرفأ في فرنسا على نهر الغارون وهي الآن قاعدة محافظة جيرونده.

(٤) الإعجاب : الإكبار والبهمة. (٥) ما هَوَّنَ في أمينهم : ما جعلهم يستجفرون به ويخبرونه قليلاً.

أَهْمَهَا «لِيُون»<sup>(١)</sup> وَ«بِزَانْشُون»<sup>(٢)</sup> وَ«سَانْس SENS» .

وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَخِيرَةُ لَا تَبْعُدُ عَنْ «بَارِيس» أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مِيلٍ .

\* \* \*

اهْتَزَّتْ «أُورُبَّا» مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا لِسُقُوطِ نِصْفِ «فَرَنْسَا»  
الْجَنُوبِيِّ كُلِّهِ فِي يَدَيِ عَبْدِ الرُّوحَمَنِ الْغَافِقِيِّ خِلَالَ بَضْعَةِ أَشْهُرٍ ...

وَفَتَحَ الْفَرَنْجَةُ أَعْيُنَهُمْ عَلَى الْخَطَرِ الدَّاهِمِ<sup>(٣)</sup> .

وَدَبَّ الصَّرِيخُ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَدْعُو الْعَجْزَةَ وَالْقَادِرِينَ إِلَى الْوُقُوفِ فِي وَجْهِ  
هَذَا الْهَوْلِ<sup>(٤)</sup> الْقَادِمِ مِنَ الشَّرْقِ .

وَيَحْضُرُهُمْ عَلَى التَّصَدِّي لَهُ بِالْصُّدُورِ إِذَا عَزَبَتِ السُّيُوفُ .

وَيَدْعُوهُمْ إِلَى سَدِّ الطَّرِيقِ أَمَامَهُ بِالْأَجْسَادِ إِذَا انْعَدَمَ الْعَتَادُ<sup>(٥)</sup> .

فَاسْتَجَابَتْ «أُورُبَّا» لِدَعْوَةِ الدَّاعِي .

وَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى الْأَنْصِوَاءِ تَحْتَ لِيَوَاءِ «شَارْلَ مَارْتِلْ» وَمَعَهُمُ الشُّجْرُ ،  
وَالْحَجَرُ ، وَالسُّوْكُ ، وَالسَّلَاحُ .

\* \* \*

كَانَ الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ آنَذَاقَ قَدْ بَلَغَ مَدِينَةَ «تُور TOURS» طَلِيعَةَ مُدُنِ  
«فَرَنْسَا» وَفَرَّةً فِي الشُّكَّانِ ، وَقُوَّةً فِي الْبُنْيَانِ ، وَعِزَّةً<sup>(٦)</sup> فِي التَّارِيخِ ...

وَكَانَتْ الْمَدِينَةُ - فَوْقَ ذَلِكَ - تَخْتَالُ<sup>(٧)</sup> عَلَى أَكْثَرِ مُدُنِ «أُورُبَّا»  
بِكَيْسِيَّتِهَا الْفَخْمَةِ ، الصُّخْرَةِ ، الْعَامِرَةِ بِجَلِيلِ الْأَعْلَاقِ<sup>(٨)</sup> ، وَكَرِيمِ التَّقَايِسِ .

(١) LYON : مدينة في جنوب شرقي فرنسا على ملتقى الرون والسون وهي قاعدة محافظة الرون .

(٢) BESANCON : مدينة في شرق فرنسا على نهر دو قاعدة محافظة دو .

(٣) الدَّاهِمُ : المفاجئ .

(٤) الْهَوْلُ : الخطر المرعب .

(٥) الْعَتَادُ : كل ما أُعِدَّ من سلاح ودواب وآلة حرب .

(٦) عِزَّةٌ : قِيَمًا ومكانةً ورسماً .

(٧) تَخْتَالُ : تَجَرُّ وتبَاهِي .

(٨) الْأَعْلَاقُ : الآثار القديمة ، النفيسة الثمينة .

فَأَحَاطَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ إِحَاطَةً الْعُلُ<sup>(١)</sup> بِالْعُنَى ...  
وَانْصَبُوا عَلَيْهَا انْصِبَاتَ الْمُنُونِ إِذَا جَاءَ الْأَجَلُ ...  
وَاسْتَرْخَصُوا فِي سَبِيلِ افْتِتَاحِهَا الْأَرْوَاحَ وَالْمُهَجَّ ...  
فَمَا لَبِثَ أَنْ سَقَطَتْ يَنْ أَيْدِيهِمْ عَلَى مَرَأَى « شَارِلَ مَارْتِل » وَمَسْمَعِهِ ...

\* \* \*

وَفِي الْعَشْرِ الْأَخِيرَةِ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ ؛ زَحَفَ  
عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْغَافِقِيُّ بِجَيْشِهِ اللَّجِبِ عَلَى مَدِينَةِ « بُوَانِيَّة » POITIERS .  
وَهُنَاكَ التَقَى مَعَ مَجُوشِ أَوْرُبَا الْجَوَارَةِ بِقِيَادَةِ « شَارِلَ مَارْتِل » .  
وَوَقَعَتْ يَنْ الْفَرِيقَيْنِ إِحْدَى الْمَعَارِكِ الْفَاصِلَةِ لَا فِي تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ  
وَالْفَرَنْجَةِ فَحَسِبُ ...

وَأِنَّمَا فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا .  
وَقَدْ عُرِفَتْ هَذِهِ الْمَعْرَكَةُ بِمَعْرَكَةِ « بَلَاطِ الشُّهَدَاءِ » .

\* \* \*

كَانَ الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ يَوْمَئِذٍ فِي ذُرْوَةِ انْتِصَارَاتِهِ الْبَاهِرَةِ .  
لَكِنْ كَاهِلُهُ<sup>(٢)</sup> كَانَ مُثْقَلًا بِتِلْكَ الْعَنَائِمِ الَّتِي انْصَبَتْ عَلَيْهِ انْصِبَاتَ  
الْغَيْثِ ...

وَتَكَدَّسَتْ فِي أَيْدِي مَجُنُودِهِ تَكَدُّسَ السُّحُبِ ...  
وَقَدْ نَظَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْغَافِقِيُّ إِلَى هَذِهِ الثَّرْوَةِ الطَّائِلَةِ الْهَائِلَةِ نَظْرَةً قَلْبِي  
وَأَشْفَاقِي<sup>(٣)</sup> .

(٣) إشفاق : خوف وعذر .

(٢) كاهله : ظهره .

(١) العُل : التبدد .

وَتَوَجَّسَ<sup>(١)</sup> مِنْهَا خِيفَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ .  
فَقَدْ كَانَ لَا يَأْمُرُ أَنْ تَشْغَلَ هَذِهِ النَّفَاسُ قُلُوبَهُمْ عِنْدَ الْفَقَاءِ ...  
وَأَنْ تُوزَّعَ نُفُوسُهُمْ فِي لَحْظَاتِ الْبَاسِ<sup>(٢)</sup> ...  
وَأَنْ تَجْعَلَ إِحْدَى عَيْنِي الْوَاحِدِ مِنْهُمْ عَلَى الْعَدُوِّ الْمُقْبِلِ عَلَيْهِ ...  
وَعَيْنَهُ الْأُخْرَى عَلَى الْغَنَائِمِ الَّتِي فِي يَدَيْهِ ...  
وَلَقَدْ هَمَّ بِأَنْ يَأْمُرَ جُنُودَهُ بِالتَّخْلُصِ مِنْ هَذِهِ الشَّرَوَاتِ الطَّائِلَةِ الْهَائِلَةِ ...  
وَلَكِنَّهُ خَشِيَ أَلَّا تَطْلُبَ قُلُوبُهُمْ<sup>(٣)</sup> بِذَلِكَ الْقَرَارِ الْخَطِيرِ ...  
وَأَلَّا تَسْمَعَ نُفُوسُهُمْ بِالتَّخْلِي عَنْ ذَلِكَ الْكَثَرِ الثَّمِينِ .  
فَلَمْ يَجِدْ وَبَسِيلَةً خَيْرًا مِنْ أَنْ يَجْمَعَ هَذِهِ الْمَغَانِمَ فِي مُحْكِمَاتٍ خَاصَّةٍ ...  
وَأَنْ يَجْعَلَهَا وَرَاءَ الْمُعَسَّكَرِ قَبْلَ إِنْشَابِ<sup>(٤)</sup> الْقِتَالِ .

\* \* \*

وَقَفَ الْجَيْشَانِ الْكَبِيرَانِ بِضِعَةِ أَيَّامٍ كُلٌّ مِنْهُمَا قُبَالَةَ<sup>(٥)</sup> الْآخَرِ فِي سُكُونٍ ،  
وَتَرَقُّبٍ وَصَمْتٍ ، كَمَا تَقِفُ سِلْسِلَتَانِ مِنَ الْجِبَالِ إِحْدَاهُمَا فِي وَجْهِ الْأُخْرَى .  
فَقَدْ كَانَ كُلٌّ مِنَ الْجَيْشَيْنِ يَخْشَى بَأْسَ عَدُوِّهِ ، وَيَحْسِبُ لِلْقَائِيهِ أَلْفَ  
حِسَابٍ .

فَلَمَّا طَالَ الْوَقْتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ، وَوَجَدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْغَافِقِي

(١) تَوَجَّسَ خِيفَةً : أَحْشَى بِالْفَرَحِ .

(٢) الْبَاسُ : الشَّقَّةُ .

(٣) تَطْلُبُ قُلُوبُهُمْ : تَرْتَاحُ نُفُوسُهُمْ وَتَجُودُ أَيْدِيَهُمْ .

(٤) إِنْشَابُ الْقِتَالِ : إِثَارَةُ الْحَرْبِ .

(٥) قُبَالَةَ الْآخَرِ : فِي مَوَاجِهَةِ الْآخَرِ .

مَرَّاجِلَ<sup>(١)</sup> الْحَمِيَّةِ وَالْإِقْدَامِ تَغْلِي فِي صُدُورِ رِجَالِهِ ، آثَرُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْبَادِي  
بِالْهُجُومِ مُعْتَمِداً عَلَى مَنَاقِبِ<sup>(٢)</sup> جُنْدِهِ ...  
مُتَفَاتِلًا يَحْشِنُ طَالِعِهِ<sup>(٣)</sup> فِي النَّصْرِ .

\* \* \*

انْقَضَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ الْعَاقِبِيُّ بِفُرْسَانِهِ عَلَى صُفُوفِ الْفِرَنْجَةِ انْقِصَاصُ  
الْأَسْوَدِ الْكَاسِرَةِ .

وَصَمَدٌ لَهُمُ الْفِرَنْجَةُ صُمُودُ الْأَطْوَادِ<sup>(٤)</sup> الرَّاسِخَةِ .  
وَانْقَضَى الْيَوْمُ الْأَوَّلُ مِنْ أَيَّامِ الْمَعْرَكَةِ دُونَ أَنْ تَرْجِعَ فِيهِ كَفَّةٌ عَلَى  
كَفَّةٍ ...

وَلَمْ يَحْجُزْ بَيْنَ الْمُتَقَاتِلِينَ غَيْرُ هُبُوطِ الظُّلَامِ عَلَى مَيْدَانِ الْقِتَالِ ...  
ثُمَّ تَجَدَّدَ التَّرَالُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِي ، وَحَمَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْفِرَنْجَةِ  
حَمَلَاتٍ بَاسِلَةً ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَّالُوا مِنْهُمْ وَطَرًا<sup>(٥)</sup> .

وَطَلَّبَ الْمَعْرَكَةُ تَدَوُّرٌ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ طَوِيلَةٍ ثَقِيلَةٍ .  
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّامِنُ كَرَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَدُوِّهِمْ كَرَّةً وَاحِدَةً .  
فَفَتَحُوا فِي صُفُوفِهِ ثَغْرَةً كَبِيرَةً لَأَخَ لَهُمْ مِنْ خِلَالِهَا النَّصْرُ كَمَا يُلَوِّحُ صَوْنُ  
الصُّبْحِ مِنْ خِلَالِ الظُّلَامِ .

عِنْدَ ذَلِكَ أَغَارَتْ فِرْقَةٌ مِنْ كَتَائِبِ الْفِرَنْجَةِ عَلَى مُعَشَكَرَاتِ الْغَنَائِمِ .  
فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ أَنَّ غَنَائِمَهُمْ قَدْ أَوْشَكَتْ أَنْ تَقَعَ فِي أَيْدِي أَعْدَائِهِمْ .

(١) المَرَّاجِلُ : المَوَاقِدُ ، وَالْيَرْجُلُ : الْقِنَرُ أَيْضاً .

(٢) الْمَنَاقِبُ : الْمَزَايَا وَالْخِصَالُ الصَّالِحَةُ .

(٣) طَالِعُهُ : حِفْظُهُ .

(٤) الْأَطْوَادُ : الْجِهَالُ .

(٥) وَطَرًا : بَهْجَةً .



انكفأ<sup>(١)</sup> كثيرٌ منهم لِاستِخْلاصِهَا مِنْهُ .

فَتَصَدَّعَتْ لِذَلِكَ صُفُوفُهُمْ ...

وَتَضَعَضَعَتْ جُجُوعُهُمْ ...

وَذَهَبَتْ رِيحُهُمْ<sup>(٢)</sup> ...

فَهَبَ الْقَائِدُ الْعَظِيمُ يَعمَلُ عَلَى رَدِّ الْمُنْكَفِيينَ ...

وَمُدَّافِعَةَ الْمُهَاجِمِينَ ...

وَسَدَّ الثُّغُورِ<sup>(٣)</sup> ...

وَقِيَمًا كَانَ بَطْلُ الْإِسْلَامِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْغَافِقِيُّ يَذَرُّعُ أَرْضَ الْمَغْرَبَةِ عَلَى

صَهْوَةٍ<sup>(٤)</sup> جَوَادِيهِ الْأَشْهَبِ<sup>(٥)</sup> جَيْتَةً وَذَهَاباً ...

وَكُرًّا وَقَرًّا ...

أَصَابَهُ سَهْمٌ نَافِذٌ فَهَوَى عَنْ مَتْنِ فَرْسِهِ كَمَا يَهْوِي الْعَقَابُ<sup>(٦)</sup> مِنْ فَوْقِ وَعَمِ

الْجَبَالِ .

وَتَوَى صَرِيحاً شَهِيداً عَلَى أَرْضِ الْمَغْرَبَةِ .

فَلَمَّا رَأَى الْمُشْلِكُونَ ذَلِكَ عَمَّهُمُ الدُّعُورُ وَسَادَهُمُ الْإِضْطِرَابُ .

وَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِمْ وَطْأَةُ الْعَدُوِّ ، وَلَمْ يُوقِفْ بَأْسُهُ عَنْهُمْ إِلَّا حُلُولُ الظَّلَامِ .

\* \* \*

---

(١) انكفأ : تراجع .

(٢) ريحهم : قوتهم وغلبيتهم .

(٣) الثغور : الأماكن التي ينفذ منها العدو .

(٤) الصهوة : مقعد الفارس من الفرس .

(٥) الأشهب : الذي خالط بياضه سواده .

(٦) العقاب : طائر من الجوارح قوي الخالب ذو منقار أعفَفَ .... انظر كتاب « الصيد عند العرب » للمؤلف .

فَلَمَّا أَضْبَحَ الصُّبْحُ وَجَدَ « شَاوِلُ مَارْتِل » أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ انْتَحَبُوا مِنْ  
« بُوَاتِيَّة » .

فَلَمْ يَجْزُوا عَلَى مُطَارَدَتِهِمْ ...

وَلَوْ طَارَدَهُمْ لَأَقْتَاهُمْ .

ذَلِكَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُهُمْ مَكِيدَةً مِنْ مَكَايِدِ الْحَرْبِ ذُبُرَتْ (١)  
فِي لَيْلٍ ...

فَاتَرَ الْبَقَاءُ فِي مَوَاقِعِهِ مُكْتَفِيًا بِذَلِكَ النُّصْرِ الْكَبِيرِ .

لَقَدْ كَانَ يَوْمَ بَلَاطِ الشُّهَدَاءِ يَوْمًا حَاسِمًا فِي التَّارِيخِ .

أَصَاعَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ أَمَلًا مِنْ أَعَزِّ الْأَمَالِ ...

وَفَقَدُوا خِلَالَهُ بَطْلًا مِنْ أَعْظَمِ الْأَبْطَالِ ...

وَتَكَوَّرَتْ فِيهِ مَأْسَاءُ يَوْمٍ « أَحْمَد » (٢) ...

سُنَّةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ ...

وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ...

\* \* \*

هَزَّتْ أَنْبَاءُ فَاجِعَةِ يَوْمِ بَلَاطِ الشُّهَدَاءِ نُفُوسَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ هَزًّا  
غَنِيْفًا ...

وَزُلْزِلَتْ (٣) لِهَوْلِهَا أَهْدَتْهُمْ زَلْزَالًا شَدِيدًا ...

وَعَمَّ الْحُزْنَ يَسْتَبِيحُهَا كُلُّ مَدِينَةٍ ، وَكُلُّ قَرْيَةٍ ، وَكُلُّ بَيْتٍ .

(١) ذُبُرَتْ فِي لَيْلٍ : حَلَّةٌ أَحْمَلُ بِهَا يَرِيًّا .

(٢) لَقَدْ كَانَ الْحَرْصُ عَلَى الْغَنَامِ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَفِي يَوْمِ « أَحْمَد » سَبِيًّا فِي هَزْمَةِ الْمُسْلِمِينَ .

(٣) زُلْزِلَتْ : أُلْزِمَتْ .

وَمَا زَالَ يَجْرَحُهَا الْمَيْصُ<sup>(١)</sup> يَنْزِفُ<sup>(٢)</sup> مِنْ قُلُوبِهِمْ دَمًا حَتَّى الْيَوْمِ .

وَسَيَظَلُّ يَنْزِفُ مَا بَقِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مُسْلِمًا .

\* \* \*

وَلَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ هَذَا الْجُرْحَ الْعَمِيقَ الْغَائِرَ قَدْ أَمَضَ أَقْيَدَةُ الْمُسْلِمِينَ  
وَحَدَهُمْ .

وَأِنَّمَا سَارَكَهُمْ فِي ذَلِكَ طَائِفَةٌ مِنْ عُقَلَاءِ الْفِرَنْجَةِ .

رَأَوْا فِي انْتِصَارِ أَجْدَادِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي «بُوتَانِيَّة» مُصِيبَةً كُبْرَى  
زُرْتُ<sup>(٣)</sup> بِهَا الْإِنْسَانِيَّةُ .

وَحَسَارَةٌ عَظُمَى أَصَابَتْ «أُورُبَّا» فِي صَمِيمِهَا ...

وَنَكْبَةٌ جُلَى تُكِبَتْ بِهَا الْحَضَارَةُ .

وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَعَفَ عَلَى رَأْيِي بَعْضَ هَؤُلَاءِ فِي فَجِيعَةِ بَلَاطِ الشُّهَدَاءِ  
فَاسْتَمِعْ إِلَى «هَنْرِي دِي شَامْبُون» مُدِيرِ مَجَلَّةِ «رِيبي بَارلَمَنْتير» الْفَرَنْسِيَّةِ  
حَيْثُ قَالَ :

«لَوْلَا انْتِصَارُ جَيْشِ «شَارْلَ مَارْتِل» الْهَمْبُرْجِيِّ عَلَى الْعَرَبِ الْمُسْلِمِينَ فِي  
«فَرَنْسَا» لَمَّا وَقَعَتْ بِلَادُنَا فِي ظُلُمَاتِ الْقُرُونِ الْوَسْطَى<sup>(٤)</sup> ...»

وَلَمَّا أُصِيبَتْ بِقَطَاعِهَا .

وَلَا كَاتَبَتْ الْمَذَابِخَ الْأَهْلِيَّةَ الَّتِي دَفَعَ إِلَيْهَا التُّعَصُّبُ الدِّينِيُّ الْمَذْهَبِي ...

---

(١) المَيْصُ : الموضع .

(٢) يَنْزِفُ : يَقْطُرُ دَمًا .

(٣) زُرْتُك : فَجِئَتْ .

(٤) الْقُرُونِ الْوَسْطَى : وَهِيَ الْقُرُونُ الْمَظْلُومَةُ الَّتِي تَمْتَدُّ مِنْ سَنَةِ ٤٧٦ إِلَى سَنَةِ ١٥٠٠م .

نَعَمْ ، لَوْلَا ذَلِكَ الْإِنْتِصَارُ الْوَحْشِيُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي « بُوَانِيَّة » لَطَلَّتْ  
« إِسْبَانِيَا » نَتَعَمَّ بِسَمَاحَةِ الْإِسْلَامِ .

وَلَتَجَتْ مِنْ وَضْعَةِ مَحَاكِمِ التَّقْشِيشِ<sup>(١)</sup> .

وَلَمَّا تَأَخَّرَ سَيَرُ الْمَدِينَةِ ثَمَانِيَةُ قُرُونٍ .

وَمَهْمَا اخْتَلَفَتِ الْمَشَاعِرُ وَالْآرَاءُ حَوْلَ انْتِصَارِنَا ذَاكَ .

فَتَحْنُ مَدِينَتُونَ لِلْمُسْلِمِينَ بِكُلِّ مَحَامِدٍ حَضَارَتِنَا فِي الْعِلْمِ ، وَالْفَنِّ ،  
وَالصَّنَاعَةِ .

مَدْعُودُونَ لِأَن نَعْتَرِفَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَّالِ الْكَمَالِ الْبَشَرِيِّ .

فِي الْوَقْتِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ وَتَّالِ الْهَمَجِيَّةِ .

وَافْتِرَاءَ مَا نَدَّعِيهِ الْيَوْمَ مِنْ أَنَّ الزُّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ<sup>(٢)</sup> .

وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ وَصَلُوا فِي هَذَا الْعَصْرِ إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ فِي الْمَصُورِ

الْوُسْطَى « (٥) » .

---

(١) محاكم التقشيش : هي المحاكم التي عقدها فرديناند والملكة إيزابيلا للمسلمين في الأندلس وارتكبا فيها من  
الجرائم الإنسانية ما يندى له جبين التاريخ .

(٢) استدلر : قد عاد إلى ما كان عليه .

(٥) للاستزادة من أخبار عهد الوغشي التاريخي ووقته نواتيه انظر :

١ - ابن الأثير : ٦٤ / ٥ .

٢ - غزوات العرب : ٨٧ - ١٠٢ .

٣ - البيان المغرب : ٢٦ / ٢ - ٢٨ .

٤ - نفع الطيب : ٤٨٠ / ١ .

٥ - جمهرة الأنساب : ٣٠٩ .

٦ - علماء الأندلس لابن القزويني : ٢١٤ .

٧ - جلوة المتنبس : ٢٥٣ - ٢٥٥ .

# النَّجَاشِي

أَصْحَمَةُ بْنُ أَبَجَرٍ

«لَمَّا مَاتَ النَّجَاشِي كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ لَا يَزَالُ يُرَى عَلَى قَبْرِهِ نُورٌ...»  
[عَلِيشَةُ أُمُ الْمُؤْمِنِينَ]

عَلَمْنَا هَذَا تَابِعِي إِذَا ذُكِرَ التَّابِعُونَ...

صَحَابِي إِذَا عُذَّ الصَّحَابَةُ...

رَاسَلَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَرَاسَلَهُ النَّبِيُّ...

وَلَمَّا لَحِقَ بِالرُّفَيْقِ الْأَعْلَى<sup>(١)</sup> صَلَّى عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ صَلَاةَ الْغَائِبِ؛ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ عَلَى غَائِبٍ سِوَاهُ.

إِنَّهُ «أَصْحَمَةُ بْنُ أَبَجَرٍ» الْمَعْرُوفُ بِالنَّجَاشِيِّ<sup>(٢)</sup>، فَتَعَالَوْا نَقْضِ هَذِهِ  
الْلَّحْظَاتِ الْمُبَارَكَاتِ مَعَ هَذَا الْعَلَمِ<sup>(٣)</sup> الْفَذِّ مِنْ أَغْلَامِ الْمُسْلِمِينَ.

\* \* \*

كَانَ وَالِدُ «أَصْحَمَةَ» مَلِكًا «لِلْأَحْبَاشِ» وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ سِوَاهُ.

فَقَالَ بَعْضُ زُعَمَاءِ «الْحَبَشَةِ» لِبَعْضِ:

إِنْ مَلِكُنَا لَا وَلَدَ لَهُ غَيْرَ هَذَا الْعَلَامِ...

وَأَنَّ ذَلِكَ سَيَنْتُ فِي عَصْدِهِ<sup>(٤)</sup> وَهُوَ حَيٌّ، وَيَقْضِي عَلَى مُلْكِهِ إِذَا مَاتَ،  
وَيَسُوقُنَا إِلَى مَا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ<sup>(٥)</sup>.

(١) لَحِقَ بِالرُّفَيْقِ الْأَعْلَى: تَوَفَّى.

(٢) أَصْحَمَةُ: اسْمُهُ، وَالنَّجَاشِي: لَقَبٌ لَهُ وَلِلْمُلُوكِ الْحَبَشَةِ، مِثْلُ كَسْرَى: الْمَلِكِ الْفَرَسِ، وَتَمَصَر: الْمَلِكِ الرُّومِ.

(٣) الْعَلَمُ: سَيِّدُ الْقَوْمِ، وَالْفَذُّ: الْقَرْدُ.

(٤) سَيَنْتُ فِي عَصْدِهِ: يَضَعُهُ.

(٥) لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ: لَا يَمْشُرُ.

فَحَبَدًا لَوْ قَتَلْنَاهُ ، وَمَلَكْنَا أَخَاهُ ؛ فَإِنْ لَهُ اثْنِي عَشَرَ وَلَدًا يُوَارِثُونَهُ فِي حَيَاتِهِ ، وَيُورِثُونَهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ .

وَمَا زَالَ يُوسِسُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ، وَيَبْتَ فِي رُؤُوسِهِمْ مِنْ رُؤُوسِهِ (١) ، حَتَّى قَتَلُوا مَلَكَهُمْ ، وَبَايَعُوا أَخَاهُ مِنْ بَعْدِهِ .

\* \* \*

نَشَأَ « أَصْحَمَةُ » فِي كَنْفِ (٢) عَمِّهِ ، وَأَخَذَتْ بِرَاعِمِهِ تَتَفَتَّحُ عَنْ ذَكَاءِ لَامِعٍ ، وَحَزْمٍ رَائِحٍ ، وَيَبَانٍ مُشْرِقٍ ، وَشَخْصِيَّةٍ فُلْدِيَّةٍ .

حَتَّى مَلَأَ قَوَادَ عَمِّهِ إِعْجَابًا بِهِ ، وَتَقْدِيرًا لِحَزَائِيهِ ، وَتَفْضِيلًا لَهُ عَلَى أَهْنَائِهِ .  
ثُمَّ وَشَّسَ (٣) الشَّيْطَانُ مَرَّةً أُخْرَى لِسَادَةِ « الْأَخْبَاشِ » فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :

وَاللَّهِ إِنَّا لَنُخْشَى أَنْ يُفْضِيَ (٤) الْمَلِكُ إِلَى هَذَا الشَّابِّ .

وَلَيْنَ تَمَّ لَهُ ذَلِكَ ؛ لَيَنْتَقِمَنَّ مِنَّا شَرُّ انْتِقَامٍ ...

وَلَيَقْتُلُنَا أَجْمَعِينَ جَزَاءَ مَا قَتَلْنَا أَبَاهُ .

ثُمَّ مَضَوْا إِلَى الْمَلِكِ وَقَالُوا :

أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّا لَا تَطِيبُ نَفُوسُنَا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا ، إِلَّا إِذَا قَتَلْتَ « أَصْحَمَةَ » ، أَوْ أَخْرَجْتَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا ...

فَهَا هُوَ ذَا قَدْ شَبَّ ، وَإِنَّا لَنُخْشَى أَنْ يَنْتَقِمَ مِنَّا جَزَاءَ مَا قَتَلْنَا أَبَاهُ .

فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ : بِفَسِّ الْقَوْمِ أَنْتُمْ ...

(١) يَبْتَ فِي رُؤُوسِهِمْ مِنْ رُؤُوسِهِ : يَبْرِ مَخَافَتِهِمْ .

(٢) فِي كَنْفِ عَمِّهِ : فِي رِعَايَةِ عَمِّهِ وَحِرْزِهِ .

(٣) وَشَّسَ لَهُ : حَدَثَهُ الشَّيْطَانُ بِالشَّرِّ وَأَخْرَاهُ بِهِ .

(٤) يُفْضِي : يَتَهَيَّئُ .

لَقَدْ قَاتَلْتُمُ آبَاءَهُ بِالْأَمْسِ ، وَتَطْلُبُونَ مِنِّي أَنْ أَقْتُلَهُ الْيَوْمَ ۱۱...  
وَاللَّهُ لَا أَفْعُلُ .

فَقَالُوا : إِذَنْ نَأْخُذْهُ ، وَنَرْمِي بِهِ خَارِجَ بِلَادِنَا ...  
فَأَذَعَنَ <sup>(١)</sup> لَهُمْ عَلَى كُرْهِ مِنْهُ وَعَجْزٍ .

\* \* \*

لَمْ يَمْضِ عَلَى إِنْتِدَاءِ « أَصْحَمَةَ » غَيْرُ يَوْمٍ وَبَعْضِ يَوْمٍ حَتَّى وَقَعَ مَا لَمْ يَكُنْ  
فِي الْحُسْبَانِ .

فَلَقَدْ تَلَبَّدَ <sup>(٢)</sup> الْأَفْقُ بِالْغُيُومِ الدُّكَنِ ...  
وَهَاجَتِ السَّمَاءُ بِالصَّوَاعِقِ وَمَاجَتْ <sup>(٣)</sup> ...

ثُمَّ سَقَطَتْ إِخْدَاهَا عَلَى عَمِّهِ الْحَزِينِ عَلَى فِرَاقِهِ ، فَأَزْدَتْهُ قَتِيلًا ...  
فَهَبَ « الْأَخْبَاشُ » إِلَى أَوْلَادِ الْمَلِكِ ؛ لِيَعْتَدُوا إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِالْمُلْكِ ،  
فَلَمْ يَجِدُوا فِيهِمْ خَيْرًا .

فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْكَرْبُ <sup>(٤)</sup> ، وَصَاقَ فِي وُجُوهِهِمُ الْأَمْرُ .  
وَقَدْ زَادَهُمْ ضِيقًا وَكَرْبًا أَنْ بَعْضَ الشُّعُوبِ الْمُجَاوِرَةِ « لِلْحَبَشَةِ » ؛ هَمَّتْ  
بِأَنْ تَغْتَنِمَ الْفُرْصَةَ ، وَأَنْ تَغْزُو دِيَارَهُمْ ...  
فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَا يُقِيمُ أَمْرَكُمْ <sup>(٥)</sup> ، وَيَحْفَظُ مُلْكَكُمْ أَحَدٌ  
غَيْرُ ذَلِكَ الْفَتَى الَّذِي رَمَيْتُمْ بِهِ فِي الْأَمْسِ .

فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِي أَمْرِ « الْحَبَشَةِ » حَاجَةٌ <sup>(٦)</sup> فَأَذْرِكُوهُ ، وَأَعِيدُوهُ ...

(١) أذعن : انتقاد .

(٢) تلبَّد بالغيوم الدكن : تكاثفت عليه الغيوم .

(٣) هاجت وماجت : ثارت ، واضطربت .

(٤) الكرب : الحزن .

(٥) لا يقيم أمركم : لا يحقق غرضكم .

(٦) حاجة : أرب .

ثُمَّ خَرَجُوا فِي طَلَبِهِ ، وَأَعَادُوهُ إِلَى وَطَنِهِ ...  
وَوَضَعُوا عَلَى رَأْسِهِ التَّاجَ ، وَبَايَعُوهُ بِالْمُلْكِ ، وَدَعَوُهُ بِالنَّبَايِصِ .  
فَسَاسَ (١) الْبِلَادَ بِالْحُكْمَةِ (٢) وَالْحِكْمَةِ ...  
وَأَزَاحَ الْعِيَادَ مِنَ الْأَضْطِرَابِ وَالْفَوْضَى ...  
وَمَلَأَ « الْحَبَشَةَ » عَذْلًا وَخَيْرًا ؛ بَعْدَ أَنْ امْتَلَأَتْ ظُلْمًا وَشَرًّا ...

\* \* \*

لَمْ يَكِدِ النَّجَاشِيُّ يَسْتَقِرُّ عَلَى كُرْسِيِّ مُلْكِهِ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا  
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِدِينِ الْهُدَى وَالْحَقِّ ، وَأَخَذَ الْمَهْدِيُّونَ السَّابِقُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ  
يَسْتَجِيبُونَ لَهُ وَاحِدًا إِثْرَ (٣) آخَرَ ...

فَهَبَّتْ قُرَيْشٌ ثُلُحِقَ بِهِمُ الْأَذَى ، وَتَنَزَّلَ بِهِمُ الضُّرُّ (٤) .  
فَلَمَّا صَافَتْ عَلَيْهِمْ مَكَّةُ بِمَا رَحِبَتْ (٥) ، وَأَنْزَلَ بِهِمُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ  
الْأَذَى مَا يُزِيلُ (٦) الصُّبْحَ الصَّلَابَ (٧) ، قَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ  
عَلَيْهِ :

(إِنَّ فِي أَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ ...  
فَالْحَقُّوا بِلَادِهِ ، وَلَوْذُوا بِحِمَاهُ) (٨) ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ  
فَرْجًا ، وَيُهَيِّئَ لَكُمْ مِنْ ضَيْقِكُمْ مَخْرَجًا) (٩) .

\* \* \*

(١) سَاسَ الْبِلَادَ : دَبَّرَ أُمُورَ الْبِلَادِ .

(٢) الْحُكْمَةُ : الْحَيَرَةُ .

(٣) إِثْرُهُ : بَعْدُهُ .

(٤) الضُّرُّ : ضِدُّ النِّفْعِ .

(٥) رَحِبَتْ : وَجَبَتْ .

(٦) يُزِيلُ : يَرْجِفُ وَيُهَيِّئُ .

(٧) الصُّبْحُ الصَّلَابُ : الْجَبَالُ الرَّاسِيَةُ .

(٨) وَلَوْذُوا بِحِمَاهُ : ائْتَمَرُوا بِهِ .

(٩) مَخْرَجًا : مَخْلُصًا وَسَبِيلًا إِلَى الْخُرُوجِ .



مَضَى رَحْبُ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى أَرْضِ « الْحَبَشَةِ » .

وَكَانُوا ثَمَانِينَ بَيْنَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ .

فَتَدَوَّقُوا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ طَعْمَ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ ...

وَتَمَتَّعُوا بِخِلَافَةِ الثَّقَلَى وَالْعِبَادَةِ ؛ دُونَ أَنْ يُعَكِّرَ صَفْوُ عِبَادَتِهِمْ مُعَكِّرٌ ،  
أَوْ يُكَدِّرَ خِلَافَةَ إِيْمَانِهِمْ مُكَدِّرٌ .

لَكِنَّ قُرَيْشًا مَا كَادَتْ تَعْلَمُ بِرَجِيلِ هَذَا النَّفَرِ <sup>(١)</sup> الثَّمَانِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى  
أَرْضِ « الْحَبَشَةِ » ، وَاسْتِقْرَارِهِمْ فِيهَا ... حَتَّى هَبَّتْ تَائِجِرُ <sup>(٢)</sup> بِهِمْ لِتَقْضِي  
عَلَيْهِمْ ، أَوْ تَسْتَرِدَّهُمْ إِلَى مَكَّةَ .

\* \* \*

أَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النُّجَاشِيِّ رَجُلَيْنِ مِنَ الْأَفْدَاذِ <sup>(٣)</sup> رِجَالِهَا ذُكَاءٌ وَخُنُكَةٌ <sup>(٤)</sup> .

هُمَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ <sup>(٥)</sup> ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ .

وَبَعَثَتْ مَعَهُمَا بِهَذَاتَا وَفِيرَةً لِلنُّجَاشِيِّ وَبَطَارِقَتَيْهِ <sup>(٦)</sup> مِمَّا كَانُوا  
يَسْتَطْرِفُونَهُ <sup>(٧)</sup> مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ .

فَلَمَّا قَدِمَا « الْحَبَشَةَ » بَادَرَا إِلَى لِقَاءِ الْبَطَارِقَةِ قَبْلَ أَنْ يَلْقُوا النُّجَاشِيَّ .

وَدَفَعَا إِلَى كُلِّ بَطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ ، وَقَالَا لَهُ :

(١) النفر : الجماعة .

(٢) تائجر بهم : يأمر بعضها بعضاً بقطوعهم .

(٣) الأفذاذ : سادة القوم ومعاتهم .

(٤) الخُنُكَةُ : الحكمة والبهاء .

(٥) عمرو بن العاص : انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشروعة .

(٦) البطارقة : جمع بطريق وهو القائد وفوز الرتبة .

(٧) يستطرفونه : يرغبون فيه ويجعلونه حديثاً .

إِنَّهُ قَدْ حَلَّ فِي أَرْضِكُمْ غِلْمَانٌ مِنْ سُفَهَائِنَا؛ صَبَّئُوا<sup>(١)</sup> عَنْ دِينِ آبَائِهِمْ  
وَأَجْدَادِهِمْ، وَمَزُقُوا كَلِمَةَ قَوْمِهِمْ...

فَإِذَا كَلَّمْنَا الْحَلِكَ فِي أَمْرِهِمْ؛ فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا دُونَ أَنْ  
يَسْأَلَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَإِنْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ أَبْصُرْ بِهِمْ...  
وَأَعْلَمْ بِمَا يَدَيُّونَ.

\* \* \*

دَخَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَسَجَدَا  
لَهُ كَمَا كَانَ يَسْجُدُ لَهُ قَوْمُهُ.

فَرَحَّبَ بِهِمَا النَّجَاشِيُّ أَجْمَلَ تَرْجِيْبٍ لِمَا كَانَ يَبْتَغِي وَبَيْنَ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ  
مِنْ وَدِّ سَابِقٍ.

ثُمَّ قَدَّمَا لَهُ الْهَدَايَا مَشْفُوعَةً<sup>(٢)</sup> بِتَحِيَّاتِ كِبَارِ رِجَالِ مَكَّةَ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ  
«أَبُو سُفْيَانَ»<sup>(٣)</sup> زَعِيمُ قُرَيْشٍ.

فَاسْتَظَرَفَ<sup>(٤)</sup> هَدَايَاهُمْ وَأَعْجَبَ بِهَا.

ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ أَوْىَ إِلَى مَمْلَكَتِكَ نَفَرٌ مِنْ أَشْرَارِ  
غِلْمَانِنَا<sup>(٥)</sup> قَدْ فَارَقُوا دِينَنَا، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ...

وَجَاءُوا بِدِينٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ، وَلَا نَعْرِفُونَهُ أَنْتُمْ...

وَقَدْ بَعَثْنَا أَشْرَافَ قَوْمِنَا يَسْأَلُونَكَ أَنْ تَرُدَّهُمْ إِلَيْنَا...

فَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا اهْتَدَعُوا<sup>(٦)</sup> مِنْ دِينٍ، وَمَا أَخَذْنَاهُ مِنْ فِتْنَةٍ.

(١) صَبَّئُوا: عرجوا.

(٢) مشفوعة: مقرونة.

(٣) أبو سُفْيَانَ: زعيم من زعماء قُرَيْشٍ في الجاهلية، وسيد من ساداتهم في الإسلام.

(٤) استظرف هداياهم: استحسنها. (٥) الغلمان: الصبيان. (٦) اهتدعوه: اخترعوه.

فَنَظَرَ التَّجَاشِي إِلَى بَطَارِقَتِهِ ؛ فَقَالُوا :

صَدَقَ أَهْمَا الْمَلِكُ ، فَإِنَّا لَمْ نَقِفْ عَلَى دِينِهِمُ الَّذِي اسْتَعَدُّوهُ ...

وَإِنْ قَوْمُهُمْ أَذْرَى بِهِمْ مِنَّا ، وَأَعْلَمُ بِمَا ابْتَدَعُوهُ .

فَقَالَ التَّجَاشِي :

لَا وَاللَّهِ لَا أَسْلِمُهُمْ لِأَحَدٍ حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَهُمْ ، وَأَقِفَ عَلَى عَقِيدَتِهِمْ .

فَإِنْ كَانُوا عَلَى شَرٍّ أَسْلَمْنَاهُمْ لِقَوْمِهِمْ ...

وَإِنْ كَانُوا عَلَى خَيْرٍ حَمَيْتُهُمْ وَأَحْسَنْتُ جَوَارَهُمْ مَا دَامُوا فِي بِلَادِي ...

ثُمَّ أَرَدَفَ <sup>(١)</sup> يَقُولُ :

إِنِّي - وَاللَّهِ - لَا أَتَسَى فَضْلَ اللَّهِ عَلَيَّ ...

فَلَقَدْ رَدَدْنِي إِلَى أَرْضِي ، وَحَمَانِي مِنْ تَكْيِيدِ الْكَائِدِينَ لِي ...

وَصَانَنِي مِنْ بَغْيِ الْبَاغِينَ عَلَيَّ .

\* \* \*

دَعَا التَّجَاشِي الصَّحَابَةَ إِلَى لِقَاءِ بَنِي قَوْمِهِمْ عِنْدَهُ ...

فَأَوْجَسُوا <sup>(٢)</sup> خِيفَةً مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :

مَا تَقُولُونَ لَهُ إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ؟ .

فَقَالَ مُقَدِّمُهُمْ : نَقُولُ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ ...

وَنُعَلِّمُ مَا جَاءَنَا بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ رَبِّهِ .

ثُمَّ مَضَوْا إِلَيْهِ ؛ فَوَجَدُوا عِنْدَهُ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ...

(١) أردف : تبع .

(٢) أوجسوا خيفة : شعروا بالخوف .

وَأَلْفُوا بِطَارِقَتِهِ جَالِسِينَ عَنْ يَمِينِهِ ، وَعَنْ شِمَالِهِ .

وَقَدْ اغْتَجِرُوا<sup>(١)</sup> فَلَا يَنصَهُم...

وَنَشْرُوا كُتُبَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ .

فَحَيَّوْهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَجَلَسُوا حَيْثُ انْتَهَى بِهِمُ الْمَجْلِسُ .

فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَقَالَ :

مَا لَكُمْ لَا تَسْجُدُونَ لِلْمَلِكِ ؟ .

فَقَالُوا: إِنَّا لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ .

فَهَزَّ النَّجَاشِيُّ رَأْسَهُ إِعْجَابًا بِمَا قَالُوا، وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ فِي رَفَقٍ وَقَالَ:

مَا هَذَا الَّذِي اسْتَحْدَثْتُمُوهُ<sup>(٢)</sup> لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ دِينٍ، وَفَارَقْتُمْ بِسَبَبِهِ دِينَ

قَوْمِكُمْ ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي ۙ ۱۹ .

فَاسْتَأْذَنَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (٣) وَقَالَ :

أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّا لَمْ نَسْتَخِذْ لِنَفْسِنَا دِينًا، وَإِنَّمَا جَاءَنَا مُحَمَّدٌ بِنُ

عَبْدِ اللَّهِ، مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ يَدِينُ الْهُدَى وَالْحَقَّ، وَأَخْرَجَنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النور...

فَلَقَدْ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ<sup>(٤)</sup>، وَنَأْكُلُ

الْمَيْتَةَ، وَتَأْتِي الْفَوَاحِشَ<sup>(٥)</sup>، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ، وَيَطِشُ الْقَوِيُّ مِنَّا بِالضَّعِيفِ.

وَلَقَدْ بَيَّنَّا عَلَىٰ حَالِنَا تِلْكَ حَتَّىٰ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ،

(۱) اعتجروا فلانسهم: تقموا بما يضعونه على رؤوسهم.

(۲) استعدادهای شما: ابتدا بنویسید.

(٣) انظره في كتاب «صور من حياة الصحابة» للمؤلف، الناشر دار الأدب الإسلامي، الطبعة المشروعة.

(٤) نَقَطَعَ الْأَرْحَامَ: نَهَجَرْنَا أَهْلَنَا، وَنَقَطَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا.

(٥) الفواحش: جمع فاحشة، وهي الكبيرة من الذنوب.

وَنَقِي بِصِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ وَعِفَّتِهِ ؛ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ ، وَأَمَرَنَا بِعِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ ...  
وَحَضَّنَا عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِتْيَاءِ الزُّكَاةِ ، وَصُومِ رَمَضَانَ ، وَأَنْ نَخْلَعَ<sup>(١)</sup>  
مَا كُنَّا نَعْبُدُهُ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ .  
كَمَا أَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ  
الْجَوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ ، وَصُومِ الدَّمَاءِ ...  
وَنَهَانَا عَنْ إِثْنَيْنِ الْفَوَاحِشِ ، وَقَوْلِ الزُّورِ<sup>(٢)</sup> ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ ...  
فَصَدَّقْنَاهُ ، وَأَمَّنَّا بِرِسَالَتِهِ ، وَاتَّبَعْنَا مَا جَاءَ بِهِ ...  
وَجَعَلْنَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا ، وَأَحْلَلْنَا  
مَا أَحَلَّ لَنَا .  
فَمَا كَانَ مِنْ قَوْمِنَا إِلَّا أَنْ عَدُوا<sup>(٣)</sup> عَلَيْنَا ، وَأَنْزَلُوا بِنَا أَشَدَّ الْعَذَابِ ؛  
لِيَقْتُلُونَا<sup>(٤)</sup> عَنْ دِينِنَا ، وَيُؤْثِرُونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ بَعْدَ أَنْ عَبَدْنَا الْوَاحِدَ الدِّينَانَ<sup>(٥)</sup> .  
فَلَمَّا قَهَرُونَا ، وَظَلَمُونَا ، وَصَبَّحُوا عَلَيْنَا ، وَحَالُوا<sup>(٦)</sup> بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا .  
رَغِبْنَا فِي اللُّجُوءِ إِلَى جَوَارِكَ ، وَالْإِقَامَةِ فِي دِيَارِكَ .  
وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ ، وَرَجَوْنَا<sup>(٧)</sup> أَلَّا نُظْلَمَ عِنْدَكَ .  
فَقَالَ لَهُ التَّجَابِشِيُّ : هَلْ مَعَكَ شَيْءٌ مِمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ عَنْ رَبِّهِ ؟  
قَالَ : نَعَمْ .

(١) نخلع : نبرأ .

(٢) الزور : الباطل والكذب .

(٣) عدوا علينا : ظلمونا واضطهدونا .

(٤) قتلهم عن دينه : أضله .

(٥) الدينان : اسم من أسماء الله عز وجل ، وهو المحاسب والمجازي .

(٦) حالوا بيننا : أثنوا .

(٧) رجونا : أئنا .

قَالَ : فَأَقْرَأَهُ عَلَيَّ .

فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ ، وَكَانَ مِمَّا قَرَأَهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ <sup>(١)</sup> مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا <sup>(٢)</sup> .  
فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا <sup>(٣)</sup> ...

فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا <sup>(٤)</sup> فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا <sup>(٥)</sup> .

قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ <sup>(٦)</sup> مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا .

قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا <sup>(٧)</sup> .

قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ <sup>(٨)</sup> وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا <sup>(٩)</sup> .

قَالَ كَذَلِكِ <sup>(١٠)</sup> قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا  
وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا .

فَحَمَلَتْهُ فَاتَّخَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا .

فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ <sup>(١١)</sup> إِلَى جُذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا  
وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا .

فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا <sup>(١٢)</sup> ﴿ <sup>(١٣)</sup> .

(١) اتَّخَذَتْ : اِتَّخَذَتْ وَانْفَرَدَتْ .

(٢) شَرْقِيًّا : مِنْ جِهَةِ مَشْرِقِ الشَّمْسِ .

(٣) مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا : مِنْ دُونِ أَهْلِهَا سِتْرًا يَشْتَرِيهَا هُنَّ .

(٤) مِنْ رُوحِنَا : أَيُّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٥) تَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا : فَبَدَأَ لَهَا فِي صُورَةِ رَجُلٍ مُتَّحِلٍ الْخَلْقَةِ .

(٦) أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ : أَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ .

(٧) زَكِيًّا : طَاهِرًا مُطَهَّرًا بِرِيحٍ مِنَ الذُّنُوبِ .

(٨) لَمْ يَمَسَّنِي بَشَرٌ : لَمْ يَقْرُبْ مِنِّي إِنْسَانٌ .

(٩) وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا : لَمْ أَكُنْ مُقَارَفَةً لِلزَّهْوِ .

(١٠) قَالَ كَذَلِكِ : قَالَ لَهَا جِبْرِيلُ إِنَّ الْأَمْرَ كَمَا تَقُولِينَ . (١١) فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ : أَيُّ الْجَأَاءُ الطَّلَقُ .

(١٢) فَجَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا : صَغِيرٌ تَشْرَبُ مِنْهُ الْمَاءُ .

(١٣) سورة مريم : مِنَ الْآيَةِ ١٦ - ٢٤ .

فَبَكَى النَّجَاشِيُّ حَتَّى اخْضَلَّتْ (١) لَيْحَتُهُ ...

وَبَكَى أَسَافَتُهُ حَتَّى بَلَّلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا ثَلَّى عَلَيْهِمْ ...

وَهُنَا التَّمَّتِ النَّجَاشِيُّ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَصَاحِبِهِ وَقَالَ :

إِنَّ هَذَا الَّذِي ثَلَّى عَلَيْنَا ، وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عَيْسَى ، لَيُخْرِجَانِي مِنْ مِشْكَاةٍ (٢) وَاجِدَةٍ .

ثُمَّ قَالَ لَهُمَا :

وَاللَّهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمَا أَبَدًا ، وَلَا أُحْمِلُ (٣) عَلَى ذَلِكَ مَا حَيْثُ ...

ثُمَّ نَهَضَ قَائِمًا فَتَنَهَضَ مَنْ كَانَ مَعَهُ ، وَانْقَضَ الْمَجْلِسُ .

\* \* \*

خَرَجَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَهُوَ يَمْتَحِرُ (٤) مِنَ الْغَيْظِ ...

ثُمَّ قَالَ لِصَاحِبِهِ : وَاللَّهِ لَا لَأَقِينَ النَّجَاشِيَّ عَدَاً ، وَلَا أُحْدِثُهُ عَنْهُمْ حَدِيثًا يَجْعَلُ (٥) شَجَرَتَهُمْ ، وَتَقْضِي عَلَيْهِمْ .

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ - وَكَانَ أَرْقَ مِنْهُ قَلْبًا - : لَا تَفْعَلْ يَا عَمْرُو ...

فَإِنَّ لَهُمْ فِينَا أَرْحَامًا ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا .

فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أُخْبِرُهُ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ شَيْئًا ...

وَكُتُمُوا شَيْئًا ... وَأَنَّهُمْ يَتَأَلَوْنَ (٦) مِنْهُ ، وَيَقُولُونَ عَنْهُ أَنَّهُ عَبْدٌ .

فَلَمَّا كَانَ الْعَدَدُ دَخَلَ عَمْرُو عَلَى النَّجَاشِيِّ ، وَقَالَ :

(١) اخضلت : نهدت واطلعت .

(٢) المِشْكَاةُ : كَوْزٌ غَيْرُ نَافِلَةٍ ، أَوْ مِنْ مَعْدِنٍ وَاحِدٍ . (٥) يَجْعَلُ شَجَرَتَهُمْ : يَقْطَعُ شَجَرَتَهُمْ مِنْ أَصُولِهَا .

(٣) لَا أُحْمِلُ : لَا أَثْقِلُ بِذَلِكَ . (٦) يَتَأَلَوْنَ مِنْهُ : يَهْمُونَهُ .

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَقَدْ أَسْمَعُوكَ بِالْأَمْسِ شَيْئًا وَأَخَفُوا عَنْكَ شَيْئًا ...  
فَهُمْ يَقُولُونَ عَنْ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ أَنَّهُ عَبْدٌ ...

فَدَعَاهُمُ النَّجَاشِيُّ وَقَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ؟  
فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

نَقُولُ فِيهِ مَا جَاءَنَا بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .  
فَقَالَ : وَمَا الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ ؟

فَقَالَ جَعْفَرُ :

إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَرَسُولُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ<sup>(١)</sup> .

فَقَالَ النَّجَاشِيُّ : وَاللَّهِ مَا خَرَجَ عِيسَى عَمَّا قُلْتَ قِيدَ<sup>(٢)</sup> أَنْمَلَةٍ .

فَتَنَاحَرَ<sup>(٣)</sup> الْبَطَارِقَةُ مِنْ حَوْلِهِ مُسْتَنَكِرِينَ قَوْلَهُ .

فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ شَزْرًا<sup>(٤)</sup> وَقَالَ : وَإِنْ تَنَاحَرْتُمْ .

ثُمَّ قَالَ لِيَجْعَفِرَ وَمَنْ مَعَهُ :

اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ آيَتُونَ فِي أَرْضِي ...

مَنْ نَالَ مِنْكُمْ غَرِيمٌ<sup>(٥)</sup> ...

مَنْ نَالَ مِنْكُمْ غَرِيمٌ ...

وَإِنِّي مَا أُحِبُّ أَنْ أُعْطِيَ جَبَلًا مِنْ ذَهَبٍ ، وَأُوذِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ .

(١) البتول : الطاهرة النقية ، وهو يطلق على مريم العذراء .

(٢) قِيدَ أَنْمَلَةٍ : مقدار رأس الإصبع .

(٣) تناحر البطارقة : كلم بعضهم بعضاً وأخرجوا من أفواههم أصواتاً كريهة .

(٤) شَزْرًا : النظر بمؤخرة العين حال الغضب أو السخيرة . (٥) غريم : غرس .



ثُمَّ قَالَ لِحُجَّابَيْهِ :

رُدُّوْا عَلَی عَمْرِو وَصَاحِبِهِ هَذَانِهُمَا ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا ، وَإِنَّ اللَّهَ مَا أَخَذَ مِنِّي رِشْوَةً حِينَ رَدَّنِي إِلَى مُلْكِي حَتَّى أَخَذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ ...  
وَمَا أَطَاعَ النَّاسُ فِي أَمْرِي حَتَّى أُطِيعَهُمْ فِي أَمْرِهِ .

\* \* \*

هَبَّ الْبَطَارِقَةُ يُغْلِثُونَ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ النَّجَاشِي قَدْ فَارَقَ دِينَهُ ، وَاسْتَبَدَلَ بِهِ دِيناً آخَرَ ...

وَطَفِقُوا يَدْعُوْنَهُمْ إِلَى خَلْعِهِ ...

فَتَنَالَبَ (١) « الْأَحْبَاشُ » عَلَيْهِ ، وَعَزَمُوا عَلَی نَقْضِ بَيْعَتِهِ .  
فَأَرْسَلَ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابِهِ يُخْبِرُهُمْ بِالْأَمْرِ .  
وَأَعَدَّ لَهُمْ سُفُنًا .

وَقَالَ لَهُمْ :

ارْكَبُوهَا وَاسْتَعِدُّوا لِمَا سَتَخْدُثُ ...

فَإِنْ هَزِمْتُمْ ؛ فَاْمْضُوا حَيْثُ شِئْتُمْ ...

وَإِنْ ظَفِرْتُمْ ؛ فَاسْتَقِرُّوا كَمَا كُنْتُمْ .

ثُمَّ أَخْصَرَ رَقًّا (٢) مِنْ جِلْدِ الْعَزَالِ وَكَتَبَ فِيهِ :

« أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَرُوحُهُ ، وَكَلِمَتُهُ الَّتِي أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ » .

(١) تَأَلَّبُوا عَلَيْهِ : تَجَمَّعُوا عَلَيْهِ ، وَحَشَدُوا لَهُ .

(٢) الرَّقْعُ : جِلْدٌ رَقِيقٌ يُكْتَبُ فِيهِ .

ثُمَّ حَزَمَ الرُّقَّ عَلَى صَدْرِهِ، وَلَيْسَ فَوْقَهُ قِبَاةُهُ<sup>(١)</sup>، وَمَضَى إِلَى لِقَاءِ  
الْخَارِجِينَ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا عَدَا أَمَامَهُمْ نَادَاهُمْ قَائِلًا :

يَا مَعْشَرَ « الْحَبَشَةِ » كَيْفَ رَأَيْتُمْ سِيرَتِي فِيكُمْ ؟ .

فَقَالُوا : خَيْرَ سِيرَةٍ .

قَالَ : فَمَا الَّذِي أَثَارَكُمْ عَلَيَّ ؟ .

فَقَالُوا : لَقَدْ فَارَقْتَ دِينَنَا ، وَزَعَمْتَ أَنَّ عِيسَى عَبْدٌ .

قَالَ : مَا تَقُولُونَ أَنتُمْ فِي عِيسَى ؟ .

فَقَالُوا : هُوَ ابْنُ اللَّهِ .

فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى قِبَايِهِ ، وَجَعَلَهَا فَوْقَ الرُّقِّ وَقَالَ :

وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا شَيْئًا [ وَهُوَ يَغْنِي مَا كَتَبَهُ فِي الرُّقِّ ] .

فَسُرُّوا بِمَا قَالَ ، وَانْفَضُّوا<sup>(٢)</sup> رَاضِينَ مُطْمَئِنِّينَ .

\* \* \*

وَقَفَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَا كَانَ بَيْنَ التُّجَابِيَّيْنِ وَقَوْمِهِ .

وَأَكْبَرَ رِعَايَتَهُ لِلْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى دِيَارِهِ ، وَأَطَاعُوا فِي جَوَارِهِ .

وَلَقَدْ سُرَّ بِمَا نُقِلَ إِلَيْهِ مِنْ انْجِيَاذِهِ لِلإِسْلَامِ ، وَاعْتِقَادِهِ بِصِحَّةِ مَا جَاءَ فِي

الْقُرْآنِ .

ثُمَّ أَخَذَتْ الصَّلَاتُ تَتَعَمَّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَتَتَوَلَّى .

وَفِي الشَّهْرِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ لِلْهِجْرَةِ ، عَزَمَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ عَلَى

(١) القباة: ثوب يلبس فوق الثياب كالملطف . (٢) انفضوا: تفرقوا .

دَعْوَةُ سَيِّئَةٍ مِنْ عُظَمَاءِ مُلُوكِ الْأَرْضِ وَأُمَرَائِهَا ؛ لِلدُّخُولِ فِي دِينِ اللَّهِ .

فَكَتَبَ لِكُلِّ مِنْهُمْ رِسَالَةً يَحْضُرُ فِيهَا عَلَى الْإِسْلَامِ .

وَيُؤَيِّدُ لَهُ الْإِيمَانَ ، وَيُحَذِّرُهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالشُّرُكِ .

وَكَانَ قَدْ أَعَدَّ لِهَذَا الْغَرَضِ سَيِّئَةً مِنْ خِيَرَةِ الصُّحَابَةِ .

فَتَعَلَّمَ كُلٌّ مِنْهُمْ لُغَةَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَيَمْنِيهِ إِلَيْهِمْ ...

ثُمَّ خَرَجُوا لِأَدَاءِ هَذِهِ الْمِهْمَةِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ .

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمَرِيُّ هُوَ الَّذِي أُوْفِدَ إِلَى مَلِكِ ( الْحَبَشَةِ ) .

\* \* \*

دَخَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ عَلَى التَّجَابِشِيِّ ، وَحَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ ، فَزِدَ التَّحِيَّةَ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ، وَرَحَّبَ بِهِ أَجْمَلَ تَرْحِيبٍ .

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَجْلِسُ قَدَّمَ لِلتَّجَابِشِيِّ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

فَبَادَرَ إِلَى قَضَائِهِ (١) ... فَوَجَدَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَيَتْلُو عَلَيْهِ شَيْعًا مِنَ الْقُرْآنِ .

فَوَضَعَ التَّجَابِشِيُّ الْكِتَابَ عَلَى عَيْنَيْهِ إِجْلَالًا لَهُ ...

وَنَزَلَ عَنْ سَرِيرِهِ تَوَاضَعًا لِمَا جَاءَهُ فِيهِ ...

ثُمَّ أَعْلَنَ إِسْلَامَهُ عَلَى مَلَأَ (٢) مِنْ جَلَالِيهِ ...

وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، وَقَالَ :

(٢) عَلَى مَلَأَ : عَلَى مشهد جماعة .

(١) قَضَاهُ : فَحَمَهُ .

لَوْ كُنْتُ أَشْتَطِيعُ أَنْ آتِي مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَذَهَبْتُ إِلَيْهِ ...  
وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ...

وَتَمَرَّغْتُ<sup>(١)</sup> عَلَى قَدَمَيْهِ ...

ثُمَّ كَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ رِسَالَةً رَقِيقَةً ؛ يُجِيبُهُ فِيهَا إِلَى  
دَعْوَتِهِ ...

وَيُعَرِّبُ عَنْ إِيْمَانِهِ السَّابِقِ بِنُبُوَّتِهِ ...

عِنْدَ ذَلِكَ أَخْرَجَ عَفْرُو بْنُ أُمَيَّةَ كِتَابًا آخَرَ مِنَ الرُّسُولِ ﷺ إِلَى الثَّجَابِيِّ  
يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى أَنْ يُزَوِّجَهُ مِنْ رَمْلَةٍ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ .

وَالْأَمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَمْلَةُ الْمُكَنَّاةِ « يَا أُمَّ حَبِيبَةَ » قِصَّةٌ حَزِينَةٌ فِي بَدَايِئِهَا ...  
فَرِحَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ فِي نَهَائِئِهَا .

فَتَعَالَوْا نُلِمُّ بِهَا إِلْمَامًا سَرِيعًا<sup>(٢)</sup> ...

\* \* \*

كَفَرَتْ رَمْلَةُ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ بِآلِهَةِ أَبِيهَا سَيِّدِ قُرَيْشٍ ...

وَأَمَنَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ بِاللَّهِ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ...  
وَصَدَّقَتْ رِسَالَةَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

فَأَرْهَقَتْهُمَا قُرَيْشٌ مِنْ أَمْرِهِمَا عَشْرًا ...

وَأَنْزَلَتْ بِهِمَا أَشَدَّ الْعَذَابِ حَتَّى بَاتَا لَا يُطِيقَانِ الْبَقَاءَ فِي مَكَّةَ .

فَكَانَا فِي عِدَاةِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى اللَّهِ بِدِينِهِمْ ، اللَّاحِظِينَ إِلَى الثَّجَابِيِّ  
بِإِيْمَانِهِمْ .

(١) تمرغت: وضعت رأسي على قدميه .

(٢) للاستزادة من أخبار رَمْلَةٍ وزوجها: انظر كتاب « صور من حياة الصحابات » للمؤلف .

فَلَقِينَا عِنْدَهُ مَا لَقِينَهُ إِخْوَانُهُمُ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ كَرَمِ الْوِفَادَةِ ، وَحُسْنِ  
الْجَوَارِ .

حَتَّى لُحِيلَ لِأُمِّ حَبِيبَةَ أَنَّ الْأَيَّامَ قَدْ صَفَتْ لَهَا بَعْدَ عُيُوسٍ <sup>(١)</sup> .

إِذْ لَمْ تَكُنْ تَقْلَمُ مَا حَبَّاتُهُ لَهَا الْمَقَادِيرُ .

فَلَقَدْ شَاءَ اللَّهُ تَبَارَكَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يَمْتَحِنَ أُمُّ حَبِيبَةَ امْتِحَانًا قَاسِيًا  
تَطِيشُ <sup>(٢)</sup> فِيهِ الْعُقُولُ .

ذَلِكَ أَنَّ زَوْجَهَا عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ قَدْ ارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ وَتَنَصَّرَ ، وَجَعَلَ  
يَهْزَأُ بِالْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .

ثُمَّ أَكَبَ <sup>(٣)</sup> عَلَى حَانَاتِ الْحَمَارَيْنِ ، يُعَاقِرُ أُمَّ الْحَبَابِثِ <sup>(٤)</sup> ؛ فَلَا يَزِيدُ  
مِنْهَا وَلَا يَنْسُبُ .

وَقَدْ خَيْرَهَا بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَخْلَاهُمَا مَرٌّ ...

فَإِذَا أَنْ تُطْلَقَ ...

وَإِذَا أَنْ تَنْتَصِرَ ...

\* \* \*

وَجَدَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ نَفْسَهَا بَيْنَ ثَلَاثِ ...

فَإِذَا أَنْ تَسْتَجِيبَ لِرِزْوَجِهَا فَتَنْتَصِرَ ؛ وَبِذَلِكَ تَبْوؤُ بِخِزْيِ الدُّنْيَا ، وَعَذَابِ  
الْآخِرَةِ ...

---

(١) العيوس : التقطيل والبشاعة .

(٢) تطيش : تذهب .

(٣) أكب على الشيء : أقبل عليه ولزمه .

(٤) يعاقر أم الحبابث : يشرب الخمر ، وقد دعت بأمر الحبابث لأنها تعود شارها إلى ضروب من الشر .

وَلَمَّا أَنْ تَعُودَ إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا فِي مَكَّةَ ، وَهُوَ مَا زَالَ قَلْعَةَ الشُّرُكِ ...  
وَلَمَّا أَنْ تَبْقَى فِي بِلَادِ « الْحَبَشَةِ » وَحِيدَةً شَرِيدَةً ، وَمَعَهَا ابْنَتُهَا الصَّغِيرَةُ  
حَبِيبَةُ .

فَاتَّزَتْ رَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ ...  
وَأَزْمَعَتْ (١) الْبَقَاءَ فِي « الْحَبَشَةِ » حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِفَرْجٍ مِنْ عِنْدِهِ .

\* \* \*

لَمْ تَطُلْ مَأْسَاءُ أُمِّ حَبِيبَةَ كَثِيرًا  
فَلَقَدْ قَضَى زَوْجُهَا نَحْبَهُ وَهُوَ مَسْكِرَانُ مَحْمُورٍ ...  
ثُمَّ إِنَّهَا مَا إِنْ أَتَمَّتْ عِدَّتَهَا مِنْهُ حَتَّى أَتَاهَا الْفَرْجُ .  
فَقِي ذَاتَ ضُحَى فُضِّي السَّنَا بَهِي الْقَسَمَاتِ ... طُرِقَ عَلَيْهَا الْبَابُ ، فَلَمَّا  
فَتَحَتْهُ ، فَوَجَّثَ بِأَثَرِهِ وَصِيفَةٍ (٢) النَّجَاشِيِّ وَهِيَ تُحَيِّيهَا وَتَقُولُ لَهَا :  
إِنَّ الْمَلِكَ يُهْدِيكَ السَّلَامَ ، وَتَقُولُ لَكَ :  
إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَطَبَكَ لِنَفْسِهِ ...  
وَوَكَّلَهُ أَنْ يَفْقِدَ لَهُ عَلَيْكَ ...

فَوَكَّلِي عَنْكَ مَنْ تُرِيدِينَ إِذَا شِئْتَ .  
فَاسْتَطَارَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ فَرَحًا ... وَهَتَفَتْ :

بَشْرِكِ اللَّهَ بِالْخَيْرِ ...

بَشْرِكِ اللَّهَ بِالْخَيْرِ ...

(١) أَلْزَمَتْ : حَزَمَتْ .  
(٢) الْوَصِيفَةُ : الْمِرْثَلَةُ الَّتِي تَقْرَأُ فِي تَقْرِيرِ الْحُدُودِ .

ثُمَّ قَالَتْ : لَقَدْ وَكَّلْتُ عَنِّي خَالِدَ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ (١).

فَهُوَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيَّ فِي هَذِهِ الدِّيَارِ .

\* \* \*

وَفِي قَصْرِ النُّجَاشِيِّ ، اجْتَمَعَ الصُّحَابَةُ الْمُقِيمُونَ فِي « الْحَبَشَةِ » لِيَشْهَدُوا  
عَقْدَ أُمِّ حَبِيبَةَ عَلَى الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا اكْتَمَلَ الْجَمْعُ حَمِدَ النُّجَاشِيُّ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ ... فَإِنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ طَلَبَ مِنِّي أَنْ أُزَوِّجَهُ رَمْلَةً  
بِنتِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَأَجَبْتُهُ إِلَى مَا طَلَبَ .

وَأَمْرُهَا (٢) نِيَابَةٌ عَنْهُ أَرْبَعِيائَةِ دِينَارٍ ذَهَبًا عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

ثُمَّ قَامَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَاسْتَعَانَ بِهِ ، وَصَلَّى وَسَلَّم  
عَلَى نَبِيِّهِ ثُمَّ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ ... فَقَدْ أَجَبْتُ طَلَبَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ...

وَزَوَّجْتُهُ مُوَكَّلَتِي رَمْلَةً بِنتِ أَبِي سُفْيَانَ ...

فَبَارَكَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ فِي زَوْجَتِهِ ...

وَهَنِيئًا لِرَمْلَةٍ بِمَا أَخْطَأَهَا (٣) اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ .

\* \* \*

أَعَدَّ النُّجَاشِيُّ مَسْفِيتَيْنِ مِنْ سُفْيَانِ ...

(١) انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المخرودة .

(٢) أمهرتها : أعطيتها صداقها ، والصدائق : ما يعطى للمرأة من المال مهرًا لها .

(٣) أخطاها : منحها وأكرمها وعرضها .

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَمْلَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ وَابْنَتُهَا حَبِيبَةُ ، وَمَنْ بَقِيَ  
عِنْدَهُ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

كَمَا أَرْسَلَ مَعَهُمْ طَائِفَةً مِنْ « الْأَخْبَاشِ » الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ...  
وَتَشَوَّقُوا لِلِقَاءِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ ، وَأَزْكَى السَّلَامِ ...  
وَالْتَمَلَى <sup>(١)</sup> مِنْهُ ...

وَالصَّلَاةَ خَلْفَهُ ...

وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ .  
ثُمَّ أَهْدَى إِلَى رَمْلَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعَ مَا عِنْدَ نِسَائِهِ مِنْ نَفِيسِ الطِّيبِ ،  
وَالْوَرَسِ ، وَالْعُودِ ، وَالْعَنْبَرِ <sup>(٢)</sup> .

كَمَا حَمَلْتُهُمْ بَعْضَ الْهَدَايَا إِلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .  
وَكَانَ فِي مَجْمَلَةٍ مَا أَهْدَاهُ إِلَيْهِ ثَلَاثُ عِصِيٍّ مِنْ زَوَائِعِ عِصِيٍّ « الْحَبَشَةِ » .  
فَأَتَمَّتْكَ الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يَوَاحِدَةٍ مِنْهَا .

أَمَّا الثَّانِيَةُ وَالثَّالِثَةُ ؛ فَأَهْدَاهُمَا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ  
رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا .

وَقَدْ كَانَ بِلَالٌ <sup>(٣)</sup> رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، يَمْشِي بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ بِالْعَصَا الَّتِي  
اسْتَبَقَاهَا لِنَفْسِهِ ... وَتَرَكُوزَهَا أَمَامَهُ إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ...

وَذَلِكَ فِي الْأَمَّاكِينِ الَّتِي لَا يَكُونُ فِيهَا مَسْجِدٌ وَلَا بِنَاءٌ يُحَدِّدَانِ الْقِبْلَةَ .

(١) التَّمَلَّى مِنْهُ : التَّمَتُّعُ بِهِ أَمَلًا طَوِيلًا .

(٢) الْوَرَسُ ، وَالْعُودُ ، وَالْعَنْبَرُ : أَنْوَاعٌ مِنَ الطِّيبِ .

(٣) بِلَالُ بْنُ رِيَاحٍ : انْظُرْ فِي كِتَابِ « صُورٌ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ » لِلدُّوَلَفِ ، النَّاشِرِ دَارَ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ ، الطَّبَعَةُ  
الْمَشْرُوعَةُ .



وَفِي أَسْفَارِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَفِي الْعِيدَيْنِ ، وَفِي صَلَاةِ الْإِسْتِشْقَاءِ .

وَقَدْ ظَلَّ بِلَالٌ يَمْشِي بِهَا يَنْزِي أَيْبَى بَكْرِ الصَّدِّيقِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا آلَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَإِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ مِنْ بَعْدِهِ ؛ مَشَى بِهَا يَنْزِي أَيْدِيَهُمَا « سَعْدُ الْقَرِظِيِّ » .

ثُمَّ تَتَابَعَ الْخُلَفَاءُ عَلَى ذَلِكَ زَمَنًا طَوِيلًا .

كَمَا أَهْدَى النَّجَاشِيُّ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِلْيَةً فِيهَا خَاتَمٌ مِنْ

ذَهَبٍ ...

فَاتَّخَذَهُ ، وَإِنَّهُ لَمُعْرِضٌ عَنْهُ .

ثُمَّ أَرْسَلَهُ إِلَى « أُمَامَةَ » ابْنَتِ بَنِيهِ زَيْنَبَ ، وَقَالَ لَهَا :

( تَحْلِي بِهَذَا مَا بُنِيَتْ ) .

\* \* \*

وَقُبَيْلَ فَتْحِ مَكَّةَ بِقَلِيلٍ انْتَقَلَ النَّجَاشِيُّ إِلَى جَوَارِ رَجُلِهِ .

فَدَعَا الرَّسُولَ ﷺ الصُّحَابَةَ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَقَالَ :

( إِنَّ أَخَاكُمْ « أَصْحَمَةَ » النَّجَاشِيَّ قَدْ تُوُفِّيَ فَصَلُّوا عَلَيْهِ ) .

ثُمَّ أَمَّهُمْ ؛ فَصَلُّوا عَلَيْهِ صَلَاةَ الْغَائِبِ .

مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يُصَلِّ عَلَى غَائِبٍ قَبْلَ النَّجَاشِيِّ ،

وَلَا بَعْدَهُ .

\* \* \*

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ « أَصْحَمَةَ » النَّجَاشِيِّ ، وَأَرْضَاهُ ...

وَجَعَلَ جَنَاتِ الْخُلْدِ مَقْوَاهُ .  
فَلَقَدْ قَوَّيَ الْمُسْلِمِينَ السَّابِقِينَ مِنْ ضَعْفٍ ...  
وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ ...  
وَابْتَغَى فِي ذَلِكَ مَرْضَاةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ (\*).

(\*) للاستزادة من أخبار الشجائي انظر:

- ١ - السيرة النبوية لابن هشام: ٣٥٦/١، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٩ و ٣٣٢/٢.
- ٢ - ٣/٤ - ٢٩٥، ١٠.
- ٣ - أعلام النبلاء للذهبي: ٨١، ١٢٣، ٢٥١.
- ٤ - تاريخ خليفة: ٩٩١.
- ٥ - أسد الغابة: ١/١١٩.
- ٦ - تهذيب الأسماء واللغات: ٢٨٧/٩.
- ٧ - مجمع الزوائد: ٩/٤١٩.
- ٨ - الإصابة: ١/١٠٩ أو الترجمة (٤٧٣).

# رُفَيْعُ بْنُ مِهْرَانَ

أَبُو الْعَالِيَةِ

«لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِالْقُرْآنِ بِقَدِّ الصَّحَابَةِ مِنْ أَبِي الْعَالِيَةِ،  
ثُمَّ يَلِيهِ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ»

[أَبُو بَكْرٍ بْنُ دَاوُدَ]

رُفَيْعُ بْنُ مِهْرَانَ الْمُكَنَّى بِأَبِي الْعَالِيَةِ عَلَّمَ مِنْ أَعْلَامِ الْمُسْلِمِينَ...  
وَرَأَيْتُهُ مِنْ زَوَائِعِ الْقُرَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ.  
كَانَ مِنْ أَعْلَمِ التَّابِعِينَ يَكْتُابُ اللَّهُ...  
وَأَذَرَاهُمْ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...  
وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ، وَالتَّنْغُذِ إِلَى أَغْوَارِهِ<sup>(١)</sup>...  
وَأَعَمَّتِهِمْ فِي إِذْرَاكِ مَرَامِيهِ<sup>(٢)</sup> وَأَسْرَارِهِ.  
فَتَعَالَوْا نَبْدَأْ حَيَاتَهُ مِنْ أَوَّلِهَا.  
فَحَيَاتُهُ غَنِيَّةٌ بِزَوَائِعِ الْمَوَاقِفِ وَالصُّوَرِ...  
خَافِلَةٌ بِتَمِيمِ الْعِطَافِ وَالْعَبَرِ...

\* \* \*

وُلِدَ رُفَيْعُ بْنُ مِهْرَانَ فِي بِلَادِ «فَارِسٍ»، وَعَلَى أَرْضِهَا نَشَأَ وَتَرَعَّرَ، وَلَمَّا  
شَرَعَ الْمُسْلِمُونَ بِغَزْوِ بِلَادِ «الْفُرْسِ» لِيُخْرِجُوا أَهْلَهَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...  
كَانَ رُفَيْعٌ هَذَا أَحَدَ الشُّبَّانِ الْأَرْقَاءِ الَّذِينَ وَقَعُوا فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ  
الْحَايَةِ<sup>(٣)</sup>، وَأُلُوا إِلَى رِجَالِهِمُ الْحَيَّةِ الْبَازِيَّةِ.

(٣) الحَايَةُ: الرحمة الشفوقة.

(٢) مَرَامِيهِ: مقاصده.

(١) أَغْوَارُهُ: أصفاهه.

ثُمَّ مَا لَيْتَ أَنْ وَقَفَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى سُمُوءِ الْإِسْلَامِ ...

وَوَازَنُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ...

فَطَفِقُوا يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ...

ثُمَّ أَقْبَلُوا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ...

وَجَعَلُوا يَتَمَلَّوْنَ<sup>(١)</sup> مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ...

\* \* \*

حَدَّثَ رُفِيعٌ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ وَمَا آلَ إِلَيْهِ ، قَالَ :

وَقَعْتُ أَنَا وَتَفَرَّقَ مِنْ بَنِي قَوْمِي أَسَارَى فِي أَيْدِي الْمُجَاهِدِينَ ، ثُمَّ مَا لَيْفْنَا أَنْ  
عَدَوْنَا مَعْلُوكِينَ لِبَطَائِفَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي « الْبَصْرَةِ » .

فَلَمْ يَمُضِ عَلَيْنَا طَوِيلٌ وَقَبَ حَتَّى آمَنَّا بِاللَّهِ ، وَتَعَلَّقْنَا بِحِفْظِ كِتَابِ اللَّهِ ...

وَكَانَ مِنَّا مَنْ يُؤَدِّي الضَّرَائِبَ<sup>(٢)</sup> لِمَالِكِيهِ ، وَمِنَّا مَنْ يَقُومُ عَلَى

خِدْمَتِهِمْ ...

وَكُنْتُ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ .

فَكُنَّا نَحْتِمُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كُلَّ لَيْلَةٍ مَرَّةً ، فَشَقُّ<sup>(٣)</sup> عَلَيْنَا ذَلِكَ ...

فَجَعَلْنَا نَحْتِمُهُ مَرَّةً كُلَّ لَيْلَتَيْنِ ، فَشَقُّ عَلَيْنَا أَيْضًا ...

فَجَعَلْنَا نَحْتِمُهُ كُلَّ ثَلَاثٍ ، فَشَقُّ عَلَيْنَا لِمَا كُنَّا نُعَانِيهِ مِنْ جُهْدٍ فِي

النَّهَارِ ...

---

(١) يَتَمَلَّوْنَ : يَشْعُرُونَ .

(٢) الضَّرَائِبُ : جَمْعُ ضَرْبَةٍ وَهِيَ مَبْلَغٌ مِنَ اللَّالِ يَدْفَعُهُ الْإِنْسَانُ نَظِيرَ خِلْمَةٍ تَوْدِي لَهُ ، أَوْ إِعْفَاةٍ مِنْ مَهْمَةٍ وَاجِبَةٍ عَلَيْهِ .

(٣) شَقُّ : صَمَبٌ .

وَسَهَرٍ فِي اللَّيْلِ ...

فَلَقِينَا بَعْضَ أَصْحَابِ الرُّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَشَكَّوْنَا لَهُمْ مِمَّا  
نُكَابِدُهُ مِنَ السَّهَرِ فِي قِرَاءَةِ كِتَابِ اللَّهِ .

فَقَالُوا : اخِيْمُوهُ كُلُّ جُمُعَةٍ مَرَّةً ؛ فَأَخَذْنَا بِمَا أُرْسِدُونَا إِلَيْهِ ...  
وَجَعَلْنَا نَقْرَأُ الْقُرْآنَ طَرَفًا مِنَ اللَّيْلِ ، وَنَتَأَمَّ طَرَفًا آخَرَ مِنْهُ .  
فَلَمْ يَشُقَّ عَلَيْنَا بَعْدَ ذَلِكَ .

\* \* \*

وَلَقَدْ آلَ<sup>(١)</sup> رُفَيْعُ بْنُ مِهْرَانَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي « تَمِيمٍ » .  
وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ سَيِّدَةً رَصَانًا رَزَانًا<sup>(٢)</sup> ...  
مُفْعَمَةً<sup>(٣)</sup> تُقَى وَإِسْمَانًا ...

فَكَانَ يَخْدُمُهَا بَعْضُ النَّهَارِ ، وَيَتَوَخَّعُ فِي بَعْضِهِ الْآخَرِ .  
فَاتَّقَنَ الْقِرَاءَةَ وَالكِتَابَةَ فِي أَوْقَاتِ فَرَاغِهِ ، وَتَلَقَّى خِلَالَهَا طَرَفًا مِنْ عُلُومِ  
الدِّينِ ، دُونَ أَنْ يَنَالَ ذَلِكَ سَيِّقًا مِنْ حُقُوقِهَا عَلَيْهِ .

\* \* \*

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْجُمُعِ<sup>(٤)</sup> تَوَضَّأَ رُفَيْعٌ ؛ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ .  
ثُمَّ اسْتَأْذَنَ سَيِّدَتَهُ بِالْانْصِرَافِ .  
فَقَالَتْ : إِلَى أَهْنٍ تَا رُفَيْعُ ؟  
فَقَالَ : ابْتَغِي الْمَسْجِدَ .

(٣) مفعمة : مثقلة .

(٤) أيام الجمع : جمع مفردة الجمعة .

(١) آل : انتَهَى لِمَرْءٍ .

(٢) رصاناً رزاناً : رصينة عاقلة وقوراً .

فَقَالَتْ : أَيُّ الْمَسَاجِدِ تُرِيدُ ؟ .

فَقَالَ : الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ <sup>(١)</sup> .

فَقَالَتْ : هَيَّا بِنَا .

ثُمَّ مَضَيْنَا مَعًا ، وَدَخَلَا الْمَسْجِدَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَا تُرِيدُ .  
فَمَا إِنِ امْتَلَأَ الْجَامِعُ ، وَارْتَفَى الْإِمَامُ الْمُنِيرُ حَتَّى أَمْسَكَتْ بِيَدِ رُفِيعٍ ،  
وَقَالَتْ :

اشْهَدُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَنِّي أَعْتَقْتُ غُلَامِي هَذَا رَغْبَةً فِي ثَوَابِ اللَّهِ ...  
وَلَمَعًا بِعَقْوِهِ وَرِضَاهُ ...

وَأَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ إِلَّا سَبِيلَ الْمَعْرُوفِ .

ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَقَالَتْ :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْخِرُهُ عِنْدَكَ لِيُزِمَ لَا يَنْفَعُ فِيهِ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ...  
وَلَمَّا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ ، انْطَلَقَ رُفِيعٌ إِلَى سَبِيلِهِ ، وَانْطَلَقْتُ هِيَ الْأُخْرَى إِلَى  
سَبِيلِهَا أَيْضًا .

\* \* \*

دَأْبَ رُفِيعُ بْنُ مِهْرَانَ مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى التَّرَدُّدِ إِلَى الْحَدِيثَةِ الْمُنُورَةِ .

فَحَظِيظِي بِلِقَاءِ الصُّدِّيقِ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ قُبَيْلَ وَقَاتِهِ بِقَلِيلٍ .

كَمَا سَعَدَ بِالْاجْتِمَاعِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ  
الْقُرْآنَ ، وَصَلَّى خَلْفَهُ .

\* \* \*

---

(١) الجامع : المسجد الذي تقام فيه صلاة الجمعة .

وَكَمَا أَكْبَرُ وَفُتِحَ الْمُكَلِّي بِأَيِّ الْعَالِيَةِ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ؛ فَقَدْ تَعَلَّقَ بِحَدِيثِ  
رَسُولِ اللَّهِ ...

فَجَعَلَ يَسْمَعُ رِوَايَتَهُ مِنَ التَّابِعِينَ الَّذِينَ كَانَ يَلْقَاهُمْ فِي «الْبَصْرَةِ» .  
لَكِنَّهُ مَا لَبِثَ أَنْ طَمَحَتْ (١) نَفْسُهُ لِمَا هُوَ أَثْبَتُ (٢) مِنْ ذَلِكَ .

فَأَخَذَ يَمْضِي إِلَى الْمَدِينَةِ جِينًا بَعْدَ جِينٍ ؛ لِيَسْمَعَهُ مِنْ أَقْوَامِ صَحَابَةِ  
الرَّسُولِ ﷺ أَنْفُسِهِمْ ؛ حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ  
إِلَّا شَخْصٌ وَاحِدٌ هُوَ الصَّحَابِيُّ .

فَأَخَذَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَأُتْبِي بْنِ كَعْبٍ ، وَأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ،  
وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعَبِيدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ (٣) ، وَغَيْرِهِمْ وَغَيْرِهِمْ ...

\* \* \*

وَلَمْ يَقْتَصِرْ أَبُو الْعَالِيَةِ عَلَى رِوَاةِ الْحَدِيثِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُتَوَرَّةِ .  
وَأِنَّمَا كَانَ يَنْشُدُ حَدِيثَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي كُلِّ مَكَانٍ .  
فَإِذَا وَصَفَ لَهُ رَجُلٌ بِالْعِلْمِ ؛ ضَرَبَ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْإِبِلِ (٤) مَهْمَا كَانَ يَبْعِدُ  
الدَّارَ ، نَائِيِي الْحَزَارِ .

فَإِذَا وَصَلَ إِلَيْهِ بَادَرَ فَصَلَّى خَلْفَهُ .

فَإِذَا وَجَدَهُ لَا يُتِمُّنُ صَلَاتَهُ أَحْسَنَ الْإِتْقَانِ ...

وَلَا يُؤْفِقُهَا حَقَّقَهَا أَكْمَلَ التَّوْفِيقِ ؛ أَعْرَضَ عَنْهُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

(١) طمحت نفسه : ارتقت نفسه وشمخت .

(٢) أثبت : أشدُّ ثبوتًا وأقوى صيغَةً .

(٣) انظرهم في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشرقة .

(٤) ضرب إليه أكباد الإبل : قطع إليه المسافات البعيدة .

إِنَّ الَّذِي يَتَهَاوَنُ فِي صَلَاتِهِ يَكُونُ أَشَدَّ تَهَاوُنًا فِي غَيْرِهَا ...  
ثُمَّ يَحْمِلُ عَصَاهُ، وَيَعُودُ مِنْ حَيْثُ جَاءَ ...

\* \* \*

وَلَقَدْ بَلَغَ أَبُو الْعَالِيَةِ مَنْزِلَةً فِي الْعِلْمِ فَاقَى بِهَا جَمِيعَ أَقْرَانِهِ ...  
مِنْ ذَلِكَ أَنَّ أَحَدَ أَصْحَابِهِ قَالَ :  
رَأَيْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ يَتَوَضَّأُ، وَالْمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ وَجْهِهِ وَيَدَيْهِ .  
وَالطَّهَارَةُ تَنَالُنِي<sup>(١)</sup> عَلَى كُلِّ غُضْبٍ مِنْ أَعْضَائِهِ ...  
فَحَيِّيتُهُ وَقُلْتُ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ، وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ .  
فَقَالَ يَا أَبِيعِي :

لَيْسَ الْمُتَطَهِّرُونَ الَّذِينَ يَتَطَهَّرُونَ بِالْمَاءِ مِنَ الدَّرَنِ<sup>(٢)</sup> ...  
وَأِنَّمَا هُمْ الَّذِينَ يَتَطَهَّرُونَ بِالتَّقْوَى مِنَ الذُّنُوبِ .  
فَقَامَلْتُ مَا قَالَهُ، وَأَذْرَكْتُ أَنَّهُ أَصَابَ وَأَخْطَأْتُ، وَقُلْتُ :  
جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، وَزَادَكَ عِلْمًا وَفَهْمًا .

\* \* \*

وَلَقَدْ ذَابَ أَبُو الْعَالِيَةِ عَلَى حَضِّ النَّاسِ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، وَجَعَلَ يَرْسُمُ  
لَهُمْ سُبُلَ الْوُضُوءِ إِلَيْهِ، فَيَقُولُ :  
رَوْضُوا<sup>(٣)</sup> أَنْفُسَكُمْ عَلَى تَلْقَى الْعِلْمِ، وَأَكْثِرُوا مِنَ السُّؤَالِ عَنْهُ .  
وَاعْلَمُوا أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَخْفِضُ جَنَاحَيْهِ لِمُسْتَحٍ، أَوْ مُتَكَبِّرٍ .  
فَالْمُسْتَحِي لَا يَسْأَلُ لِحَيَاتِهِ ...

(٣) رَوْضُوا : ذَلَّلُوا وَطَوَّعُوا .

(٢) الدَّرَنِ : الْوَسْخُ .

(١) هَالَكُنِي : تَلْعَمُ، وَتَهْرَقُ .



وَالْمُتَكَبِّرُ لَا يَسْأَلُ لِكِبْرِيَّائِهِ .

وَكَانَ يَحْضُ طُلَابُهُ عَلَى تَعْلُمِ الْقُرْآنِ ، وَرِعَايَتِهِ ، وَالِاسْتِمْسَاكِ بِمَا جَاءَ فِيهِ ، وَالْإِعْزَاضِ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُتَقُولُونَ<sup>(١)</sup> ...

فَيَقُولُ : تَعْلَمُوا الْقُرْآنَ ...

فَإِذَا تَعْلَمْتُمُوهُ ، فَلَا تَرْغَبُوا عَنْهُ ...

وَعَلَيْكُمْ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فَإِنَّهُ الْإِسْلَامُ ...

وَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْأَهْوَاءُ<sup>(٢)</sup> ؛ فَإِنَّهَا تُوقِعُ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ .

وَلَا تَحِيدُوا عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَنْفَرُوا ...

فَتَقُولُوا ذَلِكَ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ<sup>(٣)</sup> فَقَالَ :

لَقَدْ نَصَحْتُكُمْ أَبُو الْعَالِيَةِ - وَاللَّهِ - وَصَدَقَكُمْ .

\* \* \*

كَمَا كَانَ يَوْمَئِذٍ لِطُلَابِ الْعِلْمِ الطَّرِيقَ الْأَمْثَلَ لِحِفْظِ الْقُرْآنِ ، فَيَقُولُ :

تَعْلَمُوا الْقُرْآنَ خَمْسَ آيَاتٍ خَمْسَ آيَاتٍ ؛ فَإِنَّهُ أَيْسَرُ عَلَى أَذْهَانِكُمْ ...

وَأَقْوَى عَلَى أَفْهَامِكُمْ ...

فَإِنْ جَبُرَيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَنْزِلُ بِهِ عَلَى النَّبِيِّ خَمْسَ آيَاتٍ ، خَمْسَ آيَاتٍ .

\* \* \*

(١) يتقوله المتقولون : يتدعه المتدعون .

(٢) الأهواء : البغى وما تميل إليه الأفكار مما لا يوافق ما جاء في كتاب الله ، وحدث رسول الله ﷺ .

(٣) الحسن البصري : انظره ص ٩٥ .

وَلَمْ يَكُنْ أَبُو الْعَالِيَةِ مُعَلِّماً فَحَسِبَ ، وَإِنَّمَا كَانَ مُوجِّهًا أَيْضاً ...

ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَمْلَأُ عُقُولَ تَلَامِيذِهِ بِالْمَعْرِفَةِ النَّافِعَةِ ...

وَيُعْذِّي أَفْعِدَتَهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ...

وَيَجْمَعُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ .

مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ لَهُمْ :

إِنَّ اللَّهَ قَضَى عَلَى نَفْسِهِ : أَنْ مَنْ آمَنَ بِهِ هَدَاهُ ...

وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وَأَنْ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ...

وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وَأَنْ مَنْ أَقْرَضَهُ <sup>(٣)</sup> جَارَاهُ ...

وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ :

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وَأَنْ مَنْ دَعَاهُ أَجَابَهُ ...

وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَتْ كَلِمَتُهُ :

(١) سورة التَّوْبَةِ : آيَةُ ١١ .

(٢) حَسْبُهُ : مَعْطَاهُ وَكَافَاهُ .

(٣) سورة الطَّلَاقِ : آيَةُ ٣ .

(٤) أَقرضه : تَصَدَّقَ عَلَى النَّاسِ طَلْعاً بِرِضَاهُ .

(٥) سورة الْبَقَرَةِ : آيَةُ ٢٤٥ .

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

وَكَانَ يَقُولُ لِتَلَامِيذِهِ :

اغْمَلُوا بِالطَّاعَةِ ، وَأَقْبِلُوا عَلَى الْمُطِيعِينَ لِبَطَاعَتِهِمْ ...

وَاجْتَنِبُوا الْمَغْصِبَةَ ، وَعَادُوا الْغَصَاةَ لِمَغْصِبَتِهِمْ ...

ثُمَّ كَلَّمُوا أَمْرَ الْغَصَاةِ إِلَى اللَّهِ ؛ فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ ، وَإِنْ شَاءَ عَفَرَ لَهُمْ .

وَإِذَا سَمِعْتُمْ الرَّجُلَ يَرْفَعُ مِنْ شَأْنٍ نَفْسِهِ فَيَقُولُ :

إِنِّي أُحِبُّ فِي اللَّهِ ، وَأَكْرَهُ فِي اللَّهِ ...

وَأَنْفَصِلُ كَذَا مَرْضَاةً لِلَّهِ ، وَأُعْرِضُ عَنْ كَذَا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ ...

فَلَا تَعْتَدُوا<sup>(٢)</sup> بِهِ .

\* \* \*

وَلَمْ يَكُنْ أَبُو الْعَالِيَةِ عَالِمًا غَامِلًا فَحَسِبَ ، وَلَا وَاِعْظًا مُزِيدًا فَقَطَّ .

وَإِنَّمَا كَانَ مُجَاهِدًا أَيْضًا ...

فَكَانَ يَقْضِي قَدْرًا مِنْ وَقْتِهِ فِي مَيَادِينِ الْجِهَادِ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ ...

أَوْ مُرَابِطًا عَلَى تُغُورِ الْأَعْدَاءِ مَعَ الْمُرَابِطِينَ ...

وَلَقَدْ آثَرَ<sup>(٣)</sup> أَنْ يُشْرِقَ فِي جِهَادِهِ وَأَنْ يَمْرُوبَ ... فَحَارَبَ « الرُّومَ » فِي بِلَادِ

الشَّامِ ، كَمَا حَارَبَ « الْفُرْسَ » فِي بِلَادِ مَا « وَرَاءَ النَّهْرِ »<sup>(٤)</sup> ...

(١) سورة البقرة : آية ١٨٦ .

(٤) بلاد ما وراء النهر : هي البلاد الواقعة وراء نهر

(٢) فلا تعتدوا به : فلا تلتفتوا إلى ما يقول .

جيهون ، وهي من أعصاب بلاد الدنيا .

(٣) آثر : فضل ورغب .

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ الْأَذَانَ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ .

\* \* \*

وَلَمَّا نَشِبَ الْقِتَالُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ... كَانَ لِأَبِي الْعَالِيَةِ مِنْهُ مَوْقِفٌ حَدَّثَنَا عَنْهُ فَقَالَ :

لَمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ كُنْتُ مُمْتَلِقًا حَيَوِيَّةً وَنَشَاطاً ...  
وَكَانَ الْقِتَالُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْعَاءِ الْبَارِدِ فِي الْيَوْمِ الْقَائِظِ .  
فَتَجَهَّزْتُ بِجِهَازٍ ثُمَّ أَتَيْتُهُمْ ؛ فَإِذَا بِي أَمَامَ صَفَيْنِ مَا يُدْرَى طَرَفَاهُمَا (١) ...  
إِذَا كَبِيرٌ هَوْلَاءِ كَبِيرٌ هَوْلَاءِ ...  
وَإِذَا هَلَلٌ (٢) هَوْلَاءِ هَلَلٌ هَوْلَاءِ .  
فَرَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي وَقُلْتُ :  
أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَعَدُّهُ كَافِرًا وَأَحْمِلُ عَلَيْهِ ؟ ...  
وَأَيُّهُمَا أَعَدُّهُ مُؤْمِنًا وَأَجَاهِدُ مَعَهُ ؟  
ثُمَّ تَرَكْتُهُمَا وَانْصَرَفْتُ ...

\* \* \*

وَلَقَدْ ظَلَّ أَبُو الْعَالِيَةِ طَوَالَ حَيَاتِهِ أَشْوَانَ (٣) أَمِيفًا لِأَنَّهُ لَمْ يَخْطَ يَلْقَاءِ  
الرُّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ...  
وَكَانَ يُحَاوِلُ أَنْ يُعَوِّضَ عَنْ ذَلِكَ بِالتَّقَرُّبِ مِنْ كِرَامِ الصُّحَابَةِ الَّذِينَ  
تَوَلَّوْا صِلَتُهُمْ بِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .  
فَكَانَ يُؤَيِّرُهُمْ (٤) وَيُجَبِّهُهُمْ ، وَكَانُوا يُؤَيِّرُونَهُ وَيُفَضِّلُونَهُ .

(١) ما يُدْرَى طَرَفَاهُمَا : كِتَابَةٌ مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَشِدَّةُ طَوْلِهِمَا .  
(٢) هَلَلٌ : قَالَ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .  
(٣) أَشْوَانَ : حَرْبًا .  
(٤) يُؤَيِّرُهُمْ : يَفْضَلُهُمْ عَلَى نَفْسِهِ .

وَمِنْ آيَاتِ ذَلِكَ أَنْ أَنْسَا<sup>(١)</sup> - خَادِمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَهْدَى لَهُ تَفَاحَةً كَانَتْ فِي يَدِهِ .

فَأَخَذَهَا مِنْهُ ، وَجَعَلَ يَقْبَلُهَا وَيَقُولُ :

تَفَاحَةٌ مَسَّتْهَا يَدُ مَسَّتْ يَدَ رَسُولِ اللَّهِ ...

تَفَاحَةٌ مَسَّتْهَا يَدُ حَظِيثٍ بِمَسِّ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ...

\* \* \*

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ دَخَلَ ذَاتَ مَرَّةٍ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَكَانَ يُؤَمِّدُ بِتَوَلَّى إِمَارَةً «البصرة» مِنْ قِبَلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

فَرَحَّبَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ أَجْمَلَ التَّزَجِيبِ ، وَزَفَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ .

وَكَانَ فِي الْمَجْلِسِ طَائِفَةٌ مِنْ سَادَةِ قُرَيْشٍ ، فَتَعَامَزُوا<sup>(٢)</sup> بِهِ ، وَتَهَامَسُوا بَيْنَهُمْ ...

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :

أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ رَفَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَذَا الْعَبْدَ عَلَى سَرِيرِهِ ۚ

وَقَدْ أَذْرَكَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا يَتَعَامَزُونَ بِهِ ؛ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ :

إِنَّ الْعِلْمَ يَزِيدُ الشَّرِيفَ شَرَفًا ، وَيَزْفَعُ قَدْرَ أَهْلِهِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَيُجْلِسُ الْمَمَالِكَ عَلَى الْأَسِيرَةِ .

\* \* \*

(١) أنس بن مالك : انظره في كتاب «صور من حياة الصحابة» للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشروعة .

(٢) فتعامزوا : جعل بعضهم يغمز لبعضهم بعينه .

وَفِي ذَاتِ سَنَةٍ عَزَمَ أَبُو الْعَالِيَةِ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ فَأَعَدَّ لِلْأَمْرِ  
عُدَّتَهُ ، وَخَزَمَ أَمْرَهُ عَلَى الْمُضِيِّ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ .

فَلَمَّا طَلَعَ عَلَيْهِ الصُّبْحُ ، فُوجِيَ بِالْأَمِّ مُبْرَحَةَ<sup>(١)</sup> فِي إِحْدَى قَدَمَيْهِ  
ثُمَّ مَا زَالَ الْأَلَمُ يَشْتَدُّ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ .

فَلَمَّا عَاذَهُ الطَّيِّبُ قَالَ لَهُ : إِنَّهُ مُصَابٌ بِالْأَكْلَةِ .

قَالَ : وَمَا الْأَكْلَةُ ؟

قَالَ : ذَاءٌ يَأْكُلُ الْمُضَوُّ الَّذِي يَجُلُّ بِهِ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى مَا فَوْقَهُ حَتَّى يَأْتِيَ  
عَلَى الْجَسَدِ كُلِّهِ .

ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى بَيْتِ سَاقِهِ ...  
فَأَذِنَ لَهُ عَلَى كُرْوِهِ مِنْهُ .

\* \* \*

أَخْضَرَ الطَّيِّبُ مَبَاضِعَهُ<sup>(٢)</sup> لِيَشْقُ اللَّحْمُ ...

وَمَتَاشِيرُهُ لِيَنْشِرَ الْعَظْمُ ...

ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَتَرِيدُ أَنْ نَشْقِيكَ مَجْرُوعَةً مِنْ مُخَدَّرٍ<sup>(٣)</sup> لِكَيْ لَا تَشْعُرَ بِالْأَمِّ الشَّقِّ  
وَالْبَثْرِ ؟

فَقَالَ : بَلَى هُنَاكَ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ .

فَقَالَ الطَّيِّبُ : وَمَا هُوَ ؟

فَقَالَ : أَخْضِرُوا لِي قَارِئًا يُتَقَنَّ كِتَابَ اللَّهِ ، وَاجْعَلُوهُ يَقْرَأُ عَلَيَّ مَا تَبَسَّرُ مِنْ  
آيَاتِهِ الْبَيِّنَاتِ .

---

(١) مبرحة : شديدة الوجع .

(٢) المباحض : جمع مضغ ، وهو الآلة التي يشق بها اللحم .

(٣) المخدر : ما يجعل العضو يتخدر .

فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي قَدْ اخْمَرْتُ وَجْهِي ، وَاتَّسَعَتْ حَدَقَتَايَ ، وَتَبَّتْ نَظْرِي فِي  
السَّمَاءِ ...

فَافْعَلُوا بِي مَا شِئْتُمْ ...

فَتَقَلُّوا أَمْرَهُ ، وَتَبَزَّوْا عَظْمَهُ ...

فَلَمَّا أَفَاقَ ، قَالَ لَهُ الطَّيِّبُ : كَأَنَّكَ لَمْ تَشْعُرْ بِالْأَمِّ الشَّقِّ وَالْبَثْرِ .

فَقَالَ : لَقَدْ شَغَلَنِي بَرْدُ<sup>(١)</sup> حُبِّ اللَّهِ ...

وَحَلَاوَةُ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَنِ حَرَارَةِ الْحَنَاشِيرِ .

ثُمَّ أَخَذَ رِجْلَهُ يَدِيهِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَقَالَ :

إِذَا لَقِيتُ رَبِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَأَلَنِي : هَلْ مَشَيْتُ بِكَ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَى

مُحَرَّمٍ ؟ ...

أَوْ مَسَمْتُ بِكَ غَيْرَ مُبَاحٍ ؟ ... لِأَقُولَنَّ : لَا .

وَأَنَا صَادِقٌ فِيمَا أَقُولُ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ .

\* \* \*

وَبَعْدُ ...

فَقَدْ بَلَغَ مِنْ ثَقُلَى أَبِي الْعَالِيَةِ ، وَتَرْقِيهِ لِلْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَاسْتِعْدَادِهِ لِلِقَاءِ رَبِّهِ ؛  
أَنَّهُ أَعَدَّ لِنَفْسِهِ كَفَنًا .

وَأَنَّهُ كَانَ يَلْبِسُ كَفَنَهُ كُلَّ شَهْرٍ مَرَّةً ثُمَّ يَرُدُّهُ إِلَى مَكَانِهِ ...

وَلَقَدْ أَوْصَى سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً ؛ وَهُوَ صَحِيحٌ سَلِيمٌ ...

---

(١) برد حب الله : هلاقة حب الله عز وجل .

وَكَانَ يُحَدِّدُ لِكُلِّ وَصِيَّةٍ أَجَلًا، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهَا نَظَرَ فِيهَا .

فَإِذَا أَنْ يُعَدِّلَهَا ...

وَإِذَا أَنْ يُبَدِّلَهَا ...

وَإِذَا أَنْ يُمَضِّبَهَا ...

وَفِي شَهْرِ شَوَّالٍ مَسَنَّةٌ ثَلَاثٌ وَتَسْعِينَ لِلْهَجْرَةِ ...

مَضَى أَبُو الْعَالِيَةِ إِلَى لِقَاءِ رَبِّهِ ؛ طَاهِرًا الذِّيلِ ...

نَقِيًّا النَّفْسِ ...

وَإِنْقَاءَ بِرَحْمَةِ رَبِّهِ ...

مُتَمَسِّقًا إِلَى لِقَاءِ نَبِيِّهِ (٥) .

---

(٥) للاستزادة من أعيان وقيم بني وهبان المكنى بأبي العالِيَةِ انظر :

- ١ - سير أعلام النبلاء للذهبي : ٢٠٧/٤ وما بعدها .
- ٢ - الطبقات الكبرى لابن سعد : ١١٢/٧ .
- ٣ - حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني : ٢١٧/٢ - ٢٢٤ .
- ٤ - تهذيب التهذيب لابن حجر : ٢٨٤/٣ .
- ٥ - المعارف لابن قتيبة : ٤٥٤ .
- ٦ - الإصابة في تمييز الصحابة : ٢٨/١ الترجمة ٢٧٤٠ .
- ٧ - التهذيب لابن عساکر .
- ٨ - تذكرة الحفاظ للذهبي : ٥٨/١ .



# الأخنف بن قيس

## يسور بني تميم

« إِنَّ الْأَخْنَفَ بْنَ قَيْسٍ بَلَغَ مِنَ الشَّرَفِ وَالشُّوْذِ  
مَا لَا تَنفَعُهُ الرِّيَاسَةُ وَلَا يَضُرُّهُ الْعَزْلُ »

[يُتَأَذَّنُ أَبِيهِ]

كَانَتْ « دِمَشْقُ » تَضْحَكُ لِلرَّبِيعِ الطَّلِيّ مُخْتَالَةً بِخِمَائِلِهَا <sup>(١)</sup> النَّصِيرَةِ ،  
مَرْهُوَّةٌ بِرِيَاضِهَا الْعَطِيرَةِ .

وَكَانَ قَصْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ « مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ » قَدْ أَخَذَ أَهْبَتَهُ  
لِاسْتِقْبَالِ الْوَافِدِينَ عَلَيْهِ .

وَمَا إِنْ أُذِنَ لِأَوَّلِ قَادِمٍ عَلَى الْخَلِيفَةِ ؛ حَتَّى بَادَرَتْ أُخْتُهُ « أُمُّ الْحَكَمِ » بِنْتُ  
أَبِي سُفْيَانَ ، فَأَخَذَتْ مَكَانَهَا وَرَاءَ الْمُسْتَرِّ ؛ لِتَسْتَمِيعَ إِلَى مَا يُزَوَّرُ فِي مَجْلِسِ  
الْخِلَافَةِ مِنْ أَحَادِيثِ الرُّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

وَلِتَسْمَعَ مِمَّا يَنْشُرُهُ <sup>(٢)</sup> جُلَسَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَوَادِرِ الْأَخْبَارِ ، وَرَوَائِعِ  
الْأَشْعَارِ ، وَبَالِغِ الْحِكْمَةِ .

فَقَدْ كَانَتْ سَيِّدَةً رَاجِحَةَ الْعَقْلِ ، عَالِيَةِ الْهَيْمَةِ ، تَضَبُّو <sup>(٣)</sup> إِلَى شَرِيفِ  
الْمَطَالِبِ .

وَكَانَتْ تَعْرِفُ أَنَّ أَخَاهَا يَأْذُنُ لِلنَّاسِ بِالْدُّخُولِ عَلَيْهِ حَسَبَ مَرَاتِبِهِمْ .

(١) الحمائل : جمع حميلة ، وهي الحديقة الملتفة الأشجار .

(٢) ينشره : يلقيه .

(٣) تضبو : تطلع .

فَيَقْدُمُ صَحَابَةُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ عَدَاهُمْ ، ثُمَّ يَلِيهِمْ  
كِبَارُ التَّابِعِينَ ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ ، وَذَوُو الْأَحْسَابِ<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

لَكِنْ أَمَّ الْحَكَمَ وَجَدَتْ أَخَاهَا يَسْتَقْبِلُ زَائِرَهُ الْأَوَّلَ اسْتِقْبَالًا يَشُوْبُهُ شَيْءٌ  
مِنَ الْفُتُورِ<sup>(٢)</sup> ، وَسَمِعَتْهُ يَقُولُ لَهُ :

وَاللَّهِ يَا أَخْنَفُ مَا تَعْمَلُكَ<sup>(٣)</sup> يَوْمَ « صَفَيْنَ »<sup>(٤)</sup> مَرَّةً ، وَتَذَكَّرْتُ انْجِيَاكَ  
عَنَّا ، وَوُفُوقَكَ إِلَى جَانِبِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَّا كَأَنَّكَ حَزَارَةٌ فِي قَلْبِي إِلَى أَنْ  
أَمُوتَ .

فَبَادَرَهُ الرَّجُلُ قَائِلًا :

وَاللَّهِ يَا مُعَاوِيَةُ إِنَّ الْقُلُوبَ الَّتِي أَبْغَضْنَاكَ بِهَا مَا تَزَالُ بَيْنَ جَوَانِحِنَا ...

وَلِإِنَّ الشُّيُوفَ الَّتِي قَاتَلْنَاكَ بِهَا مَا فَيَتْ<sup>(٥)</sup> فِي أَيْدِينَا ...

وَلِإِنْ تَذُنْ مِنَ الْحَرْبِ فِتْرًا ، نَذُنْ مِنْهَا شَيْئًا ...

وَلِإِنْ تَمُشِ إِلَيْهَا مَشْيًا ، نَعُضِ إِلَيْهَا هَزْوَلَةً .

وَوَاللَّهِ مَا حَمَلْنَاكَ إِلَيْكَ رَغْبَةً فِي عَطَائِكَ ، أَوْ رَهْبَةً مِنْ جَفَائِكَ<sup>(٦)</sup> ...

وَلِأَنَّمَا جِئْنَاكَ لِرَأْبِ<sup>(٧)</sup> الصُّدْعِ ، وَلَمْ الشُّنْطِ ، وَجَمْعِ كَلِمَةٍ  
الْمُسْلِمِينَ ...

ثُمَّ اسْتَدَارَ وَخَرَجَ مِنْ حَيْثُ أَتَى .

(١) الأحساب : جمع حسب ، وهو شرف الأصل .

(٢) الفتور : قلة الاهتمام .

(٣) تحفلت : تصورت .

(٤) يوم صفين : هو اليوم الذي انتصر فيه عليٌّ على معاوية ، وصفين : موضع قريب من شاطئ الفرات الأيمن .

(٥) ما فئت : ما زالت . (٦) جفائك : خصومتك . (٧) لرأب الصدع : لإصلاح ذات البين .

قَدَمَ تَعْلِكَ أُمَ الْحَكَمِ إِلَّا أَنَّ تُرَيْحَ طَرَفِ السُّنَرِ ؛ لِيَتَرَى هَذَا الَّذِي يُرَدُّ إِلَى  
الْخَلِيفَةِ الْحَجَرِ مِنْ حَيْثُ جَاءَ<sup>(١)</sup>، وَيَكِيلُ لَهُ الصَّبَاعَ صَاعِينَ<sup>(٢)</sup>...

فَرَأَتْ رَجُلًا قَصِيرَ الْقَامَةِ، ضَبِيلَ الْجِسْمِ، أَضْلَعَ الرَّأْسِ، مُتَرَكَبَ  
الْأَسْتَانِ، مَائِلَ الذَّقَنِ، مُنْخَسِفَ الْعَيْنَيْنِ<sup>(٣)</sup>، أَخْنَفَ الرَّجْلَيْنِ<sup>(٤)</sup>، لَيْسَ فِي إِنْسَانٍ  
غَيْبٌ إِلَّا وَلَهُ مِنْهُ نَصِيبٌ .

فَالْتَقَتَتْ إِلَى أَحْيَاهَا وَقَالَتْ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنْ هَذَا الَّذِي يَتَهَدَّدُ الْخَلِيفَةُ وَيَتَوَعَّدُهُ فِي عُقْرِ<sup>(٥)</sup>  
بَيْتِهِ !؟ .

فَتَنَهَّدَ مُعَاوِيَةَ وَقَالَ :

هَذَا الَّذِي إِذَا غَضِبَ ، غَضِبَ لَهُ مِائَةُ أَلْفٍ مِنْ بَنِي « تَجِيمٍ » لَا يَنْدُرُونَ فِيهِمْ  
غَضِبٌ ...

إِنَّهُ « الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ » سَيِّدُ بَنِي « تَجِيمٍ » ، وَأَحَدُ أَفْذَاذِ الْعَرَبِ وَأَبْطَالِهِمْ  
الْقَاتِحِينَ ...

فَتَعَالَوْا نَسْتَفْرِضْ قِصَّةَ حَيَاةِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ مِنْ أَوَّلِهَا .

\* \* \*

فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وُلِدَ « لَقَيْسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ السَّعْدِيُّ » مَوْلُودٌ  
دَعَاهُ « الضُّحَّاكُ » .

عَزِيَزٌ أَنَّ النَّاسَ مَا لَبِثُوا أَنْ لَقَّبُوهُ بِالْأَخْنَفِ لِاعْوِجَاجِ فِي رِجْلَيْهِ ، ثُمَّ غَلَبَ  
الْلُّقْبُ عَلَى الْإِسْمِ .

(١) يرد الحجر من حيث جاء: يقابل الشر بالشر .

(٢) يكيل له الصباع صاعين : يربي عليه ويزيد .

(٤) أخنف الرجلين : معوج الرجلين إلى الداخل .

(٥) في عقر بيته : في وسط داره .

(٣) منخسف العينين : غائر العينين .

وَلَمْ يَكُنْ قَيْسَ وَالِدُ الْأَخْتَفِ فِي الدُّوَابَةِ<sup>(١)</sup> مِنْ قَوْمِهِ، وَلَا مِنْ حَوَاشِيهِمْ<sup>(٢)</sup>؛ وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ أَوْسَاطِ النَّاسِ.

وَكَانَتْ وَلَادَةُ الْأَخْتَفِ فِي مَنَازِلِ قَوْمِهِ غَزِيٍّ «الْيَمَامَةِ» مِنْ أَرَاضِي «نَجْدٍ».

وَقَدْ نَشَأَ الْفَتَى يَتِيمًا، حَيْثُ قُتِلَ أَبُوهُ وَهُوَ طِفْلٌ لَمْ يَذُرْجِ<sup>(٣)</sup> بَعْدُ.

ثُمَّ عَمَرَتْ أَنْوَارُ الْإِسْلَامِ قَلْبَهُ وَهُوَ غُلَامٌ لَمْ يَطُرْ<sup>(٤)</sup> شَارِبُهُ.

فَقَدْ بَقِيَ الرُّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ قُبَيْلَ وَقَاتِهِ بِسَنَوَاتٍ مَعْدُودَاتٍ؛ ذَاعِيَةً مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى رَهْطِ<sup>(٥)</sup> الْأَخْتَفِ بْنِ قَيْسٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ.

فَاجْتَمَعَ الدَّاعِيَةُ إِلَى وَجْهِهِ الْقَوْمِ وَأَخَذَ يَحْضُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ... فَسَكَتَ الْقَوْمُ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَنْظُرُ إِلَى بَعْضٍ، فَبَادَرَهُمُ الْأَخْتَفُ - وَكَانَ حَاضِرًا - وَقَالَ:

يَا قَوْمُ مَا لِي أَرَاكُمْ مُتَرَدِّدِينَ تُقَدِّمُونَ رِجْلًا وَتُؤَخِّرُونَ رِجْلًا ۚ ...

وَاللَّهُ إِنَّ هَذَا الْوَافِدَ عَلَيْكُمْ لَوَافِدٌ خَيْرٌ...

وَإِنَّهُ يَدْعُوكُمْ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ مَلَائِيحِهَا<sup>(٦)</sup>...

وَوَاللَّهِ مَا سَمِعْنَا مِنْهُ إِلَّا مُحْسِنًا...

فَاجِئُوا دَاعِيَ الْهُدَى، تَفُوزُوا بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

فَمَا لِبَشَرٍ أَنْ أَسْلَمُوا، وَأَسْلَمَ مَعَهُمُ الْفَتَى.

(١) فِي الدُّوَابَةِ مِنْ قَوْمِهِ: فِي الْمَرْتَبَةِ الْعُلْيَا مِنْ عَشِيرَتِهِ.

(٢) مِنْ حَوَاشِيهِمْ: مِنْ صِغَارِهِمْ.

(٣) لَمْ يَذُرْجِ: لَمْ يَمْشِ.

(٤) لَمْ يَطُرْ شَارِبُهُ: لَمْ يَطْلُعْ شَارِبُهُ.

(٥) رَهْطُ الرَّجُلِ: قَوْمُهُ وَجَمَاعَتُهُ.

(٦) مَلَائِيحُهَا: مَا لَا يَجُوزُ مِنْهَا.

ثُمَّ وَقَدْ كِبَارُ الْقَوْمِ عَلَى الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

غَيْرَ أَنَّ الْأَخْنَفَ لَمْ يَفِضْ مَعَهُمْ لِحَدَاثَةِ بَيْنِهِ ...

فَحَرَّمَ مِنْ شَرَفِ الصُّحْبَةِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُحَرِّمْ مِنْ رِضَى الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ عَنْهُ ... وَدُعَائِهِ لَهُ ...

\* \* \*

حَدَّثَ الْأَخْنَفُ قَالَ :

بَيْنَمَا أَنَا أَطُوفُ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ فِي زَمَنِ «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذْ لَقِيتُ رَجُلًا أَعْرَفُهُ ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ :

أَلَا أُهْشِرُكَ ؟

قُلْتُ : بَلَى ...

قَالَ : أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قَوْمِكَ لِأَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَجَعَلْتُ أَدْعُوهُمْ ، وَأَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الدُّخُولَ فِي دِينِ اللَّهِ ، فَقُلْتَ أَنْتَ يَوْمَئِذٍ مَا قُلْتَ ؟

قُلْتُ : بَلَى .

قَالَ : فَإِنِّي رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَأَخْبَرْتُهُ بِمَقَالَتِكَ ، فَقَالَ : (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَخْنَفِ) .

فَكَانَ الْأَخْنَفُ يَقُولُ : مَا مِنْ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِي أَرْجَى<sup>(١)</sup> لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ دَعْوَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

\* \* \*

---

(١) أَرْجَى : أَكْثَرُ رَجَاءً وَأَكْثَرُ أَمَلًا .

وَلَمَّا لَحِقَ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ ﷺ بِالرُّفِيقِ الْأَعْلَى ، وَطَلَعَ « مُسْتَلِمَةُ  
الْكَذَّابِ » عَلَى النَّاسِ بِإِفْكِهِ <sup>(١)</sup> ، وَازْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ بِسَبَبِهِ مَنِ ارْتَدَّ ؛ مَضَى إِلَيْهِ  
الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ مَعَ عَمِّهِ « الْمُتَشَمِّسِ » لِيَلْقِيَاهُ ، وَيَسْمَعَا مِنْهُ .

وَكَانَ الْأَخْنَفُ يُؤَمِّدُ فِي بَوَاكِرِ <sup>(٢)</sup> شَبَابِهِ ، فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ ، قَالَ  
« الْمُتَشَمِّسُ » لِابْنِ أُخِيهِ :

كَيْفَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَا أَخْنَفُ ؟ .

فَقَالَ : رَأَيْتُهُ مُبْطِلًا يَفْتَرِي <sup>(٣)</sup> الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ وَالنَّاسِ .

فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ مُمَارِحًا :

أَلَا تَخْشَى عَلَى نَفْسِكَ إِنْ أَخْبَرْتَهُ بِتَكْذِيبِكَ إِيَّاهُ ۚ

فَقَالَ الْأَخْنَفُ :

عِنْدَ ذَلِكَ أُحَالِفُكُ <sup>(٤)</sup> عِنْدَهُ ، فَهَلْ تَحْلِفُ أَنَّكَ لَمْ تُكَذِّبْهُ كَمَا كَذَّبْتُهُ ؟ .

وَتَضَاحَكَ الْفَتَى وَعَمُّهُ وَبَيَّنَّا عَلَى إِسْلَامِهِمَا .

\* \* \*

وَلَا غَرَابَةَ إِذَا أَخَذَكَ الْعَجَبُ ، وَاسْتَبَدَّتْ بِكَ الدَّهْشَةُ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ  
الْحَازِمَةِ الْحَاسِمَةِ الَّتِي يَقِفُهَا الْأَخْنَفُ فِي عِظَائِمِ الْأُمُورِ ؛ عَلَى الرُّغْمِ مِنْ حَدَاثَةِ  
سِنُوهِ .

لَكِنَّ عَجَبَكَ سَيَنْقُضِي ، وَدَهْشَتَكَ سَتَزُولُ ؛ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ فَتَى بَنِي  
« تَجِيمٍ » كَانَ نَادِرَةً مِنْ نَوَادِرِ الدُّهْرِ فِي جِدَّةِ <sup>(٥)</sup> الْخَاطِرِ ، وَتَوْقِيدِ الذِّكَا ،  
وَصِدْقِ النَّظَرَةِ ، وَصَفَاءِ الْفِطْرَةِ .

(١) يافكه : يكذبه .

(٢) بواكير شابه : أوائل شابه .

(٣) يفتري : يخلق الكذب .

(٤) أُحَالِفُكَ : أطلب منك أن تحلف .

(٥) جِدَّةُ الْخَاطِرِ : نفاذ الذهن وحِدْثُهُ .

وَأَنَّهُ كَانَ مِنْذُ نُفُومَةٍ<sup>(١)</sup> أَطْفَارِهِ يُجَالِسُ مَشِيخَةً قَوِيَةً، وَيَقْشَى<sup>(٢)</sup> أُنْدِيَتَهُمْ، وَيَشْهَدُ مُؤَمَّرَاتِهِمْ، وَيَتَلَمَّذُ عَلَى أَيْدِي حُكَمَائِهِمْ، وَحُلَمَائِهِمْ. حَدَّثَ عَنْ نَفْسِهِ قَالَ:

كُنَّا نَخْتَلِفُ<sup>(٣)</sup> إِلَى مَجَالِسِ «قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمِثْقَرِيِّ»<sup>(٤)</sup> لِنَتَلَمَّزَ مِنْهُ الْجِلْمَ كَمَا نَخْتَلِفُ إِلَى مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ لِنَتَلَقَّى مِنْهُمْ الْعِلْمَ. فَقِيلَ لَهُ: وَمَا الَّذِي بَلَغَ مِنْ جِلْمِهِ؟

فَقَالَ: جِئْتُهِ مَرَّةً فَرَأَيْتُهُ قَاعِدًا بِفَنَاءٍ<sup>(٥)</sup> يَبْتِيهِ، مُحْتَبِيًا<sup>(٦)</sup> بِحَمَائِلِ سَيْفِهِ، يُحَدِّثُ قَوْمَهُ... فَسَلَّمْتُ وَجَلَسْتُ.

وَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى سَمِعْنَا صَجَّةً، فَنَظَرْنَا... فَإِذَا بِهِ قَدْ أَتَى لَهُ بِشَابٌ مَكْنُوفٌ، وَآخَرُ مَقْتُولٍ، وَقِيلَ لَهُ:

هَذَا ابْنُ أَخِيكَ قَدْ قَتَلَ ابْنَتَكَ فَلَانَا...

فَوَاللَّهِ مَا حَلَّ حُبُونُهُ، وَلَا قَطَعَ كَلَامُهُ.

ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ وَقَالَ:

يَا ابْنَ أَخِي قَتَلْتَ ابْنَ عَمِّكَ؛ فَقَطَعْتُ رَحِمَكَ بِيَدِكَ...

وَرَزَمْتَ نَفْسَكَ بِسَهْمِكَ...

(١) نُفُومَةٌ أَطْفَارُهُ: طفولته وصغر سنه.

(٢) يَقْشَى أُنْدِيَتَهُمْ: يحضر مجتمعاتهم.

(٣) نَخْتَلِفُ: نتردد.

(٤) قَيْسُ بْنُ عَاصِمِ الْمِثْقَرِيِّ: أحد أمراء العرب وعقلائهم، ساد قومه في الجاهلية وحرم على نفسه الخمر، وفد

على الرسول ﷺ وأسلم على يديه.

(٥) فَنَاءٌ: بهجة منزله.

(٦) مُحْتَبِيًا: جاسماً بين ظهره وساقه بهمامة أو نحوها كما كان يجلس السادة من العرب

ثُمَّ قَالَ لِابْنِ لَهُ آخَرَ :

ثُمَّ يَا بُنَيَّ فَحُلْ كِتَافَ<sup>(١)</sup> ابْنِ عَمَلِكَ ... وَوَارِ أَخَاكَ .

ثُمَّ سَقَى<sup>(٢)</sup> إِلَى أُمِّهِ مِائَةَ نَاقَةٍ دِيَّةً ابْنِهَا ؛ فَإِنَّهَا غَرِيْبَةٌ .

\* \* \*

وَلَقَدْ أُتِيحَ لِلْأَخْتَفِ بْنِ قَيْسٍ أَنْ يَتَلَمَّذَ عَلَى أَيْدِي جِلَّةِ الصُّحَابَةِ الْكَرَامِ ،  
وَفِي قَعْتِهِمُ الْفَارُوقُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

فَشَهِدَ مَجَالِسَهُ ، وَسَمِعَ مَوَاعِظَهُ ، وَوَعَى أَقْصِيَّتَهُ<sup>(٣)</sup> وَأَخْكَامَهُ ؛ فَكَانَ مِنْ  
أَلَمَعَ التَّلَامِيذِ الَّذِينَ أَنْجَبَتْهُمْ الْمَدْرَسَةُ الْعُمَرِيَّةُ ، وَأَعَمَّقَتْهُمْ تَأَثُّراً بِمُعَلِّمِهَا  
الْعَبْقَرِيِّ الْقَدِّ .

وَلَقَدْ قِيلَ لَهُ ذَاتَ مَرَّةٍ : يَمْ أُوتَيْتَ مَا أُوتِيَتْ مِنَ الْوَقَارِ<sup>(٤)</sup> وَالْحِكْمَةِ ؟ .

فَقَالَ : بِكَلِمَاتٍ سَمِعْتُهُمْ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حَيْثُ قَالَ :

مَنْ مَرَّحَ اسْتَحِفَّ بِهِ<sup>(٥)</sup> ...

وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ ...

وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ<sup>(٦)</sup> ...

وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ سَقَطُهُ ...

وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ قَلَّ وَرَعُهُ ...

وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ ...

\* \* \*

(١) الكتاف : حمل تشد به البدان إلى خلف الكتفين . (٤) الوقار : الحلم والرزانة .

(٢) سَقَى : أَعْطَى . (٥) اسْتَحِفَّ بِهِ : اسْتَهَانَ النَّاسُ بِهِ .

(٣) الْأَقْصِيَّةُ : جَمْعُ قَضَاءٍ ، وَهُوَ الْحُكْمُ . (٦) سَقَطُهُ : خَطْوُهُ .



وَقَدْ تَسْتَمُ<sup>(١)</sup> الْأَخْتَفُ بِنُ قَيْسِ قَوْمَهُ ؛ عَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ  
أَغْلَاهُمْ حَسَبًا ...

وَلَا أَجْلِيهِمْ أُمَّا وَأَبَا ...

وَلَكُمْ سَأَلَهُ الشَّائِلُونَ عَنْ سِرِّ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ :

مَنْ الَّذِي يُسَوِّدُهُ<sup>(٢)</sup> قَوْمُهُ يَا أَبَا بَخْرٍ ؟ .

فَقَالَ : مَنْ كَانَ فِيهِ أَزْبَعُ خِصَالٍ سَادَ قَوْمُهُ غَيْرَ مُدَافِعٍ<sup>(٣)</sup> .

فَقِيلَ لَهُ : وَمَا هَذِهِ الْخِصَالُ ؟ .

فَقَالَ : مَنْ كَانَ لَهُ دِينَ يَخْجُزُهُ<sup>(٤)</sup> ...

وَحَسَبٌ<sup>(٥)</sup> يَصُونُهُ ...

وَعَقْلٌ يُزِيدُهُ ...

وَحَيَاءٌ يَمْنَعُهُ ...

\* \* \*

وَالْأَخْتَفُ بَعْدَ ذَلِكَ أَخَذَ حُلَمَاءَ الْعَرَبِ الَّذِينَ ضُرِبَ بِجِلْمِيهِ سَمَلًا .

وَقَدْ بَلَغَ مِنْ جِلْمِهِ أَنَّ «عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ» أَغْرَى<sup>(٦)</sup> رَجُلًا يَسْبِيهِ سَبِيًّا

مُقْدِعًا<sup>(٧)</sup> يُبِيرُ الْحَفَائِظَ .

لَكِنْ الْأَخْتَفَ ظَلَّ صَامِتًا مُطْرِقًا ... فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ أَنَّهُ لَا يُجِيبُهُ ،

وَلَا يَأْتِيهِ لَهُ ؛ أَخَذَ إِبْهَامَهُ فِي فَمِهِ ، وَجَعَلَ يَقْضُهُ وَهُوَ يَقُولُ :

(١) تَسْتَمُ : عَلَا وَرَفِئَ .

(٢) يُسَوِّدُهُ قَوْمُهُ : يَجْعَلُونَهُ سَوْدًا عَلَيْهِمْ .

(٣) غَيْرَ مُدَافِعٍ : لَا يَدَافِعُهُ أَحَدٌ عَنِ الْمُرَّةِ إِذِي بَنَفَا .

(٤) يَخْجُزُهُ : يَمْنَعُهُ .

(٥) حَسَبٌ : الْكِبَرُ .

(٦) أَغْرَى : حَفَّضَ .

(٧) مُقْدِعًا : مُفْحَسًا .

وَأَسْوَآتُهُ<sup>(١)</sup>، وَاللَّهُ مَا مَنَعَهُ مِنْ جَوَابِي إِلَّا هَوَانِي<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ .

\* \* \*

وَأَتَقَنَّ أَنْ كَانَ الْأَخْنَفُ يَمْشِي فِي حَوَاشِي<sup>(٣)</sup> «البصرة» خَالِيًا بِنَفْسِهِ ،  
فَتَقَرَّضَ لَهُ رَجُلٌ ، جَعَلَ يَشْتُمُهُ ، وَيَعِيَهُ ، وَيُسْمِعُهُ قَوَارِصَ<sup>(٤)</sup> الْكَلَامِ ، وَهُوَ  
سَاكِنٌ مَاضٍ فِي طَرِيقِهِ .

فَلَمَّا اقْتَرَبَا مِنَ النَّاسِ ؛ التَفَتَ إِلَى الرَّجُلِ وَقَالَ :  
يَا بَنَ أَجِيحِ إِنْ كَانَ قَدْ بَقِيَ مِنْ كَلَامِكَ فَضْلَةٌ<sup>(٥)</sup> فَقُلْهَا الْآنَ ...  
فَإِنْ قَوْمِي إِذَا سَمِعُوا مَا تَقُولُ أَصَابَكَ مِنْهُمْ أَذَى .

\* \* \*

وَكَانَ الْأَخْنَفُ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ عِبَادًا ، صَوَامًا ، قَوَامًا ، زَاهِدًا بِمَا فِي أَيْدِي  
النَّاسِ .

وَكَانَ إِذَا جَنَّ<sup>(٦)</sup> عَلَيْهِ اللَّيْلُ أَسْرَجَ<sup>(٧)</sup> مِضْبَاحَهُ ، وَوَضَعَهُ قَرِيبًا مِنْهُ ،  
وَوَقَّفَ فِي مَحْزَاهِ يُصَلِّي .

وَهُوَ يَتَمَلَّلُ تَمَلُّلَ السَّقِيمِ<sup>(٨)</sup> ، وَيَكْبِي بُكَاءَ الثَّائِلِ<sup>(٩)</sup> ؛ إِشْفَاقًا مِنْ  
عَذَابِ اللَّهِ ...

وَحَشْيَةً مِنْ غَضَبِهِ ...

وَكَانَ كُلَّمَا اسْتَشَمَرَ ذَنْبًا مِنْ ذُنُوبِهِ ، أَوْ لَاحَ<sup>(١٠)</sup> لَهُ غَيْبٌ مِنْ غُيُوبِهِ ، قَرَّبَ  
إِصْبَعَهُ مِنَ الْمِضْبَاحِ وَقَالَ :

- 
- |   |                              |
|---|------------------------------|
| (١) وأسوأاته : واحزنه .                     | (٦) جَنَّ : أظلم .           |
| (٢) هواني عليه : ذلي وحقارتي عنده .         | (٧) أسرج : أوقد .            |
| (٣) حواشي البصرة : أطراف البصرة وما حولها . | (٨) السقيم : المريض العليل . |
| (٤) قوارص الكلام : الكلام اللولم .          | (٩) الثايل : الفاقد ابنه .   |
| (٥) قسلة : بقية وزائدة .                    | (١٠) لاح : ظهر وبدأ .        |

حَسْرٌ<sup>(١)</sup> يَا أَخْنَفُ ...

مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَعَلْتَ كَذَا يَوْمَ كَذَا؟ .

وَيَحْكُ يَا أَخْنَفُ إِذَا كُنْتَ لَا تُطِيقُ الْيَوْمَ لَهَبَ الْمِصْبَاحِ ، وَلَا تَصْبِرُ عَلَى  
حَرِّهِ ؛ فَكَيْفَ تُطِيقُ غَدًا لَهَبَ جَهَنَّمَ ، وَتَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُ ؟ ...

اللَّهُمَّ إِنْ تَغْفِرْ لِي فَأَنْتَ أَهْلٌ لِدَاكَ ...

وَإِنْ تُعَذِّبْنِي فَأَنَا أَهْلٌ لِدَاكَ ...

\* \* \*

رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ وَأَرْضَاهُ .

فَقَدْ كَانَ رَائِعَةً مِنْ رَوَائِعِ الزَّمَانِ ...

وَضَرْبًا فَرِيدًا مِنَ النَّاسِ ...

---

(١) حسر : توجع وتألم .

# الأحنف بن قيس يتلمذ على يدي الفاروق

«إِنَّ هَذَا الْغَلَامَ وَاللَّهُ هُوَ الشَّيْءُ وَإِنَّهُ سَيَدُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ»

[عَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ]

نَحْنُ الْآنَ فِي أَوَائِلِ خِلَافَةِ الْفَارُوقِ نَضَرُ اللَّهُ وَجْهَهُ .  
وَهَا هُمْ أَوْلَاءُ الْأَنْجَادِ<sup>(١)</sup> الْأَمْجَادُ رَهْطُ<sup>(٢)</sup> «الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ» مِنْ بَنِي  
«تَجِيمٍ» ، يَمْتَنُّونَ صَهَوَاتِ الْحَيُولِ الصَّافِيَاتِ<sup>(٣)</sup> ...  
وَيَتَقَلَّدُونَ السُّيُوفَ الرِّقَاقِ الْمُرْهَقَاتِ<sup>(٤)</sup> ...  
وَيَوَحِّلُونَ عَنْ مَنَازِلِهِمْ فِي «الْأَحْسَاءِ» وَ«نَجْدٍ» ، مُيَمِّمِينَ<sup>(٥)</sup> وَجُوهَهُمْ  
شَطْرَ «الْبَصْرَةِ» .

يُرِيدُونَ الْإِنْضِمَامَ إِلَى جُمُوعِ الْمُسْلِمِينَ الْمُحْتَشِدِينَ هُنَاكَ تَحْتَ قِيَادَةِ  
«عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ»<sup>(٦)</sup> لِيُقَاتِلَ الْفُورِسَ جِهَاداً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...  
وَطَلَباً لِمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حُسْنِ الثَّوَابِ .  
وَكَانَ مَعَهُمْ فَتَاهُ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ .

\* \* \*

(١) الْأَنْجَادُ : جمع نجد ، وهو الشجاع الذي يفعل ما يحجز عنه غيره .

(٢) رَهْطُ الْوَجَلِ : قومه .

(٣) الصَّافِيَاتُ : جمع مفردة صافن ، وهو الذي يقف على أقدام ثلاث ويرفع القدم الرابعة .

(٤) الْمُرْهَقَاتُ : السيوف المرققة المبهدة .

(٥) مُيَمِّمِينَ : قاصدين .

(٦) عتبة بن غزوان : انظره في كتاب «صور من حياة الصحابة» للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشروعة .

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ تَلَقَّى عُنَيْبَةُ بْنُ عَزْوَانَ كِتَابًا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ  
الْحَطَّابِ يَأْمُرُهُ فِيهِ بِأَنْ يُوسِلَ إِلَيْهِ عَشْرَةٌ مِنْ صُلَحَاءِ عَشِيرِهِ ، وَأَخْسَنِيهِمْ بَلَاءً فِي  
الْقِتَالِ لِيَتَفَقَّ مِنْهُمْ عَلَى أَحْوَالِ الْحَيَاةِ ، وَلِيَتَمَلَّى<sup>(١)</sup> مِمَّا عِنْدَهُمْ مِنْ رَأْيٍ  
وَمَشُورَةٍ .

فَصَدَعَ عُنَيْبَةُ بِالْأَمْرِ<sup>(٢)</sup> ، وَجَهَّزَ عَشْرَةً مِنْ صَفْوَةِ رِجَالِهِ .  
وَجَعَلَ يَتَنَقَّلُ الْأَحْتَفَ بْنَ قَيْسٍ .  
وَوَجَّهَهُمْ إِلَى « الْمَدِينَةِ » .

\* \* \*

مَثَلَ رِجَالُ الْوَفْدِ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَوَحَّشَ بِهِمْ وَأَذْنَى مَجَالِسَهُمْ ،  
ثُمَّ سَأَلَهُمْ عَنْ حَوَائِجِهِمْ وَحَوَائِجِ عَامَّةِ النَّاسِ .  
فَنَهَضُوا إِلَيْهِ يَتَاعَا وَقَالُوا :  
أَمَّا عَامَّةُ النَّاسِ فَأَنْتَ وَلَهُمْ ، وَصَاحِبُ شُئُونِهِمْ ، وَأَمَّا نَحْنُ فَتَتَكَلَّمُ عَنْ  
خَاصَّةِ أَنْفُسِنَا .

ثُمَّ طَلَبَ كُلُّ مِنْهُمْ حَاجَتَهُ الَّتِي تَغْنِيهِ .  
وَكَانَ الْأَحْتَفُ بْنُ قَيْسٍ آخِرَ رِجَالِ الْوَفْدِ كَلَامًا ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَصْغَرَهُمْ  
سِنًا .

فَحَمِدَ اللَّهُ وَاتَّقَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ جُنْدَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ حَلُّوا فِي « مِصْرَ » قَدْ نَزَلُوا فِي  
الْمُحْضَرَةِ وَالنُّضْرَةِ<sup>(٣)</sup> وَالْخِصْبِ مِنْ مَنَازِلِ « الْفَرَاعِنَةِ » .

(١) جَمَلَى : يَنْشَبِعُ وَيَطْلَى . (٢) صَدَعَ بِالْأَمْرِ : بَيَّنَّهُ ، وَاسْتَجَابَ لَهُ . (٣) النُّضْرَةُ : الْمُخْضَرَةُ الْمُرَوَّةُ .

وَإِنَّ الَّذِينَ حَلُّوا فِي دِيَارِ «الشَّامِ» قَدْ نَزَلُوا فِي الرُّغْدِ<sup>(١)</sup>، وَالتُّعَارِ،  
وَالرِّيَاضِ مِنْ مَنَازِلِ «الْقَيَاصِرَةِ» .

وَإِنَّ الَّذِينَ حَلُّوا فِي دِيَارِ «الْفُرْسِ» قَدْ نَزَلُوا عَلَى ضِفَافِ الْأَنْهَارِ الْعَذْبَةِ،  
وَالجَنَّانِ الْوَارِقَةِ مِنْ مَنَازِلِ «الْأَكَاسِرَةِ» .

لَكِنَّ قَوْمَنَا الَّذِينَ حَلُّوا فِي «الْبَصْرَةِ» قَدْ نَزَلُوا فِي أَرْضِ هَشَاشَةٍ نَشَاشَةٍ<sup>(٢)</sup>  
لَا يَجِفُّ ثَرَابُهَا، وَلَا يَبْثُثُ مَرْعَاهَا...

أَحَدُ طَرَفَيْهَا بَحْرُ أُجَاجٍ<sup>(٣)</sup>، وَطَرَفُهَا الْآخَرُ فَلَاةٌ قَفْرٌ .

فَأَرْبَلُ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - ضُرُّهُمْ، وَأَنْعِشَ حَيَاتَهُمْ، وَمُرُوَ الْيَتَامَى عَلَى  
«الْبَصْرَةِ» أَنْ يَخْفِرَ لَهُمْ نَهْرًا يَسْتَقْذِبُونَ مِنْهُ الْمَاءَ وَيَسْقُونَ الْأَنْعَامَ وَالزَّرْعَ...

فَتَحْشُرْ خَالَهُمْ، وَتَصْلُحْ عِيَالَهُمْ، وَتَرْخُصْ أَسْعَارَهُمْ...

وَيَسْتَعِينُوا بِذَلِكَ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

فَنَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ فِي إِعْجَابٍ، وَقَالَ لِرِجَالِ الْوَفْدِ:

هَلَّا فَعَلْتُمْ فِعْلَ هَذَا...

إِنَّهُ - وَاللَّهِ - لَسَيِّدٌ...

ثُمَّ قَدَّمَ لَهُمْ جَوَائِزَهُمْ، وَقَدَّمَ لِلْأَخْنَفِ جَوَائِزَهُ فَقَالَ:

وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا قَطَعْنَا إِلَيْكَ الْفُلُوبَ، وَلَا ضَرَبْنَا لِلْقَائِكَ أَكْبَادَ<sup>(٤)</sup>

الْإِبِلِ فِي الْبُكُورِ وَالْعِشْيَاءِ لِتَبِيلِ الْجَوَائِزِ...

وَمَا لِي مِنْ حَاجَةٍ لَذَلِكَ إِلَّا حَاجَةٌ قَوْمِي الَّتِي ذَكَرْتُ...

(١) الرغد: طيب العيش ووفرة المصعب .

(٢) هَشَاشَةٌ نَشَاشَةٌ: الهشاشة: اللينة المسترخية، والنشاشة: المألحة التي لا تثبت .

(٣) الأجاج: الماء من شِدَّةِ ملوحته .

(٤) أكباد الإبل: أجواف النوق .

فَإِنْ تَقْضِيهَا لَهُمْ تَكُنْ قَدْ كَفَيْتَ وَوَفَيْتَ ...

فَارَادَ عُمَرُ إِعْجَاباً بِهِ وَقَالَ : « هَذَا الْعَلَامُ سَيِّدُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ » .

وَلَمَّا انْقَضَ الْمَجْلِسُ ، وَهَمَّ رِجَالُ الْوَفْدِ بِالْإِنْصِرَافِ إِلَى رِوَادِلِهِمْ <sup>(١)</sup>  
لِيَبْقُوا عِنْدَهَا ، أَجَالَ عُمَرُ بَصْرَهُ عَلَى حَقَائِبِهِمْ ؛ فَرَأَى طَرَفَ ثَوْبٍ خَارِجاً مِنْ  
إِخْدَاهَا ، فَقَامَ فَلَمَسَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ :

لِمَنْ هَذَا ؟ .

فَقَالَ الْأَخْنَفُ : لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَقَدْ أَذْرَكَ أَنَّهُ اسْتَفْلَاهُ <sup>(٢)</sup> .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : بِكَمْ اشْتَرَيْتَهُ ؟ .

فَقَالَ الْأَخْنَفُ بِثَمَانِيَةِ دَرَاهِمٍ .

وَلَمْ يَعْرِفْ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ كَذَبَ فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا غَيْرَ تِلْكَ الْكَذِبَةِ .

ذَلِكَ لِأَنَّهُ اشْتَرَاهُ بِأَثْنِي عَشَرَ دِرْهَمًا .

فَنَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ فِي رَفْقٍ وَقَالَ :

هَلَا اسْتَفْتَيْتَ يَوَاجِدَ ، وَوَضَعْتَ فَضْلَهُ <sup>(٣)</sup> مَالِكَ فِي مَوْضِعِ ثَعِينٍ بِهِ  
مُسْلِمًا ؟ .

ثُمَّ قَالَ :

خُذُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ مَا يُصْلِحُ شَأْنَكُمْ <sup>(٤)</sup> ...

(١) روادِلهم : الرواحل جمع راحلة ، وهي التي يُرْعَلُ عليها .

(٢) استفْلَاهُ : اعتقد أنه خالي الثمن .

(٣) فَضْلُهُ مَالِك : بقية مَالِك .

(٤) يَصْلِحُ شَأْنَكُمْ : يفي بحاجتكم ويقوم حوائجكم .

وَصَعُوا الْفُضُولَ<sup>(١)</sup> فِي مَوَاضِعِهَا ؛ تُرِيحُوا أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبِّحُوا ...  
فَأَطْرَقَ الْأَحْتَفُ حَيَاءً مِنْهُ ، وَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً .

\* \* \*

أَذِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِرِجَالِ الْوَلَدِ بِالْعَوْدَةِ إِلَى « الْبَصْرَةِ » غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ  
لِلْأَحْتَفِ بِالْبِرَاجِ<sup>(٢)</sup> مَعَهُمْ ، وَاسْتَبْقَاهُ عِنْدَهُ حَوْلًا كَامِلًا .

فَلَقَدْ أَدْرَكَ عُمَرُ بِثَاقِبِ نَظَرِهِ مَا تَوَافَرَ لِلْفَتَى التَّيَجُّبِيِّ مِنْ جِدَّةِ الذِّكَاةِ ...  
وَنَصَاعَةِ الْبَيَّانِ ...

وَسُمُو النَّفْسِ ...

وَعُلُوُّ الْهَيْمَةِ ...

وَعَتَى الْمَوَاهِبِ ...

فَأَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَهُ قَرِيبًا مِنْهُ لِيَصْنَعَهُ<sup>(٣)</sup> عَلَى غَنِيهِ .

وَلِيَتَلَقَّى كِبَارَ الصَّحَابَةِ ؛ فَيَهْتَدِيَ بِهِدْيِهِمْ ...

وَيَتَفَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ عَلَى أَيْدِيهِمْ ...

ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَخْتِيرَهُ عَنْ كَتَبٍ<sup>(٤)</sup> ، وَأَنْ يَنْقُذَ إِلَى دَخِيلَةِ نَفْسِهِ قَبْلَ  
أَنْ يُؤَلِّقَهُ بَعْضُ شُؤْنِ الْمُسْلِمِينَ .

ذَلِكَ لِأَنَّهُ عَمَرَ كَانَ يَحْشَى مِنَ الْأَذْكِيَاءِ الْمَقَاوِلِ<sup>(٥)</sup> الْفُصْحَاءِ أَشَدَّ  
الْحَشْيَةِ .

---

(١) الفضول : الزوائد .

(٢) البراج : المغادرة والنهب .

(٣) يصنعه على عينه : يجهله ويوجهه ويريه .

(٤) عن كتب : عن قرب .

(٥) المقاول : البغاء الفصحاء الذين يفتنون الكلام .



فَهُمْ إِذَا صَلَحُوا مَلَأُوا الدُّنْيَا خَيْرًا...

وَإِذَا فَسَدُوا كَانَ ذِكَاؤُهُمْ وَبَالًا عَلَى النَّاسِ .

وَلَمَّا انْتَهَى الْحَوْلُ ، قَالَ عُمرُ لِلأَخْتَفِ :

يَا أَخْتَفُ ، إِنِّي قَدْ بَلَوْتُكَ <sup>(١)</sup> وَاخْتَبَرْتُكَ فَلَمْ أَرَ إِلَّا خَيْرًا .

وَقَدْ رَأَيْتَ عَلَانِيَتَكَ حَسَنَةً ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنَّ تَكُونَ مَرِيرَتَكَ مِثْلَ  
عَلَانِيَتِكَ .

ثُمَّ وَجَّهَهُ لِحَرْبِ « الْفُرسِ » ، وَكَتَبَ لِقَائِدِهِ ، « أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ » :

أَمَّا بَعْدُ ، فَأَذِنَ <sup>(٢)</sup> الْأَخْتَفُ بَنَ قَيْسٍ مِثْلَكَ ، وَشَاوَرَهُ ، وَاسْمَعِ مِنْهُ .

\* \* \*

انْضَوَى <sup>(٣)</sup> الْأَخْتَفُ نَحْبَ أَلْوِيَةِ <sup>(٤)</sup> الْمُسْلِمِينَ الْمُشْرِقَةِ الْمُغْرَبَةِ فِي بِلَادِ

« فَارِسَ » .

وَأَبْدَى مِنْ ضُرُوبِ الْبَطُولَاتِ مَا جَعَلَ سَهْمَهُ يَغْلُو ، وَنَجْمَهُ يَنَاقُ .

وَأَبْلَى <sup>(٥)</sup> هُوَ وَقَوْمُهُ بَنُو « تَمِيمٍ » فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ أَكْرَمَ الْبَلَاءِ ، وَبَدَّلُوا  
أَسْحَى الْبَدَلِ .

حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مَدِينَةَ « تُشْتَرِ » دُرَّةَ النَّجَاحِ الْكِشْرَوِيَّ ، وَأَوْقَعَ فِي  
أَسْرِهِمْ « الْهُزْمَزَانَ » .

\* \* \*

كَانَ « الْهُزْمَزَانُ » مِنْ أَشَدِّ قُوَادِ « الْفُرسِ » بَأْسًا ، وَأَقْوَى أَمْرَائِهِمْ

شَكِيمَةً <sup>(٦)</sup> ، وَأَمْضَاهُمْ غَزِيمَةً ، وَأَوْسَعِيهِمْ مَكِيدَةً فِي الْحُرُوبِ .

(٥) أَبْلَى : أَظْهَرَ قُوَّتَهُ وَكَشَفَ عَنْ بَأْسِهِ .

(١) بَلَوْتُكَ : جَوَّبْتُكَ .

(٣) انْضَوَى : انْضَمَّ .

(٤) أَلْوِيَةُ الْمُسْلِمِينَ : رِجَالُ الْمُسْلِمِينَ .

(٦) الشَكِيمَةُ : الْأَنْفَةُ .

(٢) أَذِنَ : وَرَبَّ .

وَلَقَدْ أَلْجَأْتُهُ انْتِصَارَاتُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مُصَالَحَتِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ  
كَانَ يَغْدِرُ بِهِمْ كُلَّمَا سَنَحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى النُّصْرِ .  
فَلَمَّا أَطْبَعُوا<sup>(١)</sup> عَلَيْهِ فِي « تُسْتَر » تَحَصَّنَ مِنْهُمْ فِي بُرْجٍ مِنْ أُبْرَاجِهَا  
الْمُتَّعَةِ وَقَالَ لَهُمْ :

إِنْ مَعِيَ مِائَةٌ سَنِيٍّ .

وَوَاللَّهِ مَا تَصِلُونَ إِلَيَّ مَا دَامَ فِي يَدَيَّ شَيْءٌ مِنْهَا ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَامٍ  
لَا تُخْطِئُ لَهُ رَمِيَّةٌ ...

فَمَا جَدَوْى<sup>(٢)</sup> أَشْرِكُمْ إِلَّا يَ بَعْدَ أَنْ أُصِيبَ مِائَةٌ مِنْكُمْ بَيْنَ قَتِيلٍ وَجَرِيحٍ .  
فَقَالُوا : وَمَاذَا تُرِيدُ ؟

فَقَالَ : أُرِيدُ أَنْ أَزِيلَ عَلَى حُكْمِ خَلِيفَتِكُمْ عُمَرَ ، وَلِيَفْعَلَ بِي مَا يَشَاءُ .  
فَقَالُوا : لَكَ ذَلِكَ .

فَرَمَى بِقَوْسِهِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُسْتَسْلِمًا ، فَسَدُّوا وَثَاقَهُ<sup>(٣)</sup> ،  
وَأَرْسَلَ إِلَى « الْمَدِينَةِ » مَعَ وَفْدٍ مِنْ أَبْطَالِ الْفَتْحِ .

وَكَانَ عَلَى رَأْسِهِمْ « أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ »<sup>(٤)</sup> خَادِمُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ ، وَالْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ تَلْمِيزُ الْمَذْرُوعَةِ الْعُمَرِيَّةِ .

\* \* \*

مَضَى الْوَفْدُ يَحْتَطِ الْحُطَى « بِالْهُزْمَانِ » نَحْوَ الْمَدِينَةِ ؛ لِيُبَشِّرَ أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ بِالْفَتْحِ .

(١) أطبقوا عليه : أحاطوا به .

(٢) ما جدوى : ما نفع .

(٣) الوثاق : القيد والحبل .

(٤) انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشروعة .

وَيَخِيلَ إِلَى نَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ خُمْسَ الْقَنَائِمِ ، وَلَيْسَلَمْ نَاكِثٌ<sup>(١)</sup>  
الْعُهُودَ خَوَانَ الذَّمِّ إِلَى الْخَلِيفَةِ ؛ لِيَحْكُمَ عَلَيْهِ بِحُكْمِهِ .

فَلَمَّا بَلَغُوا حَوَاشِي<sup>(٢)</sup> الْمَدِينَةِ ، أَعْدُوا «الْهُزْمَانَ» لِيَعْرِضُوهُ أَمَامَ  
الْمُسْلِمِينَ عَلَى هَيْئَتِهِ .

فَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ الْمُنْشَوِجَةَ مِنْ ثَمِينِ الدِّيَنَاجِ<sup>(٣)</sup> الْمَوْشَاةَ بِخُيُوطِ الذَّهَبِ .  
وَوَضَعُوا عَلَى رَأْسِهِ تَاجَهُ الْمُرْصَعَ بِالذُّرِّ وَالْجَوْهَرِ ، وَقَلَّدُوهُ صَوْلَجَانَهُ<sup>(٤)</sup>  
الْمَصْنُوعَ مِنَ الْإِبْرِيذِ ، الْمَكْلَلَّ بِالْيَوَاقِيتِ وَاللَّالِئِ .

فَمَا إِنْ وَطِئَتْ أَقْدَامُهُمْ أَرْضَ «بَيْرِ» حَتَّى تَجَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ شِيبًا  
وَشِبَّانًا ...

وَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَى أَسِيرِهِمْ ، وَيَعْجَبُونَ مِنْ هَيْئَتِهِ وَرَئِهِ أَشَدَّ الْعَجَبِ .

\* \* \*

تَوَجَّهَ الْوَفْدُ «بِالْهُزْمَانِ» إِلَى دَارِ عَمَرَ فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَسَأَلُوا عَنْهُ ...

فَقِيلَ لَهُمْ : إِنَّهُ مَضَى إِلَى الْمَسْجِدِ لِيَسْتَقْبَلَ وَقْدًا قَدِيمَ عَلَيْهِ .

فَانْطَلَقُوا إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَمْ يَرَوْهُ هُنَاكَ .

وَكَانُوا كُلَّمَا طَالَ بِهِمُ الْبَحْثُ عَنِ الْخَلِيفَةِ تَكَاثَّرَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ ، وَاسْتَدَّ

زِحَامُهُمْ .

وَفِيمَا هُمْ فِي حَيْرَتِهِمْ هَذِهِ ؛ رَأَاهُمْ صِبْيَةٌ صَغَارٌ يَلْعَبُونَ ، فَقَالُوا لَهُمْ :

مَا شَأْنُكُمْ ؟ ...

(١) الناكث : الرجوع عما عاهد عليه .

(٢) حواشي المدينة : أطراف المدينة ومداخلها .

(٣) الديناج : الثوب الذي سدها ولحمته من الحرير .

(٤) الصولجان : العصا المعقوفة الرأس ، ومنها

صولجان الملك .

تَرَاحِمَ ذَاهِبِينَ آيِبِينَ ، لَعَلَّكُمْ تُرِيدُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالُوا :

نَعَمْ نُرِيدُهُ .

فَقَالُوا : إِنَّهُ نَائِمٌ فِي مَيْمَنَةِ الْمَسْجِدِ ، مُتَوَسِّدٌ بُرْنُسَهُ<sup>(١)</sup> .

وَكَانَ عُمَرُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَدْ خَرَجَ لِلِقَاءِ وَفْدٍ مِنْ أَهْلِ « الْكُوفَةِ » فِي بُرْنُسٍ لَهُ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ الْوَفْدُ خَلَعَ الْبُرْنُسَ ، وَوَضَعَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ ، وَأَسْلَمَ جَفْنَيْهِ إِلَى الْكَرْبَى<sup>(٢)</sup> :

فَانْطَلَقَ الْوَفْدُ « بِالْهُزْمَانِ » إِلَى مَيْمَنَةِ الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا رَأَوْا الْخَلِيفَةَ نَائِمًا جَلَسُوا دُونَهُ<sup>(٣)</sup> ...

وَأَجْلَسُوا أَسِيرَهُمْ مَعَهُمْ ...

\* \* \*

لَمْ يَكُنْ « الْهُزْمَانُ » يَفْقَهُ شَيْئًا مِنَ الْعَرَبِيَّةِ .

وَمَا كَانَ يَخْطُرُ بِنَالِهِ أَنَّ هَذَا النَّائِمَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ .

حَقًّا إِنَّهُ كَانَ قَدْ سَمِعَ عَنْ تَقَشُّفِ<sup>(٤)</sup> عُمَرَ وَرُفْدِهِ فِي زُخْرُفِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا .

لَكِنَّهُ مَا كَانَ يَتَخَيَّلُ - مُجَرَّدَ تَخَيُّلٍ - أَنَّ يَتَأَمَّ قَاهِرَ « الرُّومِ » ، وَكَاسِيرَ « الْأَكَايسِرَةِ » فِي طَرَفِ الْمَسْجِدِ مِنْ غَيْرِ غِطَاءٍ ...

(١) بُرْنُسُهُ : قُرْبِيَّاهُ مِنْهُ .

(٢) الْكَرْبَى : رِجْلُهُ ، وَهُوَ يَكُونُ غِطَاءَ الرَّأْسِ جُزْئًا مِنْهُ .

(٣) دُونَهُ : قُرْبَاهُ مِنْهُ .

(٤) التَّقَشُّفُ : ضَيْقُ الْمِشْ ، وَهُوَ ضِدُّ التَّنْعَمِ

(٥) الْكَرْبَى : النَّمَامُ .

وَلَا وَكَايَ<sup>(١)</sup>...

وَلَا حَزَسٍ...

وَلَا حُجَابٍ...

وَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ يَجْلِسُونَ صَابِئِينَ ، ظَنُّهُمْ يَتَأَهَّبُونَ لِلصَّلَاةِ .

وَيَتَرَقَّبُونَ قُدُومَ الْخَلِيفَةِ .

لَكِنَّ الْأَخْنَفَ بَنَ قَتِيسَ جَعَلَ يُشِيرُ إِلَى النَّاسِ أَنْ يُمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ ،  
وَيُكْفَمُوا عَنِ الْجَلْبَةِ لَكِنِّي لَا نُوقِظُوا الْخَلِيفَةَ .

فَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ مِنْ صُحْبَتِهِ لَهُ أَنَّهُ قَلَمًا يَتَعَمَّضُ لَهُ جَفْنٌ فِي لَيْلٍ .

فَهَوَّ إِنَّمَا قَاتِمٌ فِي مِخْرَابِهِ يَتَبَدُّ اللَّهُ ...

أَوْ مُتَخَفٌ فِي ثِيَابِهِ يَجُوبُ<sup>(٢)</sup> أَحْيَاءَ الْمَدِينَةِ لِيَعْرِفَ أَحْوَالَ الرُّعِيَّةِ ...

أَوْ عَاسٍ<sup>(٣)</sup> يَحْرُسُ بِيُوتَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الطُّرَاقِ .

فَاتَّارَتْ إِشَارَاتُ الْأَخْنَفِ لِلنَّاسِ أَنْبَاءَ « الْهُزْمَانِ » ، فَالْتَفَتَتْ إِلَى « الْمُخَيْرَةِ »  
ابْنِ شُعْبَةَ<sup>(٤)</sup> - وَكَانَ يَعْرِفُ الْقَارِيَّةَ - وَقَالَ :

مَنْ هَذَا النَّائِمُ ١١٩ .

فَقَالَ لَهُ الْمُخَيْرَةُ :

إِنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ ...

(١) الْوَكَايَ : مَا يُلَاحَظُ عَلَيْهِ وَيَتَعَمَّدُ عَلَيْهِ .

(٢) يَجُوبُ : يَقْطَعُ وَيَجُوزُ .

(٣) الْعَاسُ : الْحَارِسُ فِي اللَّيْلِ .

(٤) الْمُخَيْرَةُ ابْنُ شُعْبَةَ : تُوُفِيَ سَنَةَ ٥٠ هـ - ٦٧٠ م . صَحَابِي ثَقَفِي مِنْ دَعَاةِ الْعَرَبِ وَوَلَانَهُمْ ، وَلَاهُ عَمْرُ بْنُ الْحَطَّابِ الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ وَعَزَلَهُ حُصَيْنُ بْنُ عَفَانَ ، ثُمَّ وَلَاهُ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ الْبَصْرَةَ ، وَمَاتَ بِهَا .

فَقَعَزَ<sup>(١)</sup> «الْهُزْمَزَانُ» فَمَهُ دَهْشَةً وَقَالَ : عَمْرُ ١١٩ .

أَتَنَ حَرْشُهُ وَحُجَابُهُ ١١٩ .

فَقَالَ لَهُ الْمُغِيرَةُ : لَيْسَ لَهُ حَارِسٌ وَلَا حَاجِبٌ .

فَقَالَ «الْهُزْمَزَانُ» : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا .

فَقَالَ الْمُغِيرَةُ : بَلَى يَفْعَلُ فِعْلَ الْأَنْبِيَاءِ ؛ إِذْ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ ...

ثُمَّ كَثُرَ النَّاسُ ، وَارْتَفَعَتِ الْجَلْبَةُ .

فَاسْتَيْقَظَ عَمْرُ ، وَاسْتَوَى جَالِسًا ، وَنَظَرَ إِلَى النَّاسِ فِي دَهْشَةٍ ... فَرَأَى  
الْأَمِيرَ الْفَارِسِيَّ ، وَعَلَى رَأْسِهِ تَاجُهُ الْمُتَوَهَّجُ تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ ...

وَفِي يَدِهِ صَوْلَجَانُهُ الَّذِي يَخْطِفُ بَرِيقُهُ الْأَبْصَارَ .

فَحَدَقَ فِيهِ وَقَالَ : «الْهُزْمَزَانُ» ؟ ؟ .

فَقَالَ لَهُ الْأَخْنَفُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَتَأَمَّلَ عَمْرُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الذَّهَبِ ، وَاللَّكُمِيِّ ، وَالْيَوَاقِيَتِ ، وَالْحَرِيرِ .

ثُمَّ أَشَاحَ<sup>(٢)</sup> بَوَاجِهِ عَنْهُ وَقَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ ...

وَأَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الدُّنْيَا ...

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذَلَّ هَذَا وَأَشْيَاعَهُ لِلْإِسْلَامِ .

ثُمَّ قَالَ :

يَا مَغَشَّرَ الْمُسْلِمِينَ تَمَسَّكُوا بِهَذَا الدِّينِ ...

وَاهْتَدُوا بِهَذَا نَبِيِّكُمْ الْكَرِيمِ ...

(١) قَرَعَ لَمَهُ : فَتَحَ فَاهُ بِدَهْشَةٍ .

(٢) أَشَاحَ بَوَاجِهِ : أَمَالَ وَجْهَهُ وَأَعْرَضَ عَنْهُ .

وَلَا تُبْطِرُنَّكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَوَاةٌ<sup>(١)</sup>...

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ كَلَامِهِ بَشَّرَهُ الْأَخْتَفُ بْنُ قَيْسٍ بِالْفَتْحِ ...

وَأَخْبَرَهُ بِمَا أَقَاءَ<sup>(٢)</sup> اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعَنَائِمِ وَقَالَ لَهُ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ «الْهُزْمَزَانَ» قَدْ اسْتَأْسَرَ<sup>(٣)</sup> لَنَا ، وَطَلَبَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى  
حَكِيمِكَ فِيهِ ، فَكَلَّمَهُ إِذَا شِئْتَ .

فَقَالَ : لَا أَكَلَّمُهُ حَتَّى تَخْلَعُوا مَا عَلَيْهِ مِنْ مَظَاهِيرِ الْبَطَرِ وَالْأَشْرِ<sup>(٤)</sup> .

فَخَلَعُوا عَنْهُ جُلِيَّتَهُ وَتَاجَهُ ، وَأَخَذُوا مِنْهُ صَوْلَجَانَهُ ، وَالْبَسُوهُ ثَوْبًا صَفِيحًا<sup>(٥)</sup>  
يَسْتُرُ جَسَدَهُ .

عِنْدَ ذَلِكَ التَّقَتْ إِلَيْهِ عُمَرُ وَقَالَ :

هَبْ يَا «هُزْمَزَانُ» ، كَيْفَ وَجَدْتَ وَبَالَ<sup>(٦)</sup> الْعَدْرِ ، وَعَاقِبَتَهُ أَمْرُ اللَّهِ ۙ ؟

فَأَطْرَقَ «الْهُزْمَزَانُ» فِي ذِلَّةٍ ثُمَّ قَالَ :

يَا عُمَرُ ، لَقَدْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ نَعْرُوُ وَإِلَائِكُمْ ، وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَنَا  
وَلَا مَعَكُمْ ، فَغَلَبَتْنَاكُمْ ...

فَلَمَّا أَسْلَمْتُمْ وَصَارَ اللَّهُ مَعَكُمْ غَلَبْتُمُونَا ...

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : لَقَدْ غَلَبْتُمُونَا لِهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ ، وَلَأَمْرٍ آخَرَ هُوَ  
اجْتِمَاعُكُمْ وَتَفَرُّقُنَا ...

ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ بِشِدَّةٍ وَقَالَ :

(١) الْغَوَاةُ : الْبَطَرُ : بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(٢) أَقَاءَ : أَغْلَى وَنَجَحَ .

(٣) اسْتَأْسَرَ : اسْتَسْلَمَ لَنَا .

(١) الْهُزْمَزَانُ : الْغَدَاةُ .

(٢) أَقَاءَ : أَغْلَى وَنَجَحَ .

(٣) اسْتَأْسَرَ : اسْتَسْلَمَ لَنَا .

مَا غَذِرَكَ فِي انْتِقَاضِكَ (١) الْمَوْتِ يَلَوِ الْمَوْتِ يَا «هُزْمَزَانُ» ١٩ .

فَقَالَ «الْهُزْمَزَانُ» : أَخَافُ أَنْ تُغْتَلِبَنِي .

فَقَالَ عُمَرُ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ حَتَّى تُخَيِّرَنِي .

فَلَمَّا سَمِعَ «الْهُزْمَزَانُ» ذَلِكَ مِنْ عُمَرَ هَذَا رَوْعَهُ (٢) بَغِضَ الشَّيْءِ .

وَقَالَ : إِنِّي عَطِشَانٌ ، فَأَمَرَ عُمَرُ أَنْ يَسْقُوهُ ...

فَأَتَى لَهُ بِمَاءٍ فِي قَدَحٍ غَلِيظٍ ، فَتَأَمَّلَهُ وَقَالَ :

لَوْ مِثَّ عَطِشًا لَمْ أَشْتَطِيعُ أَنْ أَشْرَبَ فِي مِثْلِ هَذَا الْإِنَاءِ ...

فَأَمَرَ عُمَرُ فَأَتَى لَهُ بِمَاءٍ فِي إِنَاءٍ يَرْضَاهُ ...

فَلَمَّا أَخَذَهُ فِي يَدَيْهِ جَعَلَتْ يَدُهُ تَزْتَجِفُ .

فَقَالَ : لَهُ عُمَرُ : مَا بِكَ ؟

فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ أُقْتَلَ وَأَنَا أَشْرَبُ هَذِهِ الْجُرْعَةَ مِنَ الْمَاءِ .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : « لَا بَأْسَ عَلَيْكَ حَتَّى تَشْرَبَهَا » .

فَمَا كَانَ مِنَ «الْهُزْمَزَانِ» إِلَّا أَنْ كَفَأَ (٣) الْإِنَاءَ ، وَسَفَعَ (٤) الْمَاءَ .

فَقَالَ عُمَرُ : أَحْضِرُوا لَهُ مَاءً غَيْرَهُ ، وَلَا تَجْمَعُوا عَلَيْهِ الْقَتْلَ وَالْعَطَشَ .

فَقَالَ «الْهُزْمَزَانُ» : لَا حَاجَةَ لِي بِالْمَاءِ ...

وَأِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَأِمَ (٥) بِهِ عَلَى نَفْسِي مِنَ الْقَتْلِ .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : إِنِّي قَاتِلُكَ .

(١) انتقاضك : خيانتك لمهلك .

(٢) رَوْعُهُ : عروته .

(٣) كَفَأَ : أَوْعَ .

(٤) سَفَعَ لِلْمَاءِ : أَرَاهُ .

(٥) أَشْتَأِمَ : أَنَالَ الْأَمَانَ بِوَسْاطَتِهِ .



فَقَالَ «الْهُزْمَزَانُ» : لَقَدْ أَمُتْنِي .

فَقَالَ عُمَرُ : كَذَبْتَ .

فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : صَدَقَ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - فَقَدْ أَمُتْنَهُ .

فَقَالَ عُمَرُ : وَنَحَكَ<sup>(١)</sup> يَا أَنَسُ ، أَلَا أَوْمُنُ قَاتِلَ أَخِيكَ «الْبِرَاءِ بْنِ مَالِكٍ» ،  
و«مَجْزَأَةَ بْنَ ثَوْرٍ»<sup>(٢)</sup> ؟ ...

هَيْهَاتَ ...

فَقَالَ أَنَسُ : لَقَدْ قُلْتُ لَهُ : لَا تَأْسَ عَلَيْكَ حَتَّى تُخْبِرَنِي ، وَقُلْتُ لَهُ :  
لَا تَأْسَ عَلَيْكَ حَتَّى تَشْرَبَ الْمَاءَ .

وَأَيْدِ الْأَخْنَفِ قَوْلَ أَنَسٍ ، وَأَقْرَبُ الْحَاضِرُونَ بِأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَمَرَ  
«الْهُزْمَزَانُ» .

فَتَنَظَرُ عُمَرُ إِلَى «الْهُزْمَزَانِ» مُغَضَّباً وَقَالَ :

لَقَدْ خَدَعْتَنِي<sup>(٣)</sup> ، وَإِنِّي - وَاللَّهِ - لَا أَتَّخِذُ إِلَّا لِمُسْلِمٍ .

فَأَسْلَمَ «الْهُزْمَزَانُ» ، وَفَرَضَ لَهُ عُمَرُ الْفَقِينَ .

\* \* \*

لَقَدْ كَانَ يُقَالُ بِأَنَّ عُمَرَ كَثُرَتْ نَقُصِ «الْفُوسِ» لِمُحُودِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ،  
وَأَنْفِلَاهُمْ عَلَيْهِمْ .

فَجَمَعَ رِجَالُ الْوَفْدِ الَّذِي قِيمَ مَعَ «الْهُزْمَزَانِ» وَقَالَ لَهُمْ :

(١) ربح : كلمة تستعمل للتسبب .

(٢) البراء بن مالك ، ومجزة بن ثور : من كبار مجاهدي الصحابة ، انظرهما في كتاب «صور من حياة الصحابة» للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة المشرقة .

(٣) خدعتني : أظهرت لي خلاف ما تخفيه .

أَيُّذِي الْمُسْلِمُونَ أَهْلَ الذِّمَّةِ ، وَيُسَيِّقُونَ مُعَامَلَتَهُمْ ؛ فَيَتَّبِعُوا عَلَيْهِمْ ؟ .  
فَقَالَ رِجَالُ الْوَفْدِ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَسَاءَ لَهُمْ  
مُعَامَلَةً .

أَوْ خَفَرَ<sup>(١)</sup> لَهُمْ ذِمَّةً ...

أَوْ غَشَّهُمْ فِي عَقْدٍ ...

فَقَالَ عُمَرُ : فَمَا لَهُمْ يَتَّقِلُونَ عَلَيْكُمْ كُلَّمَا سَنَحَتْ لَهُمْ الْفُرْصَةُ عَلَى الرُّغْمِ  
بِمَا يَنْتَكُمُ وَيَنْتَكُمُ مِنْ عُقُودٍ ؟ .

فَأَجَابَ الْوَفْدُ بِكَلَامٍ لَمْ يُفْهِغْ عُمَرُ ، وَلَمْ يَمْتَرِخْ لَهُ .

عِنْدَ ذَلِكَ قَامَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَبَسٍ وَقَالَ :

أَنَا أَخْبِرُكَ بِمَا سَأَلْتَ عَنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ .

فَقَالَ : إِنَّكَ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - قَدْ نَهَيْتَنَا عَنِ الْإِسْبَاحِ فِي بِلَادِ  
« الْفُرْسِ » .

وَأَمَرْتَنَا بِالْإِقْصَارِ عَلَى مَا فِي أَيْدِينَا مِنْ أَرْضِيهِمْ وَمُدُنِهِمْ .

وَأَنَّ « الْفُرْسَ » مَا دَامَ لَهُمْ مِلْكٌ حَيٌّ ، وَمُلْكٌ قَائِمٌ ... فَسَيَقَاتِلُونَا الْكَوَّةَ  
يَلُزُّ الْكَوَّةَ ؛ لَا مَتَرِجَاجَ مَا فِي أَيْدِينَا مِنْ قَوْمِهِمْ وَدِيَارِهِمْ .

وَسَيَضْرِبُكُمْ إِلَيْهِمْ مِنْ عَاهِدِنَا كُلَّمَا دَعَاهُ الدَّاعِي ، وَلَا حَتَّ لَهُ فُرْصَةُ النُّصْرِ .

وَلِئَلَّا - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - لَا يَجْتَمِعُ مَلِكَايَا فِي أَرْضٍ وَاحِدَةٍ .

(١) خفر ذمتهم : نقض عهدهم .

فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ.

فَلَوْ أَذِنَتْ لَنَا بِالْأَنْبِيَاءِ <sup>(١)</sup> فِي بِلَادِهِمْ حَتَّى نَقْضِيَ عَلَى مَلِكِهِمْ، وَنُزِيلَ مُلْكُهُمْ؛ لَأَنْقَطَعَ رِجَاؤُهُمْ، وَسَكَنَ جَأَشُهُمْ <sup>(٢)</sup>، وَاسْتَتَبَ لَنَا الْأَمْرُ.

فَأَطْرَقَ عُمَرُ لَحْظَةً ثُمَّ قَالَ :

لَقَدْ صَدَقَنِي الْأَخْنَفُ، وَكَشَفَ لِي مَا غَابَ عَنِّي مِنْ شَأَنِ الْقَوْمِ.

\* \* \*

وَبَعْدُ، فَقَدْ كَانَ لِمَوْقِفِ الْأَخْنَفِ هَذَا مَا بَعْدَهُ...

وَكَانَ مِنْ أَثَرِ هَذَا الرَّأْيِ أَنْ غَيَّرَ مَجْرَى التَّارِيخِ (\*) ...

---

(١) الأنبياء: الانطلاق.

(٢) سَكَنَ جَأَشُهُمْ: هدأت حركتهم.

(٥) للاستفادة من أخبار الأخنف فإنَّ قيس انظر:

١ - طبقات ابن سعد: ٩٣/٧.

٢ - طبقات خليفة بن خياط: ٩٣/٧.

٣ - المعارف لأبن قتيبة: ٤٢٣.

٤ - أخبار أصبهان: ٢٢٤/١.

٥ - تهذيب ابن حساكر: ١٠/٧.

٦ - البداية والنهاية: ٣٢٦/٨.

٧ - تاريخ الإسلام للذهبي: ١٢٩/٣.

٨ - أشد الغابة: ٥٥/١.

٩ - شلوات الذهب: ٧٨/١.

١٠ - النجوم الزاهرة: ١٨٤/١.

١١ - المعجم: ٨٠/١.

١٢ - الإصابة: ١٠٠/١ أو الترجمة (٤٢٩).

# أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ لِمَا تَرَانِيهِ مِنْ حَيَاتِهِ

وَلَمْ أَرِ أَغْفَلَ وَلَا أَفْضَلَ وَلَا أَوْزَعَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ،

[تَهْدِيَةُ نُبَيْهِ هَارُونَ]

كَانَ حَسَنَ الْوَجْهِ، وَبَسِيمَ<sup>(١)</sup> الْطَّلَعَةِ، عَذَبَ الْمَنْطِقِي، حُلُوَ الْحَدِيثِ.

لَيْسَ بِالطُّوِيلِ الْبَائِنِ<sup>(٢)</sup>، وَلَا بِالْقَصِيرِ الَّذِي تَنْبُو عَنْهُ الثُّيُونُ<sup>(٣)</sup>.

وَهُوَ إِلَى ذَلِكَ لَبَّاسُ أَيْقُنِ الثِّيَابِ، بَهِي الْطَّلَعَةِ، كَثِيرُ التَّعَطُّرِ؛ إِذَا طَلَعَ عَلَى النَّاسِ عَرَفُوهُ مِنْ طَبِيبِهِ قَبْلَ أَنْ يَرَوْهُ.

ذَلِكُمْ هُوَ «النُّعْمَانُ بْنُ قَابِطِ بْنِ الْمَرْزُوبَانِ» الْمَكْنَى بِأَبِي حَنِيفَةَ.

أَوَّلُ مَنْ فَتَى أَكْثَامَ<sup>(٤)</sup> الْفَقْهِ، وَاسْتَخْرَجَ أَرْوَعَ مَا فِيهَا مِنْ طُيُوبٍ.

\* \* \*

أَذْرَكَ أَبُو حَنِيفَةَ طَرَفًا مِنْ آخِرِ غَضْرِ بَنِي «أُمَيَّة»، وَآخَرَ مِنْ أَوَّلِ غَضْرِ بَنِي

«الْعَبَّاسِ».

وَعَاشَ فِي زَمَنِ أَغْدَقَ فِيهِ الْخُلَفَاءُ وَالْوُلَاةُ عَلَى أَصْحَابِ الْمَوَاهِبِ إِغْدَاقًا حَتَّى صَارَ رِزْقُهُمْ يَأْتِيهِمْ رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَهُمْ لَا يَشْغُرُونَ.

يَبْدُو أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ أَكْرَمَ عِلْمَهُ وَنَفْسَهُ عَنْ ذَلِكَ، وَخَزَمَ أَمْرَهُ عَلَى أَنْ يَأْكُلَ

مِنْ كَسْبِ يَمِينِهِ...

(١) وسيم الطلعة: بهي المنظر.

(٢) الطويل البائن: الشديد الطول.

(٣) تنبو عنه العمود: تعرض عنه الأنظار، ولا ترتاح لرؤيته.

(٤) فتى أكمام الفقه: أحصب الفقه وكشف عن روائحه.

وَأَنْ تَكُونَ بِهَذِهِ هِيَ الْعَلِيَا دَائِمًا...

\* \* \*

دَعَاهُ «الْمَنْصُورُ» ذَاتَ مَرَّةٍ إِلَى زِيَارَتِهِ ، فَلَمَّا صَارَ عِنْدَهُ بَالَعَ فِي إِعْظَامِهِ  
وَأَكْرَامِهِ وَالتَّزَجُّبِ بِهِ ، وَأَذْنَى<sup>(١)</sup> مَجْلِسَهُ مِنْهُ ، وَجَعَلَ يُسَائِلُهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ  
شُؤُونِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا .

فَلَمَّا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ ؛ دَفَعَ إِلَيْهِ بِكَيْسٍ فِيهِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ - عَلَى  
مَا كَانَ مَعْرُوفًا مِنْ إِسْمَاكَ<sup>(٢)</sup> الْمَنْصُورِ - فَقَالَ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي غَرِيبٌ فِي «بَهْدَادٍ» ...

وَلَيْسَ لِهَذَا الْحَالِ مَوْضِعٌ عِنْدِي ، وَإِنِّي لَأُخْشَى عَلَيْهِ ...

فَاخْفِظْهُ لِي فِي بَيْتِ الْحَالِ حَتَّى إِذَا اخْتَجَّجْتُهُ طَلَبْتُهُ مِنْكَ .

فَأَجَابَهُ الْمَنْصُورُ إِلَى رَغْبَتِهِ .

غَيْرَ أَنَّ الْحَيَاةَ لَمْ تَطُلْ بِهَذَا بَدِيدٍ بِأَيِّ حَنِيفَةٍ .

فَلَمَّا وَاثَاةَ الْأَجَلِ ؛ وَجَدَتْ فِي بَيْتِهِ وَدَائِعُ النَّاسِ تَزِيدُ عَلَى أَضْعَافِ هَذَا  
الْمَبْلَغِ ، فَلَمَّا سَمِعَ «الْمَنْصُورُ» بِذَلِكَ قَالَ :

يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا حَنِيفَةَ ، فَقَدْ خَدَعَنَا ، وَأَتَى أَنْ يَأْخُذَ شَيْئًا مِنَّا ، وَتَلَطَّفَ فِي  
رَدِّنَا .

وَلَا غَرَوْ<sup>(٣)</sup> فَقَدْ كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يُوقِنُ أَنَّ مَا أَكَلَ امْرَأَتُ لُقْمَةَ أَرْكَى وَلَا أَعْرَوْ  
مِنْ لُقْمَةٍ يَتَأَلَّهَا مِنْ كَسْبٍ بِيَدِهِ .

(١) أَدْنَى : قُرْب .

(٢) الْإِسْمَاكُ : خُدَّ الْجُرُود .

(٣) لَا غَرَوْ : لَا حُجُب .

لِذَلِكَ نَجِدُهُ يُخَصِّصُ شَطْرًا مِنْ وَفْقِهِ لِلتَّجَارَةِ .  
فَقَدْ جَعَلَ يَتَجَرَّ بِالْحَرْ<sup>(١)</sup> وَأَثْوَابِهِ ، وَكَانَتْ تِجَارَتُهُ ذَاهِبَةً آيَةً بَيْنَ مُدُنِ  
« الْعِرَاقِ » .

وَكَانَ لَهُ مَتَجَرٌّ مَعْرُوفٌ يَقْصِدُهُ النَّاسُ ؛ فَيَجِدُونَ فِيهِ الصَّدَقَ فِي  
الْمُعَامَلَةِ ، وَالْأَمَانَةَ فِي الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ ...  
وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَجِدُونَ فِيهِ الذُّوقَ الرَّفِيعَ أَيْضًا .  
وَلَقَدْ كَانَتْ تِجَارَتُهُ تُدِيرُ عَلَيْهِ خَيْرًا وَفَيْرًا ، وَتَخْبُوهُ<sup>(٢)</sup> - مِنْ فَضْلِ اللَّهِ -  
مَالًا كَثِيرًا .

فَكَانَ يَأْخُذُ الْمَالَ مِنْ جِلِّهِ ، وَيَضَعُهُ فِي مَحَلِّهِ .  
فَلَقَدْ عَرِفَ عَنْهُ أَنَّهُ كُلَّمَا حَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ ؛ أَخَصَصَ أَرْبَاحَهُ مِنْ تِجَارَتِهِ ،  
وَاسْتَبَقَى مِنْهَا مَا يَكْفِيهِ لِنَفَقَتِهِ ، ثُمَّ يَشْتَرِي بِالْبَاقِي حَوَائِجَ الْفُرَّاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ ،  
وَالْفُقَهَاءِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ ، وَأَقْوَانَهُمْ وَكِسْوَتَهُمْ ...  
وَيُخَصِّصُ لِكُلِّ مِنْهُمْ مَبْلَغًا مِنَ التَّقْدِ الْعَيْنِ ، وَيَدْفَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَيْهِمْ  
وَيَقُولُ :

هَذِهِ أَرْبَاحُ بَضَائِعِكُمْ أَجْرَاهَا<sup>(٣)</sup> اللَّهُ لَكُمْ عَلَى يَدَيَّ ...  
وَاللَّهُ مَا أَعْطَيْتُكُمْ مِنْ مَالِي شَيْئًا .  
وَأِنَّمَا هُوَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيَّ فَيَكُم ...  
فَمَا فِي رِزْقِي لِلَّهِ حَوْلٌ لِأَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ .

\* \* \*

(١) الْحَرْ : مَا تُسَّجُ مِنْ صَوْفٍ وَحَرِيرٍ . (٢) تَخْبُوهُ : تَعْطِيهِ وَتَهَبُهُ . (٣) أَجْرَاهَا : حَقَّقَهَا وَأَقْضَاهَا .

وَلَقَدْ شَرَقَتْ أَخْبَارُ مُجُودِ أَبِي حَنِيفَةَ وَسَمَاحِيهِ وَغَرَبَتْ، وَخَاصَّةً مَعَ  
مَجْلَسَائِهِ وَأَصْحَابِيهِ .

مِنْ ذَلِكَ أَنَّ أَحَدَ مَجْلَسَائِهِ جَاءَ إِلَى مَشْجَرِهِ يَوْمًا وَقَالَ :

إِنِّي بِحَاجَةٍ إِلَى ثَوْبٍ خَزٌّ يَا أَبَا حَنِيفَةَ .

فَقَالَ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ : مَا لَوْثُهُ ؟ .

فَقَالَ : كَذًا وَكَذًا .

فَقَالَ : اضْبُرْ حَتَّى يَتَّعَ لِي فَأَخْذُهُ لَكَ .

فَمَا إِنْ دَارَتْ الْجُمُعَةُ<sup>(١)</sup> حَتَّى وَقَعَ لَهُ الثَّوْبُ الْمَطْلُوبُ .

فَمَرَّ بِهِ صَاحِبُهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ :

قَدْ وَقَعْتُ لِي حَاجَتُكَ ... وَأَخْرَجَ إِلَيْهِ الثَّوْبَ ، فَأَعْجَبَهُ وَقَالَ :

كَمْ أَذْفَعُ لِعَلَامِكَ ثَمَنُهُ ؟ .

فَقَالَ : دِرْهَمًا<sup>(٢)</sup> .

فَقَالَ الرَّجُلُ فِي اسْتِغْرَابٍ : دِرْهَمًا وَاحِدًا ١٩ .

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : نَعَمْ .

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : مَا كُنْتُ أَظُنُّكَ تَهْزَأُ<sup>(٣)</sup> بِي يَا أَبَا حَنِيفَةَ .

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : مَا هَزَيْتُ بِكَ ...

وَأِنَّمَا اشْتَرَيْتُ هَذَا الثَّوْبَ وَأَخَرْتُ مَعَهُ بَعْشَرِينَ دِينَارًا ذَهَبًا ، وَدِرْهَمٍ مِنْ

الْفِصَّةِ ...

(١) دارت الجمعة : انقضى الأسبوع .

(٢) درهماً : الدرهم من الفِصَّةِ ، والدinar من الذهب .

(٣) تهزأ بي : تشكّر مني .

وَقَدْ بَعَثَ أَحَدَ التَّوَيْنَيْنِ بِعِشْرِينَ دِينَاراً ذَهَباً، وَبَقِيَ عَلَيَّ هَذَا يَدْرَهُمْ  
وَاجِدٌ .

وَمَا كُنْتُ لِأَرْبِعَ عَلَى جَلِيسِي .

\* \* \*

وَبَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ تَطْلُبُ ثَوْبَ خَزٍّ ...

فَأَخْرَجَ لَهَا الثَّوْبَ الْمَطْلُوبَ ، فَقَالَتْ لَهُ :

إِنِّي امْرَأَةٌ عَجُوزٌ ...

وَلَا عِلْمَ لِي بِالْأَمَانِ ...

وَأَنَّهَا الْأَمَانَةُ ...

فَبَغَضِي الثَّوْبَ بِمَا قَامَ عَلَيْكَ<sup>(١)</sup> ، وَأَضِيفَ إِلَيْهِ قَلِيلاً مِنَ الرَّبِيعِ ؛ فَإِنِّي  
ضَعِيفَةٌ .

فَقَالَ لَهَا : إِنِّي اشْتَرَيْتُ ثَوْبَيْنِ اثْنَيْنِ فِي صَفْقَةٍ<sup>(٢)</sup> وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ إِنِّي بَعَثْتُ  
أَحَدَهُمَا بِرَأْسِ الْعَالِ إِلَّا أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ ؛ فَخُذِيهِ بِهَا ، وَلَا أُرِيدُ مِنْكَ رِبْحاً .

\* \* \*

وَقَدْ رَأَى ذَاتَ يَوْمٍ ثِيَاباً رَثَةً عَلَى أَحَدِ جُلَسَائِهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّاسُ ، وَلَمْ  
يَبْقَ فِي الْمَجْلِسِ إِلَّا هُوَ وَالرَّجُلُ قَالَ لَهُ :

ارْزُقْ هَذَا الْمُصَلِّيَ وَخُذْ مَا تَحْتَهُ .

فَرَفَعَ الرَّجُلُ الْمُصَلِّيَ ؛ فَإِذَا تَحْتَهُ أَلْفُ دِرْهَمٍ .

فَقَالَ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ : خُذْهَا وَأَصْلِغْ بِهَا مِنْ شَأْنِكَ<sup>(٣)</sup> .

(١) بما قام عليك : بالثمن الذي اشتريته به .

(٢) صَفْقَةٌ وَاحِدَةٌ : عَقْدٌ وَاحِدٌ .

(٣) شَأْنُكَ : حَالُكَ وَمَظْهَرُكَ .



فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي مُوسِرٌ<sup>(١)</sup> ، وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ ، وَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا .  
فَقَالَ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ :

إِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ فَأَتَيْنِ آثَارُ نِعْمَتِهِ ۱؟ ...  
أَمَا بَلَغَكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يَقُولُ :  
(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ) ...  
فَيَنْبِغِي عَلَيْكَ أَنْ تُصْلِحَ مِنْ شَأْنِكَ حَتَّى لَا تُنْقِمَ<sup>(٢)</sup> صَدِيقَكَ .

\* \* \*

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ جُودِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَبُرُوهُ بِالنَّاسِ ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى عِيَالِهِ  
نَفَقَةً تَصَدَّقَ بِحِيلِهَا عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُحْتَاجِينَ .  
وَإِذَا انْكَسَى ثَوْباً جَدِيداً كَسَى الْمَسَاكِينَ بِقَدْرِ ثَمَنِهِ .  
وَكَانَ إِذَا وُضِعَ الطَّعَامُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَرَفَ مِنْهُ ضِعْفَ مَا يَأْكُلُهُ عَادَةً ، وَدَفَعَ بِهِ  
إِلَى الْفُقَرَاءِ .

\* \* \*

وَمِمَّا يُزَوِّى عَنْهُ أَنَّهُ قَطَعَ عَهْداً عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَخْلِفَ بِاللَّهِ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ  
إِلَّا تَصَدَّقَ بِدِرْهَمٍ نِصْفَةٍ .  
ثُمَّ تَذَوِّجُ فِي الْأَمْرِ ، فَجَعَلَ عَلَى نَفْسِهِ عَهْداً إِنْ خَلَفَ بِاللَّهِ لَيَتَصَدَّقَ  
بِدِينَارٍ مِنْ ذَهَبٍ ...  
فَكَانَ إِذَا خَلَفَ صَادِقاً تَصَدَّقَ بِدِينَارٍ .

\* \* \*

(٢) تنقم : تحزن .

(١) موسر : غني .

وَلَقَدْ كَانَ « حَفْصُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ » شَرِيكاً لِأَبِي حَنِيفَةَ فِي بَعْضِ بَحَارِيهِ  
فَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يُجَهِّزُ لَهُ أَمْتَعَةَ الْحَرِّ وَيَتَعَثُّ بِهَا مَعَهُ إِلَى بَعْضِ مُدُنِ « الْعِرَاقِ » .  
فَجَهَّزَ لَهُ ذَاتَ مَرَّةٍ مَتَاعاً كَثِيراً ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي ثَوْبٍ كَذَا وَكَذَا عُيُوباً ،  
وَقَالَ لَهُ :

إِذَا هَمَمْتَ بِبَيْعِهَا فَتَبَيَّنْ لِلْمُشْتَرِي مَا فِيهَا مِنْ عَيْبٍ ...  
فَبَاعَ « حَفْصُ » الْمَتَاعَ كُلَّهُ ، وَنَسِيَ أَنْ يُعْلِمَ الْمُشْتَرِينَ بِمَا فِي الْأَثْوَابِ  
الْمَعْيِيَةِ مِنْ عُيُوبٍ .

وَلَقَدْ أَجْهَدَ <sup>(١)</sup> نَفْسَهُ فِي تَذَكُّرِ الرِّجَالِ الَّذِينَ بَاعَهُمُ الثِّيَابَ الْمَعْيِيَةَ ، فَلَمْ  
يُفْلِحْ <sup>(٢)</sup> ...

فَلَمَّا عَلِمَ أَبُو حَنِيفَةَ بِالْأَمْرِ ، وَلَمْ يَتِمَّكَزْ مِنْ مَعْرِفَةِ الَّذِينَ وَقَعَ عَلَيْهِمُ  
الْعَيْنُ <sup>(٣)</sup> لَمْ يَسْتَقِرَّ قَرَارُهُ ، وَلَمْ تَطِبْ نَفْسُهُ حَتَّى تَصَدَّقَ بِأَثْمَانِ الْمَتَاعِ كُلِّهَا .

\* \* \*

وَلَقَدْ كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ طَيِّبَ الْمَعَاشِرَةِ ، مُحَلُّو الْمُؤَانَسَةِ  
يَسْمَعُونَ بِهِ جَلِيسُهُ ... وَلَا يَشْقَى <sup>(٤)</sup> بِهِ مَنْ غَابَ عَنْهُ ، وَلَوْ كَانَ عَدُوًّا لَهُ .  
حَدَّثَ أَحَدُ أَصْحَابِهِ قَالَ :

سَمِعْتُ « عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ » <sup>(٥)</sup> يَقُولُ لِشُعَيْبَانَ الثَّوْرِيِّ <sup>(٦)</sup> :

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، مَا أَتْبَعَدُ أَبَا حَنِيفَةَ عَنِ الْغِيْبَةِ !! ...

(١) أَجْهَدَ نَفْسَهُ : حَتَّى نَفْسَهُ وَأَنْفُسَهَا .

(٢) لَمْ يَفْلَحْ : لَمْ يَنْجَحْ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى شَيْءٍ .

(٣) الْعَيْنُ : الْخَدِيشَةُ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ .

(٤) يَشْقَى بِهِ : خَسِدَ يَسْعَدُ بِهِ ، أَيْ يَهْمُهُ وَيَحْصُهُ .

(٥) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ : أَحَدُ أَعْلَامِ الْمُسْلِمِينَ ، وَوَاحِدٌ مِنْ تَابِعِيِ النَّبِيِّينَ تَاجِرُ فُلٍّ ، وَمُجَاهِدٌ مَعْرُوفٌ .

(٦) شُعَيْبَانُ الثَّوْرِيُّ : أَحَدُ أَمَّةِ الْمُحَدِّثِينَ ، لَمْ يَكُنْ فِي زَمَنِهِ مِنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ .

فَإِنِّي مَا سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ عَدُوًّا لَهُ بِشَوْءٍ قَطُّ .

فَقَالَ لَهُ سُفْيَانُ :

إِنَّ أَبَا حَنِيفَةَ أَغْفَلُ مِنْ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَى حَسَنَاتِهِ مَا يَذْهَبُ بِهَا .

\* \* \*

وَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ كَلِيفًا<sup>(١)</sup> بِأَقْبَانِصِ<sup>(٢)</sup> وَدَّ النَّاسَ ، حَرِيصًا عَلَى امْتِدَامَةِ

صَدَاقَتِهِمْ ...

فَقَدْ عَرِفَ عَنْهُ أَنَّهُ رُبَّمَا مَرَّ بِهِ الرَّجُلُ مِنَ النَّاسِ ، فَقَعَدَ فِي مَجْلِسِهِ مِنْ غَيْرِ

فَقْصِدٍ وَلَا مُجَالَسَةٍ<sup>(٣)</sup> ...

فَإِذَا قَامَ سَأَلَ عَنْهُ ، فَإِنْ كَانَتْ بِهِ فَاقَةٌ<sup>(٤)</sup> وَصَلَّهُ ...

وَإِنْ كَانَ بِهِ مَرَضٌ عَادَهُ ...

وَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ فَصَاهَا ...

حَتَّى يَجُوزَهُ إِلَى مُوَاصِلَتِهِ جَرًّا ...

\* \* \*

وَلَقَدْ كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ قَبْلَ ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ صَوَامَ نَهَارٍ ...

قَوَامَ لَيْلٍ ...

خَدِينًا<sup>(٥)</sup> يَلْقُرَانِ ...

مُسْتَعْفِرًا فِي الْأَشْحَارِ ...

وَكَانَ مِنْ أَشْيَابِ تَوَعُّلِهِ<sup>(٦)</sup> فِي الْعِبَادَةِ ، وَانْدِفَاعِهِ فِيهَا ... أَنَّهُ أَقْبَلَ ذَاتَ

يَوْمٍ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ فَسَمِعَهُمْ يَقُولُونَ :

(١) كَلِيفًا: مولياً . (٢) أَقْبَانِصِ: الرِّقَّةُ فِي التَّعْوُدِ . (٣) مُجَالَسَةٍ: الصَّدَاقَةُ .

(٤) فَاقَةٌ: الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ . (٥) خَدِينًا: تَوَعُّلُهُ وَاسْتِكْرَاهُ .

إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي تَرَوْنَهُ لَا يَتَأَمَّ اللَّيْلَ .

فَمَا إِنْ لَمْ تَسْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَيْهِ مَشْمَعَةٌ حَتَّى قَالَ :

إِنِّي عِنْدَ النَّاسِ عَلَى خِلَافٍ مَا أَنَا عَلَيْهِ عِنْدَ اللَّهِ ...

وَاللَّهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ عَنِّي مُنْذُ السَّاعَةِ بِمَا لَا أَفْعَلُ ...

وَلَنْ أَتَوَسَّدَ<sup>(١)</sup> فِرَاشاً بَعْدَ الْيَوْمِ فِي لَيْلٍ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ .

ثُمَّ دَأَبَ مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ كُلِّهِ ، فَكَانَ إِذَا أَرَخَى الظَّلَامَ

سُدُولَهُ<sup>(٢)</sup> عَلَى الْكَوْنِ ، وَأُسْلِمَتِ<sup>(٣)</sup> الْجُنُوبُ إِلَى الْمَضَاجِعِ ...

قَامَ فَلَيْسَ أَحْسَنَ نِيَابِهِ ، وَسَرَّحَ لِحَيْتَيْهِ ، وَتَطَلَّبَ ، وَتَزَيَّنَ ...

ثُمَّ يَصِفُ فِي مِخْرَابِهِ ، وَيَقْطَعُ لَيْلَهُ قَائِماً<sup>(٤)</sup> ، أَوْ مُنْحَنياً<sup>(٥)</sup> ، يَصْلِيهِ عَلَى

أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ ، أَوْ رَافِعاً يَدَيْهِ بِالضَّرَاعَةِ .

فَلَرُبَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ ...

وَلَرُبَّمَا قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ يَاتِيَةً وَاحِدَةً ...

فَلَقَدْ رُويَ أَنَّهُ قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ وَهُوَ يُرَدِّدُ قَوْلَهُ جَلَّ وَعَزَّ :

﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ، وَالسَّاعَةُ أَذْهَبِي وَأَمْرٌ ﴾ .

﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ، وَالسَّاعَةُ أَذْهَبِي وَأَمْرٌ ﴾<sup>(٦)</sup> .

وَهُوَ يَتَكَبَّرُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ بُكَاءً يَقْطَعُ نِيَابَ<sup>(٧)</sup> الْقُلُوبِ .

(١) أتوسد : ألتجس وسادة تحت رأسي .

(٢) سدوله : أساور ظلمته .

(٣) أسلمت الجنب إلى المضجع : غرقت في نومها .

(٤) قائماً : قائماً بطاعة الله .

(٥) منحياً بصلبه : مكباً .

(٦) سورة القمر : آية ٤٦ .

(٧) نياط القلوب : هزول الأهلية .

وَيَنْشُجُ<sup>(١)</sup> نَشِيجاً مَبْحُوحاً يُفْطَرُ<sup>(٢)</sup> الْأَقِيلَةَ .

\* \* \*

وَلَقَدْ عُرِفَ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى الْفَجْرَ بِوُضُوءِ الْعِشَاءِ ؛ نَحْواً مِنْ أَرْبَعِينَ عَاماً ...  
مَا تَرَكَ ذَلِكَ خِلَالَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً .

وَأَنَّهُ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي تُؤْفَى فِيهِ سَبْعَةُ آلَافِ مَرَّةٍ .  
وَكَانَ إِذَا قَرَأَ سُورَةَ الزُّلْزَلَةِ اقْشَعَرَّ جِلْدُهُ ...  
وَوَجَلَ<sup>(٣)</sup> فَوَادُهُ ...

وَأَخَذَ لِحْيَتَهُ بِيَدِهِ وَطَفِقَ يَقُولُ :  
يَا مَنْ يَجْزِي بِمِثْقَالِ<sup>(٤)</sup> ذَرَّةٍ خَيْرٍ خَيْراً ...  
وَيَا مَنْ يَجْزِي بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ شَرّاً ...  
أَجْرَ عَبْدِكَ الثُّغْمَانَ مِنَ النَّارِ ...  
وَبَاعِدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُقَرَّبُهُ مِنْهَا ...  
وَأَذْخَلَهُ فِي وَاسِعِ رَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

---

(١) ينشج : ينعش بالكاء .

(٢) يفطر : يهزل .

(٣) وجل : عوده : استشعر الحروف .

(٤) مِثْقَالُ ذَرَّةٍ : وَزْنُ ذَرَّةٍ ، وَالذَّرَّةُ : جَرَّةٌ مِثْلُهَا فِي الصَّغَرِ .

# أَبُو حَنِيفَةَ الثُّعْمَانُ وَمَضَاهُ قَدْرٌ مِنْ عَجَبَاتِهِ وَذِكَايِهِ

«كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ الثُّعْمَانُ شَدِيدَ الدُّبِّ عَنْ حُرْمَاتِ اللَّهِ ...  
طَوِيلَ الصَّمْتِ ، دَائِمَ الْفِكْرِ»

[الإمام أبو يوسف]

دَخَلَ «أَبُو حَنِيفَةَ الثُّعْمَانُ» ، عَلَى الْإِمَامِ مَالِكٍ وَعِنْدَهُ ثُلَّةٌ (١) مِنْ أَصْحَابِهِ ؛  
فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ تَنَقَّتْ مَالِكٌ إِلَى مَجْلَسَاتِهِ ، وَقَالَ :  
أَتَذُرُونَ مَنْ هَذَا ؟

فَقَالُوا : لَا .

فَقَالَ : هَذَا «الثُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ» .

هَذَا الَّذِي لَوْ قَالَ عَنْ هَلِوِ الشَّارِبَةِ (٢) : «إِنَّمَا ذَهَبَ» لَاحْتَجَّ لِمَا قَالَ ،  
وَلَخَرَجَتْ كَذَلِكَ .

\* \* \*

لَمْ يَكُنِ الْإِمَامُ مَالِكٌ مُبَالِغاً فِيمَا وَصَفَ بِهِ أَبَا حَنِيفَةَ مِنْ قُوَّةِ الْحُجَّةِ ،  
وَشُرْعَةِ الْبَيِّنَةِ ، وَتَوَقُّدِ الذَّهْنِ ، وَحِدَّةِ الْخَاطِرِ .

فَقَدْ طَوَّفَتْ كُتُبُ التَّارِيخِ وَالسِّيَرِ بِأَخْبَارِ مَوَاقِفِهِ مَعَ خُصُومِهِ فِي الرُّأْيِ ،  
وَمُتَنَادِيهِ فِي الْعَقِيدَةِ ...

وَكَلُّهَا شَوَاهِدٌ عَلَى صِحَّةِ مَا نَعْتَهُ بِهِ الْإِمَامُ مَالِكٌ مِنْ أَنَّهُ لَوْ زَعَمَ لَكَ أَنَّ

(١) الثُّلَّةُ : الجماعة الكثيرة .

(٢) الشَّارِبَةُ : الأسطوانة ، وسارية للمسجد عمود يصب فيه .

الثَّرابَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ ذَهَبَ لَمَّا وَسِعَكَ إِلَّا أَنْ تُذِيعَ لِحُجَّتِهِ ، وَأَنْ تُسَلِّمَ  
لِدَعْوَاهُ .

فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مُتَاضِلٌ عَنِ الْحَقِّ ، وَيُجَادِلُ مِنْ أَجْلِهِ .

\* \* \*

مِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ « الْكُوفَةِ » أَضَلَّهُ اللَّهُ .

وَكَانَ ذَا قَدْرِ فِي غُيُوبِ بَعْضِ النَّاسِ ، وَصَاحِبَ كَلِمَةٍ مَشْمُوعَةٍ لَدَيْهِمْ .

وَكَانَ الرَّجُلُ يَزْعُمُ لِلنَّاسِ فِيمَا يَزْعُمُهُ لَهُمْ أَنَّ « عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ » <sup>(١)</sup> كَانَ  
يَهُودِيًّا فِي أَصْلِهِ ...

وَأَنَّهُ ظَلَّ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ أَيْضًا ...

فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو حَنِيْفَةَ مَقَالَتَهُ هَلِيزَ مَضَى إِلَيْهِ وَقَالَ :

لَقَدْ جِئْتُكَ خَاطِبًا ابْتَنَكَ فَلَانَهُ لَا أَحَدٍ أَصْحَابِي .

فَقَالَ : أَهْلًا بِكَ وَمَرْحَبًا ...

إِنْ مِثْلَكَ لَا تُرَدُّ لَهُ حَاجَةٌ يَا أَبَا حَنِيْفَةَ ...

وَلَكِنْ مَنِ الْخَاطِبُ ؟

فَقَالَ : رَجُلٌ مَوْسُومٌ <sup>(٢)</sup> بَيْنَ قَوْمِهِ بِالشَّرَفِ وَالْغِنَى ...

سَجَنِي الْيَدِ ، مَبْسُوطٌ <sup>(٣)</sup> الْكَفِّ ...

حَافِظٌ لِكِتَابِ اللَّهِ جَلُّ وَعَزُّ ...

---

(١) عثمان بن عفان : انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي ، الطبعة  
المشروعة .

(٢) موسوم : موصوف .

(٣) مبسوط الكف : كريم شديد الكرم .

يَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي رُكْعَةٍ ...  
كَثِيرُ الْبَكَاءِ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ تَعَالَى ...  
فَقَالَ الرَّجُلُ : بَخِ بَخِ (١) ... حَسْبُكَ يَا أَبَا حَنِيفَةَ ...  
إِنْ بَعْضَ مَا ذَكَرْتَهُ مِنْ صِفَاتِ الْخَاطِبِ يَجْعَلُهُ ، كُنْفًا لَيْسَتْ أُمِيرُ  
الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : غَيْرَ أَنْ فِيهِ خَصْلَةٌ لَا يُدُّ مِنْ أَنْ تَيْفَ عَلَيْهَا .  
قَالَ : وَمَا هِيَ ۱؟ .  
قَالَ : إِنَّهُ يَهُودِيٌّ .  
فَانْتَفَضَ الرَّجُلُ وَقَالَ : يَهُودِيٌّ ۱؟ ...  
أَتُرِيدُ مِنِّي أَنْ أَزُوجَ ابْنَتِي مِنْ يَهُودِيٍّ يَا أَبَا حَنِيفَةَ ۱؟ ...  
وَاللَّهِ لَا أَزُوجُهَا مِنْهُ ، وَلَوْ جَمَعَ حِصَالِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ...  
فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ :  
تَأْتِي أَنْ تُزُوجَ ابْنَتَكَ مِنْ يَهُودِيٍّ ، وَتُنْكِرُ ذَلِكَ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ ...  
ثُمَّ تَزْعُمُ لِلنَّاسِ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ زُوجَ ابْنَتَيْهِ كِلْتَابِيهِمَا مِنْ يَهُودِيٍّ ۱۱ .  
فَعَرَبَتِ الرَّجُلَ رَعْدَةً (٢) وَقَالَ :  
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلِ سُوءٍ قُلْتُهُ ...  
وَأَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ فِرْيَةِ افْتَرَيْتُهَا (٣) .

\* \* \*

(١) بَخِ : كلمة تستعمل للرغى والإعجاب .

(٢) حرته رعدة : ارتعد جعته .

(٣) فريّة الفريحا : كلمة باطل قلتها .



وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَمَّا أَحَدُ الْخَوَارِجِ (١) وَهُوَ «الصُّعْكَاءُ الشَّارِي» جَاءَ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَالَ :  
تُبُّ يَا أَبَا حَنِيفَةَ .

فَقَالَ : مِمَّ أَتُوبُ ۱٩ .

فَقَالَ الْخَارِجِيُّ : مِنْ قَوْلِكَ بِجَوَارِ الثُّعْكِيمِ الَّذِي جَرَى نَيْنَ عَلَيَّ وَمُعَاوَةَ .

فَقَالَ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ : أَلَا تَقْبَلُ أَنْ تُتَاطَرَنِي فِي هَذَا الْأَمْرِ ؟ .

فَقَالَ الْخَارِجِيُّ : بَلَى .

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : فَإِنْ اخْتَلَفْنَا فِي شَيْءٍ مِمَّا نَتَاطَرُ فِيهِ ، فَمَنْ يَحْكُمُ بَيْنَنَا ؟ .

فَقَالَ الْخَارِجِيُّ : حَكْمُ مَنْ تَشَاءُ .

فَالْتَمَسَتْ أَبُو حَنِيفَةَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ الْخَارِجِيِّ كَانَ مَعَهُ وَقَالَ :

احْكُمْ بَيْنَنَا فِيمَا نَخْتَلِفُ فِيهِ ...

ثُمَّ قَالَ لِلْخَارِجِيِّ : أَنَا رَضِيتُ بِصَاحِبِكَ فَهَلْ تَرْضَى بِهِ أَنْتَ ؟ .

فَسَرَّ الْخَارِجِيُّ وَقَالَ : نَعَمْ .

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : وَنَحْنُ أَلْجُورُ الثُّعْكِيمِ فِيمَا يَشْجُرُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ (٢) ، وَتُذَكِّرُهُ عَلَيَّ اثْنَيْنِ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ۱٩ .

فَبَيَّهَتْ الْخَارِجِيُّ ، وَلَمْ يُجِزْ جَوَاباً (٣) ...

\* \* \*

(١) الخوارج : هم الذين خرجوا على علي وعمر رضي الله عنهما .

(٢) يشجر بيني وبينك : يقع بيننا من خلاف . (٣) لم يُجز جواباً : سكت ، ولم يجب بشيء .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً أَنَّ « جَهَنَّمَ بَيْنَ صَفْوَانَ ، رَأْسِ الْفِرْقَةِ « الْجَهَنَّمِيَّةِ » ، الصَّالَةِ  
الْمُبْتَدِعَةِ ، وَزَارِعِ الشَّرِّ فِي أَرْضِ الْإِسْلَامِ جَاءَ مَوَّةٌ أَبَا حَنِيفَةَ وَقَالَ :

لَقَدْ أَتَيْتُكَ لِأَكْلَمَكَ فِي أَشْيَاءَ هَيَأْتُهَا لَكَ ...

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : الْكَلَامُ مَعَكَ عَارٍ ...

وَالْحَوْضُ فِيمَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ نَارٌ تَلْطَلِي (١).

فَقَالَ جَهَنَّمَ : كَيْفَ حَكَمْتَ عَلَيَّ بِمَا حَكَمْتَ ، وَأَنْتَ لَمْ تَلْفَنِي مِنْ قَبْلُ ،  
وَلَمْ تَسْمَعْ كَلَامِي ١٩ .

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : لَقَدْ بَلَّغْتَنِي عَنْكَ أَقَاوِيلُ لَا تَصُدُّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ  
الْقِبْلَةِ (٢).

فَقَالَ « جَهَنَّمَ » : أَتَحْكُمُ عَلَيَّ بِالْغَيْبِ ؟

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : لَقَدْ شُهِرَ ذَلِكَ عَنْكَ وَاسْتَفَاضَ (٣) ...

وَعَرَفَتْهُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ ، فَجَازَ لِي أَنْ أُثَبِّتَهُ عَلَيْكَ بِمَا تَوَاتَرَ عَنْكَ .

فَقَالَ « جَهَنَّمَ » : أَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَشْأَلَكَ إِلَّا عَنِ الْإِيمَانِ .

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : أَوْ لَمْ تَعْرِفِ الْإِيمَانَ إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ حَتَّى تَسْأَلَنِي

عَنْهُ ١٩ .

فَقَالَ « جَهَنَّمَ » : بَلَى ، وَلَكِنِّي شَكَّكَ فِي نَوْعِ مِنْهُ .

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : الشُّكُّ فِي الْإِيمَانِ كُفْرٌ .

(١) تَلْطَلِي : تَلْهَبُ وَتَهْدِفُ بِالشَّرِّ .

(٢) أَهْلُ الْقِبْلَةِ : الْمُسْلِمُونَ ، وَقَدْ سَمُوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَسْتَقْبِلُونَ الْقِبْلَةَ فِي صَلَاتِهِمْ .

(٣) اسْتَفَاضَ : شَاعَ بَيْنَ النَّاسِ وَفَاحَ .

فَقَالَ « جَهَنَّمُ » : لَا يَجُلُ لَكَ أَنْ تَصِمَنِي بِالْكَفْرِ إِلَّا إِذَا سَمِعْتَ مِنِّي مَا يُكْفِّرُ .

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : سَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ .

فَقَالَ « جَهَنَّمُ » : أَخْبِرْنِي عَنْ رَجُلٍ عَرَفَ اللَّهَ بِقَلْبِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلَا يَذُّ (١) ...

وَعَرَفَهُ بِصِفَاتِهِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ...

ثُمَّ مَاتَ وَلَمْ يُغْلِبِ الْإِيمَانَ يَلْسَانِيهِ .

أَفَيْمُوثٌ مُؤْمِنًا أَمْ كَافِرًا ؟ .

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : يَمُوتُ كَافِرًا ، وَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ إِذَا لَمْ يُصَرِّحْ يَلْسَانِيهِ عَمَّا عَرَفَهُ بِجَنَانِيهِ (٢) مَا لَمْ يَمْتَنِعْهُ مِنَ التَّصْرِيحِ بِاللِّسَانِ مَانِعٌ .

فَقَالَ « جَهَنَّمُ » : كَيْفَ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا وَقَدْ عَرَفَ اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ ١٩ .

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ وَتَجْعَلُهُ حُجَّةً كَلِمَتُكَ بِهِ ...

وَإِنْ كُنْتَ لَا تُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ وَلَا تَرَاهُ حُجَّةً كَلِمَتُكَ بِمَا نُكَلِّمُ بِهِ مَنْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ .

قَالَ « جَهَنَّمُ » : بَلْ أُوْمِنُ بِالْقُرْآنِ وَأَجْعَلُهُ حُجَّةً .

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ الْإِيمَانَ بِجَارِحَتَيْنِ (٣) اثْنَتَيْنِ : بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ لَا يَوَاحِدُهُ مِنْهُمَا ...

وَكِتَابُ اللَّهِ وَحَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَافِحَانِ يَتَقَرَّرُ ذَلِكَ :

(١) التَّدُّ : اللَّغْلُ وَالشَّيْبُ .

(٢) بِجَنَانِهِ : بِقَلْبِهِ .

(٣) بِجَارِحَتَيْنِ : بِضَوْنَيْنِ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَوَلَّى أَعْيُنُهُمْ تَكْفِيفٌ مِّنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِّنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ • وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ •

فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾ .

فَهُمْ عَرَفُوا الْحَقَّ بِجَنَّتَيْنِهِمْ ، وَنَطَقُوا بِهِ بِلِسَانِهِمْ ، فَأَدْخَلَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ (٢) .

فَأَمَرَهُم بِالْقَوْلِ ، وَلَمْ يَكْتَفِ مِنْهُمْ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ( قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَقْبَلُحُوا ) (٣) ...

فَلَمْ يَجْعَلِ الْفَلَاحَ بِالْمَعْرِفَةِ وَحْدَهَا ، وَإِنَّمَا ضَمَّ إِلَيْهَا الْقَوْلَ .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ( يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ) ...

فَلَمْ يَقُلْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ .

وَلَوْ كَانَ الْقَوْلُ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَكَفَتْهُ بِالْمَعْرِفَةِ مِنْ دُونِهِ لَكَانَ إِبْلِيسُ مُؤْمِنًا ...

(١) سورة المائدة : من الآية ٨٣ - ٨٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٣٦ .

(٣) تَقْبَلُحُوا : تَطَهَّرُوا بِرَضَى اللَّهِ حُرٍّ وَجَلٍّ ، وَتَقَرَّبُوا بِالْحَنَّةِ .

لَأَنَّهُ عَارِفٌ بِزَيُّوهُ؛ فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ، وَهُوَ الَّذِي يُمِيتُهُ، وَهُوَ  
الَّذِي يُمِيتُهُ، وَهُوَ الَّذِي أَعْوَاهُ<sup>(١)</sup>.

قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِهِ :

﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَنِي مِنْ طِينٍ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ : ﴿ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي <sup>(٣)</sup> إِلَى يَوْمٍ يُخْرُجُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ : ﴿ قَبِمْمَا أَعُوذُ بِكَ مِنْ صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ <sup>(٥)</sup> ﴾<sup>(٦)</sup>.

وَلَوْ كَانَ مَا تَزَعَّمُهُ صَاحِبِهَا لَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْكُفَّارِ مُؤْمِنِينَ بِمَعْرِفَتِهِمْ لِزَيُّهِمْ  
مَعَ إِنكَارِهِمْ لَهُ يَلْسَانِيهِمْ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلُوا <sup>(٧)</sup> بِهَا وَاسْتَفْتَتْهَا <sup>(٨)</sup> أَنْفُسُهُمْ ﴾<sup>(٩)</sup>.

فَلَمْ يَجْعَلْهُمْ مُؤْمِنِينَ بِاسْتِفَاقِهِمْ وَإِنَّمَا عَدَّهُمْ كَافِرِينَ لِجُحُودِ أَلْسِنَتِهِمْ .

وَمَضَى أَبُو حَنِيفَةَ يَتَدَفَّقُ عَلَى هَذَا النَّسَبِ تَارَةً بِالْقُرْآنِ وَأُخْرَى بِالْحَدِيثِ  
حَتَّى بَدَأَ الْإِنْبَهَارَ وَالْجَذْلَانِ<sup>(١٠)</sup> عَلَى وَجْهِ « جَهْمٍ » ...

وَأَنْسَلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ أَبِي حَنِيفَةَ وَهُوَ يَقُولُ :

لَقَدْ أَذْكَرْتَنِي شَيْعًا كُنْتُ نَاسِيَهُ، وَسَارَجُ عِ إِلَيْكَ .

ثُمَّ مَضَى إِلَى غَيْرِ عَوْدَةٍ .

\* \* \*

- |   |  |
|---|--|
| (١) أَعْوَاهُ : أَضَلَّهُ .                               | (١٦) سورة الأعراف : آية ١٦ .                             |
| (٢) الأعراف : آية ١٢ .                                    | (٧) جعلوا : كَذَّبُوا وَكَفَرُوا .                       |
| (٣) أَنْظِرْنِي : أَمُهْنِي وَأَعْرِنِي .                 | (٨) اسْتَفْتَتْهَا : عَلِمَتْهَا وَتَحَقَّقَتْ مِنْهَا . |
| (٤) سورة الحجر : آية ٣٦ .                                 | (٩) سورة النمل : آية ١٤ .                                |
| (٥) الْمُسْتَقِيمِ : السَّوِيِّ الَّذِي لَا حُجَّ فِيهِ . | (١٠) الْجَذْلَان : الضَّحْفُ وَتَقْلَانِ النَّصِيرِ .    |

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً أَنَّ أَتَا خَنِيْفَةً لَقِي طَائِفَةً مِنَ الْمُلْحِدِينَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ  
وُجُودَ الْخَالِقِ جَلَّ وَعَزَّ، فَقَالَ لَهُمْ :

مَا تَقُولُونَ فِي سَفِينَةٍ مَشْحُونَةٍ (١) بِالْأَثْقَالِ ، مَمْلُوءَةٍ بِالْأَمْنِيَةِ  
وَالْأَحْمَالِ ...

قَدْ أَخَاطَتْ بِهَا فِي لُجَةِ (٢) الْبَحْرِ أَمْوَاجٌ مُتَلَاطِمَةٌ ، وَعَصَفَتْ بِهَا رِيَّاحٌ  
غَائِيَةٌ ؛ غَيْرَ أَنَّهَا ظَلَّتْ تَجْرِي هَادِئَةً فِي طَرِيقِهَا الْمَرْسُومَةِ ، وَتَعْمُضِي مُطْمَئِنَّةً إِلَى  
غَايَتِهَا الْمَعْلُومَةِ ؛ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَابٍ وَلَا خَلَلٍ وَلَا انْجِرَافٍ ، وَلَيْسَ عَلَى ظَهْرِهَا  
مَلَأَحٌ يُحْكِمُ (٣) مَسِيرَهَا ، أَوْ مُوجَةٌ يُنْظِمُ خَطْوَهَا ...

أَتَبْصَحُ ذَلِكَ فِي الْفِكْرِ ١٩ .

فَقَالُوا : لَا ، إِنْ هَذَا شَيْءٌ لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ وَلَا يُجِيزُهُ الْوَهْمُ ، أَفَبِهَا الشَّيْخُ ...

فَقَالَ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ !! .

تُنْكِرُونَ أَنَّ تَجْرِي سَفِينَةٍ فِي الْبَحْرِ جُزْئاً مُعْكِماً مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهَا  
رُفْدَانٌ يَتَقَهَّدُهَا ...

وَيُقِرُّونَ قِيَامَ هَذَا الْكَوْنِ بِسَحَابِهِ الرَّائِخَةِ ، وَأَفْلَاقِهِ السَّائِرَةِ ، وَطَلَبِهِ  
السَّابِحِ ، وَخَيَوَانِهِ السَّارِحِ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ يُحْكِمُ صَنْعَتَهُ ، وَتُدَبِّرُ يُحْيِسُ  
تَذْيِيرَهُ ١٩ .

تَبَّأ (٤) لَكُمْ وَلِمَا تَأْفِكُونَ (٥) ...

\* \* \*

(١) مشحونة : مملوءة .

(٢) اللجّة : أعين مكان في البحر وأوسمه .

(٤) ﴿٤﴾ : هلاكاً ومُحسراً .

(٥) تأفكون : تكذبون .

(٣) يُحْكِمُ : ينظم ويحكم .

وَبَعْدَ ، فَقَدْ قَطَعَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحْلَةَ الْحَيَاةِ كُلَّهَا ؛ يُتَافَحُ عَنْ دِينِ اللّٰهِ بِمَا  
وَهَبَهُ الْخَالِيُّ مِنْ حُجَّةٍ بِالْعَمَةِ ...

وَيُجَادِلُ عَنْ شُرُوعِهِ بِمَا حَبَاهُ اللّٰهُ مِنْ مَنْطِقِيٍّ قَدْ .  
فَلَمَّا أَتَاهُ الْيَقِينُ ؛ وَجَدُوا فِي وَصِيَّتِهِ أَنَّهُ عَزَمَ عَلَى أَهْلِهِ أَنْ يَذِفْتُوهُ فِي أَرْضِ  
طَلَبِيَّةٍ ، وَأَنْ يُجَبِّتُوهُ كُلَّ مَكَانٍ فِيهِ شُبْهَةٌ غَضَبٍ<sup>(١)</sup> .  
فَلَمَّا بَلَغَتْ وَصِيَّتُهُ « الْمَنْصُورَ » قَالَ :  
مَنْ يَغْذِرُنَا<sup>(٢)</sup> مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ حَيًّا وَمَيِّتًا ؟ .

\* \* \*

وَلَقَدْ أَوْصَى أَبُو حَنِيفَةَ بِأَنْ يَتَوَلَّى غَسَلَهُ « الْحَسَنُ بْنُ عَمَارَةَ » ، فَلَمَّا غَسَلَهُ  
قَالَ :

رَحِمَكَ اللّٰهُ يَا أَبَا حَنِيفَةَ ، وَعَفَّرَ لَكَ جَزَاءَ مَا قَدَّمْتَ .  
فَإِنَّكَ لَمْ تُفْطِرْ مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ...  
وَلَمْ تَتَوَسَّدَ بِاللَّيْلِ بِمِجْنَتِكَ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ...  
وَلَقَدْ أَتَعَبْتَ الْفُقَهَاءَ مِنْ بَعْدِكَ ...<sup>(٥)</sup> .

(١) شبهة غضب : شك في الله أخذ غضباً .

(٢) من يغفرنا : من يرفع عنا اللوم والخطاب .

(٥) للاستزادة من أخبار أبي حنيفة الثقات انظر .

١ - البداية والنهاية : ١٠ / ١٠٧ .

٢ - وفات الأعيان : ٥ / ٤٢٣ .

٣ - النجوم الزاهرة : ٢ / ١٢ .

٤ - شذرات الذهب : ١ / ٢٢٧ - ٢٢٩ .

٥ - مرآة الجنان : ١ / ٣٠٩ .

٦ - المعبر : ١ / ٣١٤ .

٧ - تاريخ بغداد : ١٣ / ٣٢٣ - ٣٢٤ .

٨ - تاريخ البخاري : ٨ / ٨١ .

٩ - المرح والتمثيل : ٨ / ٤٤٩ - ٤٥٠ .

١٠ - ميزان الاحوال : ٤ / ٢٦٥ .





## فهرس ألبائي للتابعين

( أ )

- أهو عازم الأهرج = سَلْعَةُ نُونٍ دِيكَار ..... ٤٩٤ ، ٤٨٤  
 أهو حَقِيقَةُ الثَّمَعَان .....  
 أهو العَالِيَّة = رَفِيعُ نُونٍ يَهْرَان .....  
 أهو مُعَلِّمُ الحَوْلَانِي ..... ٣٥٤  
 الْأَعْتَفُ نُونٍ قَبَس ..... ٤٦٨ ، ٤٥٧  
 أَمْضَعَةُ نُونٍ أَبْجَز = التَّجَاشِي .....  
 لِقَاسُ نُونٍ مُعَاوِنَةُ الرِّزْنِي ..... ٦٥

( ح )

- الحَسَنُ البَصْرِي ..... ٩٥  
 حَسَنُ نُونٍ بَسَار = الحَسَنُ البَصْرِي

( ذ )

- ذَكْوَانُ نُونٍ كَحْشَان = طَاوُوسُ نُونٍ كَحْشَان

( ر )

- الرَّبِيعُ نُونٍ خُفِيم ..... ٥٢  
 رِبْعَةُ نُونٍ أَبِي عَمِيد الرَّمْعَتِي = رِبْعَةُ الرُّوَّاسِي  
 رِبْعَةُ الرُّوَّاسِي ..... ١٤٤ ، ١٣٥  
 رَجَاءُ نُونٍ حَوْرَة ..... ١٥٥  
 رَفِيعُ نُونٍ يَهْرَان ..... ٤٤٣

( ز )

- زَيْنُ العَابِدِينَ ..... ٣٣٧

( س )

- سَالِمُ نُونٍ عَمِيدُ اللّٰهِ نُونٍ عَمَز ..... ٣٧٨ ، ٣٦٨  
 سَيِّدُ نُونٍ جَبْهَر ..... ٢١٠  
 سَيِّدُ نُونٍ الحَسْب ..... ١٩٧  
 سَلْعَةُ نُونٍ دِيكَار ..... ١٨٥

( ش )

- شُرَيْحُ نُونٍ الحَارِثُ البَكْلِي .....  
 شُرَيْحُ القَاضِي ..... ١١١  
 الشُّعْبِي = عَامِرُ نُونٍ شُرَاحِيلَ

( ص )

- صِلَّةُ نُونٍ أَشْتَمُ العَدَوِي ..... ٣١٤

( ض )

- الصُّعْمَاكُ نُونٍ قَبَس الشَّعْبِي = الْأَعْتَفُ نُونٍ قَبَس

( ط )

- طَاوُوسُ نُونٍ كَحْشَان ..... ٢٨٩ ، ٢٨١

( ع )

- عَامِرُ نُونٍ شُرَاحِيلَ ..... ١٧٢  
 عَامِرُ نُونٍ عَمِيدُ اللّٰهِ التَّيْمِي ..... ٢٢  
 عَمِيدُ الرَّمْعَتِي القَاضِي ..... ٤٠٥ ، ٣٨٩  
 عَمِيدُ اللّٰهِ نُونٍ قُوب = أهو مُعَلِّمُ الحَوْلَانِي

مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ ..... ١٢٤  
 مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ = مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَافِيَّةِ  
 مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ الْأَزْدِيُّ ..... ٢٤٠ ، ٢٢٩

( ن )

النَّجَاشِيُّ ..... ٤٢١  
 الثَّغْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ بْنِ السَّرَوْرِيَّانِ = أَبُو حَنِيْفَةَ الثَّغْمَانُ

عُذْوَةُ بْنُ الرَّكْبِ ..... ٣٨  
 عَطَاءُ بْنُ أَبِي زَنْجٍ ..... ٩  
 عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ = زَيْنُ الْقَابِئِينَ  
 حُمَزُ بْنُ عَبْدِ الْقَزِيْرِ ..... ٨٠ ، ٢٥٥ ، ٣٢٦

( ق )

الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ..... ٣٠٠

( م )

مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَافِيَّةِ ..... ٢٦٥

## محتوى الكتاب

| <u>الموضوع</u>  | <u>الصفحة</u> |
|---|---------------|
| ١ عطاء بن أبي رباح .....                                  | ٩             |
| ٢ عامر بن عبد الله التميمي .....                          | ٢٢            |
| ٣ عروة بن الزبير .....                                    | ٣٨            |
| ٤ الربيع بن خثيم .....                                    | ٥٢            |
| ٥ إياس بن معاوية المزني .....                             | ٦٥            |
| ٦ عمر بن عبد العزيز « وابنه عبد الحلي » .....             | ٨٠            |
| ٧ الحسن البصري .....                                      | ٩٥            |
| ٨ شريح القاضي .....                                       | ١١١           |
| ٩ محمد بن سيرين .....                                     | ١٢٤           |
| ١٠ ربيعة الرأي ( أ ) .....                                | ١٣٥           |
| ١١ ربيعة الرأي ( ب ) .....                                | ١٤٤           |
| ١٢ رجاء بن حيوة .....                                     | ١٥٥           |
| ١٣ عامر بن شراحيل .....                                   | ١٧٢           |
| ١٤ سلمة بن دينار .....                                    | ١٨٥           |
| ١٥ سعيد بن المسيب .....                                   | ١٩٧           |
| ١٦ سعيد بن مجير .....                                     | ٢١٠           |
| ١٧ محمد بن واسع الأزدي « شيخ الزاهدين في عصره » .....     | ٢٢٩           |
| ١٨ محمد بن واسع الأزدي « عابد البصرة وزعم الفقهاء » ..... | ٢٤٠           |

|     |  |     |
|-----|--|-----|
| ١٩  | عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْغَزِيرِ «لَمَحَاتُ رَائِعَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ»                         | ٢٥٥ |
| ٢٠  | مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَنْتِيَّةِ  | ٢٦٥ |
| ٢١  | طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ «حِكَايَتُهُ مَعَ الْوَالِيِّ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ» | ٢٨١ |
| ٢٢  | طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ «الْوَاعِظُ الْمُرَشِدُ»   | ٢٨٩ |
| ٢٣  | الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ  | ٣٠٠ |
| ٢٤  | صِلَةُ بْنُ أَشْتَمِ الْعَدَوِيِّ  | ٣١٤ |
| ٢٥  | عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْغَزِيرِ «وَقَفَاتُ ثَلَاثَ مَعَةٍ»                                   | ٣٢٦ |
| ٢٦  | زَيْنُ الْعَابِدِينَ   | ٣٣٧ |
| ٢٧  | أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِي   | ٣٥٤ |
| ٢٨  | سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ «حَفِيدُ الْقَارَوِيِّ»                            | ٣٦٨ |
| ٢٩  | سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ «الْعَالِمُ الْعَامِلُ»                            | ٣٧٨ |
| ٣٠  | عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْغَافِقِيُّ «أَمِيرُ الْأَنْدَلُسِ»                                   | ٣٨٩ |
| ٣١  | عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْغَافِقِيُّ «بَطْلُ مَغْرَكَةِ بَلَاطِ الشُّهَدَاءِ»                  | ٤٠٥ |
| ٣٢  | النُّجَاشِيُّ  | ٤٢١ |
| ٣٣  | وَقِيعُ بْنُ مِهْرَانَ   | ٤٤٣ |
| ٣٤  | الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ «يَشُوذُ بَنِي تَمِيمٍ»  | ٤٥٧ |
| ٣٥  | الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ «يَتَتَلَمَذُ عَلَى يَدَيِ الْقَارَوِيِّ»                          | ٤٦٨ |
| ٣٦  | أَبُو حَنِيفَةَ الثُّغَمَانُ «لَمَحَاتُ رَائِعَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ»                          | ٤٨٤ |
| ٣٧  | أَبُو حَنِيفَةَ الثُّغَمَانُ «وَمَضَاتُ فَلَّةٍ مِنْ عَقْرِئَتِهِ وَذَكَائِهِ»             | ٤٩٤ |
| ٥٠٥ | فهرس ألبالي للتابعين   |     |

✂

CT - 0407 / 01 - 7540



## بطاقة دعوة

تشكر دار الأدب الإسلامي اقتنائكم إحدى منشوراتها ...  
كما أن الدار ترحب باقتراحاتكم وملاحظاتكم ،  
وتعتمد بنراستها والأخذ بها .

وبهذا ، فإنها تدعوكم إلى فتح حوار مباشر بين القارئ والناشر .  
لذا فإن دار الأدب الإسلامي ترحو منكم التكرم بالتعاون معها  
بتعبئة هذه البطاقة بخط واضح ، والإسراع بإعادتها بالبريد  
إلى العنوان الملون على البطاقة .

الاسم كاملاً :

ذكر ☐ أنثى ☐ المولد المراسي :

الوظيفة الحالية :

جهة العمل :

السن : ١٥ سنة فأقل ١٦ - ٢٥ ٢٦ - ٣٥ ٣٦ - ٥٥ ٥٦ سنة فأكثر  
أو العمر : ☐ ☐ ☐ ☐ ☐

عنوان المراسلة

البريد الإلكتروني :

المدينة :

الفاكس :

تاريخ : ١ ١

طريقة حصولكم على هذا الكتاب

من مكتبة وأذكر اسمها والمدينة :

من معرض للكتاب وأذكر اسمه والمدينة :

من غيره (وضح) :

بطاقة دعوة إلى فتح حوار مباشر بين القارئ والناشر

CT - 0407 / 01 - 7540

الرجاء وضع علامة على مربع القسم الذي ترونه مناسباً لهذا البند التالي

| البند                       | جيد جداً                 | جيد                      | مقبول                    | غير ضروري                |
|-----------------------------|--------------------------|--------------------------|--------------------------|--------------------------|
| مقاس الكتاب ، وحجمه         | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> |
| تصميم الغلاف                | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> |
| نوعية الغلاف                | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> |
| حجم الخط                    | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> |
| تشكيل الكلمات               | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> |
| إخراج الكتاب ، ونوعية الورق | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> |
| السعر                       | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> | <input type="checkbox"/> |

التعليقات أو الملاحظات ثم ولى ذات الحاجة

إذا كان لديكم فكرة أو عمل مميز ، هادف ، نافع ، يكمل لغة القرآن ،  
وينبع من التصور الإسلامي للمعالي عز وجل ومخلوقاته  
في أي ميدان من ميادين العلم ...  
فإن دار الأدب الإسلامي يشرفها التعاون معكم

ترسل هذه البطاقة إلى العنوان التالي :

دار الأدب الإسلامي

ص . ب : ٨١

مكتب بريد بالتوراما ١١٨١١

القاهرة - جمهورية مصر العربية









